التشيع والإستشراق

عرض نقدي مقارن لدراسات المستشرقين
عن العقيدة الشيعية وائمتها

الدكتور عبد الجبار ناجي





توزيع منشورات الجمل



المركز الأكاديمي للأبحاث

التشيع والاستشراق

الدكتور عبد الجبار ناجي

التشيع والاستشراق

عرض نقدي مقارن لدراسات المستشرقين

عن العقيدة الشيعية وأئمتها



الدكتور عبد الجبار ناجي

التشيع والاستشراق، عرض نقدي مقارن لدراسات المستشرقين عن العقيدة الشيعية وأئمتها

الإشراف اللغوي: د. حسين الوطيفي

الطبعة الأولى ٢٠١١

http:\\www.academyc2010.com\
E. Mail- Book@academyc 2010.com
نقال: ٠٠٩٦٤٧٨١٠٧٢٦٤٢٩

كافة منشورات المركز تطلب من:
منشورات الجمل، بغداد - بيروت، ٢٠١١
ص.ب: ٥٤٣٨ - ١١٣، بيروت - لبنان
تلفاكس: ٣٥٣٣٠٤ ٠١ (٠٠٩٦١)
WebSite: www.al-kamel.de
E-Mail: alkamel.verlag@gmail.com

مقدمة المركز

ما زال محور الاستشراق مثار جدل وتفاوت حاد بين الباحثين العرب في نمط تلقيهم لاتجاهاته العامة، فهناك تشعب كبير في أنماط التلقي والصور المكونة عن المستشرق وعمله، قد تتجاوز أحيانا الاهتمام بالموضوعات التي أخضعها الاستشراق للمعالجة والبحث، ومن دون شك هناك الكثير من الفواعل التي أطرت تلك الأنماط وأخرجتها بصورتها الخاصة، منها ذاتية متعلقة بالتركيبة المعرفية والثقافية لصاحب الرؤية، ومديات انفتاحه على المناهج العصرية في القراءة والسبر والكشف عن المسكوت عنه لمطاوي النصوص، ويدخل هنا عنصر إجادة اللغات الأجنبية وإتقانها بوصفه مقدمة ضرورية وعنصراً رئيساً من عناصر التعاطي مع هكذا موضوعات، إذ لا يستقيم العمل ويأخذ جديته من دونها. أو فواعل خارجية متأثرة بالمحيط السياسي والديني العام وموقفه من الغرب والاستعمار والذاكرة التاريخية والحروب الصليبية وهي مواقف كانت جزءا من ردود الفعل لواقع يعيش نكبات وانغلاق سياسي مزمن، وعلى وجه العموم أخذت تلك القراءات محورين رئيسين تمركزت عليها مختلف التفصيلات للمنجز الاستشراقي:

محور متوجس ومشكك في كل المجال الإستشراقي، إذ يجد أنه أحد الأساليب الاستعمارية المتجددة في الهيمنة والاستيلاء، وضع هذا الصنف قبلية ثابته لمجمل قراءاته، صاغ على

وفقها كل التفاصيل الفرعية، وقد مثل هذا النوع مجموعة من الباحثين والدارسين ذو مرجعية سلفية أصولية، تلقى معظمهم تعليمه داخلياً على وفق المناهج التقليدية. فيما اختلفت وجهة نظر المحور الثاني الذي انفتح على جهود المستشرقين وتعاطى معها بإيجابية، وعدّها مرحلة ضرورية ضمن مراحل تطور الدراسات الشرقية، لما تحويه من جدية منهجية عالية في التركيب والتفكيك والتحليل، وركز هذا النوع على تقصي البعد المعرفي والفكري الذي احتوته تلك الدراسات عبر مواضيع المركزية الأوربية وقراءة الذات من خلال الآخر وغيرها من الميادين الفكرية، وأكثر ما عبر عن هذا المنحى، باحثون تلقوا تعليمهم في الجامعات الغربية أو من تابع بجدية المناهج والأبحاث الحديثة وتواصل مع ميدان الحداثة وتطوراته، وهذا لا يعني أن هذا الصنف لم يوجه النقد إلى المستشرقين، غير أن نقودهم لم تتسم بالقطيعة الشاملة، كما جرى الحال بالنسبة للفريق الأول.

يبدو أن كتاب (التشيع والاستشراق) ينتمي في توجهه العام إلى الصنف الثاني، إذ خاض مؤلف الكتاب في ديباجته في تلك التيارات المتقاطعة في قراءة الاستشراق واستقباله عربياً، إذ عرض لبعض تلك النماذج وطريقة استيعابها ورؤيتها المختلفة. فكان لديه وعي وتصنيف لما أنجز من قراءات متنوعة في المرجعية والرؤية.

وفي المقابل تنوعت العوامل التي حركت الاستشراق ودعته إلى التكثيف والتخصص في دراسة التشيع بين عوامل سياسية لمتابعة التحولات العميقة في بنية الشرق السياسية والدينية، وقد تعود جذور هذا الاهتمام إلى مرحلة سابقة للجهود الأكاديمية المنظمة وفق

المناهج العصرية، فتشي كتب الرحلات الأوربية في العصر الحديث إلى اهتمام مضاعف في استيعاب أسباب النزاع الصفوي العثماني الذي اكتسب في واحد من أبعاده صفة مذهبية بين التشيع والتسنن، وهي أوقات كانت أوربا تتحين الفرصة للولوج والنفاذ إلى الشرق بشكل قوي. وعوامل علمية بحته ترتبط في كثير من تفاصيلها بجوانب علمية كانت جزء من التراكم المعرفي لدراسة الشرق والإسلام.

والذي يلحظ على حركة الاستشراق أنها قد شهدت تغيرات عميقة، فلم تعد الصورة القديمة ذاتها عن شخصية المستشرق وانتمائه العرقي ثابتة كما في السابق لمن يزاول دراسة الشرق وفروعه، فنلحظ أن دراسات هامة قد أنتجت في هذا الميدان، كان أصحابها ذوي أصول شرقية أو إسلامية كما في نموذج مدرسي طباطبائي من إيران والمقيم في الولايات المتحدة وساجدينا من اندونيسيا وغيرهم من الباحثين/ المستشرقين وقد يعيد هذا التحول النظر في تعريف المستشرق. لكن الأهم من ذلك في دواعي هذا التحول التي قد يكمن في انتماء هكذا باحثين إلى أصول شرقية وإسلامية مما يعني إطلاعهم الواسع وإجادتهم للغة والمحيط الثقافي والاجتماعي.

وربما يثير عنوان الكتاب (التشيع والاستسراق) أكثر من تساؤل واستفسار، فجرت العادة أن يكون هنالك تقابل موضوعي وجنسي في تركيبة العنوان، فالفظة التشيع تحيل إلى مذهب إسلامي أو إلى حقل من حقول دراسة الأديان والمذاهب وقد تختلف لفظة التشيع عن لفظة (الشيعة) فالأخيرة تحمل معنى الثبات أو الإشارة إلى اسم

طائفة أو مذهب بعينه، أما اللفظة الأولى فتمتاز بالحركية وفقاً لاتساع رقعة الجغرافية الدينية وفيها تخصيص عال لبحث الديمغرافية الدينية وتركيزها على دراسة التدين واتساعه أكثر من التركيز على الجوانب التاريخية التقليدية البحتة للمذهب، فمن العادة إن يكون هناك تناظر اصطلاحي، فعلى سبيل المثال الذي يقابل التشيع بوصفه مصطلح ذو دلالة ثابتة في الأذهان، مصطلح التسنن أو التصوف أو السلفية وغيرها من الاصطلاحات المتقابلة المنتمية إلى حقل مشترك، ويبدو إن الحال مشابه لطرف المعادلة الأخرى الخاصة بالاستشراق فمن المتوقع أن يكون له معادل اصطلاحي يوازيه في الدلالة والجنس مثل الاستعراب أو الاستغراب أي: الدراسات التي تخرج من الشرق لاستيعاب الغرب وتناوله بوصفه ميدان للدراسة والتشريح كما فعل الغرب عندما اخضع قرينه الشرق لتلك الدراسات المستفيضة والتي أطلق عليها اسم جامع «الاستشراق».

كما يلحظ في عنوان الكتاب أولوية تنظيمية أو تراتبية معطاة للفظة التشيع على الاستشراق، ويبدو أنها لم تكن صدفة أو غير واعية، فجوهر الكتاب قائم على هذه الجدلية المؤثر طرفها الأول بالثاني - فالتحدي القائم على مفهوم توينبي - للتشيع، كانت تقابله استجابة استشراقية موازية له، وهذا قد يفسر كثيراً منحنى التطور الحادث في الدراسات الاستشراقية حول التشيع وأفكاره، فازدياد الاهتمام المتصاعد بدراسة هذا المذهب على مستوى الكم والنوع في وجهه الآخر تعبيراً عن مدى الحيز الذي اخذ يشغله التشيع في مجال الدراسات الإسلامية للباحثين التي هي انعكاس مباشر لبعض التطورات المفصلية التي حدثت في تاريخ هذا المذهب المعاصر

كما في التطورات الدينية والسياسية المفصلية في إيران بعد العام ١٩٧٩م. أو العراق بعد العام ٢٠٠٣م.

والطريق العام الذي يسلكه الكتاب في حركه معالجتة للموضوعات المنتخبة للبحث، تكاد تنتقل من العام إلى الخاص، أو من القاعدة إلى الرأس، إذ لم يقتف المنهج الاسترجاعي، ويبدو ان الطبيعة البيبلوغرافية للموضوع قد فرضت هكذا طريقة في المعاينة والفحص، فكانت تناولات الاستشراق في البدء قد اهتمت في عموميات الإسلام أو بالأحرى الإسلام السني وما كتبه عن الفرق الأخرى، وهي صورة قد شابتها الكثير من العمومية المفرطة والمغالطات التاريخية. ثم بدأ بعد ذلك تحول كبير في تلك الدراسات، نتيجة لتخطي مرحلة البدايات، وتكور مادة علمية عن التشيع، سعت الأجيال الاستشراقية إلى تجاوزها وتقديم مادة ورؤية جديدة، فكانت المرحلة اللاحقة معتنية بالاستجماع المصدري واعتماد المصادر الشيعية بوصفها المادة الأولية الأساس لاستيعاب التشيع وتطوراته المتلاحقة في العالم الإسلامي، ثم أعقب هذا مرحلة أكثر عمقاً وعمودية من المراحل المبكرة، اتجهت إلى التعاطي مع موضوعات أكثر تخصصية وتقيداً.

ويكاد الكتاب يغطي في مسحه المصدري لما كتب عن التشيع استشراقياً المدة المحصورة من القرن الثامن عشر الميلادي حتى الوقت الحاضر، إذ لم تركز خطته أو تفاصيله كثيرا على المدارس الاستشراقية منفردة، وإنما نحى باتجاه تقطيع المواضيع الشيعية.

ومن الانفرادات الهامة التي امتاز بها الكتاب تعقبه الواضح لملامح الاستشراق الإسرائيلي ودراسته للتشيع، وهو استشراق نشأ

حديثاً، لكنه قدم العديد من الدراسات الخاصة بالتشيع، وربما يكون العامل المحفز في هذا مرتبط بالتطورات الإيرانية بعد الثورة الإسلامية سنة ١٩٧٩م.

ومع المزايا التي يحملها الكتاب، تبقى الكثير من الموضوعات فيه بحاجة إلى تحليل أعمق ونقداً أوسع، ولاسيما المتعلق منها بالرؤية والصورة التي بلورها الاستشراق التقليدي مقارنة بالدراسات الاستشرقية الحديثة، لكن تقييد عنوان الكتاب، بانه عرض نقدي قد يفتح الباب لباحثين آخرين في الخوض في تلك الموضوعات.

الدكتور نصير الكعبي

مدير المركز الأكاديمي للأبحاث

المقدمة

لم يدر في خلدي، في بداية الأمر، حين شمّرت عن ساعدي وجمعت أدوات بحثي، ومعداته لأرسم مخططاً لمفرداته الدقيقة، بأن تكون إسهامات المستشرقين عن التشيع، وعن سيرّ أهل البيت بمثل هذه الكثافة والتركيز نوعاً وكما؛ إذ كنت على ثقة بأن العمل سيكون - على الأكثر - بحثاً دون أن يتطور إلى كتاب بعدة فصول. لكنه بعون من الله تعالى انتهى بهذه المحصلة، فأئمة أهل البيت مباركون من الباري عزّ وجل. وهذا البحث هدية لهذه البركة؛ وهو خدمة قليلة جداً أقدمها لهم عليهم السلام.

فعند اختتام الفصل الأخير المتعلق بالاستشراق والغلاة أو بالأحرى والفرق الغالية أو والفرق التي خرجت عن المذهب؛ وما زال في الجعبة المزيد من النقاط الأخرى نسأل الله تعالى الرزق في الصحة والعمر بغية إنجازها، تبين أن هؤلاء العلماء من شتى الدول الأوربية والأمريكية قد سبروا الحركة الشيعية من جميع مناحيها العقيدية والفكرية والسياسية والمصدرية.

وتوصل البحث إلى استنتاج بأن جهودهم هذه تتماهى والجهود التي بذلوها في الكتابة عن سيرة سيد المرسلين محمد، بأكثر من خمسين كتاباً وبالكثير من البحوث والدراسات.

مع العلم بأن جميع هذه الدراسات أو في الأغلب الأعم

احتوت على استنتاجات وتفسيرات غير منصفة بحق رسول الله، أو بالأحرى حاقدة ومسيئة له، وحقيقة أنهم أخذوا مادتهم العلمية من مصادر السيرة النبوية الشريفة الأصلية. ولكن هذه المصادر الأساسية قد غلب عليها الرواية التاريخية الأموية والعثمانية (البصرية) والعباسية، بما جمعته وركنت إليه من مرويات ضعيفة أو معدّلة، أو ربما محرّفة من قبل رواتها الروّاد، الذين وثقوا بصحتها وصدّقوها، وبنوا عليها فيما بعد مباني من التفسيرات التي لا توافق المضمون التاريخي.

وقد سبق أن بينت مثل هذه المرويات، وأشرت لها، والى نماذج من مضمونها في كتابي (نقد الرواية التاريخية) وتوصلت إلى أنها كانت العامل المشجع بالنسبة إلى المستشرقين؛ لأن يدلوا بتفسيراتهم غير الموضوعية بشأن رسول الأمة مثل:

إنه كان خائفاً من نزول الوحي (جبرائيل عليه السلام)، وإنه قد ارتجف وسقط إلى الأرض عندما شاهده، وإنه هرع إلى زوجه خديجة مرتعداً صائحاً (زمّلوني، زمّلوني أو دثّروني دثّروني)، وكأنه لم يتذكر أو حتى لم يكن يعرف أن الله تعالى قد اختاره رسولاً منذ أن كان طفلاً عند مرضعته حليمة السعدية.

فضلاً عن الروايات الأخرى الشائعة التي تعطي الدور المركزي- لكنه واقعاً - دور غير واقعي، وإن كان كذلك فهو هامشي ليس له هذه الحركة التي تصورها الرواية، التي كنت قد أطلقت عليها في (نقد الرواية التاريخية) بالرواية الزبيرية نسبة إلى عروة بن الزبير؛ كالحال مع الرهبان الآخرين مثل بحيرى وعّداس وغيرهم ممن أشارت إليهم هذه الرواية مثل ورقة بن نوفل الأسدي

النصراني أو ربما من الأحناف، فقد صور ورقة في هذه الرواية بأنه كان على علم بالتوراة والإنجيل، وكان العامل الأساس في طمأنة ودعم رسول الله، وتشجيعه على المضي قدماً في لقاءاته مع الملك جبرائيل. تماماً كما أعطي لعدّاس الرومي مثل هذه الفاعلية.

هذه الرواية التي تشير إلى أن الرسول كان متردداً في تلقيه الوحي وغير واثق من كون المبعوث اليه جبرائيل هو المبعوث من عند الله تعالى؛ ليبلغه الأمانة والرسالة.

وهناك عدد آخر من الروايات التي أدّت بالنتيجة إلى أن يُقْدِم المستشرقون على الاستنتاج غير الصحيح حول حال رسول الله الصحية وكونه مصاباً بالصرع أو إنه كان صاحب خيال جمّ وواسع.

والحال نفسها تتكرر في أحداث أخرى من تاريخ الدعوة الإسلامية في توفير أمثال هذه الروايات الدعم والتشجيع للمستشرقين على الاستنتاج بقوة التأثير اليهودي، أو المسيحي على الرسالة الإسلامية، وعلى القرآن الكريم، كقولهم إن نصرانياً كان يعلّمه القرآن والتعاليم الدينية الأساسية... وما إلى ذلك.

أقول إن ميدان التشيع وسيّر الأئمة قد حظي بقدر كبير من اهتمام المستشرقين، والراجح قوله إن اهتمامهم في هذا الجانب كان يفوق القدر الذي اهتموا به في الكتابة عن سيّر رجال أو أولياء آخرين أو أي عقيدة أو مذهب آخر من المذاهب الإسلامية المختلفة.

وتساءلت مع نفسي عن السبب الذي دفع المستشرقين إلى دراسة التشيع، وإلى بذل الجهود في التعرف على شعائر الشيعة وطقوسهم، وركوب المخاطر للسفر إلى المدن الشيعية المقدسة، والمكوث فيها

سنوات، فبرزت أمامي عدة أجوبة بعضها تقليدي وشائع ولاسيما عند الحديث أو عند ذكر موضوع الاستشراق، الخصها بالآتي:

١ - المستشرقون في الواقع يهدفون أولاً وآخراً إلى إبراز حالات الانقسام والتجزئة بين صفوف العرب والمسلمين سياسياً وفكرياً ودينياً، عند دراستهم التاريخ الإسلامي وحضارته.

٢ - المستشرقون مبشرون، لذلك فإنهم تطلعوا من وراء دراستهم التشيع إلى أن يظهروا أثر الديانة المسيحية ومعتقداتها على العقيدة الشيعية.

٣ - أما المستشرقين اليهود والصهاينة فإن الهدف من توجههم لدراسة التشيع إبراز الأثر التوراتي على معتقدات الشيعة.

٤ - المستشرقون عموماً يهدفون إلى توسيع الشقة بين الفرق الإسلامية، دينياً وعنصرياً، وبالأخص بين الشيعة والسنة، بما هو نافع للسياسة الدولية وللبلدان التي ترجع إليها انتماءاتهم القومية أو السياسية.

ويلاحظ أن هذه الأجوبة التقليدية هي أجوبة سائدة في أفكارنا، ومنطلقة من موقف اللاشعور السلبي والمضاد للحركة الاستشراقية عامة وللمستشرقين من البلدان التي استعمرت أراضينا على وجه الخصوص.

مع هذا يخيل أن هذه الأجوبة غير كافية خاصة ونحن نقرأ لعدد غير قليل منهم، ممن اختص في دارسة عقيدة غيبة الإمام، أو في متابعة دقيقة للفقه الإمامي الإثني عشري، أو ممن تفرغ إلى أن يؤلف عن واقعة الطف الخالدة واستشهاد الإمام الحسين، أو في دراسة

دور الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام في تدوين أحاديث أهل البيت، أو ممن كان وما يزال يواصل العمل مع الرواية الشيعية في كتابة التاريخ، أو ممن يدرس دور الإمام في المجتمع قبل عصر الغيبة الكبرى، أو ممن يتمعن في العناصر الفلسفية في الفكر الإمامي، أو حول دور المجتهد عند الشيعة الإمامية، أو دور الإمام في الشريعة والقضاء، أومن يتابع مسألة الولاية الدينية، أو من يبذل الجهود في تحقيق وترجمة المؤلفات الشيعية، وبعضها من أصول الفقه الأربعة، أو من يدرس أصول الفقه الشيعي، أو من يدرس التشيع والثورة، أو ممن يدرس سير أئمة أهل البيت سيرة وعقيدة، أو ممن يدرس مرحلة السفراء الأربعة (سفراء الإمام المهدي. . . وما إلى ذلك من مواضيع تقع في صلب العقيدة الشيعية، لا نرى في التخصص فيها أو الكتابة عنها وقعاً كبيراً أو حيزاً كبيراً، لمثل تلك الأجوبة التقليدية المذكورة آنفا.

إذن فمن الأوفق أو الأكثر مقاربة للحقيقة أن نلتفت إلى أجوبة أخرى واستنتاجات أبعد، ربما تكون هي الأقوى أو الأضعف برهانياً من هذه الأجوبة، ومن بينها الآتي:

١ - إن الكثير من المستشرقين عند الكتابة في ميادين من التاريخ الإسلامي ولاسيما بالنسبة إلى الجيل الأول منهم يصرّون - بسبب سيادة الرواية الأموية والعباسية - على إقصاء عقيدة التشيع، أو إقصاء الحركات الشيعية من أحداث التاريخ الإسلامي. تماماً بحسب التوجه الذي سطّرته رواية ابن حزم الظاهري الحاقدة في كتابه (الفصل في الملل والأهواء والنحل)، على أن الشيعة هم (هرطقة)، وأن المذهب الشيعي إن هو إلا بدعة. وعندها نكون

متأهبين لما يمارس على المذهب، وبالأخص على أتباع أهل البيت، من نتائج خطيرة راح، بسبب هذا الهذيان المتطرف الذي زرعته رواية ابن حزم وابن تيمية آلاف الأبرياء من الشيوخ والشباب والأطفال والنساء. لماذا كل هذا البغض والعداء والشرّانية؟ لأن - كما قال ابن حزم ومن على شاكلته من الذين يدافعون بحماس المهوّس ومقته - المذهب الشيعي الذي يرجع نسبه إلى رسول الله، هو بدعة ينبغي محاربتها بالسيف، سيف الحقد والجاهلية.

فكتاب ابن حزم هذا قد حقق وترجم منذ العقد الأخير من القرن التاسع عشر، واعتمده فريدلاندر Friendlander في السنوات الأولى من القرن العشرين نصاً بعد ترجمة القسم الخاص بالتشيع في بحثه المفصل بجزئين وهو يحمل عنواناً يتفق مع حقد ابن حزم الظاهري The heterdoxies of the Shiites in the presentation of Ibn Hazm ونشره في مجلة JAOS سنة ١٩٠٧.

ولهذا تصور لا بل تيقن عدد من المستشرقين القدامى أن حركة التشيع ما هي إلا حركة منعزلة وذات تأثير ضئيل في التاريخ الإسلامي.

إلا أنه بمرور الزمن وعندما شرعوا يدرسون العقيدة من مصادرها ومنابعها الأساسية، وجدوا أنها بالفعل حركة مقصاة تعمداً، وأن المؤلفات السنية التاريخية والتراجمية والفرقية تعدّ عاملاً مساعداً بدرجة كبيرة على هذه العملية في الإقصاء. فشرعوا يبحثون فيها معتمدين على مؤلفاتها التي إما حققت أو حققت وترجمت إلى لغاتهم، وعمد بعضهم إلى الرحلة إلى إيران والعراق

بحثاً عن المخطوطات والكتب المطبوعة طبعات حجرية فدرسوها أو ترجموها كما أشرنا إلى ذلك في أثناء البحث.

والمهم أن هذا النفر منهم قد وصل إلى نتيجة مفادها ضرورة إقصاء المؤلفات السنية، لكل من يريد التدوين التاريخي عن العقيدة الشيعية، فيما عدا المؤلفات الخاصة بالرجال والفرق بهدف إحراز موازنات، أو تحقيق تصويبات أو تعديلات في وجهات نظرهم. ورأوا من اللازم أن تؤخذ المعلومات من المصادر الشيعية الغنية في معلوماتها عن شتى الميادين وبالأخص الفقهية والكلامية والتفسيرية والعقيدية.

٢ - وانطلاقاً مما اطّلعنا عليه من دراسات المستشرقين وهي كثيرة جداً، أفلح الباحث في الرجوع إلى عدد منها، تبين أن إقدامهم على دراسة التشيع بهذه الكثافة الكمية والنوعية، والتخصص به إنما يرجع إلى كونهم وجدوا في العقيدة الشيعية حركة وتطوراً فكرياً وحضارياً؛ لأنها حركة تعتمد التجديد والعقل والاجتهاد وديمومة مرجعيتها، خلافاً لما تعتمده الفرق الأخرى من فلسفة سلفية جامدة أو متكررة.

والواقع فإن هذه الخصوصية، بمعنى حرية الفكر الشيعي، وحركته وانفتاحه، قد أكد عليها بعض المستشرقين وافترضوا أن هذا العنصر المتحرك هو عامل مساعد على التطور والتغيير، وتلبية احتياجات العصر الآن ومن خلال عقيدة المهدي الآن ومستقبلاً.

نستدل على هذا من كثرة البحوث والدراسات بشأن الإمامة والمجتمع سياسياً ودينياً قبل عصر الغيبة وبعدها. وما الخلاف بين الأصوليين والإخباريين إلا حال من هذه الحالات.

٣ - السياسة والاستعمار أياً كان، البريطاني منه أو الأمريكي، قد صورا الإسلام عامة والتشيع بصورة خاصة، تصويراً تعسفياً. فالإسلام والتشيع هما عاملان مساعدان على الإرهاب والعنف، ذلك الذي يعم العالم اليوم وواقعياً قد عمّ العالم منذ أيلول٢٠٠١.

هذه النظرية الأنانية والمصلحية وغير الصحيحة قد دفعت بعدد من المستشرقين إلى التمعن في بحث ودراسة التشيع الإمامي والفرق الشيعية الأخرى. وما المؤتمرات التي تمّ عقدها وأولها في باريس عام ١٩٦٨، وتم طبع أوراق هذا المؤتمر عام ١٩٧٠، إلا مثالاً جليّاً لتوضيح هذا التوجه.

فضلاً عن توجههم نحو دراسة حركات الغلو بعد خروجهم عن الخط الشيعي الأصيل، وذلك من أجل الوقوف على محاولة إيجاد أمثلة عن العلاقة بين التشيع والإرهاب. كما فعل ذلك المستشرق تاكر Tucker البريطاني في بحثه الموسوم بـ (أبو منصور العجلي وفرقة المنصورية دراسة في إرهاب العصور الوسطى)، ودراسة المستشرقين البريطانيين مارشال هودجسون وبرنارد لويس عن الحشاشين الإسماعيلية، إذ اختاروا عنوان The Assassins بمعنى (القتلة)، وهما يحاولان في هذين الكتابين، إبراز عقيدة الفدائية والانتحارية في قتل أعداء العقيدة الإسماعيلية، من الفقهاء وخطباء الجوامع والوزراء والقضاة وما إلى ذلك. إلا أنه في رأينا من الخطأ الجسيم تعميم ذلك على جميع حركة التشيع.

عندها اندفع عدد من المستشرقين إلى البحث في التشيع الإمامي الإثني عشري، من جوانب فقهية وفلسفية وقانونية بعيداً عن بلاطات السياسة، فوجدوا أن التشيع لا علاقة له بالعنف والإرهاب. والكثير

منهم - أي من المستشرقين - من يصف التشيع بتعبيرات المسالمين والمهادنين والهادئين والمستسلمين في تصرفاتهم.

وهنا لا مندوحة من الإشارة إلى فكرة دأب المستشرقون على تكرارها، وهم ما زالوا يعتقدون بها، ألا وهي أن تاريخ الحركة الشيعية قد مرّ بمرحلتين: الأولى متمثلة بالمرحلة منذ استشهاد الإمام الحسين في كربلاء وامتدت إلى ما بعد عصر الغيبة الكبرى للإمام المهدي. وقد استخدموا جملة تعبيرات وأوصاف وصفوا بها التشيع خلال هذه المرحلة أوصاف تدل على موقفهم المسالم أو مهادنتهم للأمر الواقع أو عزوفهم أو عدم فعاليتهم سياسياً أو ركونهم إلى الهدوء وعدم التورط في الأمور السياسية. ومن هذه التعبيرات التي كرروا استعمالها:

1 - Quietism

2 - Quietcent

3 - Quietistic

4 - Anti - Revolutionary Quietism

5 - Political Quietism

6 - Passivity

7 - Orthodoxy

8 - Introverted

والملاحظ أن هذه الأوصاف والتعبيرات تعبّر بوضوح عن الفكرة التي سبق ذكرها من كون الحركة في مرحلتها الأولى تتصف بالمسالمة والمهادنة والمستسلمة أو السلبية في موقفها، أو كما عبّر عنه المصطلح الأخير الانطوائية.

كذلك فإن البعض منهم حقق ضمن هذا التوصيف المسالم كتباً

تجمع بحوثاً عن التشيع واختار لها عناوين تعبر عن معنى المسالمة مثل:

التشيع من المسالمة إلى الثورة

أو - التشيع من المعارضة إلى الثورة.

أو - التشيع الانطوائي أو السلبي إلى الثورة.

وجميع ذلك يعكس الفكرة بان التشيع مرّ في مرحلتين، مرحلة الهدوء والمسالمة، ومرحلة أعقبتها يشير المستشرقون فيها إلى ما حققته الثورة الإسلامية في إيران من رسم خط فاصل بين حال الكمون والهدوء واللافعالية والمعارضة السلمية إلى حال الثورة المسلحة التي أطاحت بالسلطة أو السلطات العاتية والمستبدة.

ومع هذا فنعتقد بأن هذه الأوصاف أو التوصيفات التي شخصها المستشرقون تعتمد الأصول التاريخية للتشيع في عصر الرسالة، إلى ما بعد عصر الغيبة، على أنها تمثل الشيعة بعدم فعالية دورهم السياسي أو العقيدي إنما كانوا - بحسب اعتقاد المستشرقين - يميلون إلى المسالمة والسلبية وعدم الفعالية، إنه في معتقدنا توصيف لا يمثل كل الحقيقة وينطبق على الظاهر فحسب في معرفة دور الشيعة في التاريخ وهو تشخيص غير دقيق، ولا يقترب من الواقع.

فالشيعة لم يكونوا انعزاليين بمعنى انهزاميين فضلاً عن كونهم غير فعالين بمعناه السلبي، أي كانوا خائفين من السلطة العاتية الأموية والعباسية، ولهذا قبعوا بعيداً عن الواقع هاربين منه، أو بالأحرى تلبسوا بلباس السلم والخنوع.

فالمستشرقون وغيرهم من غير المستشرقين يعتقدون ذلك، مع

العلم أن شيعة الإمام علي منذ زمن جدّ الأسرة العلوية محمد قد تخلّقوا بخلق الرسول والإمام وأهل بيته ﷺ. إنه خلق نسيجه الصدق والأمانة وتجنب العنف والتقوى والإيمان بالإسلام إيماناً حقيقياً ومخلصاً والتفاني من أجله ومدّ يد العون والمحبة والتسامح والوحدة مع الآخر حتى وإن كان هذا عدواً لدوداً لهم. والأمثلة في تاريخنا بشأن أخلاق الرسول وشمائله مع أعدائه الكفار من قريش منذ أن اختاره الله تعالى رسولاً ومنذ لحظات بعثته هي كثرة لا تحصى. فلم يقابل رسول الله والأئمة من بعده أذى المشركين والمخالفين والناكثين والمنافقين بأذى مثله أو بما يقابله بالمثل، وظل رسول الله يتحمل آلام المعاناة من وحشية وقسوة القرشيين الكفّار بروح إسلامية عالية تسودها تلك الأخلاق السامية فالنبي وآل بيته: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم: ٤].

كذلك الحال في علاقته بالمنافقين في المدينة، فقد كان رسول الله يعرفهم معرفة حقيقة، لا في سيمائهم فحسب إنما بأسمائهم؛ لكنه مع ذلك لم يعاملهم معاملة خاصة تختلف عن بقية المسلمين، كما هو الحال في مسألة المؤلفة قلوبهم والطلقاء.

والحال نفسها أيضاً في علاقته مع اليهود في المدينة، إذ شملهم بالمعاهدة، الوثيقة، وأبدى لهم في عدة مناسبات أخلاق المحبة والتقرب في محاوراته معهم مباشرة أو من خلال صحابته الكرام.

وقبالة هذا التسامح والحب وطلب الخير للجميع فإنه كان عندما يجد عداءاً صارخاً بل ومؤذياً للإسلام ومبادئه، وحينما يكتشف تآمر اليهود أو المنافقين أو المشركين، فإنه يبادر بسرعة ويستجيب استجابة رادعة وقاصمة للظهر.

وأخلاق الإمام علي وأهل بيته نسخة أصيلة من أخلاق رسول الله فهم يقلدون الأسوة الحسنة. فالإمام لم يتخذ دوراً عدوانياً ومتحدياً في عصر الرسالة مع أعدائه من المنافقين والمبغضين والمشركين مع أن عداءهم كان واضحاً وتعبر عنه وجوههم وتصرفاتهم وأحاديثهم فيما بينهم الخاصة والمعلنة.

وظل إيمانه بالدين الإسلامي قوياً جداً بحيث أنه كان في حالات قسوة الأعداء وشرّانيتهم، وحالات عدوان الآخر سواء كان ذلك في أثناء أحداث السقيفة وما بعدها، حتى استشهاده. فإنه كان يضع القسوة ضده والتآمر عليه وضد حقه في كفة بينما يضع الإسلام ووحدانية الله تعالى ونبوة محمد وشهادة الله أكبر في كفه أخرى مقابلة لذلك، فكان يختار دائماً الثانية.

وهو عند تسلمه الخلافة فإنه تسلمها بشروط عرضها بصورة علنية أمام الصحابة في المدينة، وإنه عند مواجهته الأخطار والتآمر من الناكثين العهد ومن الخارجين على الإسلام، لم يشنّ حرباً، ولم يلجأ إلى شهر السلاح أولاً إلا عندما مارس أعداؤه أعمال العنف والإرهاب واندفعوا إلى إيذاء الناس ونهب بيت مال البصرة، وتشهيرهم وتعذيبهم لواليه على البصرة، وقتل حرّاس بيت المال وإعلان أصحاب الجمل تمردهم وإشهارهم السلاح وإعلانهم الحرب صراحة عندئذ فقط قاتلهم وانتصر عليهم.

وعندما طعن الإمام لم يأمر بقتل المجرم القاتل ابن ملجم فوراً إلا بعد التيقن إنه ميت إثر الطعنة لا محال.

وهكذا كانت أخلاق الإمام الحسن مع أنصاره من أهل الكوفة، وكذلك مع المعتدي على الحق الشرعي معاوية.

وقدّم الإمام الحسين أنموذجاً ساطعاً لأخلاق آل البيت في السلم وفي الحرب، والمنازلة في ميدان الوغى وفي منطقه أمام الأعداء وهم يكرهونه على القتال. إنه ثار من أجل إصلاح الأمة، وتثبيت أركان الإسلام ولم يخرج من أجل السلطة والسيادة والبطر.

فهذه الجوانب الأخلاقية الرائعة والسلمية بطبيعة الحال لا تتفق ومنطق العتاة المتعودين على الخيانة والكره والضغينة من أنصار الحرب والميكافيلية السياسية. وعندها يكون المتحلي بتلك القيم والمثل والأخلاق العالية سلبياً أو متهاوناً أو غير فعال أو مسالماً أو انعزالياً.

وعندما أعلنت الثورة الإسلامية المباركة في إيران لا يقصد بها إرهاباً أو عنفاً إنما ثار الشعب بسبب الخطر الكبير الذي واجهه الإسلام ديناً وعقيدة وأخلاقاً خلال زمن الشاه وكذلك الحال في الانتفاضات والثورات التي نهض بها الشيعة في العراق. هنا أيضاً لا يصح وصف الحال بأنه تحول في الحركة الشيعية من المسالمة والمهادنة إلى الثورة.

فالتشيع ثورة دائمة إذا كان الأعداء يريدون ضرب الإسلام وتمزيق القرآن وطعن رسول الله والعودة بالأمة إلى عصر الضلالة والجاهلية. وهذا ما أيدته الأحداث والثورات والحركات الكثيرة في التاريخ الإسلامي التي تزعمها الشيعة.

في الختام فإن هذه الدراسة المتواضعة هدفها التعريف بالدور العلمي (السلبي والإيجابي) الذي اضطلع به المستشرقون في التدوين التاريخي حول التشيع حركة وسياسة وفقها وفكراً وعقيدة وعلماً وفلسفة.

ومن باب الوفاء لمن ساعد في إخراج الكتاب بهذه الحلّة الشكر والتقدير والتوفيق إلى الأخ المسؤول عن تنضيد الكتاب؛ فقد كان بارعاً وفقه الله. وإلى جميع العاملين في المركز العتيد وإلى الأخ الدكتور نصير الكعبي جزاه الله خير الجزاء على مساعدته القيّمة.

الشكر والتقدير إلى ما قدمته الهيئة الإدارية لكتابخانه تاريخي تخصصي إسلام وإيران، برئاسة العلامة الشيخ رسول جعفريان وإلى الأخ آقاي علي رضا باذري أمين المكتبة وإلى جميع العاملين فيها لتهيئتهم فرص البحث العلمي بما يتوافر في المكتبة من مراجع أجنبية كثيرة. كذلك أشكر كادر كتابخانه إمام خميني في (باجيك) وإلى كادر كتابخانه مدرسة كوتاه مدت التابعة لجامعة المصطفى.

والشكر موصول إلى مدير المدرسة وإلى الشيخ بنكدار والشيخ علي جم. فقد وفرت لي المدرسة ضيافة لمدة ستة شهور، فإلى جميع العاملين فيها الشكر والتقدير وجزاهم الله خير الجزاء.

شكري إلى أخواني الدكتور إسماعيلي والدكتور مشتاق الحلو على مساعدتهما الكريمة.

شكري إلى زوجتي الحاجّة عواطف عبد الواحد على مشاركتها القيمة، وإلى ابني الأستاذ حيدر الياسري على مساعدته القيمة في الكومبيوتر والإنترنت، وإلى جميع الأخوة الأعزاء.

ومن الله العليّ القدير التوفيق والفلاح.

عبد الجبار ناجي الياسري

الفصل الأول

لماذا الاستشراق - ولماذا التشيع والاستشراق

المبحث الأول:

الاستشراق

لعلنا لا نغالي في القول بأنه فيما عدا - تقريباً - الساحة الفكرية في مصر خلال العقدين الأولين من القرن العشرين، فإن دائرة المعرفة العربية والإسلامية بالنسبة إلى دراسات المستشرقين ونشاطاتهم ظلت ضيقة ومحدودة. ولذلك أيضا تَحددت الآراء والتفسيرات بشأن الأهداف الأساس من وراء دراساتهم أو بالأحرى ما العوامل التي دفعتهم وشجعتهم على التخصص والبحث والمتابعة الدقيقة في مواضيع وميادين بعيدة عن تاريخهم؟ ومناطق نفوذ سياساتهم؟ وما الذي كانوا يقصدونه في تفسيراتهم وآرائهم، وتدخلاتهم في تاريخ ليس هو تابع لتاريخهم. إن التفسيرات والرؤى التي عرضوها في مجمل مسيرة التاريخ الإسلامي وبالأخص الدراسات التي لها علاقة بالدين الإسلامي والقرآن الكريم والحديث الشريف وبأحداث السيرة النبوية المطّهرة وحياة رسول الله وما يتعلق بالتشيع، أو تلك الدراسات بشأن أصالة الحضارة الإسلامية أو عدم أصالتها ومدى تأثرها بالحضارة الأوربية (حضارتهم)، كانت المعرفة العربية محدودة ومقصورة. غير أن هذا الرأي لا يعدم وجود حال مهمة بالنسبة إلى واقع هذه المعرفة، النسبة إلى بلدان عربية، وإسلامية أخرى غير مصر فإنها كانت منقطعة أو غير فاعلة، إذ لم

يعرف شيئاً عن موقف علماء هذه البلدان من الدراسات الاستشراقية أو حتى آراء وردود فعل علمية من تفسيرات المستشرقين التي نعرفها اليوم بأنها تفسيرات حاقدة أو تخرصات غير موضوعية. وأقصد بهذا شح ردود الفعل العلمية سلباً كانت هذه الردود أم إيجابا. ففي العراق على سبيل المثال عرضت مجلة العلم النجفية برئاسة تحريرالسيد هبة الدين الشهرستاني الحسيني(*) في العقد الأول من القرن العشرين تصنيفاً منطقياً للمستشرقين وميزت بين هؤلاء وبين المبشرين الذين يسعون إلى نشر الديانة المسيحية بين صفوف المسلمين. ومن الجدير ذكره بأن هذا التوجه يرجع بالدرجة الأساس إلى مؤسس مجلة العلم نفسه إذ كان معروفاً بين علماء الدين الشيعة بانفتاحه على الآخر وقد استشهد في المجلد الثاني من المجلة بأسماء عدد من المستشرقين المعروفين بمواقفهم الإيجابية من الإسلام وحضارته نظير توماس كارليل مؤلف الكتاب الذائع الصيت (الأبطال وعبادة البطل) والمستشرق السويسري أدموند منيه Edmond Monnet الذي عرف بدراساته عن الإسلام وعوامل انتشاره والمستشرق البريطاني المعروف بدراساته عن تاريخ الأدب الفارسي. فضلاً عن ذلك كانت هناك تعقيبات وتوضيحات على

(*) ينظر (al-Shahrastani) in Encyclopedia Of Islam (New Edition) by W. Ende; idem;"Iraq in World War; The Turk. The Germans and the Shiite Mujahid Call for Jihad" in (R. Peters (Ed.) Proceedings of the Ninth Congress of Union European des Arabisants et Islamisants (Leiden 1981) P. 70 - 71.

كذلك ينظر الرهيمي، د. علاء «مجلة العلم النجفية: من المجلات العراقية الرائدة ١٩١٠-١٩١٢» في مجلة دراسات تاريخية - بيت الحكمة، عدد ١٧ السنة الخامسة/ ٢٠٠٥ صفحة ٣٤-٣٥.

بعض تلك النشاطات ولاسيما التبشيرية منها للمستشرقين المبشرين من بعض المجلات المصرية والمؤسسات الإسلامية في مصر، كالذي قامت به جمعية الإرشاد المؤسسة في الأسكندرية سنة ١٩١١ وقد توجهت توجهاً خاصاً في التركيز على الرد على افتراءات المبشرين. ومع هذا فأن الحال المعرفية في مصر قد اتجهت صوب ظهور مواقف مؤيدة ومادحة وبالأحرى مبالغة في الإطراء والمديح لأعمال المستشرقين بالنسبة إلى التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، وعلى الضد فقد ظهرت أيضاً مواقف من علماء مصريين مناهضة وسلبية في مناقشة آراء وتفسيرات المستشرقين، وهناك جملة من الإستشهادات عن هذا الموقف المؤيد، أو الآخر المعارض والسلبي، فموقف الأستاذ محمد كرد علي الذي سنقف عليه لاحقا يمثل في بداية الأمر الموقف المادح لأعمال المستشرقين ثم تحول إلى الموقف المعتدل وفحوى ردّ الأستاذ علي يظهر سخونة الموقف الفكري من المستشرقين وبداية الإعلان أو التصريح بارتباطهم - جميعاً - إما بالمخابرات الاستعمارية، أو بالسلك الدبلوماسي الأجنبي وإما أنهم مبشرين مسيحيين يريدون النيل من الدين الإسلامي ورسوله الأعظم والتبشير بالمسيحية والدعوة لهذا الدين بين صفوف المسلمين، مع العلم أن جولد تسيهر مثلاً هو يهودي مجري فكيف يبشر بالدين المسيحي؟ فضلاُ عن أنه لم يكن ضمن حقل المخابرات الأجنبية؟ هذا جانب من الموضوع وأما الجانب الأهم فإن الأستاذ محمد روحي فيصل وكأنه لم يعلم بأن مجمع اللغة العربية في مصر وهو من المؤسسات العلمية والثقافية المهمة جداً كان منذ عشرينيات القرن العشرين يضم عدداً من المستشرقين

من أمثال كارلو نللينو الإيطالي مؤلف كتاب علم الفلك عند العرب وهو من الكتب الرائدة في هذا الميدان والمشهورة جداً عند المؤرخين والمفكرين العرب والمسلمين، ومما له علاقة بالموضوع أن نللينو Nallino، مستشرق يرجع تاريخ علاقته بمصر إلى عام ١٨٩٤. وكان حينئذٍ يعلم اللغة العربية، ومن ثم درّس في الجامعة المصرية القديمة (وهي جامعة القاهرة الآن) عام ١٩٠٨، ومنهم أيضاً العالم الايطالي المعروف جويدي والعالم الإيطالي سانتلانا الذي درّس الفلسفة في الجامعة المصرية القديمة سنة ١٩١٠. فضلاً عن ذلك فإن المجمع العلمي العربي في دمشق وهو مؤسسة علمية تاريخية هو الآخر كان يضم في العشرينيات من القرن العشرين أكثر من ثلاثين مستشرقاً هم أعضاء فيه وأكثرهم من المستشرقين الفرنسيين وآخرين من جنسيات مختلفة أخرى.

الذي أريد التأكيد عليه أن عدداً من أغراض المستشرقين وأهدافهم وبشكل أساس السياسي منها والتبشيري قد شدّد عليها في محاجات وجدل المفكرين المصريين منذ بداية التعرف على إسهامات المستشرقين. وظلا يمثلان الأهداف الرئيسة في جدل ونقد ومعارضة الكثير من المفكرين العرب المسلمين أجميعهم في الغالباً في مؤلفات تحمل عناوين أمثال (الاستشراق بين الموضوعية والانفعالية) أو (الاستشراق علم موضوعي أم سياسة مقنعة) أو (الاستشراق أهدافه وآثاره) أو (الاستشراق والسيرة النبوية) أو (الاستشراق وموقفه من الإسلام) أو (التبشير والاستشراق) وغير ذلك من عنوانات تتماهى ومواقف أو آراء المثقفين المصرين في الربع الأول من القرن العشرين.

في مقابل ذلك الموقف غير المؤيد للاستشراق في مصر ظهر ومنذ العقد الأول من القرن العشرين اتجاه يؤكد على لزومية وضرورة الأخذ بمناهج بحث المستشرقين، ومناهج تحقيقاتهم ودراساتهم للمخطوطات الإسلامية، وهذا الموقف واضح في كلام المرحوم طه حسين عندما كتب مقدمة لكتاب أستاذه المستشرق الإيطالي نللينو الموسوم (تاريخ الآداب العربية من الجاهلية حتى عصر بني أمية)، وإزاء استمرارية وتواصل النهج في وصف المستشرقين عملاء لبلدانهم أو مبشرين لدينهم المسيحي، فإن المنهج الداعي إلى ضرورة وجديّة تقليد أو الأخذ أو التأثر بمناهج بحث المستشرقين وبمناهج تحقيقاتهم للمخطوطات قد ظل فاعلاً حتى وقتنا الراهن. فهذا الأستاذ هشام جعيط التونسي ينصّ في كتابه (أزمة الثقافة الإسلامية) طبعة أولى سنة ٢٠٠٠، على ما يأتي «ولا يمكن أبداً للعرب والمسلمين أن يلجوا باب الحداثة والمشاركة في العالم المعاصر إلا إذا كونوا لأنفسهم طموحاً عالياً في مجالات الفكر. . . وقرروا بجدّية الأخذ عن الغير، وما أبدعته الحداثة» (طبعة بيروت ص ١٧)، والجدير بالذكر أن الأستاذ جعيط يبدو قد تأثر بطروحات الأستاذ محمد أركون في مؤلفاته التي ظل ينادي فيها بضرورة اعتماد منهج بحث جديد غير المنهج التقليدي عند دراسة المبادئ الفكرية والفلسفية والفرقية في التراث الإسلامي.
والظاهر أن الجدلية بين المؤيدين للأستشراق ومناهج بحوثهم والمناوئين هي جدلية بين المثقفين العرب والمسلمين ممن تثقف في مدارس أو جامعات الغرب فشهد عن كثب نشاطات المستشرقين العلمية وفيما إذا كانوا بالفعل عملاء مخابرات أجنبية أو مبشرين

وممن قرأ مؤلفاتهم وبحوثهم فأعجب بمناهج بحوثهم وأطلع على ما بادروا به من تحقيق المخطوطات الإسلامية النادرة والأساس في المعرفة التراثية للتاريخ الإسلامي وحضارته ومناهج تحقيقاتهم العلمية الموثوقة وبين زملائهم من المثقفين الذين درسوا وتخرجوا في الجامعات العربية والإسلامية، أو من المهتمين بالتراث الإسلامي من غير الأكاديميين أو ممن هو داعية إسلامي أو متعصب لمذهب من المذاهب أو ممن لا يحبّذ الانفتاح على المناهج الغربية أو الاستشراقية، أو ممن تبنى بتأثير معرفته اللغات الأجنبية موقفاً سلبياً متعصباً من العلماء والمفكرين الغربيين المسيحيين واليهود وغيرهم، أو ممن له مواقف سياسية معادية لهذه الدولة الأوربية أو تلك التي استعمرت بلاده أو التي ناهضت حركات التحرر العربية والإسلامية.

وفي العراق فإن الجدل الصريح بين مؤيدي الاستشراق ومعارضيه لم يترجم على صيغة بحوث ومقالات وكتب إنما اتخذ صيغة تشكيكية إن لم نقل إتهام لأولئك العلماء والمؤرخين المتعلمين في الجامعات الغربية وباشراف مستشرقين كبار. فعند عودتهم نشروا بحوثاً عن موضوع من المواضيع بأسلوب جديد غير تقليدي أو على وفق منهج تحليلي وتفكيكي للروايات، عندها تشنج المتشنجون ممن كان من أتباع المناهج التقليدية والرؤى التقليدية أو المذهبية القومية أو السياسية فصار هذا العالم أو ذاك وحسب تفسيرهم وتصنيفهم شعوبياً أو شيوعياً أو زنديقاً أو حتى كافراً؛ ومن الطريف ذكره أن هذا الموقف قد أتخذ عند مؤرخين أو مثقفين من الشيعة في الأعم الأغلب ممن نقد الرواية المألوفة المكتوبة في

مناهجنا الدراسية أو ممن ألف كتاباً أو بحثاً عن ثورة الزنج أو القرامطة أو الخرمية أو البابكية أو ممن نادى بأن العلماء الذين نهضوا بالحضارة العربية الإسلامية ليسوا برمتهم عرباً في النسب بل هم من المسلمين في الدين أو ممن صرّح ضد رواية السلطة السياسية أو رواة (وعّاظ) السلطة أو ممن أعلن بصراحة عن سيادة التيارات البدوية والقبلية والمحلية السلبي وهي سيادة سلبية وتعاكس القيم الحضارية والحضرية وأن جميع هؤلاء ونظرائهم قد تعرضوا إلى حملات تشويه وتشكيك ومحاربة إلى درجة أن أجبر بعضهم على الانزواء والانكفاء على نفسه كاستجابة سلبية إلى مطاعن ومواقف هؤلاء المتشنجة، أو إلى خوف البعض الآخر من ظلم المجتمع وقسوته فتراجع عن منهجه المبدع ليجاري المنهج التقليدي في التدريس والبحث والبعض منهم قد أضطر إلى أن يغير أو يبدل من مجال اهتماماته إلى مجال ليس له علاقة بفلسفته بغية الابتعاد عن الميادين المثيرة لغضب مثقفي السلطة، كالابتعاد عن التدوين التاريخي الشيعي أو المؤيد للتشيع أو الابتعاد عن الكتابة عن تاريخ القرن الأول الهجري كتاريخ السيرة النبوية وتاريخ السقيفة أو تاريخ الفرق الإسلامية.

وفي الخمسينيات من القرن الفائت كنّا نميز أن هذا الأستاذ قد تخرج في جامعة كمبردج وآخر في جامعة لندن أو أكسفورد وغيره في إحدى الجامعات الألمانية أو الأمريكية، إلا أن إسهامات المستشرقين أنفسهم لم تكن تعنينا كطلبة وهي أيضاً ليست مثارة على مائدة النقد والتشريح، فالمناهج الدراسية في جامعة العراق الوحيدة جامعة بغداد، والدراسات العليا فيها كانت تخلو من أي موضوع له

علاقة بالاستشراق؛ والأكثر من ذلك لم يكن من اهتمامنا التدقيق في هوامش الكتاب للتعرف على قائمة المستشرقين الذين اعتمدهم المؤلف مثلاً. فنحن نقرأ معركة صفين ومروق الخوارج في المؤلف القيم للمستشرق فلهاوزن وهو الشيعة والخوارج دون أن نتابع تفسيره لفرقة الشيعة وفيما إذا كان موفقاً في العرض أم أنه كان متحيزاً. كذلك الحال عند قراءتنا كتاب عقيدة الشيعة للمبشر البريطاني دونالدسون Donaldssn المترجم للعربية وعنوانه في الأصل غير ذلك The Shlite RELIGION A History of lslam in Persia and Iraq ونتساءل عن معلوماته كيف أفلح في كتابته وما مصادره؟ وذلك لأن مناهجنا الدراسية في الجامعة والدراسات العليا تخلو من أي موضوع عن التشيع، أو حتى عن الفرق الإسلامية.

أريد القول بأن الاستشراق كعلم أو حركة لم تستثيرنا آنذاك، وكنا نعرّفها بالدارسات الغربية بشكل عام. وعلى الرغم من المؤتمرات الاستشراقية كانت تعقد سنوياً في باريس منذ عام ١٨٧٣، فإننا في الستينيات لم يحن الوقت بعد للتمييز العلمي الحصيف بين الدراسات التي كانت عرضة للمحاججة والجدال أو التي كانت بحاجة إلى دراسة ورأي. والحق يقال إن أساتذة عراقيين علماء قد أفادونا في مرحلة البكالوريوس ودراسة الماجستير بتعريفنا على مناهج البحث الجديدة للرواية التاريخية سواءاً أكان ذلك في تحليلها وتفكيكها أم إجراء مقارنات بينها وصولاً إلى الرواية الأصلية عبر دراسة الأسانيد وتحليل سيّر الرواة الأوائل وتحليل الموارد التاريخية الأولية. وهنا لابد من الإشارة إلى ما قدّمه أستاذنا الجليل الدكتور عبد العزيز الدوري والمرحوم أستاذنا العلامة

الدكتور صالح أحمد العلي والمرحوم أستاذنا الدكتور جواد علي والمرحوم أستاذنا الدكتور طه باقر الذي يرجع إليهم الفضل في متابعة آثار البعثات الأثرية الأجنبية الألمانية والبريطانية والتعرف على أسماء لامعة من المؤرخين والآثاريين الغربيين وإلى أستاذنا المرحوم الدكتور محمد الهاشمي الذي يرجع إليه الفضل في التمعن في الرواية التاريخية وبأن هناك مرويات دخيلة لا يمكن تصديقها أو الركون إليها.

ولذلك فقد صدم الدكتور الهاشمي كثيراً عندما نشر بحثاً تحليلياً يحتوي على رؤية فلسفية جديدة؛ إذ واجه معارضة وموقف متحزب قاسٍ فانزوى بعيداً عن البحث والتحريّ حاملاً همومه البحثية في اللاشعور.

وكان أستاذنا المرحوم جواد علي قد وجد حلاً شافياً لطموحه العلمي إذ أنه بعد عودته من ألمانيا جوبه أيضاً بمواقف ضديّة من أسوئها تلك التي صنفته تصنيفاً سياسياً؛ فقد كانت أطروحته التي حصل فيها على درجة علمية من الجامعة الألمانية بعنوان (سفراء المهدي (عج) الأربعة) لكنه لم يبح بسرها عند عودته إلى العراق لممارسة التعليم والبحث بعد أن وجّه الإنطوائيون وأعداء حرية الفكر ألسنتهم وتهجماتهم عليه، فكان حينما يسئل عن ذلك الموضوع يتهرب من الإجابة المباشرة، وبعد وفاته أقدمت مؤسسة الجمل للنشر على ترجمة الرسالة ونشرها بأعداد محدودة. فالأستاذ المرحوم إزاء هذه المواقف أعتكف مرة أخرى في ألمانيا ليجمع مادة هائلة وليرسم مشروعاً كبيراً يبدأ بتاريخ (المفصّل) للعرب قبل الإسلام بعشرة أجزاء كبيرة لم يترك فيه شاردة ولا واردة عن تاريخ

العرب السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي إلا وقف عليها بالتفصيل، وقد نال المرحوم شهرة واسعة جداً على الصعيد المحلي والعربي والعالمي عند صدور هذا الكتاب، وأستطيع الجزم أن جميع من كتب عن أي مفصل من التاريخ العربي قبل الإسلام لابد من أنه كان يضع أجزاء المفصل أمامه لينقل منها أو يلخصها أو ينقش مصادر معلوماتها أو أقل الاحتمالات ينتفع من منهجها.
فالمرحوم عبّر بجلاء عن منهج المدرسة الألمانية للاستشراق، وأنه اعتمد في بياناته وآرائه على الدراسات الألمانية وعلى النقوش التي عثر عليها العلماء الألمان في بلاد الشام واليمن والحيرة وغيرها فجاء كتابه دائرة معارف تاريخية ومصدرية في غاية الأهمية.
والمرحوم كما يبدو كان يتطلع إلى إتمام هذا المفصل بمفصل آخر عن تاريخ العرب في الإسلام وبذلك فإنه كان يهدف إلى توجيه ضربة علمية قوية إلى المدرسة العراقية التقليدية الضعيفة لمؤرخي العراق الذين استحوذوا على مقاليد التحكم في الفكر والثقافة على وفق أهداف ضيقة مذهبية وقومية.. وبالفعل فقد حقق جزءاً صغيراً منه وهو المتعلق بدارسة آراء المستشرقين بشأن السيرة النبوية المطّهرة تماماً كما فعل في الجزء الأول من المفصل بدارسة المصادر الكلاسيكية. لهذا يعدّ كتابه هذا أول مبادرة للتعريف بجهود المستشرقين في هذا الموضوع الخطير والمهم الذي أنشدّت إليه جهود وإسهامات المستشرقين من الجيل الأول حتى حقبة المستشرق الاسكتلندي الذائع الصيت البروفسور مونتغمري وات M. Watt مؤلف أهم دراسات عن الرسول الكريم في مكة والرسول الكريم في المدينة والرسول النبي ورئيس الدولة.

في حقبة أولئك الأساتذة العلماء أخذنا نحن الطلبة نتعرف على دراساتهم التي نالوا فيها درجات الدكتوراه على أيدي مستشرقين علماء نظير ماينورسكي وبراون وجب ونولدكه، وبارتولد، وكراتشكوفسكي، وبرنارد لويس، ولامبتون، وآربري، وهونرياخ، وسلفستر دي ساسي، وغولد تسيهر، وفان فلوتن، وكلود كاهين وغيرهم كثر.

وأصبحنا قريبين من معرفة اتجاهات هؤلاء المستشرقين ومناهج بحوثهم وتوجهاتهم وأخذنا نقرأ ما يتيسر لنا من إسهاماتهم. وواقع الحال فإن التوصيفة التي كنّا نطلقها عليهم هي (العلماء الغربيين)، وفي أحيان نكرر توصيفات أساتذتنا: (المستعربين). هكذا كانت البداية، وعندما أقدمنا على التعلم في الجامعات الغربية كنّا نلجأ إلى أساتذتنا الأفاضل لأخذ آرائهم والتشاور معهم حول الأستاذ الذي ينبغي مواصلة الدراسة تحت إشرافه أو الجامعة التي يرشحونها للبحث وإكمال مستلزمات الدكتوراه. عندئذ أفلح طلّاب العلم من العراق في التعرف مباشرة على العلماء الغربيين المتخصصين بالدراسات التاريخية والدراسات العربية والإسلامية والشرق أوسطية. وأضحت الدراسات الغربية المتعلقة بموضوعاتهم في متناول أيدينا في تلك المكتبات الرائعة التي لا ينقصها كتاب أو دورية أو دائرة معارف باللغات الأجنبية المختلفة. كان التساؤل الرئيس في عقود الدراسات الأولية والعليا في العراق هو كيف يستطيع علماء الغرب التخصص أو الكتابة في موضوعات دقيقة وصعبة من تاريخنا الإسلامي ومن تاريخ حضارتنا الإسلامية؟ وما أدواتهم المصدرية في ذلك؟ وكيف يفهمون النصوص القديمة

المدوّنة في مؤلفات التراجم والطبقات والتواريخ العامة ذات المجلدات الكثيرة، ومؤلفات الحديث والتفسير؟ وما إلى ذلك من تساؤلات نابعة عن ضعف معرفتنا بمناهج الغربيين وأساليب كتاباتهم، حتى صار الأمر واضحاً بأن المتحف البريطاني، قسم المخطوطات، مثلاً يضم مئات المخطوطات في التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية وأن مكتبات ميونيخ وباريس واسطنبول وايطاليا وأسبانيا تضم آلاف المخطوطات الإسلامية في شتى الميادين. عندئذ تعرفنا على إسهامات المستشرقين من أمثال دي ساسي ودي سلان وفنسنك، ودي غويه، وكويتاين، وسورديل، وكاهين، وسوفاجيه، ومينورسكي، وبروفنسال، وغيرهم في اختيار المخطوطات الإسلامية البالغة الأهمية للباحثين والعلماء العرب والمسلمين. ولولا وجود هذه التحقيقات منذ القرن الثامن عشر فصاعداً المطبوعة في ليدن وغيرها من المدن الأوربية بطباعة وحروف عربية جميلة وهي مزودة بمقدمات تحليلية ومصدرية لكان من الصعب علينا متابعات جغرافية وبلدانية وتاريخية وتراجمية وما إلى ذلك. أنه عمل عظيم ذلك الذي قام به المستشرقون في تلك الفترة التاريخية القديمة التي حفّزت الباحثين والمهتمين بالتحقيق من العرب والمسلمين على المضي في هذا المشروع الضخم.

علماً بأن ما تم انجازه من تحقيقات وأعمال عربية حديثة، قد وضعت أمامها التحقيقات الاستشراقية وقلّدتها وسارت على نهجها، حتى أن المرحوم الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم محقق كتاب المؤرخ الكبير الطبري تاريخ الرسل والملوك، اعترافاً منه بمجهود دي غويه في طبعته تاريخ الرسل الأوربية (طبعة ليدن) وضع في

هامش تحقيقه للكتاب أرقام مجلدات وصفحات الطبعة الأوربية التي حققّها دي غويه. لكن محققي كتاب معجم البلدان لياقوت الحموي، ومحققي فهارس الأحاديث النبوية الشريفة أهملوا ذكر ما قام به المستشرق البارع فنسنك، الذي حقق معجم البلدان تحقيقاً رائعاً وخصص فهرساً شامل للأسماء والأماكن والقبائل والأسر وغيرها، كذلك معجم الحديث الشريف.

ومما أثار الإعجاب ونحن نبحث في مواضيع تخصصية نجد أن المستشرقين قد سبقونا في دراسة الكثير منها فموضوع الأمارة المزيدية الذي نلت فيه درجة الماجستير قد ألف فيه المستشرق الألماني كاراباجيك بحثاً مطولاً بهيئة كتيب وبعنوان تاريخ المزيديين وذلك في نهاية القرن التاسع عشر. فضلاً عن ذلك فإن المستشرق سيترزين السويدي هو الآخر قد ألف في دائرة المعارف الإسلامية الطبعة القديمة التي ترجع إلى ثلاثينيات وأربعينيات القرن العشرين بحثاً عن المزيديين. . ومن الجدير بالذكر فإن دائرة المعارف الإسلامية الضخمة هذه تقدم للباحث العربي والمسلم لوحة مفصلة من أسماء المستشرقين من الجيل الأول وما كتبوه حسب الحروف الأبجدية (ABC) ومعلومات غزيرة جداً عن عنوانات شخصية أو تراجمية أو حضارية أوثقافية من شعراء وأدباء ومؤرخين وبلدانيين ومحدثين وفقهاء ومفسرين وسياسين وكذلك عناوين ثقافية ولغوية وبلدانية تشمل أرجاء العالم الإسلامي. فضلاً عن الدراسات والتحقيقات المعنية بفترة السيرة النبوية الطاهرة ومؤلفات المغازي والطبقات والتراجم.

وعندما انتهت مرحلة الدكتوراه وعدنا إلى البلاد تحفزنا في

أوائل السبعينيات من القرن العشرين إلى إضافة مادة في المناهج الدراسية للدراسات العليا، معنية بالاستشراق. ولم يكن هدفنا حينذاك أن يذهب الطلبة بعيداً في الكتابة عن هذا الميدان الواسع دون معرفة لغوية أجنبية، إنما كان الهدف متابعة إسهامات المدارس الاستشراقية الأوربية كالاستشراق البريطاني والألماني والفرنسي والايطالي والهولندي والأسباني وما إلى ذلك.، وتم تحقيق هذا المشروع في جامعة البصرة ثم نقلنا الفكرة إلى جامعة بغداد وبعد ذلك قلدته الجامعات العراقية الأخرى. وحاولنا منذ السبعينيات إجراء دراسات مقارنة نقدية لعدد من رؤى المستشرقين في موضوع السيرة النبوية، والدراسات حول المدينة الإسلامية وموضوع الاستشراق والتبشير والاستشراق وسيلة لنقل تراث بيت الحكمة الحضاري إلى الغرب. وما إلى ذلك من ميادين تراثية عديدة.

وبالنظر إلى التوسع الهائل غير المدروس وغير العلمي للدراسات العليا في العراق إذ شمل جميع الجامعات العراقية حتى التي لا تمتلك المستلزمات العلمية للدراسات العليا كالأستاذ والمكتبة والمخطوطات والدوريات والمجلات العربية ناهيك عن الأجنبية، فضلاً عن فقر مكتبات الجامعات هذه للمؤلفات الأجنبية فقد نضبت العناوين أمام الطلبة لكتابة رسائلهم الجامعية الماجستير والدكتوراه - مما أدى إلى حالات غير قليلة من التكرار والتقليد وإلى حد أقل إلى السطو والنقل، عندها جازف الطلبة في اختيار أسماء لامعة من المستشرقين لكتابة رسائلهم دون معرفة حقيقية بإسهامات هذا المستشرق أو ذاك إنما الاعتماد على ما تم ترجمته فقط من مؤلفاتهم إلى اللغة العربية، وهو أمر مؤسف يرجع خطأه

إلى الكادر العلمي في القسم فحين يوجه أحد الطلبة إلى دراسة مستشرق روسي كبير والطالب لا يعرف لغة أجنبية، ناهيك عن عدم معرفته اللغة الروسية التي كتب فيها هذا المستشرق بحوثاً مهمة جداً والأكثر غرابة حينما يعيّن للطالب أستاذ مشرف بعيد كل البعد عن ميدان الاستشراق فعندئذ تكون الطامة الكبرى. وبخصوص ما كتبه أحد الطلبة عن بارتولد كنت أنذاك خبيراً خارجياً، فوجدت أن الطالب قد أتى حرفياً على المقدمة التحليلية الممتازة التي قدمها الأستاذ هاشم مترجم كتاب بارتولد (تركستان قبيل الغزو المغولي) وقد كان الطالب بارعاً في السطو؛ المهم أن المناقشة قد تمت وحصل الطالب (بشكل أو بآخر) على درجة الدكتوراه في الاستشراق؟! وهو لم يعرف شيئاً عنه، كذلك نال طالب آخر شهادة الماجستير والدكتوراه في الاستشراق البريطاني ولم تكن لديه أدنى خبرة في ذلك الميدان.. وهكذا بدأ الاستشراق في العراق من مادة منهجية أولية لطلبة الدراسات العليا إلى ميدان للكتابة الجامعية لكل من هبّ ودبّ، في حين بدأ في مصر مثلاً موضوعاً للجدل والمحاججة وتبيان القدر العلمي الذي يمكن الانتفاع منه سواء كان في المنهج أم التفسير والرأي أم في الإنتاج الثرّ لهؤلاء العلماء الغربيين، وانتقل إلى إجراء دراسات مسحية وتحليلية ومقارنة لمدرسة استشراقية واحدة بما يتعلق بإسهامات مستشرقيها أو الإعتماد على أعمالهم بهدف مقارنتها مع المصادر الإسلامية الأم لاظهار مدى موضوعية وموثوقية هذا المستشرق أو ذاك في اختيار النصوص القديمة.

ما الاستشراق ومن هو المستشرق

بداية لا بد من الإشارة إلى أن المستشرقين وبحسب أنتمائهم بالنسبة إلى بلدانهم قد تناولوا بالبحث الدقيق والمتمعن الكثير من مبادىء تراثنا الإسلامي، وكان التشيع أحد تلك الميادين التي أخضعها الغربيون أما للدراسة أو في تحقيق المخطوطات لعدد من فقهاء الشيعة المعروفين كالشيخ الطوسي والشيخ الكليني والشيخ ابن بابويه وفرق الشيعة للنوبختي وغيرها كما سنوضحه لاحقاً. لكن علينا في الصفحات الآتية محاولة تحديد معنى أو معاني للأستشراق والوقوف قدر الإمكان على تشخيص من هو المستشرق وذلك لأن هناك توسعاً في المفهوم مما أثار تساؤلات فيما إذا كان العالم في التراث الإسلامي من باكستان أو الهند أو جنوب شرقي آسيا أو بالنسبة للعربي الذي سكن بلدان أوربية كافريقيا أو بريطانيا وحصل على جنسية هذا البلد أو ذاك هل يعدّ مستشرقاً أم مستعرباً Arabist أم ماذا؟ مع ملاحظة أن العلماء من بلدان عربية هم عرب في الأصل ولا ينطبق عليهم تحديد مستعرب في حين نطلق تعبير مستشرق على كل من الأستاذين فيليب حتي اللبناني الأصل ومتى موسى العراقي الأصل.

تأصيلاً على مفهوم الاستشراق فإن العرب والمسلمين قد تنوعوا وأختلفوا في تأطير علميته؛ فالبعض يصفه بالحركة الاستشراقية وآخر يجعله بصيغة مدرسة وذلك لكونها مدرسة لها منهجها العلمي ولها

وحدة في أدواتها من العلماء فنقول مدرسة للأستشراق البريطانية لأن هناك أكثر من عنصر يجمع بين المستشرقين البريطانيين سواءاً كان هذا في حقول دراساتهم أم في توجهاتهم أم في فلسفتهم أم في هويتهم القومية بشكل أكبر من هويتهم الدينية. فهناك مستشرقون بريطانيون مسيحيون كاثوليك أو بروتستانت أو أرثوذكس؛ وهناك مستشرقون بريطانيون يهود، يهود صهاينة أو يهود غير صهاينة، وربما هناك مستشرقون بريطانيون قد اعتنقوا الإسلام فصاروا مسلمين وهناك من يتبع أدياناً أخرى. وهكذا الحال في إطلاق هذه التسمية على مدرسة الاستشراق الألمانية أو الهولندية أو الفرنسية أو الأمريكية أو الإسرائيلية وما إلى ذلك. وهناك من يطلق على الحركة تسمية أخرى نظير الدائرة (الجمع دوائر) الاستشراقية وهو مصطلح يتضمن دون شك توصيفة سياسية دبلوماسية أو بالأحرى استعمارية أو غير ذلك وقد تبنى هذا المصطلح علماء ينتمون إلى اتجاه ومذهب سياسي عربي ويؤشر إلى موقف عدائي إلى حد ما؛ على اعتبار أن المستشرقين جميعهم أو أكثريتهم لهم ارتباطات سياسية تبعاً للدولة التي ينتمون إليها. وهناك موقف آخر اعتاد على تجريد المصطلح من توصيف حركة أو مدرسة أو دائرة ويكتفي بتسمية (المستشرقون) ثم يضيف أسم البلد الذي ينتمون إليه كالمستشرقين البريطانيين والمستشرقين الفرنسيين والمستشرقين الأسبان وهكذا. فالأستاذ نجيب العقيقي اختار عنوان (المستشرقون) لدائرة معارفه بأجزاء، والدكتور عرفان عبد الحميد اختار عنوان (المستشرقون والإسلام)، كذلك أختار آربري A. J. Arberry عنوان كتابه (المستشرقون البريطانيون) ترجمة الأستاذ محمد الدسوقي، لندن ١٩٤٦. كذلك

اصطلح عدد من العلماء الغربيين والمسلمين تسميات أخرى توضيحية، فأطلق يعقوب أفرام منصور عنوان (تطور الاستشراق الإنجليزي) وأطلق ساذرون Sauthern عنوان كتابه (وجهات النظر الغربية للعصور الإسلامية الوسطى) أما فوك الألماني Fuck فأختار عنوان (الدراسات العربية في أوربا) بالألمانية، وحدّد أربري عنوان (مدرسة كمبردج للعربية) أما برنارد لويس فأطلق عنوان (المساهمون البريطانيون في الدراسات العربية) وخصّص المستشرق هولت Holt عنوان (دراسة المؤرخين العرب في انجلترا في القرن السابع عشر الميلادي: خلفية ادوارد بوكوك وخلفية كتابه) أما مكسيم رودنسون فأختار تسمية الغرب بدلاً من الاستشراق فعنوان بحثه (الصورة الغربية والدراسات العربية الإسلامية)، في حين عكس بيتر جران الأمريكي مؤثراً سياسياً بحثه الموسوم بـ (حركة الاستشراق وتطور الرأسمالية في الولايات المتحدة) آما أدوارد سعيد الفلسطيني الأصل الأمريكي الجنسية فأطلق على. كتابه (الاستشراق) وكان للدكتور عبد المالك التميمي توجهاً سياسياً باختياره عنوان (الاستعمار الثقافي الغربي في منطقة الخليج العربي)، وأختار شربانوف السوفيتي عنوان (الاستعراب في الإتحاد السوفيتي). وضمن هذا الإطار فقد أعطى الأستاذ مصطفى الخالدي والدكتور التميمي وعددا آخر من الباحثين عنواناً هو (التبشير والاستعمار في البلاد العربية)، معتبراً الاستشراق حركة تبشيرية فقط.

ومع أن المصطلح الذي نستعمله الاستشراق عربي في مضمونه ومدلوله اللغوي، غير أنه في الأصل استعمال أجنبي إنجليزي وفرنسي يتجذر من كلمة شرق Orient فإذا أريد به الحركة

الاستشراقية يكون Orientalism وإن كان يشير إلى العلماء المستشرقين فيكون Orientalists. وفي العربية فإن الشرق هو تحديد جغرافي كالشرق الأوسط Middle East أو الشرق الأدنى والشرق الأقصى Far East، ومنه اشتق مصطلح شائع في التاريخ الإسلامي وهو المشرق الإسلامي قبالة تعبير المغرب العربي. لكن دون شك فإن الاستشراق مصطلح إنجليزي وفرنسي على وجه التحديد، ظهر أولاً في القواميس البريطانية والفرنسية في حوالي الربع الأخير من القرن الثامن عشر للميلاد، ثم استعمله العلماء الروس وانتقل استعماله إلى أمريكا. أما في ألمانيا فالشائع عند العلماء الألمان تعبير وجهة نظر الغربيين في الدراسات العربية أو الدراسات الإسلامية؛ ولعل السبب الأساس الذي دعا إلى انتشار استعمال الاستشراق في الغرب هو المؤتمرات الاستشراقية التي بدأ عقدها في باريس عام ١٨٧٣ وعلى مدى قرن من الزمان تلك المؤتمرات كانت تحمل عنوان (مؤتمر الاستشراق الأول أو مؤتمر المستشرقين الثاني.. وهكذا) فضلاً عن ذلك فقد استعمله المستشرق سلفستر دي ساسي للتعبير عن عنوان المركز الذي أسسه للدراسات اللغوية العربية ومعهد الاستشراق الفرنسي. كذلك انتقلت التسمية إلى الإتحاد السوفيتي باسم معهد الاستشراق في لينغراد وغيرها. وبينما كان الأوربيون يهدفون من راء هذه التسمية إلى دراسات التراث الشرقي، فإن استعمالنا نحن العرب له مخصص للإشارة إلى لحركة الاستشراقية وتحديداً إلى فئة من علماء المشرقيات في أوروبا وأمريكا. إن كثرة استعمال المصطلح دفع بعض المفكرين العرب والمسلمين إلى استعمال تعبير استغراب ومستغربين في إشارة إلى

أولئك العلماء والباحثين المتأثرين بالمشرقيين. وبمرور الزمن صار الاستغراب وكأنه حال مطلوبة من الباحثين العرب، لأن يتخصصوا أو يكتبوا عن الغرب، تراثاً، وحضارة، وديناً مثلما اندفع الغربيون في الكتابة عن الشرق تاريخاً وحضارة وديناً.

فاستعمالنا لمصطلح الاستشراق أكثر شيوعاً من استعمال تعبير (المستعربين) كما ألمحنا سابقاً. والحركة الاستشراقية عند ظهورها تضمنت معنيين متداخلين هما الاهتمام بكل ما هو شرقي من الشعر إلى الموسيقى إلى الرقص إلى طرز المعيشة إلى اللباس بمعنى ما هو رومانسي عاطفي دعت البعض منهم إلى أن يصورها بالأنوثية الشرقية قبالة الذكورية الأوربية. فالاستشراق في هذا المضمون هو ما دخل على العموم في نسيج قصص ألف ليلة وليلة. وأن المهتمين في هذه الآثار الأنثوية العاطفية راحوا يعتقدون بله يؤمنون بأنهم القوّامون على الشرق (الأنثوي) في مخيالهم الحضاري المتنفذ والمؤثر وبالتالي المتفوق، إنهم كانوا بصورة عامة ممن يؤمن إيماناً عنصرياً، أو قومياً أو حتى دينياً. فالحضارة الغربية المسيحية هي الحضارة المتفوقة والمتنفذة والمسيطرة والقوية. أما المعنى الآخر الذي أضحى، بعد أن تمتع الغربيون برومانسية الشرق في المغرب العربي خاصة، أكثر شيوعاً، فالمقصود به الحركة التي وجهت اهتماماتها منذ القرن السادس عشر إلى دراسة التراث العربي والإسلامي وإلى تعلم اللغات الشرقية العربية بدرجة أساس ثم الفارسية والتركية والأردية؛ وإلى التحري والبحث عن كل ما هو مدّون عن هذا التراث في المخطوطات وإلى بذل الجهود في تحققيها ونشرها،

وإلى السعي الحثيث إلى اختراع الطباعة باللغة العربية لطبع المخطوطات بعد تحقيقها ودراستها دراسة مقارنة ودقيقة، وإلى وضع مخطط علمي مدروس لتحقيق ودراسة الموضوعات المهمة في التاريخ الإسلامي. وهنا كان الدافع الديني ولنقل التبشيري محفّزاً إلى تحقيق ودراسة ما له علاقة بالإسلام أي العقيدة الإسلامية والقرآن الكريم. إذ جرت محاولات قديمة جداً لترجمته سواء كان ترجمة مشوهة المرحلة التي كان الخصمان الإسلام والمسيحية يقفان وجهاً لوجه في حلبة الصراع خلال قرون الحروب التي عرفت في أوربا بالحروب الصليبية The Crusades وعرفت بالشرق عند المؤرخين المسلمين بحروب الفرنج إلى المراحل التي تلت ذلك أذ تحسنت تدريجياً الترجمة من العربية إلى اللاتينية للقرآن الكريم وكذلك نوجه الاهتمام إلى دراسة السيرة النبوية المطّهرة وشخصية الرسول الكريم بما عرف في الدراسات الأجنبية بـ The Life of Muhammad (حياة محمد) وهي دراسات اعتمدت موارد محدودة جداً في بداية أمرها؛ ففي سنة ١٦٨١، ألف المستشرق الإنجليزي همفري بريدو Priedeaux كتاباً عن الرسول، والمعروف أن بريدو كان كاهناً Canon في مدينة نوريج Norwich في بريطانيا ثم تطور ليعين رئيس كهنة Archdeacon، كما ألف المستشرق الفرنسي جاجينه J. Gagnier وهو راهب أنجليكاني كتاباً بعنوان (حياة محمد) معتمداً على نص رواية المؤرخ أبي الفداء المتوفى سنة ٧٣٢ هـ، مؤلف كتاب المختصر في أخبار البشر المطبوع أولا سنة ١٧٢٣. ولعله من الصحيح القول أن المدرستين الفرنسية والهولندية أولاً ثم

البريطانية قد أولت اهتماماً ملحوظاً للدراسات العربية اللغوية منها والتاريخية فإن أول كرسي للغة العربية قد تأسس في الكلية الفرنسية كولج دي فرانس College de France في باريس عام ١٥٣٩ بينما تأسس الكرسي الثاني للغة العربية في جامعة ليدن في هولندا عام ١٦١٣، ونلحظ هنا أن مطبعة بالحروف العربية الجميلة قد شيدت في ليدن أيضاً. وشغل كرسي اللغة العربية في الكلية الفرنسية المستشرق الفرنسي غليوم بوستل G. Postel الذي خدم حركة الاستشراق كثيراً وأشرف على تدريب عدد من التلاميذ أشهرهم سكاليجيه Scaliger. وكان بوستل وسكاليجيه من المبشرين. أما بالنسبة إلى هولندا فقد شغل الكرسي آنذاك المستشرق توماس أربانيوس Thomas Erpeniuss وهو أستاذ اللغة العربية ومؤسس مطبعة ليدن المشهورة، واربانيوس قد صنع معجماً عربياً لاتينياً، فضلاً عن نشره كتاب الجرجاني الموسوم بـ (العوامل المئة في النحو)، وكتاب (منتخبات الحماسة لأبي تمام) وأقدم على ترجمة القرآن الكريم. كذلك اشتهرت هذه المدرسة الاستشراقية بالمستشرق جاليوس J. Galuis الذي نشر أمثال الطغراني وأمثال الإمام علي بن أبي طالب. وكما ألمحنا فإن بوستل المستشرق الفرنسي الذي كان يتقن العربية قد ألف كتاباً عن قواعد اللغة العربية، وآخر عن التوافق بين القرآن والإنجيل. لذلك بالإمكان الاستنتاج أن هؤلاء المستشرقين الثلاثة، من فرنسا وهولندا، يعدون المؤسسين لفكرة ضرورة تعلم اللغة العربية ولتحقيق بعض الآثار فيها ثم محاولة ترجمة القرآن الكريم كأول مستلزم من مستلزمات

التبشير، إذ كانوا من رجال الدين وأن مكسيم رودنسون قد وصف سكاليجر بأنه كان مبشراً متحمساً، وأن بوستل الفرنسي كان مبشراً مندفعاً لخدمة الدين المسيحي. وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على إرهاصات الاستشراق ومدى علاقته بالتبشير فإن هؤلاء جميعاً سعوا بجدية إلى جعل اللغة العربية وسيلة مهمة للمبشر.

والملاحظ أن فرنسا وهولندا قد سبقتا بريطانيا وألمانيا في تأسيس كراسي للغة العربية. وواقع الحال فإن الدولتين تعدّان من الدول الأوربية التي اهتمت سياسياً بالشرق فضلاً عن البرتغال. ونحن نعرف أن نشاطات شركة الهند الشرقية الهولندية وشركة الهند الشرقية الفرنسية كانت فاعلة إذ بادر البلدان تجارياً وسياسيا في المنطقة. فالشركة الهولندية فرضت نفوذاً واسعاً في منطقة الخليج وأخذت هولندا سياسياً تتغلغل في المنطقة لاسيما بعد أفول نجم البرتغال السياسي في الشرق العربي في نهاية القرن السادس عشر. من هنا بات من اللازم التعرف على أن نشاطات المستشرقين الهولنديين والفرنسيين في الميادين اللغوية والتاريخية له علاقة وطيدة مع نشاطات الدولتين سياسياً.

هل توحي هذه البدايات لورود أسماء عدد من المستشرقين إلى الآتي؟:

١ - تاريخية الحركة الاستشراقية وتاريخية اهتماماتها اللغوية والتاريخية.

٢ - تاريخية العلاقة الجدلية بين الاستشراق والتبشير.

٣ - أي فكرة بشأن تحديد هوية من هو المستشرق؟

أما بخصوص النقطتين الأولى والثانية فإن البحث سيقف عليها بشيء من التفصيل لاحقاً، لكن المهم هنا وبعد أن تحدثنا عن الاستشراق مصطلحاً وتاريخاً الوقوف على مسألة أخرى مهمة إلا وهي ماذا نقصد بالمستشرق؟.

لقد أضحت هذه النقطة - التي كانت في المرحلة الأولى من نشوء الحركة الاستشراقية - مهمة إلى درجة أن دولاً كفرنسا وهولندا وبريطانيا وألمانيا سعت إلى تأسيس كراسي للغة العربية أو غيرها من اللغات الشرقية إذ تخرج فيها نفر من المستشرقين الأوائل وألفوا كتباً أولية في قواعد اللغة العربية، واهتم مستشرقو تلك الحقبة في تحقيق بعض المؤلفات العربية المتعلقة باللغة والنحو العربي والشعر الجاهلي. وظل هذا الاتجاه ملحوظا حتى في جيل المستشرقين المحدثين وذلك لأن الحركة الاستشراقية قد تضاعف نشاطها واتسعت معارفها منذ القرن التاسع عشر فصاعداً فيما يتعلق بتاريخ الشرق أو بالتاريخ الإسلامي. ولذلك تحول الاستشراق نفسه إلى موضوع مثير للجدل بين المستشرقين أنفسهم أو المتخصصين الأوربيين أو الغربيين في الدراسات الإسلامية وبينهم عدد من العلماء المسلمين، ثم صار بمرور الزمن في القرن الواحد والعشرين على أعتاب مرحلة جديدة؛ جديدة في تعديل الكثير من المواقف الاستشراقية بالنسبة إلى المواضيع الساخنة في تراثنا الإسلامي، وكذلك في التحولات والتغيرات السياسية والثقافية للعلاقة بين الإسلام (الشرق) وبين الغرب (المسيحية). وأخذنا الآن نتساءل أهي علاقة تصادم وتصارع أم مساع لجلعها علاقات حوار وتفاهم أم حال اعتراف بالآخر في جميع المناحي؟

الاستشراق أصبح معروفاً بالمصطلح الغربي بـ (Orientalism) الذي يحدد ذاتياً الإطار الإثنو- جغرافي للمنطقة الخاضعة للدراسة والبحث؛ وكانت بداية تحرك هذا المصطلح ثقافياً فقد ارتبط بحركة ثقافية علمية اعتنى روّادها بدراسة الشرق ومعرفة آدابه وعلومه ولغاته، أنه اتجاه غربي علمي لدراسة الشرق الإسلامي وحضارته. وبما أنه قد ولد في أوربا فإنه أصبح مسايراً وموافقاً للعقلية الغربية وثقافاتها وقيمها ومنهج تفكيرها. كذلك علينا أن لا نغفل في هذه المرحلة التحرك السياسي الذي أخذ يؤثر على هذه العقلية في القرن التاسع عشر إن لم يكن وهو الأكثر صحة أقدم من ذلك بكثير حينما بدأ الغرب الأوربي الوسيط يشعر بمضايقة بله منافسة بالنسبة إلى الخارطة السياسية - الدينية الجديدة التي ظهرت بعد انتصار الإسلام وفرض وجودهِ كديانة عالمية جامعة. وإذا ما ابتدأت تاريخية المصطلح (الاستشراق) ترجع إلى الوراء لتصل إلى مرحلة سيادة الكنيسة على عقلية الغرب فهذا يعني أننا سنجد أن العامل الخاضع للتحدي الإسلامي سيكون مركّزاً ومشدّداً عليه في ردّ فعل تبشيري دون أدنى شك أياً كان ذلك. فإن كان الكاتب أو المؤرخ الغربي منطلقاً من المؤسسة التبشيرية نفسها، أو إن كان متأثر بها أو عاملاً فيها بما يخدم الهدف التبشيري فإنه سيتناول المواضيع الإسلامية على وجه الخصوص تناولاً متحيزاً أو ناقماً. وهناك أمثلة على كل عنصر من هذه العناصر المتفاعلة فيما بينها أحياناً أو العاملة بشكل مستقل أحياناً أخرى.

ومع أن هنالك جدلية بشأن المدة المحددة التي ظهر فيها

المصطلح لغة واصطلاحاً، فالسائد أن ظهور التعبير (الاستشراق)، يرجع إلى الربع الأخير من القرن الثامن عشر انطلاقاً من زمن دخول المصطلح في المعجمين اللغويين الأوربيين الفرنسي والإنجليزي(١) لأول مرة.

بعد ذلك أخذ المصطلح حيّزاً علمياً متعارفاً عليه بين رجال العلم أو المؤرخين، أو الأدباء أو الفنانين في أوربا أولاً ثم في الولايات المتحدة الأمريكية والبلدان الداخلة ضمن المحور الشرقي، ولاسيما عندما تحول عملياً إلى عنوان لمؤتمرات عالمية ابتدأت في باريس سنة ١٨٧٣، لتبقى مستمرة سنوياً لمدة مائة عام على امتداد مئة مؤتمر يحمل عنوان (الاستشراق).

والأكثر أهمية هو أن بداية استعمال المصطلح واتخاذه عنواناً وشعاراً للمؤتمرات العلمية لم يكن منبثقاً أو متأثراً، أو ردَّ فعل،

---

(١) Southern ' R. w. : Western views of Islam in the Middle Ages (Harvard 1962); Fuck. J: Die arabischen studien im Europa (1955); idem "Islam as an Historical Problem in European historiography since 1800" in Historians of Middle East (1964) pp. 303 - 14, Arberry. A. J The Cambridge school of Arabic (Cambridge 1948).

كذلك يعقوب أفرام منصور: تطور الاستشراق الإنجليزي، مجلة المعرفة ص ٩٣ - ١٠٦، د. عبد الحميد، عرفان: المستشرقون والإسلام (بغداد ١٩٦٩)، مكسيم رودنسون: الصورة الغربية والدراسات الغربية الإسلامية، في تراث الإسلام، تحقيق د. شاكر مصطفى، الكويت ١٩٧٨ ص ٣٧ - ١٠٠، نجيب العقيقي: المستشرقون (طبعة ثانية، مصر ١٩٥٦).

N. Daniel ; Islam and the west (Edinburgh 1960) pp. 96 - 102; W. A Watt: Muhammad in the Eye of the west in Boston university Journal Voumel (22) 1974 pp: 61 - 62.

ولم يكن موظفاً أو ملحقاً بأية مؤثرات عسكرية - استعمارية أو سياسية رأسمالية أو شيوعية أو مذهبية تبشيرية واضحة ومحددة. فقد تكون هذه المؤثرات جميعها قد تشكلت في عقلية روّاد المؤتمر الأول أو بشكل مستقل من دوافع البلدان التي يمثلونها أو أنها لم تكن محّفزة وواضحة المعالم. وذلك لأن الموضوع الأساس هو الشرق، وهو التحديد الجغرافي الذي لم يتفق على خارطته بين العلماء أو صانعيّ القرار الأوربي، إذ اختلفت الدول العظمى، ألمانيا وفرنسا وبريطانيا في رسم حدوده الجغرافية بما يعني شرق البحر المتوسط أم الشرق الأوسط عموماً أم يضاف إليه كل من الشرق الأدنى والأقصى أم الشرق الإسلامي أم الشرق العربي حصراً أم يضاف إليه الشرق الإيراني والتركي وما إلى ذلك من خرائط، هي بحد ذاتها مفردات لخرائط سياسية ضمن العقلية الغربية، وواقع الحال فإن المستشرقين وهم الأدوات الفعلية في التحديد العملي والمعرفي لمصطلح الاستشراق قد أجمعوا بشكل أو بآخر، بقصد أو بدون قصد، على تحجيم الشرق جغرافياً إلى موضوع بحثي لما هو متعلق بتراث المسلمين عرباً كانوا أم فرسا أم أتراكاً أم هنوداً دون أن يدخلوا شعوباً أخرى من جنوبي شرق آسيا أو الصين أو اليابان؛ وبمعنى آخر البلدان التي أضحت منطقة إشعاع للحضارة الإسلامية ديناً ومعتقداً وتاريخاً وأدباً وتجارة وفناً ومذهباً وفلسفة وعلماء، والأكثر أهمية استراتيجية وما إلى ذلك من العناصر الحضارية الواسعة.

فالأفق المعرفي الاستشراقي قد بدأ مع تلك التحديدات الجغرافية، مع أن هنالك إسهامات استشراقية تخصّصت في دراسة

الإسلام عامة والتشيع خاصة، في الهند وباكستان نظير ما ألفه هوليستر المبشر البريطاني Hollister عن التشيع في الهند The shi'a of India

وعن التشيع في القارة الهندية. ولعل الاستشراق لم يضع في حساباته أو في حقل معارفه الهند، ولكن بعض المستشرقين من أمثال هوليستر قد تخصص في موضوع تأثير التشيع الهندي على المناطق الأخرى. علماً بأن هذا المستشرق ينطلق في مفهوم عربي وفارسي لظهور التشيع في النجف وإيران.

والراجح أن هذه المفهومية الجغرافية للشرق من قبل المستشرقين قد هيأ ردود فعل مكثّفة من جانب العرب والمسلمين، أكثر بكثير من ردود الفعل التركية أو الفارسية أو الهندية أو الباكستانية أو غيرها من البلدان الآسيوية. ولعل السبب في ذلك يرجع إلى عامل سياسي أكثر من كونه جغرافي أو علمي أو فكري. إن ردود الفعل هذه عبارة عن هجوم أو دفاع ضد هذا الرأي، وضد التفسيرات الاستشراقية ترتبط بشكل أو بآخر بالعلاقات السياسية أو بالمواقف من الاستعمار البريطاني، ثم الاستعمار الغربي والأمريكي بصورة عامة. فالمستشرقون Orientalists وأحياناً يطلق البعض عليهم تسمية (المستعربين Arabists) آخذين بنظر الاعتبار حقيقة أنه لا يصح الجزم بأن كل مستشرق هو في الوقت نفسه يعدّ مستعرباً. والمستشرقون جمع من المؤرخين والكتّاب والأدباء والفنانين وغيرهم من الأجانب الذين كرسوا جزءاً كبيراً من حياتهم لدراسة الجوانب التراثية والدينية والتاريخية والحضارية والفنية لمجتمعات الشرق الإسلامي عامة، وتفرغوا لتعلم ودراسة لغات الشرق كاللغة

العربية والفارسية والتركية والأردية. في هذا الصدد علينا الإشارة إلى أن تعلم اللغات الشرقية خاصة يعدّ أمراً ضرورياً ولازماً للمستشرق من الجيل القديم بشكل خاص، ذلك العالم الذي كان يهدف إلى التخصص في حقل من حقول التراث الإسلامي والذي كان يسعى إلى إنتاج إسهامات متميزة وفاعلة فيجد الأمر نافعاً جداً في تعلم اللغات، حتى أن بعضهم قد تعلم خمس لغات أو أكثر، إلى جانب لغته. وهذه القاعدة لا تنطبق على المستشرقين قاطبة كذلك لا تنطبق على المستشرقين من الجيل الجديد، إذ أن هناك علماء كانوا ضمن قائمة المستشرقين المعروفين لكنهم كانوا لا يعرفون لغات الشرق وقد اعتمدوا في طرح آرائهم وفي إجراء بحوثهم عن الإسلام على معلومات جاهزة، سبق أن أوردها مستشرقون قبلهم. منهم على سبيل المثال المستشرق الأمريكي واشنطن آرفنج Irving وهو ممن يشار إليه ضمن قائمة المستشرقين الذين ألفوا عن حياة الرسول الأعظم، علما أن بدايته المعرفية لم تكن في هذا الحقل إنما كان صحفياً ألا أنه عندما عين ممثلاً لبلاده في اسبانيا اهتم بتاريخ الشرق وكتب عدة مؤلفات عن الأندلس، وله كتاب عنوانه The Life of Mohammet Successores حياة محمد وكتاب آخر عن الخلفاء بعد رسول الله بعنوان The Successors of Mohammad مع أنه لم يكن يعرف اللغة العربية إنما اعتمد على أحد الشرقيين في أسبانيا قد يكون عربياً أو يهودياً ليترجم له بعض النصوص العربية أو بعض المؤلفات الإسلامية حول سيرة رسول الله؛ فضلاً عن اعتماده على مؤلفات المستشرق الألماني فايل Weil الذي يعدّ من أوائل من كتب كتاباً عن الرسول والخلفاء الراشدين.

وفي هذا الخصوص ينبغي أن نلحظ مسألة مهمة في الاستشراق، ألا وهي حصافة التميز قدر الإمكان بين المستشرق والمبشر. حقيقة أنه من الصعب جداً تحديد خطوط فاصلة ودقيقة بين الاثنين، إذ أن المبشرين ومنذ فترة قديمة من تاريخ أوربا في العصور الوسطى أقدموا على تعلم اللغة العربية والفارسية، وأتقنوا التحدث بها وقراءة المصادر الإسلامية ومن ضمنها كتاب الله عز وجل، سعياً إلى هدف مرامه التأثير في عقول الناس وفي عقول المسلمين بوجه خاص، في التبشير بالدين المسيحي. وإنهم ألفوا كتباً وبحوثاً في التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ومنهم من أقدم على ترجمة القرآن الكريم. فقد ذكر أن ترجمة قام بها روبرت الكلوني الإنجليزي سنة ١١٤٣ هي في حقيقتها ترجمة لبعض من معاني القرآن إلى اللاتينية وتحت إشراف الأسقف النشيط في عملية التبشير بطرس المبجل رئيس دير كلوني الفرنسي(١)، فالإقدام على تعلم اللغة العربية كان بتشجيع من الكنيسة وبحسب توجيهات الأساقفة بهدف الوصول إلى فهم أكثر دقة - حسب تصورهم - عن القرآن الكريم والإسلام، وأن يتسلح الرهبان والمبشرون بأسلحة تاريخية للكسب في التبشير بين صفوف المسلمين. ومع هذا فالملاحظة تبقى ماثلة بأنه ليس من الصحيح المعادلة القائلة بأن كل مستشرق هو مبشر، كذلك ليس من الصحيح القول بأن كل مؤرخ أوربي عني بالتراث الإسلامي هو مبشر، كما أنه ليس من الدقة

---

(١) يراجع. رودنسون، المصدر السابق ص ٣٨، ٣٥، ٦٦-٦٧، فوك، يوهاك، المستشرقون الألمان ص ١٥، خدابخش: حضارة الإسلام ص ٤١-٤٣.
Gabrierli, F. Muhammad and thc Islamic Conquests p. 60.

والحصافة القول بأن كل مبشر هو مستشرق أو مؤرخ. إن هذه الملاحظة أحسبها مهمة جداً في الشرق وبالأخص بالنسبة إلى عدد من الباحثين العرب والمسلمين؛ لأن الكثير ممن وقف من هؤلاء موقف الضد المطلق من الاستشراق إنما اتخذوا هذا الموقف وتبنوه في كتاباتهم على اعتبار أن المستشرقين جميعاً هم مبشرون يعملون بجدٍّ في تبليغ رسالتهم المسيحية بين صفوف المسلمين، والتأثير فيهم. فضلاً عن هدفهم الأساس في الطعن والتشويه ضد الدين الإسلامي وضد القرآن الكريم وفي الطعن بشخصية رسول الله.

والواقع أن هنالك عدداً من هؤلاء المبشرين ممن تميز بالذكاء في البحث والتحري والطموح، نظير المستشرق الاسكتلندي وليم موير الذي ألف كتاباً عن السيرة النبوية، وديفيد مارغليوث الذي اشتهر بنشاطاته وكثرة مؤلفاته وهنري لامانس الذي عرف بعدائه للإسلام والتراث الإسلامي ويوقوفه موقفاً سلبياً من آهل البيت في مقالاته وكتبه عن الإمامين الحسن والحسين، وفي كتابه حول (فاطمة الزهراء). فقد انكب هؤلاء على دراسة مواضيع شتى في التاريخ الإسلامي العقائدي والسياسي والفكري وكسبوا سمعة واسعة بين صفوف الباحثين ومن ضمنهم العرب والمسلمين ممن لم يدرك أهداف هؤلاء التبشيرية[١].

ولأهمية هذا الموضوع ولاسيما في الموقف من التشيع ومن النبي، وأهل بيته، لابد لنا من الوقوف على اثنين من هؤلاء

---

(١) Donaldson; Dwight: The shi' ite Religion: A History of Islam in Persia and Iraq (London 1933).

المستشرقين المبشرين بغية معرفة نشاطاتهم ونجاحهم في التغلغل في المؤسسات العلمية والمجلات التي تحمل عنوان (الإسلام).

ولا أدل على ذلك مثلاً إن من بين الكتب الرئيسة والمعروفة عن التشيع كتاب المستشرق دونالدسون Donaldson الموسوم بـ The Shi'ite Religion الذي ألفه سنة ١٩٣٣، فهذا المستشرق يعدّ أيضاً من المبشرين إذ كان قساً في الإرسالية الأمريكية التبشيرية.

كذلك فإن آراء المستشرقين الذين يمثلون الجيل الأول بمعنى جيل القرن التاسع عشر حتى منتصف القرن العشرين وأولئك الذين يمثلون الجيل المعاصر منذ منتصف القرن العشرين فصاعداً ستكون محل عرض ومناقشة في مطلب مرفق أيضاً؛ وذلك لأن اهتمام المستشرقين بالتشيع بصورة عامة قد أنطلق من توجههم واهتمامهم المكثف بالسيرة النبوية وبحياة رسول الله وإنجازاته وعلاقته بالمؤمنين والمسلمين وممن دخل في الوثيقة التي سطرّها في المدينة، سواء كانوا من المنافقين أم الأعراب أم اليهود وغيرهم. وإن المتابع لهذه الاهتمامات سيجد أن المستشرقين قد حقّقوا كتباً كثيرة جداً عن سيرة الرسول الكريم وضعت نصب عينها عدداً من النقاط والميادين المثيرة للجدل. والاستشراق ما زال حتى الآن متوجهاً إلى هذا الموضوع، وإن كان عدد الدراسات أقل من حيث المصدر عن تلك التي أنجزوها سابقاً لكنها دراسات متخصصة في ميدان التشيع. والملاحظة المهمة أن اهتمام المستشرقين بسيرة الرسول تعدّ مدخلاً أساساً في الوقوف على عائلته، وأهل بيته الأطهار.

المبحث الثاني

الموقف من علاقة الاستشراق بالتبشير

كنّا قد أشرنا في عام ١٩٨١ في كتاب الموسوعة الصغيرة الموسوم (تطور الاستشراق في دراسة التراث العربي) إلى الاستشراق عامة والدراسات الاستشراقية عن التاريخ الإسلامي في القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي خاصة، وقد أثارت هذه الدراسة من حمية المفكرين العرب منذ نحو منتصف القرن العشرين[١] فحفزهّم كثيراً على تحمل مسؤولية جادة في الردّ والدفاع. فتاريخنا العربي الإسلامي عزيز علينا أثير على نفوسنا وتاريخ سيرة نبينا الكريم والقرآن الكريم والسنة النبوية، وسيّ أئمة أهل البيت الأطهار هي الجوهر الحيوي والمركزي في هذا الاعتزاز والتكريم. فكانت ردة الفعل آنذاك في موقعها مع كونها مبعثرة بين مدرستين متباينتين، إن جاز لنا هذا التعبير، فقد كان موقف المّفكرين العرب يعكس كما يقول الدكتور محسن جاسم (جدلية التأليف والاختلاف)[٢]. وعلى سبيل المثال يعّد محمد كرد علي

---

(١) اعتمدت البحث القيم للدكتور محسن جاسم الموسوي: (مداخل المثقفين العرب للاستشراق: التآلف والاختلاف، الثلاثينات) المنشور في مجلة الاستشراق/ العدد الخامس ١٩٩١، ص ١-١٤).

(٢) م. ن.

خير دليل على الصنف الأول، إذ كرّر موقفه الإيجابي من الاستشراق والمستشرقين في بحوثه ومن بينها (أثر المستعربين من علماء المشرقيات في الحضارة العربية) الذي نشره في مجلة المجمع العلمي العربي في القاهرة، فخّص المستشرقين (بالإشادة والثناء. . . ويقول أن مستشرقين نظير دي ساسي ودي سلان ورينو وفستنفلد وفلوجل وموللر وسخاو ودوزي ودي غويه وفان فلوتن وأمدروز ومارغليوث وناللينو وغولد تسيهر وغيرهم) ومن تبعهم ومشى على أثرهم ممن طبعوا الأمهات أو طبعت تحت نظرهم وبتحقيقهم. فهؤلاء الرجال أعلّوا مقام المشرقيات في العرب)[١]، ويبدو أن محمد كرد علي كان متحمساً للمستشرقين وأن حماسه هذا قد أنعش جدلاً مضاداً، إذ ربط المعارضون لرأيه بين الاستشراق والاستعمار. وموقف الباحث محمد روحي فيصل واضح بهذا الشأن في بحثه المنشور في مجلة الرسالة بعنوان (إلى الأستاذ محمد كرد علي أغراض الاستشراق)[٢]، ولذلك كان على الأستاذ كرد علي أن يتراجع قليلاً، وعليه أن يفسر موقفه بشكل أوضح ولذلك عّبر عن هذا الجانب بقوله إن كثيراً من المستشرقين يعملون لسياسة بلادهم أولاً، وإن منهم دعاة دين متعصبين يتخذون الاستشراق سّلماً لخدمة دينهم على نحو ما كان أسلافهم في القرون الوسطى. ولتوكيد هذا المنطلق فإنه أحال المتتبع لرؤية كتابه (الإسلام

(١) وهي في الأصل محاضرة نشرت في مجلة المجمع العربي في القاهرة مجلد ٧ جزء ١٠/ ١٩٢٧ ص ٤٣٥-٤٣٦، أعتماداً على ما أورده الدكتور محسن في بحثه السابق ص ١٢.

(٢) محمد كرد علي: أغراض المستشرقين، مجلة الرسالة عدد ١١٤/ ١٩٣٥ ص١٤، أعتماداً على بحث الدكتور الموسوي.

والحضارة العربية) كذلك فإنه استدرك على مقالته الأولى مشيراً إلى أنه ينبغي عدم إغفال الحقيقة بأن المستشرقين لم يتأدبوا بأدبنا ولا يدينون بديننا ولا يعتقدون بما نعتقد (فلكل جنس تفكيره، ولكل جيل مدنيته، ولكل إنسان أهواؤه وأغراضه)[1].

وعلى القارىء اللبيب ملاحظة هذا الخط البياني بين الوضوح والغموض وبين التصريح وإعادة التصريح بقصد الانسحاب من حلبة الجدل الدائر بشأن المستشرقين.

فبداية ردّ الفعل العربي إذن كانت منقسمة على نحو ما يظهره العنوان البسيط الهادف الذي اختاره الدكتور أحمد عمر فرّوخ ببحثه الموسوم (المستشرقون: مالهم وما عليهم)[2]، إنه أمر طبيعي أن يتوزع الموقف الفكري العربي منذ تلك الحقبة المبكرة من القرن العشرين إلى اتجاهين، وربما موقفين لكل أنصاره ومؤيدوه؛ وطبيعي أن يمّثلاً القطبين المتطرفين: المادح لأعمال المستشرقين ومناهج بحثهم وإنجازاتهم الثّرة في تحقيق التراث العربي ودراسته، ودورهم في بعث اللامنظور - من جانب المثقف العربي آنذاك - من الإنجازات العلمية في الحضارة العربية الإسلامية، وبين قادح للمستشرقين عامة، بأن هؤلاء هم رموز الاستعمار والهيمنة والتفرقة، وموقفهم إزاء الإسلام والنبي الكريم والوحي والقرآن الكريم والحديث الشريف والحضارة العربية الإسلامية موقف ينّم

---

(١) محمد كرد علي: أغراض المستشرقين، مجلة الرسالة عدد ١١٤/ ١٩٣٥ ص ١٤، أعتماداً على بحث الدكتور الموسوي.

(٢) فروخ: د. عمر: (المستشرقون: ما لهم وما عليهم) المنشور في مجلة الاستشراق، عدد ١/ ١٩٨٧، ص ٥٤-٦٢.

عن تعصب وحقد وتحامل. لذلك فإنه ليس من السهولة تفسير هذا الحقد أو تخفيفه على الأقل، فعجباً لأولئك المثقفين العرب على موقفهم المادح هذا.

هذان إذن موقفان متقابلان، ولكن مع ذلك يظهر فيهما خلل بنيوي عندما نبدأ بالنظر إلى حال واحدة تلك التي نعّبر عنها بـ (البعض) أو (عدد)، للإشارة إلى المرونة وربما التخفيف في الموقف الرافض أو الموقف المؤيد. ولعل من الصواب القول أن هذه (التبعيضية) قد وجدت في الكتابات العربية للتعبير عن الاتجاهين المتعاكسين، أنه تفسير في طلب النجاة وألا يكون الرأي قاطعاً كالسكين. فهناك (بعض) المستشرقين هم من المتحاملين والحاقدين، وبإزائه هناك (بعض) أو (عدد) من المستشرقين المعتدلين أو الجيدين، والأبعد من ذلك أن هذه (البعض) أو (العدد) قد دفع بالمفكرين العرب والمسلمين بحق أو دون حق إلى صياغة قوائم لهؤلاء ولأولئك تماماً كالنسق الذي رسمه الدكتور فرّوخ - وهو محق بذلك في الأقل ليتخذ موقفاً معتدلاً - في بحثه المذكور آنفا تحت عنوان (نماذج من طبقات المستشرقين، مستشرقون محسنون - مستشرقون مسيئون)[1] وانتقى خدمة لهذا الخط البياني الحاد أسماء للمحسنين وأسماء أخرى للمسيئين. وقبل أن يدلي بأسماء الخط الأول ينّص على الآتي: (سأبدأ بنموذج طويل ثم أستعرض نماذج على سرد الحقائق، ذلك لأن الآراء

(١) فروخ: د. عمر: (المستشرقون: ما لهم وما عليهم) المنشور في مجلة الاستشراق، عدد ١٩٨٧/١، ص٧، ٦١.

تخطيء وتصيب. أما الحقائق فهي وقائع مشاهدة وملموسة لا يدخل فيها الجدال)[1]، أقول رحم الله الدكتور فرّوخ إذ ربما لم يدر في خلده آنذاك أن هذه التي يسميها (حقائق) هي أحياناً غير ذلك خاصة عند من لا يعدّها (حقائق)، والا كيف - وهو مثال واحد فقط - نطبق هذه الحقائق على كتابات الراهب اليسوعي هنري لامانس أحسب جدول أسماء الدكتور فرّوخ - الذي يصفه قائلاً (وهو غاية في الضبط والتحقيق)[2]. ثم كيف لنا تطبيق هذه الحقائق على كتاب المستشرق الألماني كارل بروكلمان (تاريخ الشعوب الإسلامية)؟.

وبهدف التحاور مع هذه (الكيف) و(البعض) نعتمد آراء المستشرقين أنفسهم للرد على مواقف هذين المستشرقين (المحسنين)! فالمستشرق الفرنسي درمنجهم Dermenghem يعرض رأيه في كتابه La Vie de Mahomet الذي طبع في باريس سنة ١٩٢٩ وترجم إلى اللغة العربية (بالرغم من احتوائه على آراء بحاجة إلى مناقشة وموقف)، إذ ينتقد المبشر اليسوعي لامانس بقوله: أن الأب لامانس يرى مثلاً أنه حين يوافق حديث من أحاديث الرسول بعض آيات من القرآن فإن هذا الحديث قد وضع ودسّ على محمد اعتماداً على ورود معناه في القرآن وتأييد الكتاب له. ومن ثم لا يعدّه الأب لامانس صحيح الرواية ولا يثق به ولا يعتمد عليه. فحدثني بربك كيف يمكن تدوين التاريخ إذن[3]؟، ثم يقول: إذا كانت كلما اتفقت

---

(١) م. ن، ص ٥٧.

(٢) فروخ: د. عمر: (المستشرقون: ما لهم وما عليهم) المنشور في مجلة الاستشراق، عدد ١/ ١٩٨٧، ص ٦٠.

(٣) Dermenghem, A: La Vie de.Mahomet (Paris, 1928) P.V\ Introduction.

شهادتان واجتمع دليلان، فبدلا من أن تكون الرواية قوية وتدعم الواحدة الأخرى منها. فإنها في رأي لامانس تكذّب وتجرّح[١]. وهذا الموقف نفسه مصرّح به عند المستشرق الإيطالي فرانسيسكو غبريبلي الذي ألف عدة كتب وبحوث عن الإسلام. فقد أنتقد لامانس بقوله: لقد وجد الموقف الكنسي في تعاليم محمد عقيدة منافسة سرعان ما تطوّرت ونمت لتصبح وكأنها مارد يهدد أوربا فلذلك وجد لامانس في الرسالة المحمدية أنها أسطورة، وفي الإسلام هرطقة الهدف الرئيس من ورائه محاربة[٢] (النصرانية) ورأى المستشرق مونتغمري وات Watt في كتابات لامانس أنها كتابات حاقدة فيقول ما ترجمته: إن دراسات هنري لامانس قد قادته إلى رفض كليّ تقريباً للروايات المكيّة (أي روايات الحقبة المكّية)، وأن العلماء الذين أعقبوا لامانس قد اعتقدوا بصورة عامة أن لامانس قد تطرف في رأيه وذهب بعيداً جداً في تطرفه

The studies of henri Lammens led him to almost complete rejection of the accounts of the Meccan period, but later Scholars have generally that he went too far; Theodor Noldeke's remarks in his article Die Tradition Das leben Muhammed may absolve one from further discussion of Lammen's more extreme views[3].

---

(١) Ibid.,.

(٢) Gabreilie, Francesco: Muhammad and the Conquests of Islam Translated from Italian by Virginia Lulling London, 1968) p.20.

(٣) Watt, Montegomery: Muhammad at Mecca (Oxford, 1965) p.VIII(Introduction).

فالمستشرق وات بعد أن يكشف النقاب عن موقف المستشرقين يعدّ لامانس من تطرف في رأيه، ثم يشير إلى المستشرق الألماني المعروف ثيودور نولدكه في بحثه (الحديث مصدراً عن حياة محمد)[1]، الذي أبدى ملاحظات من المرجح أنها قد حّلت موضوعاً لمناقشة لامانس في أكثر وجهات نظره المتطرفة: فهل يمكن أن نعدّ هذه الحقائق من المستشرقين داحضة للحقائق التي رآها الدكتور فروّخ موجودة عند لامانس؟.

أما كتاب المستشرق المعروف كارل بروكلمان (تاريخ الشعوب الإسلامية)[2] - وهو أيضاً يقع ضمن قائمة المستشرقين (المحسنين) عند فروّخ - فإن صفحاته في الجزء الأول المترجم المتعلقة بالرسول تطفح بالتشكيك بالبعثة النبوية والرسالة الإسلامية، إذ يقول ما نصّه: وأغلب الظن أن محمداً قد أنصرف إلى التفكير في المسائل الدينية في فترة مبكرة جداً، وهو أمر لم يكن مستغرباً عند أصحاب النفوس الصافية من معاصريه الذين قصرت العبادة الوثنية عن إرواء ظمئهم الروحي.

وتذهب الروايات إلى أنه اتصل في رحلاته ببعض اليهود والنصارى. أما في مكة نفسها فلعله اتصل بجماعات من النصارى، كانت معرفتهم بالتوراة والإنجيل هزيلة إلى حدّ بعيد. . . ولكنه على

---

(١) Noldeke, Th."Die Tradition uber das leben der Muhammeds" in Islam (1914) Volume v p.160.

(٢) بروكلمان، كارل: تاريخ الشعوب الإسلامية (ترجمة نبيه أمين فارس طبعة أولى، بيروت ١٩٤٨).

ما يظهر اعترف في السنوات الأولى من بعثته بآلهة الكعبة الثلاث[١].

ويستمر بروكلمان في عرضه هذا إلى أن يقول:

ولم تكد هذه الحالات - يقصد تحنّث النبي عليه الصلاة والسلام في غار حرّاء - تنقضي حتى أعلن ما ظن أنه قد سمعه كوحي من عند الله، ولكن ذلك لم يثر أول الأمر اهتماماً كبيراً بين مواطنيه. . . فقد كانوا متعودين على أن يظهر في كل قبيلة تقريباً، كما يظهر الشاعر، والكاهن من يستطيع أن يعزو أحكامه فيما يتعلق بالخلافات والمشكلات الغامضة (من قتل وسرقة أو شرود إبل أو ضياعها) المعروضة عليه إلى صاحب له غيبي، وأن يذيعها في الناس نثراً مسجوعاً كما فعل النبي فيما نزل عليه من وحي ومن هنا كان على محمد أن يحتاط مرة بعد مرة من أن يضعه مواطنوه في مصاف هؤلاء الكهّان ومرتبتهم[٢].

إن ما عرضناه بشأن موقف المستشرق بروكلمان في هذه المسائل الجوهرية في تاريخنا العربي الإسلامي: سيرة الرسول الكريم، والإسلام، ينبغي أن لا تفسر بإعلان القطيعة التامة مع ما قدّمه هذا المستشرق من عمل عظيم في كتابه الذائع الصيت (تاريخ الأدب العربي). وبعد كل هذا هل ترى هنا مسألة (الكيف) وجعلها أداة للوصول إلى الحقيقة؟

فإذا ما طوينا صفحة (المستشرقين المحسنين) على حدّ تعبير

---

(١) بروكلمان، كارل: تاريخ الشعوب الإسلامية (ترجمة نبيه أمين فارس طبعة أولى، بيروت ١٩٤٨). ، ص ٣٦.

(٢) بروكلمان، كارل: تاريخ الشعوب الإسلامية، ص ٤٠.

فروّخ، وانتقلنا إلى قائمة (المستشرقين السيئين) فإننا نقع مرة أخرى في مواجهة مع منهج الدكتور فروّخ في (الحقائق)، إذ تضمنت قائمته على سبيل المثال المستشرق وليم موير Muir، والواقع أن موير مستشرق مبشر اسكتلندي يعدّ من بين المستشرقين الأوائل الذين ألفوا عن شخصية الرسول، فقد ظهر كتابه The Life of Mahomet (كذا كان عنوان الكتاب ثم تحول أسم الرسول بدلاً من (ماهومت) إلى Mohammad في طبعة (١٩٢٣) أولاً بأربعة أجزاء عام ١٨٦١، أما الطبعة الثانية وظهرت عام ١٨٧٦، والثالثة عام ١٨٩٤، وقد زودت هذه الطبعات الثلاث بفصول عن تاريخ الجزيرة العربية، ومصادر سيرة الرسول محمد، وفصل عن القرآن الكريم والحديث الشريف. والكتاب يتضمن سبعة وثلاثين فصلاً، الذي يعنينا ضمن هذه الجدلية هو كيف نطبق هذه الحقيقة، علما أن المستشرق موير قد ترجم في بادئ الأمر كتاب سيرة ابن هشام وما يتعلق بسيرة الرسول الكريم، من طبقات ابن سعد إلى اللغة الانجليزية، وضمّن موير هذه الحقيقة في عنوان كتابه:

The life of Mohammad: from original sources[1].

ويصرّح في المقدمة أنه اعتمد هذين المصدرين وتاريخ الطبري على شكل مخطوطات في أول طبعة ثم راجعها في طبعة، ١٩٢٣ بعد أن تم تحقيقها، وخصّص الفصل الأخير السابع والثلاثين للحديث عن أخلاق الرسول الكريم بعنوان: شخصية محمد وأخلاقه.

---

(١) See Muir, William: The Life of Mohammad (Edinburgh 1923) from original sources.

Mohammad Person and Character[1]

بما يقابل المعروف في كتب السيرة والتاريخ بشمائل الرسول الكريم، وهو يعلّق على الفصل بأنه مأخوذ من فصل من كتاب الواقدي في كتابه (المغازي)، ومن كتاب (طبقات ابن سعد) و(تاريخ الطبري)[٢]، فقد ترجمها إلى الإنجليزية. حقيقة أنه يناقش مصادره ولا سيما سيرة ابن هشام معلّقاً أنها تتضمن أساطير لا يمكن تصديقها، وهو موضوع خاضع للمناقشة. فكتاب سيرة ابن اسحاق وهو الأصل قد هذّبه محمد بن عبد الملك المعروف بابن هشام بعد نحو قرن من تأليفه، إذ توفي ابن اسحاق في سنة ١٥١هـ ٧٦٨م، بينما توفي ابن هشام سنة ٢١٨هـ/ ٨٨٣، وابن هشام لم يكتف بعملية التهذيب، فربما ذهب إلى أبعد من ذلك إلى التعديل والتنقيح والحذف والتعديل، وأحيانا لإقصاء الروايات التي لم يوافق عليها راويته زياد البكائي كما بينته في دراستي نقد الرواية التاريخية، فهو موضوع بحاجة إلى أن يخضع لدارسة منهجية مصدرية علمية. كيف إذن نجعل موير مع المسيئين ولامانس مع المحسنين؟!

وفي هذه الاتجاه نفسه فقد أدرج اسم المستشرق الفرنسي لويس ماسنيون ضمن أسماء المستشرقين المسيئين، بينما قدّم هذا المستشرق عطاء متميزاً عن المدن الإسلامية مدافعاً عنها وواصفاً إياها بأنها تتمتع بمعايير المدينة ولاسيما وجود النقابات، في جداله مع المستشرقين الآخرين، الذين يحاولون تحجيم المدينة الإسلامية وجعلها تقليداً من الناحية العمرانية والتخطيطية للمدينة الهيلينية. ثم

---

(١) Ibid.P. 510 - 536.

(٢) Ibid.P. 510 (footnote I).

هكذا الحال في مفهوم (البعض الآخر) حينما نقيّم قائمة الدكتور فرّوخ (فالعدد الأخر) و(البعض الآخر) تعدّ وسيلة تعكس عدم وضوح الرؤية في تصنيفنا لأسماء المستشرقين ومواقفهم.

واضح أن الاستشراق والمستشرقين وعلاقتهم بدراسة تاريخنا وتراثنا موضوع يثير حساسية مباشرة وردّا عنيفاً مباشراً من (بعض) مفكرينا العرب والمسلمين؛ وذلك لارتباطه بالمسألة الجوهرية ألا وهي الإسلام ونبي الأمة عليه أفضل الصلاة والسلام ومنذ العصور الأوربية الوسطى،وهي الحقبة التي أسس كتّابها أسساً مغرية وجذابة لعدد من المستشرقين الأوائل ممن كان يحمل في اللاشعور موقفاً معادياً عن الإسلام.

فالمثقفون العرب ممن تابع دراساته عن التاريخ العربي الإسلامي في المدارس العربية (وبعضهم لم يسعفه البحث والتخصص للإطلاع على مؤلفات استشراقية وبلغات المستشرقين أنفسهم إلا من خلال الترجمات إلى اللغة العربية) قد أخذوا هذا الجانب ولهم الحق كل الحق فالتاريخ العربي الإسلامي هو تاريخهم لا تاريخ أولئك المستشرقين (أوربيين أو أمريكيين أو روس وسوفيت)، وإن كانوا من المعنيين بالمشرقيات. فلماذا يقدم هؤلاء بثقافاتهم الخاصة ووجهات نظرهم السابقة والجاهزة، على دراسة تاريخنا بل التخصص فيه وربما في العلوم الإسلامية عامة؟ وفي وجهة نظرهم وموقفهم قوة وصلابة كقوة الإسلام الحنيف، ويزداد هذا الموقف قوة عندما نفهم بأن الحركة الاستشراقية تاريخيا، ولاسيما في القرن العشرين قد شاطرت - شئناً أم أبيناً - مع موجة السياسات الاستعمارية الأجنبية لبلادنا، وصارت وجهاً أو واجهة

وأحياناً مرآة نرى - نحن العرب والمسلمين - فيها (وبغضب عارم) تقسيم فلسطين الحبيبة ومنح الصهاينة ملاذاً في الأرض السليبة - يلاحظ هنا موقف أدوارد سعيد من الاستشراق فإنه أنطلق في تفسيره من هذا المنطلق - فضلاً عن ذلك فإننا ننظر إليها (وحرارة اللوعة والمعاناة تكوي قلوبنا) وكأنها الخارطة التي رسمت عليها المخططات الأمريكية في سياستها الرامية إلى تجويع الشعوب وتدمير معالم الحضارة الإسلامية بشنها الحروب في أفغانستان والعراق وغيرها من البلدان الإسلامية. فهذه الرؤى هي التي دفعت المستشرق الفرنسي مكسيم رودنسون إلى أن يصف هذه الحال، (وبالمناسبة إن لوائحنا لتصنيف المستشرقين والقوائم السوداء والبيضاء تضع هذا المستشرق في خط المعتدلين) بالآتي:

«وهوس المرء بوجود مؤآمرة عليه يتولد بشكل لا يقل حتمية عن عملية المنافسة والصراع، وهذا الهوس (التشديد من الباحث لا من المستشرق)، يمثل نوعاً جماعياً من أنواع الذهان الهذياني والمسلمون ليسوا وحدهم المصابين به (يلاحظ القارئ كيف يقف هذا المستشرق المعتدل. ذلك أنه يضطر المرء للدفاع عن وجوده وقيمه ويضطر لمحاربة الأعداء العديدين فإنه يتوهم بسهولة عندما يظهر فجأة معارضون وخصوم آخرين أن وراءهم آلية جهنمية شريرة تهدف إلى النيل منه.

في الواقع إن الاعتقاد بوجود مؤامرة كونية على الإسلام ليس حديث العهد بل له سوابق تعود إلى القرون الوسطى، وبالتأكيد فإن كل معارضة حقيقية وكل هجوم محسوس يقوي من هذا الاعتقاد أو التوهم. وتزداد الفكرة رسوخاً عندما يأتي الهجوم من جهتين أو من

عدة جهات دفعة واحدة، فيبدو وكأن هناك اتفاقاً أو تواطؤا بينهم. أو ان هناك مؤامرة جماعية، والهوس بوجود مؤامرة كونية ودائمة تضرب بجذورها عميقاً في تربة الحقد الشرير فقط، هذا الحقد الذي يكنّه الآخر لنا ولجماعتنا قد جرَّ أناساً أذكياء وعليمين إلى تبني تصورات خاطئة ومبالغ فيها»[١].

وأعتذر كثيراً لأنني اضطررت إلى أن أقتبس هذا المقتبس الطويل؛ لأنه مهم جداً في إبراز خلاصة مركزة لموقف المستشرقين من الدراسات العربية والإسلامية عن موضوع الاستشراق. إنه مهم جداً لأن المستشرقين أو حتى عدد من الباحثين والمفكرين العرب أخص منهم الأستاذ القدير محمد أركون، يشددون على أن الدراسات العربية والإسلامية ما زالت لحد الآن بعيدة وربما بعيدة جداً عن إطار المنهج البحثي العلمي، إنها دراسات مشحونة بالعاطفة وبعيدة عن العقلانية[٢]!.

عودة إلى النص الذي عبّر فيه مكسيم رودنسون بوضوح عن الموقف من ردّ فعل العرب والمسلمين تجاه الاستشراق. أليس في موقفه هذا آلية هجومية ضد مفكرينا الذين ما فتئوا حتى هذه اللحظة يعرضون أفكارهم في (الدفاع) عن هويتنا وإسلامنا وديننا وحضارتنا؟ هذا الموقف وغيره هو الذي جعلني اندفع لأن أبين كم هي بغيضة وكريهة هذه الكلمة (الدفاع)، التي بدأنا بها المواجهة مع

---

(١) هاشم صالح (المترجم): الاستشراق بين دعاته ومعارضيه، طبعة أولى ١٩٩٤، ص ١١٧-١١٨.

(٢) اركون، محمد: الإسلام، أوربا، الغرب: رهانات المعنى وإرادات الهيمنة (ترجمة هاشم صالح، طبعة أولى / ١٩٥٥) ص ١٢-١٨.

الاستشراق منذ العقدين الأولين من القرن العشرين حيث كثر فيه من يكتب في هذا الميدان حتى هذه الساعة، وإن كان لم يقرأ بجدّية كتاباً عن المستشرقين. إنها (موظة) الاستشراق في الوقت الحاضر، ولكن بعد أن أعلن المستشرقون أنفسهم قطيعة مع المصطلح في آخر مؤتمر لهم. ألا ترى وجه الغرابة في هذا؟ كان الأستاذ محمد كرد علي قد بدأ بجرأة الحديث عن المستشرقين وإنجازاتهم ولم يكن مدافعا إنما كان متردداً لأن هناك (البعض أو العدد من هؤلاء محسناً والبعض الآخر مسيئاً). أما الآن وفي دراسات عام ٢٠٠١ فإن التردد قد أسدل عليه الستار إلى حد ما، فإن أحد[١] الباحثين العراقيين قد نشر كتاباً عن الاستشراق، وكان ممن درس على أيديهم وأهدى كتابه (الثورة العباسية) إلى أحدهم فاتجه الآن ليصنف الباحثين العرب على وفق قوائمنا عن المستشرقين فمن يكتب عن ثورة الزنج أو أي ثورة اجتماعية فإنه متأثر بالمستشرقين. لنلاحظ كيف بدأ موقف مثقفينا من الاستشراق بعد أن طوى المستشرقون صفحته يستعيدونه ولكن بصورة مقلوبة وليس بعيداً عن (الدفاع) ولا من أجل اتخاذ موقف قويم إنما من أجل تأييد زاوية من وجهة نظره السلبية.

لقد عرضت دعوة في بحثي الموسم بـ (الاستشراق والسيرة النبوية: مسلمات بشأن تاريخ السيرة ومفارقات في تفسيرات المستشرقين) أن نتجاوز مرحلة (الدفاع) أمام حركة استشراقية قد

---

(١) عمر، د. فاروق: الاستشراق:

انتهت عام ١٩٧٣، وننتقل إلى دراسة الغرب دينياً وتبشيرياً وحضارياً فنعرض، كما عرضوا، آراءنا ونترك لهم الساحة للدفاع عن أنفسهم، وأن يخرج مؤرخونا من المحيط الضيق لتكون إسهاماتهم معروفة في الوسط الغربي والعالمي. فلماذا نعتمد على مؤلفات وات Watt ونزيّن (كما يفعل الكثير من طلبة الدراسات العليا والباحثين) دراساتنا عن السيرة النبوية بكتب المستشرقين لندوّنها في الهوامش وبلغاتها الأجنبية؟ كيف نجعل بحوثنا وكتبنا تقرأ في الغرب؟ بهذه الآلية نأخذ دوراً جديداً - كما فعل كتاب أدوارد سعيد - في عرض أفكارنا عن تاريخهم وحضارتهم للمناقشة لا أن نستمر في ترديد المواقف المعروفة والمدافعة(١)، أيعتقد الباحث العربي والمسلم ممن ينهج هذا المنهج النسخي والتقليدي ونقل الأفكار وترديدها، بأن الإسلام الحنيف الذي دخل إلى قلب العائلة الأوربية وإلى مدارسهم وجامعاتهم، وبأن نبينا الكريم الذي تحول إلى نور وهّاج، وإلى تطلع وإلى مشروع مستقبلي للأمة الإسلامية في اليقظة والعنفوان والاندفاع لدى الملايين الكثيرة من البشر. نحن بحاجة إلى أن نمسك الأقلام للكتابة بأسلوب ومنهج جديدين ونتخلص من حال (الدفاع)، وهي الحال التي وصفها مكسيم رودنسون بهوس (المؤامرة) في مقدمته الثانية للكتاب الموسومة (جاذبية الإسلام)(٢)، التي صدرت في عام ١٩٨٩. إن تحليله وتفسيره يعني بصراحة جداً إن جميع ما تم كتابته في مسألة المدافعة لم يبدل قيد شعرة من

(١) ناجي، د. عبد الجبار: (الاستشراق والسيرة النبوية) مجلة دراسات إسلامية، بيت الحكمة، عدد ١/ ٢٠٠٠، ص ٩٢-٩٤.

(٢) ينظر الاستشراق بين دعاته ومعارضيه، ص ١١١.

مواقف المستشرقين في مناهج كتابتنا وفي تفسيراتنا . ويبدو - وهو أمر مؤسف حقاً - أنهم لم يعرفوا بها ولم يطّلعوا حتى على عناوينها، فالمعروف عندهم شيء يسير جداً أنهم يعرفون كتاب ادوارد سعيد[١]، (الاستشراق) وكتاب هشام جعيط (أوربا والإسلام)[٢]، لأن الأول قد وضع باللغة الإنجليزية والثاني بالفرنسية .

---

(١) Edward W. Said: Orientalism (New York 1918) . وقد ترجمه إلى اللغة العربية كمال أبو ديب/ بيروت (1978، 1981) بعنوان (الاستشراق، المعرفة، السلطة، الانشاء).

(٢) Hichem djait: L'Europe et L' islam (Paris seuil 1978.

المستشرق والمبشر

منذ عام ١٩٨١ وقفت في كتابي (تطور الاستشراق)[1]، على هذه الموضوعة التي أحسبها حيوية لأن هناك باحثين عرب ومسلمين كثر يميلون إلى الاعتقاد بأن الاستشراق أولاً وآخراً يعادل التبشير، وأن المستشرق عامة هو مبشر. فتناولت آنذاك الجذر التاريخي لهذا المركب (الاستشراق والتبشير) ونوّهت قائلاً: (كانت الحروب الصليبية وفي إطارها الخارجي الظاهري حروباً دينية، والراجح أن العامل الديني كان المحفّز الأساس لجمع من الصليبيين وبصورة خاصة أولئك الذين شكلوا الحملات الأولى، وعلى هذا ترتب أمران متلازمان أأولهما أن الأوائل ممن كتبوا عن تاريخ هذه المرحلة المبكرة من التاريخ الإسلامي كانوا من رجال الدين والرهبان، وثانيهماً أن أهم ما توجهت إليه اهتماماتهم هو دراسة الأحوال الدينية للبلاد الإسلامية بوصف الدين محفزاً مباشراً للصليبيين المحاربين[2]، وأقصد بهذا التحليل أنها مسألة تشابه (الدفاع) من جانبهم بإزاء إنتصارات الإسلام وإنجازات العرب الحضارية في

(١) ناجي، د. عبد الجبار: تطور الاستشراق في دراسة التراث العربي (الموسوعة الصغيرة ٨٥/ ١٩٨١) ص ٨٤-٨٥.

(٢) ناجي، د. عبد الجبار: تطور الاستشراق في دراسة التراث العربي (الموسوعة الصغيرة، ص ٨٤-٨٥.

الوقت الذي كانت فيه أوربا كلها تعيش في حيرة علمية وتخبط ديني فرقي حول طبيعة السيد المسيح، وظلام وجهل مطبقين. هنا وفي هذه المرحلة نجد أنفسنا أمام مرحلة التبشير والمبشرين متمثلة بأحد أعمدة التبشير الوسيط (بيد المبجل) The Venerable Bede وبطرس الناسك أو المبجل Peter the Venerable رئيس رهبان كلوني الذي اندفع بحماس تبشيري إلى محاربة السراسنة Saracene (كان الأوربيون في العصور الوسطى وبعدها يطلقونها على العرب المسلمين ولها تفسيرات عدة). ودعونا نعتمد رأي مكسيم رودنسون في إبراز الجهد المرموق الذي اضطلع به بطرس الناسك (تقريباً من أجل الحصول على معرفة علمية موضوعية عن الدين الإسلامي ونقل هذه المعرفة إلى أوربا، ويمكن أن نتبين عدة أسباب لهذا المشروع الذي يدعو إلى الدهشة (دهشة مكسيم رودنسون والمستشرقين)، والأسباب هي:

١ - أنه اكتسب معرفة خلال زيارته لأديرة رهبانية في اسبانيا عن القضايا الإسلامية.

٢ - اهتمامه بمحاربة الهرطقات (كما يعتقد بها) المتمثلة بالإسلام واليهودية بوساطة الحجج الفكرية السليمة إزاء الأفراد الضالين (هنا يقصد بهم المسلمين محاولة منه إلى ردّهم عن الإسلام فهم في عقلية بطرس ضالون)[١].

٣ - رغبته في تسليح الكنيسة ضد هذه الأخطار الإسلامية.

---

(١) رودنسون مكسيم: (الصورة الغربية والدراسات الغربية الإسلامية) في تراث الإسلام (تصنيف شاخت وبوزورث الطبعة الثانية، الكويت ١٩٨٨) ص٢٨، ٣٧-٣٨.

ثم أشرت في ذلك الكتاب إلى أن هناك خلطا واضحاً وعدم تمييز دقيق بين نشاطات المستشرقين ودراساتهم وبين دراسات المبشرين ولاسيما في المرحلة الأولى من مراحل تطور الاستشراق، قد تعلم بعض المبشرين اللغة العربية وألفوا كتباً عن الدين الإسلامي والحضارة العربية الإسلامية وعن العلاقة بين الإسلام والنصرانية، كذلك فقد كثفت البعثات التبشيرية الفرنسية والانجليزية والأمريكية من دورها في هذا المجال[1].

فالدراسات التبشيرية التي صنفت في مرحلة العصور الوسطى تمت بشكل قوي إلى تفاعلات الحروب الصليبية، الحروب التي غذّت هذه الدراسات وكانت بمثابة الدافع العاطفي الذي ألهب الحماس في نفوس الإفرنج المشاركين فيها للاندفاع إلى الأراضي الإسلامية بقصد السيطرة على بيت المقدس الذي صورته هذه الدراسات وكأنه محتل من قبل (الكفار)[2]، ولذلك اقتضت ظروف هذه الحقبة وملابساتها الدينية في الظاهر إلى أن تأخذ هذه الدراسات زاوية حادّة ومتطرفة ضد المسلمين فكانت دراسات متطرفة في حقدها ومليئة بالأساطير والأكاذيب وحاقدة على الإسلام ورسول الله والقرآن الكريم والحضارة الإسلامية. ولما كانت آلية هذا المركب الحروب الدينية والدراسات المتأثرة بذلك هادفة إلى تحقيق حيّز ضيق ومباشر فلم تعد هناك أي ضرورة أو أهمية لإتباع مناهج بحث علمية ولا حتى الاعتماد على مصادر الجانب الآخر

(١) ناجي، د. عبد الجبار: تطور الاستشراق، ص ١٦، ١٨.
(٢) رودنسون، مكسيم: الصورة ص ٢٨، ٣٥.

العربية والإسلامية. ولا جدوى من التنقيب عن المعلومات والبحث عن الحقيقة، ولا إلى ضرورة تعلم لغة الطرف الآخر أو الإطلاع على ترجمات القرآن الكريم، كل ذلك غير مهم مقارنة بالهدف الضيق الأعمى الموجه بتعصب وحقد، ولذلك فلا غرابة أن نقرأ عناوين لدراسات أمثال:

أسطورة محمد في الشرق La Leggenda di Maomatto in Occidenta [(١)].

أو قرآن محمد Le Coran de Maomatto [(٢)].

أو تحريف اسم النبي إلى الأشكال الآتية: -

ميثوموس Methomus.

ما ميوتوس Mamutuis.

ميوماتو Maomatto.

ما هومت Mahomet.

ما هوند[(٣)] Mohound.

فهذه الصيغ هي الصيغ التي سادت في كتبهم، ولكنها تهدف إلى

---

(١) See Holt, P. M. " The Treatment of Arab History by Predeaus, Oclay and Sale " in the Historians of the Middle East (London 1964)p. 290 - 302, D'Ancona: "La Leggenda di Maometto in Occidents" inStudi di Critica Estoria Lettervia (1912) Volume ii p. 167.

(٢) Holt. Op cit p. 291.

(٣) See Daneial, Norman: Islam and the West (1960) p. 28, Southern R: Western views of Islam in the Middle Ages (Harvard 1962) p. 24, 25.

الهدف التعصبي الحاقد السابق نفسه، فالكلمات أو التعبيرات الأولى إنما تعني باللغة اللاتينية إله الظلام، أو الشيطان.

وضمن هذه المرحلة أيضاً سادت في دراسات الأوربيين أفكار وتفسيرات ضالعة في الكراهية والدس والتعصب ضد الرسول الكريم، فإنه - حاشاه الله تعالى من هذه النعوت الحاقدة - كان في عرفهم - (دجّالاً)، و(كاذباً)، وإنه في حقيقة أمره راهب مسيحي تمرد على الكنيسة، أو أنه كان كاردينالاً نصرانياً[1]، هنا أيضاً توجهت هذه الدراسات إلى التركيز على تأثيرات بحيرا الراهب من جهة، وورقة بن نوفل من جهة ثانية في الرسول، جميع هذه التشويهات قد توسع الأخذ بها بهدف تغذية العقل الأوربي الوسيط، و(تحصينه) ضد الدين الإسلامي ومبادئه.

كيف يتحقق ذلك؟ هل يكون بتشويه صورة الإسلام وتشويه سيرة الرسول وقيم الإسلام ومثله، ولماذا؟ لئلا ينجذب أنصارهم الذين كانوا يعيشون حياة بائسة دينية واقتصادية إلى الدين الجديد.

وعلى الرغم من أن هذه التخرصات والتجنّيات الحاقدة كانت خطاباً موجهاً بصورة مباشرة إلى العقلية الأوربية الوسيطة الجاهلة والساذجة والغارقة في مشكلاتها وبالأخص القمع الفكري والاجتماعي الذي مارسه رجال الدين والنبلاء، فإنها دخلت دون عراقيل إلى قاموس مفكريّ ومؤرخيّ عصر النهضة الأوربية ممن تطلع - وكان مدفوعاً بحب الاستطلاع أو الشغف بالفن الشرقي وما إلى ذلك - نحو دراسة الشرق.

---

(١) مكسيم رودنسون: الصورة ص 27، 32، 33، 34. Lbid., p. 24,25.

ومن ثم أضحت بعض هذه الأفكار وكأنها حقائق تاريخية جاهزة تناغمت دونما عقلانية وترو مع عقلية المبشر الحديث، مبشر القرن التاسع عشر أو حتى مبشر القرن العشرين كما هو بيّن وجليّ في موقف الأب هنري لامانس Lammens الذي ألف عدة كتب وبحوث موجهة بفعل دافعه التبشيري, ولذلك فانه قد لا يجده شاذاً او ترديدا للأوصاف والتعبيرات الصليبية نفسها فبدلاً من La Leggenda يستخدم في بحثه الخاص عن النبي وأمانته وصدقه (باللغة الفرنسية) ?Mahomet fut- il Sincer، بمعنى هل كان محمد أمينا وتعبيرا آخر باللغة الفرنسية هو: Grand dormeur (الحالم العظيم أو الدجال العظيم)[١]. ولم يتردد المستشرقون الأوربيون والأمريكان والروس وغيرهم في قبول مثل هذه الأفكار والتعبيرات غير العلمية، ففي كثير من الحالات دخلت هذه المفوهمية الحاقدة في كتاباتهم أيضاً. عندئذ حدث ما كان ينبغي له أن يحدث من حال التشابك بين المفهومين المستشرق والمبشر.

وعّبر المستشرق مكسيم رودنسون عن هذه الحال تعبيراً توفيقياً أحياناً وتأويلياً أحياناً أخرى معلّقاً العامل الأساس فيها على (شماعة) تدهور أوضاع الدولة العثمانية وضعفها وتراجعها أمام التقدم الغربي فيقول:

وقد شجّع، الوضع المهين، الذي وجد العالم الإسلامي نفسه فيه، المبشرين المسيحيين وفتح لهم طرقاً جديدة. فقد عزا المبشرون

---

(١) See Gabrieli. Muhammad p. 19, Salibi, K. S "Islam and Syria in writings of Henri Lammens" in Historians of the Middle East, p. 331 - 32.

نجاحات الدول الأوربية السياسية إلى ثبات الدين المسيحي مثلما عزوا اخفاق العالم الإسلامي إلى الإسلام. فصّوروا المسيحية بأنها بطبيعتها تلائم التقدم، بينما اقترن الإسلام بالركود الثقافي والتخلف. وأصبح الهجوم على الإسلام على أشد ما يكون، وبعثت مرة أخرى حجج العصور الوسطى بعد أن أضيف إليها زخارف عصرية جديدة، وصوّرت الجماعات الدينية الإسلامية بصورة خاصة على أنها شبكة من التنظيمات الخطيرة التي يغذيها حقد بربري على الحضارة[١] الأوربية تجلت هذه المظاهر والرؤى في دراسة الأب روكيه Rouquette الفرنسية التي حملت عنوان (الجمعيات السرية في العالم الإسلامي Les Societes chez les Musluman وقد علّق مكسيم رودنسون على هذه الدراسة بقوله إن مستشرقين أمثال بيكر وسنوك هورجرونيه قد اعتقدوا أن مشروع الجامعة الإسلامية الذي كان مطروحا حينئذ في الساحة العربية والإسلامية إن هو إلا حركة رجعية ومتخلفة ومثل ذلك تكرر في دراسة المستشرق الألماني ودنبرغ Waedenburg حول الإسلام في مرآة الشرق L' Islam dans le Miroir de ' Occident المطبوع في باريس ١٩٦٣[٢].

ولم يتوقف المشروع هذا بل ظل المركب المزدوج الموجه (التبشير والاستشراق) واضحاً في كتابات المستشرقين المبشرين أمثال المؤلف اليوناني الذي أظهرعداءاً للسامية. وسمّي نفسه دانيال كيرو Kiron إذ ألف كتاباً عرض فيه الإسلام وكأنه مرض يمثل عصر

---

(١) مكسيم رودنسون: الصورة ص ٨٤-٨٥.

(٢) مكسيم رودنسون: الصورة، ص ٨٥-٨٦ (الهوامش).

التدهور والإنحطاط La Patholegis de L'Islam et les moyens de la detrure.

ولكن الحق حق، فالإسلام لم يكن كذلك أبداً كما يعتقد المبشرون، عندما اضطرت البابوية إلى أن تغير جذرياً من موقفها تجاه الإسلام. وعندما خابت في تحقيق حلم إعادة (الضالين) إلى ديانتهم، فالتطورات السياسية والاقتصادية في الوطن العربي والإسلامي أدت إلى إجبار (الآخر) على تبديل مفاهيمه وتغييرها تجاه الإسلام ونبي الأمة، هنا نجد أن تعقيدات التشابك في هذا المركب قد أخذت بالانحلال والانفتاح، فظهر مستشرقون بعيدون عن التبشير لكنهم قريبون من السياسة والمصالح الاقتصادية والتطورات العلمية الجديدة وسياسة الحوار الحضاري وسياسة الحوار مع الشرق بأسلوب جديد تفرضه التوجهات القومية في العالمين العربي والإسلامي، فضلا عن النزوع إلى فضح الترابط بين سياسات الهيمنة والاستحواذ وجميعها قد ساعد على عكس ما أسسه التبشير من مباني.

وعلى ضوء كل هذه المنعطفات الجديدة وجدت الحركة الاستشراقية أن تضع حدّا وتعيد النظر في دراساتها العتيقة وتجعلها بقوارير جديدة نظير دراسات الإسلام المعاصر والأصولية والدراسات الاجتماعية وهلم جرا.

الفصل الثاني

أهداف دراسة الاستشراق والتشيع

لا مبالغة في القول إن التدوين التاريخي الإسلامي عامة والتدوين المتعلق بالسيرة النبوية المطّهرة وبتاريخ الشيعة والتشيع بصورة خاصة هو تدوين قد تعرض إلى عمليات مقصودة وغير مقصودة من التشويه والتزوير والكذب بدافع معين أو بجملة من الدوافع منذ بوادر نشوء التدوين في القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي. والملاحظ أن عمليات التحريف والتشويه هذه لم تؤسس ولم تكن بفعل موقف أو مواقف أو تفسيرات إستشراقية إنما، وهو الأكثر صواباً ومباشرة واعتماداً على أصول الرواية التاريخية الإسلامية وكذلك اعتماداً على ما أورده علماء الرجال وعلماء الجرح والتعديل، هي نتيجة علمية وعملية منظمة ومنتظمة دعمتها وغذّتها وأعلنت عنها السلطات الأموية والعباسية الجائرة التي اندفعت إلى احتضان الرواة والمؤرخين وتشجيع المدوّنين المسلمين الرّواد أولئك الذين اضطلعوا، كما صورتهم المؤلفات القديمة والحديثة، بمهمة تدوين روايات وأخبار السيرة النبوية بما تشتمل عليه من رواية حياة رسول الله ومغازيه وتوجيهها باتجاه متعمد يهدف إلى تغييب الروايات الشيعية أو الروايات المتعلقة بأخبار الإمام علي والأئمة الأطهار من بعده والتقليل من تدوين الروايات، إن لم يكن تغييبها، تلك المتعلقة بالعقيدة الشيعية واضطهاد أنصار أهل البيت وأتباعهم من موالين وعلماء وأدباء، ورواة لأحاديث الأئمة. في

المقابل جهدت هذه السلطات إلى احتضان الأقلام - أقلام المؤرخين والرواة الأوائل المشهورين - وتشجيعهم العمل على طمس الحقائق التاريخية المرتبطة بسيّر الأئمة وبحركة التشيع. في الوقت الذي ركّزت هذه الأقلام على اختلاق روايات تاريخية احتلت أحداثها مكانة بارزة آنذاك، أي في أحداث القرن الأول للهجرة، وآنئذ في وقتنا الراهن. وما تلك الرواية التي تعدّ بمثابة الرواية التأسيسية التي أوردها الطبري وكرّرها ابن الأثير بشأن السبئية (المصطلح والفرقة) إبان الأيام الأولى من اندفاع الناس المشاركين في الثورة على الخليفة الثالث لبيعة الإمام علي للخلافة؛ إلا واحدة من هذه الروايات الدخيلة المختلقة من راويتها الأصلي سيف بن عمر الأسيدي. والبحث هنا ليس بصدد تحليل رواية سيف هذه وفيما إذا كان راوية صادقاً وأميناً في تدوينه؛ لكن علماء الجرح والتعديل من أهل السنة قد أكدوا على أنه متهم في مصداقيته، وتطرفوا في القول بأنه زنديق وكذّاب في رواية الحديث الشريف. لكنهم يناقضون رأيهم هذا بقولهم أما سيف في رواية الأخبار فكان عالماً. رواية سيف عن السبئية قد ألصقت بالإمام علي بشكل واضح كما ألصقت بحركة التشيع، للنيل من أصولها والنيل من الإمام نفسه بما هيأت العقلية العربية والإسلامية آنذاك إلى أنه كان على صلة بالسبئية، وحينما أنتجت هذه الرواية شخصية لم تذكر أبداً في سير الرواية الأساس هذه، وجعلها شخصية لها أصول وانتماءات يهودية للتوكيد على أصل الحركة الشيعية.

ولأهمية هذا الموضوع لابد من الوقوف على الرواية نفسها عند الطبري لإبراز الحقيقة التي أصبحت منطلقاً لكل من ألف عن عبد

الله بن سبأ من المستشرقين وعلى رأسهم المستشرق الدانمركي فريد لاندر Fried lander للتأصيل التاريخي لتعبير السبئية ورد في أحداث ثورة الأعراب على الخليفة الثالث وبالأخص ضمن الأحداث التي أعقبت يوم اغتياله مباشرة.

فيروي سيف بن عمر إنه في اليوم الثالث لحادثة القتل واندفاع الناس لبيعة الإمام عمّ المدينة توتر واضطراب واضحين، أقدم فيه المشتركون في الثورة على اقتحام دار الخليفة الثالث واغتياله ثم صاروا هم أصحاب الموقف السياسي وسادته. فلم يرَ الإمام بداً من أن يخطب الناس بعد أن حمد الله عليه وذكر فضل قريش وحاجته إلى شيوخهم قائلاً: «إنه ليس من سلطانهم إلا ذلك والأجر من الله عزّ وجل عليه» ونادى «أن برئت الذمة من عبد لم يرجع إلى مواليه»، عندئذ قفزت الرواية إلى الموضوع الآتي «فتذامرت السبئية والأعراب وقالوا لنا غدا مثلها ولا نستطيع أن نحتج فيهم بشيء» وكتب السري عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة قالا خرج علي في اليوم الثالث على الناس وقال «يا أيها الناس أخرجوا عنكم الأعراب وقال يا معشر الأعراب ألحقوا بمياهكم». وهنا أيضاً زجّ سيف معلومة غير مترابطة مع الحدث الأساس فقال «فأبت السبئية وأطاعهم الأعراب»[1]، وكأن السبئية مجموعة منفصلة عن الأعراب المشاركين في الثورة، وكأنهم فرقة، وكأنهم أناس عرفوا بذلك، وكأن التعبير الدخيل محرّف. إذ ورد في بعض الروايات الخشبية

---

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، طبعة الاستقامة القاهرة ١٩٣٩، ج٣ ص٤٥٩، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، إعداد محمد عبد الحر المرعشلي، طبعة جديدة منقحة بيروت ١٩٨٩ ج٢ ص٣٠٦.

بدلاً من السبئية أو في مرة أخرى القيسية، والتحريف في التسمية حسب اعتقادنا هو الصحيح.

ويعود سيف ثانية إلى التعبير، بعد أن غاب هذا التعبير عن أحداث حدثت مباشرة بعد الحادثة السابقة حين بعث معاوية بن أبي سفيان مبعوثاً «اسمه العبسي» ومعه طومار مختوم إلى الإمام علي، فلما فضّ الإمام الختم لم يجد في الطومار شيئاً. وبعد تهديد العبسي الإمام بأنه قد خلّف في الشام ستين ألف شيخ يبكون قميص عثمان. فلما خرج العبسي من عند الإمام «صاحت السبئية قالوا هذا الكلب هذا واحد الكلاب اقتلوه فنادى يا آل مضر يا آل قيس»[١]. وبحسب هذه الرواية فإن هذه الجماعة، أو بالأحرى الذين دخلوا في هذا التعبير، وكأنهم كانوا أناس من الغوغاء لأهم لهم إلا إثارة المتاعب في المدينة. فمبعوث معاوية جاء المدينة بعد ثلاثة شهور من بيعة الإمام علي[٢]. ثم تختفي السبئية مرة أخرى لتعود إلى الظهور في أحداث معركة الجمل وفي رواية منعزلة لا صلة لها بالحدث. قال الطبري وابن الأثير وهما يتحدثان عن الموقف في صفوف جيش طلحة والزبير إنهما أخبرا بهجوم مفاجيء لجيش الإمام فقال الزبير وطلحة «قد علمنا أن علياً غير منته حتى يسفك الدماء وأنه لن يطاوعنا. فسمع علي وأهل الكوفة الصوت وقد وضع السبئية رجلاً قريباً منه يخبره بما يريد فلما قال علي: ما هذا؟ قال ذلك الرجل: ما شعرنا إلا وقوم منهم قد بيّتونا فرددناهم فوجدنا

(١) الطبري: تاريخ ج٣ ص٤ (٤، ابن الأثير: الكامل ج٢ ص٣٠٥).
(٢) م. ن

القوم على رجل فركبونا وثار الناس. فأرسل علي صاحب الميمنة إلى الميمنة وصاحب الميسرة إلى الميسرة وقال: لقد علمت أن طلحة والزبير غير منتهين حتى يسفكا الدماء وأنهما لن يطاوعانا والسبئية لا تفتر أنشابا..»[1]، فالقارئ اللبيب يجد ببساطة عملية الإضافة والانتحال في هذه الرواية الضعيفة لغة والركيكة في السبك وفي تكرار ما قاله الزبير واصفاً الإمام بمثل ما قاله الإمام في وصف الزبير. والمهم أن تعبير السبئية قد أقحم إقحاماً فإنه هاهنا غامض المعنى أإنه فرقة عسكرية ضمن جيش الإمام أم مجموعة خارجة عن سلطة الإمام، لكنها موجودة في جيشه؟ لا علم لنا مما يؤكد أنها رواية لا معنى لها إلا في غرضها الذي يسيء بحق الإمام؟

ويبقى الأمر مبهما مع وجود هذه الاحتمالات؛ فالملاحظ أن الطبري وابن الأثير الذي في الواقع قد اعتمد على رواية سيف بن عمر الواردة عند الطبري، وهما وحدهما اللذان أوردا السبئية في الأحداث التي وقعت في نهاية سنة ٣٦ هجرية بما له علاقة ببداية خلافة الإمام علي تحديدا، ولم تذكر التسمية هذه في المؤلفات الأخرى نظير تاريخ اليعقوبي أو تاريخ خليفة بن الخياط، أو الأخبار الطوال لأبي حنيفة الدينوري ومروج الذهب للمسعودي. الأمر الذي يفسح المجال واسعا أمام نقد هذه الرواية أو إبطالها، مع أنها الرواية المهمة جدا في مسألة بداية ظهور السبئية؛ لذلك علينا توخي الحذر والريبة في مرويات أخرى لها علاقة بالإمام علي وبحركة التشيع، لا مجال في هذا البحث المحدد لبحثها، وليس هناك من نية في متابعة

(١) م. ن ج٣ ص٥٤٤، ابن الأثير: ج٢ ص٣٣٧، ٣٣٨.

مثل هذه المرويات، إنما أدلينا بها لأهميتها فيما يتعلق بموقف أمثالها من التشيع ومحاولة تشويه أصوله العربية.

فهذه الرواية وغيرها الكثير قد سجله ودونه الروّاد من الرواة والمؤرخين المسلمين وليس من تدوين المستشرقين، وأتمنى على القارئ أن لا يفهم أن الباحث في حال دفاع عن الاستشراق؛ غير أن الحقيقة ينبغي لها أن تؤكد وأن يلّمح عليها. فهؤلاء في الكثير من الحالات قد اعتمدوا نصوصا ومرويات وردت أصلا في المؤلفات الإسلامية المعتبرة، فما كان عليهم إلا بناء تفسيرات ورؤى إن هي إلا انعكاس للعقلية الغربية غير الملتزمة بالتراث الإسلامي وبالعقيدة الإسلامية فجاءت مخالفة لعقليتنا وتراثنا.

وعندما يتوجه الاهتمام والدرس نحو ميدان الاستشراق والتشيع، فإنه لا يعني أبداً أننا نعتزم كشف الأخطاء والتحريفات والتجنيّات، أو الآراء المحرّفة التي ذكرها المستشرقون، سواء كان منها الصحيح العلمي أو الموافق للمنهج البحثي والجدلي، أم تلك المواقف غير الصحيحة والمسمومة وذلك بهدف دعم مواقفهم. والعكس هو الصحيح، إذ أن الأسلوب في البحث والدراسة كان وما زال هو الأسلوب السلبي في الحوار مع الآخر. وقد أعتاد بعض الأكاديميين المتشددين والباحثين السلفيين والباحثين أصحاب النزعات الضيقة في العراق والسعودية مثلاً السعي إلى تقويض أي مشروع حواري يدعو إلى تبني عناصر الحوار العقلاني، والتعامل مع المستشرقين والمبشرين منهم. وهؤلاء هم (الآخر) بالنسبة إلينا، لأسباب عديدة من أهمها الأسباب المألوفة التي أعتدنا على سماعها وقراءتها باستمرار بأن المستشرقين كفار ومبشرون يعملون بجديّة من

أجل التبشير والدعوة لدينهم، أو للطعن بالدين الإسلامي ومبادئه والطعن بالسيرة النبوية وبرسول الله، أو أنهم جميعاً أدوات مرتبطة بالمخابرات تعمل لخدمة أهداف الأجانب والمستعمرين وما إلى ذلك من أسباب ودوافع؛ علينا أن نعترف بوجودها في مؤلفات الكثير من المستشرقين ولكن من الخطأ الفادح أن نعممها أولاً أو نرفضها بالمرة ثانياً، ولماذا هذا الرفض، وبإمكاننا مناقشتها وتصحيح منهجها ونتائجها وهذا ما يقوم به الآن عدد من الباحثين الإيرانيين في خارج إيران وداخلها في الكتابة باللغات الأجنبية عن التشيع وعن عقائد الشيعة الأساس التي أضحت محطة ومصدرا أساسا لدراسات المستشرقين. لاسيما تلك الدراسات التي لم تتبع منهجاً علمياً إنما همّها الوحيد الإساءة والتحريف مدفوعة بدافع البغض والكره. كالموقف الذي وقفه هنري لامانس Lammens من الإمام علي وفاطمة الزهراء والإمامين الحسن والحسين في كتبه وبحوثه في دائرة المعارف الإسلامية الطبعة القديمة.

فهذا العدد من الأكاديميين والباحثين المتزمتين في رفضهم الاستشراق دون وعي حصيف، وتحقق علمي إنما يتخذون هذا الموقف لبناء حال من القطيعة لا غير، وعليهم أن لا يسدّوا آذانهم بهدف عدم الاستماع أو عدم قراءة آرائهم وتفسيراتهم ورفضها مباشرة دون حجاج وعرض علمي وتحليلي للرواية التاريخية. وهذا منهج نعتقد أنه سيعمل كثيراً على التأثير في آراء المستشرقين أو المستغربين من الباحثين العرب والمسلمين، ممن تبنى وما زال يتبنى آراءً ومبان فكرية هي أشد جرأة وخطراً وأشد تعسفاً على الإسلام ومبادئه وعلى النبي، فيعدّلوا من تلك التفسيرات أو يخففوا من

غلواء أحقادهم وآرائهم وتجنياتهم. وهنا لابد من الإشارة إلى أن عدداً من المستشرقين المرموقين قد اعتنق الدين الإسلامي في تاريخنا المعاصر، وهذا يرجع إلى أنهم ربما بدّلوا من مواقفهم وصاروا أكثر استعداداً لتفهم حقيقي وصحيح للإسلام وللعقيدة الإسلامية.

هذا العامل، عامل الاستجابة من أجل التأثير في آراء المستشرقين أو التعديل من تفسيراتهم هو الذي حدا بالمستشرق الاسكتلندي المتخصص في موضوع السيرة النبوية الشريفة وحياة النبي مونتغومري وات W. Montegomery Watt على أن يعرض في كتبه (محمد في مكة) و(محمد في المدينة) وهما كتابان قد ترجما إلى اللغة العربية والفارسية، وكتابه الذي لم يترجم وهو (Mohammad: Prophet and statesman) (محمد النبي ورجل الدولة) رأياً مفاده: إن الغربيين والمستشرقين بودهم أن يتعرفوا على رأي إسلامي علمي مستند إلى منهج بحث علمي بخصوص عصر الرسالة عموماً وبشأن شخصية الرسول وأخلاقه وشمائله، وأن يكون رأيا يمكنهم كغربيين تفهمه والركون إليه[(١)]. ويوجه في مجال آخر دعوة أخرى مفادها «المسلمون، على أية حال يزعمون أن محمداً يعدّ أانموذجاً في الأخلاق والسلوك القويمين، وهو أنموذج للبشرية جمعاء... مع أن العالم صار بشكل متزايد عالماً واحداً غير أن المسلمين لم يقدموا شيئاً لإثارة الاهتمام بأتّباع هذا النموذج

(١) Montegomery Watt: Mohammad: Prophet and Statesman (London , new work 1961) p. 235 - 36.

الأخلاقي»[1]، وهاتان دعوتان لكي يتحفز الباحث المسلم إلى أن يقنع العالم بشخصية النبي وأخلاقه وشمائله، وأنه كما قال الله تعالى في محكم كتابه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]. وبذلك يفلح المسلمون في تعديل الصورة تلك الصورة غير الحقيقية عن رسول الأمة في الغرب التي أخذت تؤثر على البسطاء والحاقدين فيصورون رسول الله بمثل ما عكسته الصور الكاريكتورية والمقالات الصحفية الأوربية وهي متأثرة بما تسمعه وتراه من تطرف وهمجية سلفية في التعامل بين المسلمين أنفسهم. مع أن هؤلاء الإرهابيين والمتحجرة عقولهم لا يمتّون إلى الإسلام الصحيح وإلى رسالة نبي الأمة الصادقة. أقول إن الأوان يدعونا بالفعل إلى أن يندفع الباحثون المسلمون بجديّة للنفاذ إلى العقلية الغربية وأن يفلحوا في اتّباع طرق شتى أهما التأليف باللغات الأجنبية أو العمل على ترجمة المؤلفات القيمة والكتب المعرفية المهمة والعمل على تأليف (دوائر إسلامية وحضارية)، والأهم من ذلك السعي إلى مواصلة التعامل مع المستشرقين والمحاججة معهم من خلال الندوات والمؤتمرات واللقاءات لا أن يغلق الباحثون المسلمون آذانهم ويرفضوا آرائهم مباشرة وبشكل مطلق كما هو شأن الكثير من الباحثين السلفيين. فنحن المسلمون أحوج إلى أن لا نفوت الفرص أمام المستشرقين عامة وأمام أولئك المتحجرة أفكارهم وأن ندخل في حوارات متواصلة لعرض تجاربنا ومناهج تدويننا التاريخية بلغة يفهمونها ويقرأونها. إن موقفاً كالذي وقفه المستشرق الإيطالي فرانشسكو

---

(١) Ibid. P. 235.

غبريلي، المعروف بموضوعيته العلمية، من إجراءات رسول الله إزاء يهود المدينة وبالأخص إجراءاته ضد يهود بني قريظة[1]، فقد عدّها هذا المستشرق إجراءات قاسية وغير إنسانية؛ فعلينا الردّ على موقفه بإجراء تحليل دقيق للرواية التاريخية الإسلامية باعتبارها أموية أو عباسية في تدوينها. وبما هو متعلق بالسيرة النبوية ورواية مغازي رسول الله، أنها الرواية السائدة وهي رواية محمد بن اسحق التي شذبها وربما حرّفها محمد بن عبد الملك بن هشام وذلك لأنه اعتمد رواية لراوية واحد هو زياد بن عبد الله البكائي دون غيره من رواة ابن اسحاق. والمفروض العمل على جمع الروايات الإسلامية عن هذا الحادث لتوضيح أصول الرواية أو الاختلافات أو التعديلات أو التكييفات التي طرأت عليها بفعل ما أداه الرواة المتأخرون عن الجيل الأول لهذه الرواية، فلعلنا نجد أن الرواية هي في الأصل مبالغ بها وبذلك بإمكاننا عندئذ محاججة المستشرق غبريلي وغيره بشأن الإجراءات السياسية والعسكرية في عصر الرسالة، لاسيما بخصوص تهجير يهود بني قريضة دون إغفال الإجراءات التعسفية البشعة التي تمارسها إسرائيل في تهجير يومي وسلب أموال الفلسطينيين ونسف وتدمير منازلهم ومزارعهم تدميراً كاملاً بحجج واهية، وما تمارسه أمريكا من إجراءات غير إنسانية ضد البشرية جمعاء بافتعالها الحروب التدميرية ضد من يعارض سياستها، وما

---

(١) Gabreile. Francesco: Muhammad and the Islamic Conquests (London 1968) p. 101.

وقد ترجمته وهو الآن تحت الطبع..

تقوم بها الآلة العسكرية الأمريكية من قتل وسجن وتعذيب، وتهديم للمعالم الحضارية الإنسانية ومعالم الحضارة الإسلامية في أفغانستان والعراق. وعلينا تسليط الضوء على ميثاق (الوثيقة) التي عقدها رسول الله في المدينة مع أهالي يثرب والتركيز على الجوانب القانونية المتعلقة ببنود الأحلاف والمواثيق والمعاهدات وضرورة تقيد الأطراف المتعاهدة بهذه البنود وأن أي خلل أو خروج على تلك البنود يؤدي لا محال إلى خروج المخلّ على الطرف المتعاهد معه؛ إلى غير ذلك من الموضوعات التي ركزّ عليها المستشرقون وهم يعتمدون على الرواية التاريخية المألوفة في مصادرنا التي تزودهم بالفرص المناسبة لمثل هذه التفسيرات، والواقع أن رواياتنا بحاجة إلى إعادة قراءة ومتابعة جدية بغية رصد الروايات الأخرى لأغراض المقايسة والموازنة للوصول إلى هدف الإنفتاح على المستشرقين ومحاججتهم، على وفق منهج علمي من أجل تعديل مباني آرائهم وتعديل تجنيّاتهم على الإسلام.

وهناك مسألة مهمة جداً في دراساتنا عن الاستشراق والمستشرقين على الرغم من مواقف بعضهم المسيئة والمتشنجة ضد الإسلام عامة، وضد سيد الأنام محمد بشكل خاص، وهذه المسألة تتمثل بأن الشيعة ينطلقون من فلسفة أئمتهم في التعامل مع الآخر والتحاور معهم وهي الفلسفة والمنهج المعتمد على فكر الانفتاح وعدم غلق الأبواب تماماً أمام الآخرين المختلف معهم، أو مع أعدائهم، فكان الأئمة أنموذجا حيّاً في التسامح وتقبّل الآراء المعارضة من أعدائهم، وكانوا أسوة حسنة نقتدي بهم في محاججة

الأعداء سواء كان هؤلاء الأعداءَ في الدين أم في المذهب أم في المعتقد. وما المواقف التي تبناها جدّهم النبي والإمام علي وأبناءه من بعده عليهم جميعاً سلام الله مع المنافقين والناكثين والخوارج واليهود والنصارى والمجوس والغلاة إلا تعبيراً صريحاً على أتساع أفقهم وعلمهم وفكرهم وعلى أتساع صدورهم في اعتماد أساليب الحجاج والمناقشة، وكانوا في الكثير جداً من حالات المحاججة يخرجون منتصرين على خصومهم فما يبقى أمام الخصوم إلا التراجع عن آرائهم أو الاضطرار إلى تبديلها أو تبديل مذاهبهم فيوالون الأئمة، إذا ما تعذر عليهم المواصلة والاستمرار في المحاججة فيضطرون إلى الانسحاب من ميدان المناقشة معترفين بخطأ معتقداتهم ومواقفهم. لذلك نرى أن الإمام في جميع الحالات أفلح في تحقيق هدفه السامي في الإعلان عن التشيع القويم العرفاني والروحي المدعوم بالاجتهاد والعقلانية. وهناك في تاريخنا المعاصر أمثلة غير محددة عن حوارات ومناقشات جمعت بين علماء في مختلف المذاهب، أو جمعتهم مع مستشرقين كانت نتيجتها رائعة، إما الإستبصار أو التحول إلى الإسلام الحنيف.

ولذلك نرى لا مندوحة من الكتابة عن الاستشراق والمستشرقين، من أجل الاستماع إليهم وقراءة أفكارهم والمحاججة معهم.

وعلينا الاعتراف بأن المستشرق أجنبي عنّا، وهو غربي في عقليته وثقافته وقيمه، وأنه غير مسلم، وأنه قد أفنى الكثير من سنوات عمره يتعلم اللغة العربية أو الفارسية أو التركية أو الأردية لقراءة المصادر الإسلامية - وإن كان عدد منهم قد يخطأ في فهم

نصوص المصادر الأصلية - والمستشرق ربما يكون مبشراً متزمتاً أو مبشراً متفتحاً، ولاسيما بالنسبة إلى أولئك الذين يقرأون المصادر الإسلامية بلغتها والذين لا يركنون بشكل تام إلى الأفكار الجاهزة المؤلفة من قبل غيرهم من المستشرقين، والمستشرق ربما يكون علمانياً في تفكيره ولا يعترف بأي دين، وربما يكون أداة استخباراتية للبلاد التي ينتمي إليها أو قد يكون سياسياً مؤمناً بالمذهب الرأسمالي أو الشيوعي أو قد يكون مستقلاً في رأيه السياسي، وقد يكون عالماً أثرياً أو باحثاً متجرداً همّه الأساس السعي إلى فهم أفضل للحضارات من غير حضارته أو إلى متابعة تاريخ أمة غير أمتّه، وقد يكون عالماً مشهوراً لكنه منقاد إلى طائفته أو دينه أو سياسة بلاده. كذلك المستشرق قد يكون خاضعاً لرغباته وتطلعاته فيصبح عبداً لنزعاته الشخصية ومصالحه، وعندئذ يسيّر الروايات التاريخية بحسب تلك المصالح، وبالأخص المصالح السياسية أو لنكن أكثر مباشرة الاستعمارية، والمستشرق قد يكون مثقفاً محباً للإطلاع على ديننا الإسلامي وتراثه وعلى الأديان والثقافات الأخرى. وخلاصة الأمر فإنه من الإجحاف أعمام النعوت والصفات والدوافع والنزعات مع أنها أوصاف تعبر بحق عن موقف بحثي. كذلك فمن الإجحاف ترك آراء المستشرقين وأعداء الإسلام تمرَّ علينا حتى تصبح بمرور الزمن وكأنها حقيقة ووثيقة تاريخية نعتمدها دون استجابة. وأقول ثانية إن هناك نخبة من المستشرقين بفعل عوامل فكرية شتى قد مالوا إلى الإسلام وغيّروا من مواقفهم السلبية في مؤلفاتهم ولحسن إصغائهم للمناقشات والمحاججات العلمية البناءة نظير بكثال مارمدوك الذي اشتهر بكتاباته في النشرات

والمجلات Marmaduke Pickthal وترجم القرآن الكريم بعنوان (معاني القرآن العظيم) (The meaning of the Glorious Koran).

إذن ليس من المبالغة أن نختزل نوازع وأهداف الحركة الاستشراقية بنازع، أو دافع واحد أو دافعين، فالمستشرقون حينما عقدوا مؤتمرهم الأول في باريس عام ١٨٧٣، لم يكونوا من شريحة واحدة أو مذهب ديني أو سياسي واحد، بل جمع هذا المؤتمر العلماء الأوربيين وغيرهم، ممن أولوا التراث الإسلامي والحضارة الإسلامية اهتماماً ملحوظاً سواء كان منهم المدفوع بدافع تبشيري، أو الآخر المهتم بدافع حب الاستطلاع أو الثالث المدفوع بحبه واهتمامه بتاريخ الشرق، أو تاريخ العرب والمسلمين وهكذا.

كذلك علينا عدم تجاهل موضوع مهم جداً كان مدار النقاش والجدال بين جموع المستشرقين ألا وهو الوسائل التي يفلحوا فيها أو يسهل عليهم بوساطتها التعرف على الشرق عموماً، واعني هنا المصادر. إذ لاشك في وجود أبحاث عن مخطوطات نادرة من الضروري تحقيقها، أو تشخيص ميادين أخرى غير الميدان الديني والسياسي كمحاولتهم التعرف على مدى اهتمام المسلمين بالعلم وفيما إذا كانت العلوم الإسلامية علوماً مستقلة عن العلوم في الحضارات الإنسانية الأخرى، كالحضارة اليونانية والرومانية أم انها علوم قلّدت أو حاكت عبر ترجمة شاملة لمؤلفات أرسطو وأفلاطون وجالينوس وغيرهم من علماء الإنسانية القدامى، أم أن علماء المسلمين حاولوا ونجحوا أم فشلوا في إجراء عملية تلاقح حضاري بين العلوم وبين ما جاء به الإسلام ممارسة وعملاً. كذلك مما لا شك فيه أنهم عرضوا بحوثاً عن السمات الأساس للحضارة

الإسلامية في الفقه والشريعة والقانون والسياسة المدنية وشخصوا المؤلفات المهمة في هذه المواضيع واتجهوا أو رشحوا تحقيقها. في الوقت نفسه لابد أنهم تعرضوا لمسائل العقل والكلام ومدى مساهمة العلماء المسلمين بالفلسفة والمنطق والكلام، وفيما إذا كان فلاسفة الإسلام مبدعين وأصليين في رؤاهم وتفسيراتهم العقلية وهم يعتمدون الأصل الإسلامي الأساس للقرآن الكريم، أم أنهم أعادوا حرفياً مواقف أرسطو وأفلاطون وأفلوطين في صفات الله تعالى وفي واجب الوجود وفي الجوهر وفي الذرة وفي خلق الإنسان والوجود. هذه جميعاً وغيرها واضح معروف لا حاجة إلى ذكره، وكانت بالتأكيد من الأمور التي ناقشها المؤتمرون، وتعرضوا لها وتوصلوا إلى نتائج علمية نظرية ومدونة عبر مئة مؤتمر وعبر قرن من الزمان. ولا يعقل أبداً أنهم في هذه المؤتمرات وفي نتائجها المتعلقة بمؤلفاتهم وتصنيفاتهم وتحقيقاتهم كانوا مهتمين بالجانب التبشيري وحده أو الجانب الاستعماري وحده دون غيره. لهذا فإن اندفاعهم لدارسة التشيع وأهل البيت سواء تلك الدراسات التي اختصت بأبي أهل البيت الرسول الكريم وأئمة أهل البيت الأطهار يقع ضمن هذا التصور في بدايات اهتمامات المستشرقين، وهو دون شك، قد خضع لمؤثرات ودوافع عدة مسايرة للدوافع والنوازع التي دفعت المستشرقين عموماً إلى أن يكرّسوا دراساتهم ونشاطاتهم وأن يبذلوا الجهود المضنية لمتابعة المنابع التي يستقون منها معلوماتهم فهذا هو المستشرق البريطاني دونالدسون المبشر الذي قضى سنينا من حياته العلمية ليؤلف أطروحة دكتوراه بعنوان العقيدة الشيعية في إيران والعراق. فهل اندفع بدافع تبشيري فقط؟ قد يكون الجواب كذلك

ولكنه قد قدّم خدمة كبيرة للقارىء الشيعي وغير الشيعي العربي والمسلم عن المنابع الأساس في التدوين والكتابة عن التشيع في أوائل سنة ١٩٣٠؛ في الوقت الذي لم يظهر عالم شيعي أو مسلم يتناول هذا الموضوع بأسلوب وصفي تارة وتحليلي تارة أخرى معتمداً في الأساس على المؤلفات الشيعية الأربعة وغيرها مما لم يكن مسموحاً في العالم الإسلامي غير الشيعي التطرق إليها أو بالأحرى ذكرها. والمستشرق دونالدسون قد أثار جانباً مهماً في دراسة التشيع ألا وهو نقده الرواية السنية المألوفة التي جانبت الحقيقة في أصل التشيع عقيدة وحركة سياسية كالذي جاءت عند ابن حزم الظاهري مثلاً. ولم يعتمد على روايات ابن هشام وابن سعد وابن حزم الأندلسي عند كتابته عن أحداث سقيفة بني ساعدة وبالصيغة المألوفة إنما تابع المرويات عن مواقف بني هاشم وعلى رأسهم الإمام علي من الأسلوب الذي تم في البيعة إلى خلافة رسول الله.

حقيقة أن المستشرقين عموماً، عدا أولئك الذين سيّرت مؤلفاتهم منذ البداية نوازع دينية حاقدة تبشيرية وغير تبشيرية، كالموقف الذي وقفه المبشر لامانس من أهل البيت عموماً بدءاً برسول الله ومروراً بالإمام علي وفاطمة الزهراء وبنيها ذلك الموقف الحاقد والطاعن، فلامانس في هذا الموقف لم يكن منطلقاً بالأساس من موقف تبشيري لماذا؟ لأنه ألف كتاباً عن معاوية بن أبي سفيان وآخر عن ابنه يزيد فكان ميالاً إليهما ومادحاً بإطراء يزيد قبالة حقده وبغضه للإمامين الحسن والحسين إنه مستشرق مبشر لكنه مبغض وحاقد بالدرجة الأولى. فالمستشرقون عموماً لم يكتفوا بدراسة الحالات الواضحة من تاريخنا بل تشعبوا في البحث عن

دقائق الأحداث التاريخية بشأن المجالات التي جذبت اهتماماتهم أو بالأحرى تلك المواضيع التي كانت ترتبط بتوجهاتهم أكثر من غيرها.

وقد أثارت هذه الدراسات العميقة والدقيقة لأحداث التاريخ الإسلامي وحضارته من حفيظة عدد غير قليل من الباحثين العرب والمسلمين منذ أوائل خمسينيات القرن العشرين، لأن يحصّنوا أنفسهم والردّ عليها. عندئذ فقط بدأ التفكير في ماهية الدوافع التي دفعت بهؤلاء الأجانب منذ منتصف القرن التاسع عشر إلى البحث ودراسة وتحقيق ونشر الدراسات والكتب عن تاريخنا. فصار ما يعرف الآن موضوع دوافع المستشرقين هو الشغل الشاغل في ردّ فعلنا إزاء ما حققه الأجانب في هذا المجال، كذلك فإن القارئ لا يجد في أي كتاب كتبه باحث عربي عن الحركة الاستشراقية إلا وخصّص الحيّز الأكبر منه على الدوافع هذه أو بالأخص على أهمها أي الدافع التبشيري والدافع الاستعماري أو التركيز على تحديد من هو المستشرق الحاقد والمسيء ومن هو المستشرق غير المتحامل وغير المتعصب. ومضوا في سعيهم لصنع لوائح بأسماء المستشرقين غير المتحاملين وغير المتعصبين، وعلى صنع لوائح بأسماء المستشرقين في القائمة السوداء وأسماء آخرين تضمنتهم القائمة البيضاء وهكذا..

ومما لاشك فيه أن هناك نوازعاً شخصية أو عامة أو وجود علاقة مسحية معلوماتية عن الشرق بالنسبة إلى الدولة التي ينتمي إليها هذا المستشرق أو ذاك، فهي نزعة ليست محددة بالمستشرق إنما عامة عند الجميع حتى بالنسبة إلينا حينما نبغي الكتابة عن بلد أجنبي

مستعمر لبلادنا أو غير مستعمر فإننا ننظر إلى أحداثه نظرة مدفوعة بنازع أو أكثر من النوازع التي تسيّرنا وتدفعنا إلى التحري عن مواطن الضعف أو المواطن التي تشير إلى حال الانفصال بين الدين والسياسة أو ما إلى ذلك. ولنأخذ الرحلة التي قام بها سلام الترجمان في سنة ٣٠٩هـ زمن الخليفة العباسي المقتدر بالله إلى بلاد الخزر والصقالبة لنرى الأوصاف السلبية التي وصف بها سلام الترجمان قبائل الترك وعادات الصقالبة الاجتماعية كالإباحية والاستهتار في القيم مع أن ملكهم قد أعلن الإسلام. ولنأخذ أوصاف أي من طلبة العلم والرحال من العرب والمسلمين لبلدان أوربية وإن كانوا سوّاحاً فهي تعكس تفكك هذه المجتمعات وتحللها وأحياناً عدم إيمانها برغم تدينها بالمسيحية. . . الخ.

والحركة الاستشراقية منذ بداية نشاطها ليست استثناء من ذلك، إذ يجد المرء أن اتجاهاتها وتوجهاتها قد تحددّت وتركزت في الفترة التاريخية التي بدأ فيها الغرب يفكر ويخطط في الشرق تفكيرياً استعلائيا حضارياً أو تخطيطياً استعمارياً اقتصادياً وجيوبوليتكيا في السيطرة والاستحواذ. وكان الغرب المسيحي في القرن الثامن عشر فصاعداً غرباً توسعياً نحو الخارج بهدف غزوه وغزو أسواقه بفرض تسويق إنتاجاته وصناعاته. بينما كان الغرب المسيحي إبان عصور الكنيسة والحروب الصليبية وبعد فشلها خاض حرباً دفاعية، بمعنى الدفاع عن المسيحية إزاء تقدم الإسلام، والدفاع عن الأراضي حول حوض البحر المتوسط بعد عمليات التراجع عن بلاد الشام ومصر وشمال أفريقيا أمام تقدم الفتوحات الإسلامية وكذلك للدفاع عن الأراضي بعد نجاح عملية الاسترداد Reconquesta. فالغرب

المسيحي (وإن كان في الظاهر) اندفع بعد عصر الاستكشافات الجغرافية وأبان عصر النهضة بدوافع اقتصادية أولاً واستكشافية ثانية واستيلائية إلى درجة ملحوظة في التوجه إلى الشرق العربي وإلى المنطقة العربية من أجل الكشف عن المواضع التي تهمه والتي تسد احتياجاته في السيطرة على منابع الثروات فيه واستثمارها تماماً كما هو واقع الآن في القرن الواحد والعشرين عبر الحروب التي أججّتها أمريكا في الشرق العربي والإسلامي بدوافع اقتصادية واستثمارية واستحواذية واستراتيجية.

فمنطقة الشرق الأوسط شهدت منذ نهاية القرن التاسع عشر حتى الربع الأول من القرن العشرين تصارعاً وتنافساً حاداً بين الدول الغربية نفسها بهدف الهيمنة والحصول على أكبر حصة ممكنة منها حلّا للمسألة التي عرفت بالمسألة الشرقية أو أراضي وممتلكات الرجل المريض. فمن جهة كان هناك تصارع محتدم بين ألمانيا وبريطانيا بشأن مشروع بناء سكة حديد برلين - بغداد، ومن جهة ثانية في هذه الفترة، فترة الصراعات والمنافسات، ظهرت الحاجة الماسة لكل من هذه الدول في معرفة البلاد معرفة مفصلة تاريخية ودينية (مذهبية) واقتصادية وعلمية وأثرية أي المعالم الحضارية والتاريخية.. الخ) والسياحية. عندئذ توجّهت أقلام الكتّاب والعلماء الغربيين نحو تهيئة مثل هذه المعلومات والتحريات عن الأحوال الدينية والاجتماعية والقبلية والسياسية والإثنولوجية. وهنا نجد أيضاً حال من التنافس والتسابق بين علماء الدول المتصارعة بغية التوصل إلى معلومات غنية وتفصيلية لوضعها على طاولة الساسة للانتفاع منها في رسم المشاريع السياسية والاستراتيجية، فهذا

الدبلوماسي الفرنسي جوزيف آرثر كومت دي جوبينو de Gobineau الذي خدم الدبلوماسية الفرنسية في طهران ما بين ١٨٥٢و ١٨٥٨ ثم عيّن مرة أخرى في إيران فبقي من ١٨٦١-١٨٦٣ . وإليه يعد الفضل في الوصول إلى نظرية الفوارق الجنسية Race كما يذكر المستشرق الإسرائيلي Kohlberg . وبخصوص موضوع بحثنا فإن (جوبينو) أولى أهمية خاصة بشأن الانقسام في صفوف المذهب الشيعي، ولاسيما بالنسبة إلى الأخباريين والأصوليين والخلافات المذهبية بينهم. وقدّم وصفاً مسهبا للتعازي (مفردها تعزية) التي يعقدها الشيعة في إيران في محرم وعاشوراء الإمام الحسين فدوّنها في كتاب له نشر في باريس عام ١٩٠٠ بعنوان الأديان والفلسفات في آسيا الوسطى. وجوبينو قدّم فرضية صارت مثاراً للنقاش بين العلماء الإيرانيين بقوله ذلك الذي تبناه أيضاً المستشرق البريطاني أدوارد براون Browne، ومفاده أن التشيع في إيران ما هو إلا نسخة مطابقة - لكن بعرض جديد للديانة الساسانية - وإن هذا الاتجاه في حقيقته رد فعل ليظهر الإيرانيون موقفاً معارضاً من الاحتلال العربي لبلادهم في أثناء الفتوحات الإسلامية (هذا الرأي قد كرّره المستشرق برنارد لويس وهو بكل تأكيد بحاجة إلى ردّ كما ذكر آنفا). فالدبلوماسي المستشرق جوبينو قد زوّد بلاده التي دخلت هي الأخرى حلبة الصراع في الشرق بينها وبين الهولنديين في منطقة الخليج خاصة. ولا شك في أنها انتفعت من هذه الدراسة الشاملة في النصف الأول من القرن التاسع عشر وذلك لإبراز العلاقة بين التشيع في إيران والقومية الفارسية. وتقريباً في الحقبة نفسها التاريخية كان كل من المستشرقين البريطانيين أدوارد براون ونيكلسون يعكفان على دراسة

تاريخ الأدب الفارسي الذي وضعه المستشرق الأول بأربعة أجزاء وخصّص الكثير منه لموضوع التشيع والمؤلفات الشيعية؛ وألف الثاني تاريخ الأدب العربي[1]. وأن البروفسور أدوارد براون فضلاً عن هذا أنتج عدداً من الدراسات والتحقيقات المهمة عن بعض الفرق التي خرجت عن الخط الإمامي الإثني عشري في إيران نظير: موارد لدراسة الدين البابي وقد نشرها سنة ١٩١٨، ودراسة أخرى أنجزها بعنوان (قصة رحال ألفت عن حادثة الباب) ونشرها في كمبردج عام ١٨٩١[2]. في حين توجه نيكلسون إلى دراسة التصوف فألف كتابين الأول عن التصوف الإسلامي، نشره في لندن عام ١٩١٤ والثاني دراسات في التصوف الإسلامي ونشره في كمبردج عام١٩٢١[3].

وكان المستشرق براون قد أعلن منذ ١٩٢٤م بأن المستشرقين عامة تنقصهم دراسة أو دراسات موثوقة وعلمية عن الشيعة والعقيدة الشيعية بلغات أوربية، وقد دوّن هذا التصريح في كتابه (الأدب الفارسي في العصور الحديثة). وهذا هو المستشرق الألماني فلهاوزن المعروف بنظريته عن المعارضة الإسلامية ضد الأمويين وبتركيزه على دور البدو يؤلف في عام ١٨٩٩ دراسة عن أصول التشيع: دراسة حول البحث العلمي الغربي عن التشيع، وطبعه في

(١) Nicholson R. G. . A literary history of Arabs (two Ediltions the Second 1930).

(٢) Browne. : Materials for the study of the Babi Religian (London 1918), A Travellers.

(٣) Narrative written to illustrate the Episode the Bab (Cambride 1891).

برلين[١]. كذلك اعتمد المستشرق الألماني الآخر المعروف فستنفلد الذي حقّق عدة إنجازات منها اعتماده على كتاب أبي مخنف (مقتل الحسين) فحققه وترجمه وعرض في مقدمتة مقدمة قيمة عن أصل الكتاب ومدى الوثوق به؛ وكذلك قدم عدة أمور عن العقيدة الشيعية[٢].

وفي الوقت نفسه فإن هذا التصارع الدولي على إحراز المكاسب السياسية والاستراتيجية والاقتصادية قد نشّط عملية أخرى فضلاً عن تأليف التقارير والبحوث والدراسات ألا وهي عملية إرسال البعثات التنقيبية للبحث عن المعالم الأثرية المهمة في البلدان التي شملتها خارطة الشرق الأوسط.

والبعثات التنقيبية عن الآثار الحضارية في وادي الرافدين ووادي النيل ووادي السند والحضارة الفارسية القديمة واكتشفوا اكتشافات باهرة من إسهامات شعوب الشرق الأوسط الحضارية التي سبقت بكثير إسهامات الغربيين في الحضارات اليونانية والرومانية. كانت البعثات التنقيبية مهمة بالنسبة إلى بلدان الشرق لأن شعوبها آنذاك لم يتوجهوا إلى آثارهم ومخلفات حضاراتهم وإنجازات شعوبهم القديمة. فما أن جاء الغربيون حتى أزاحوا الستار عن ذلك الإرث الحضاري الضخم. ورب سائل يقول ما الفوائد التي جناها العلماء الأوربيون الغربيون؟ أنها كثيرة جدا وأصيلة جداً إذ نقلوا إلى متاحف بلدانهم أرقى اللوحات والآثار الضخمة والأختام

---

(١) ترجم من الألمانية وطبع في برلين ١٨٥٥ Willihausen: The Origins of Shiism .

(٢) Wustenfield: J. Der Tod des Husein ben ali and die Rach (Collingen 1883).

الأسطوانية المهمة فأضحت متاحف اللوفر والمتحف البريطاني ومتاحف ألمانيا وفرنسا وغيرها تضم عينات نادرة جداً حصل عليها الأثريون ونقلوها إلى بلدانهم؛ ، وهي كذلك مفيدة جداً للساسة وهم ينشدون معرفة الأصول الحضارية لهذه البلدان، فهذا المستشرق دوايت دونالدسون Donaldson كتب بحثا مهما له طابع أثري عن المحاريب المهمة في الحرم في مشهد(١)، ونشره في عام ١٩٣٥. وتناولت الأثرية ريّا شاني في كتابها المتعلق بأثر Gunbad-i Alawiyan- Hamadan أظهرت فيه التنقيبات والآراء الأثرية في هذا الأثر الشيعي من قبل الأثري هرتزفيلد ومainورسكي وولتر(٢). والجدير ملاحظته بأن هناك أعلاماً من الآثاريين والمنقبين ممن كانوا سياسيين في الوقت نفسه نظير: دي بيليه de Bellie ودي فوغو وكان قنصلاً لفرنسا في مدينة حلب وكلرمو الذي كان قنصلاً في القدس ثم نقل إلى الأستانة وبوتي Pauty هو مستشرق معروف في كتاباته عن المدن الإسلامية(٣)، وقد عينته فرنسا في المغرب العربي. وهؤلاء من العلماء الفرنسيين في الآثار والتنقيبات. وهناك لوفتوس G. Loftus من علماء الآثار البريطانيين وهو الذي أشرف على كشف موقع نينوى وعثر هناك على بقايا قصر أشور بانيبال،

---

(١) Donaldson, Dwight "Significant Mihrabs in the Haram of Mashhad " in Ars Islam (2) 1935 pp. 27 - 118.

(٢) Raya Shani: A Monumeutal Manitestation of the Shiite faith in late twelfth Century Iran:

(٣) Pauty;"Villes spontanee et villes crees" in Annales de L- Institut de Etudes Orientales (ix1951).

وقد تم انتخاب لوفتوس عضواً في مجلس العموم البريطاني وعينته حكومته وكيلاً لوزارة الخارجية البريطانية[1]. كذلك علينا ذكر السير هنري كرزويك راولنسون وكان ضابطاً في شركة الهند الشرقية ثم عيّن مندوباً سياسياً في قاندهار[2]، وبعد ذلك تم انتخابه عضواً في مجلس العموم البريطاني. ومن العلماء البريطانيين أيضاً كرزويل K,A. Creswell، الذي التحق بالجيش البريطاني في أثناء الحرب الكونية الأولى[3].

وفي حقبة التصارعات السياسية بين الدول الأجنبية على الهيمنة على الشرق، بدأت الحركات التبشيرية تؤدي دوراً ملحوظا، كالبعثات التبشيرية الفرنسية والبريطانية والأمريكية. وكان دور هذه الحركات مزدوجاً في مجال التبشير وكذلك في المجال السياسي. وقد ورد ذكر عدد من المبشرين الذين انصرفوا إلى تعلم اللغة العربية حديثاً وكتابة، فوظفوا هذه الوسيلة في البحث والكتابة عن عدد من موضوعات التاريخ الإسلامي، وكان أغلب توجهاتهم قد انصرفت نحو دراسة تعاليم الإسلام والقرآن الكريم، والفرق والمذاهب الإسلامية والمسيرة النبوية المطّهرة نظير: الأب جوسين P. A. Jaussen والأب جاك جوميه J. Jomier والأب لويس كارديه[4] L. Cardet وهم من فرنسا والأب المعروف بنشاطاته التبشيرية صموئيل

(١) العقيقي؛ نجيب: المستشرقون ج٢ ص٥٦٥.
(٢) م. ن. جزء ٢ ص٥٦٩.
(٣) م. ن. جزء ٢ص٥٧٠.
(٤) العقيقي؛ نجيب: المستشرقون ج٢، ص١٠٥٢، ١٠٥٦.

زويمر Zewemer الامريكي الذي كان رئيساً للمبشرين في الشرق الأوسط، وفي نهاية القرن التاسع عشر للميلاد، اهتمت أمريكا اهتماماً ملحوظاً في إرسال البعثات التنقيبية والبعثات التبشيرية ففي سنة ١٨٨٩ أرسلت أول بعثة تنقيبية تابعة للمعهد الأثري الأمريكي الذي كان مقرّه في نيويورك واتخذت هذه البعثة مدينة بابل، وأعقبتها في سنة ١٨٨٩ بعثة أخرى اتخذت مدينة نطر واستمرت أمريكا إرسال البعثات التنقيبية إلى العراق، بلاد ما بين النهرين حتى وصلت إلى ثلاثين بعثة ما بين سنة ١٨٨٥-١٩٢١ وحسب ما أورد الدكتور تقي الدباغ أنها نقبت في أربعة عشر موقعاً أثرياً[١]. وواقعاً فأن أمريكا بينما شجعت على جعل الباب مفتوحاً على العمليات التنقيبية وشجعت العلماء على ذلك؛ فإنها من الجانب الآخر موّلت البعثات التبشيرية فقد كان التصور السائد في أمريكا عن الشرق بأنه مهد الحضارة الغربية وأن الشرق عزيز عندهم لأنه مهبط ومنطلق الديانة المسيحية[٢]. والواضح أن الأمريكيين قد التفتوا إلى التبشير وأهميته منذ زمن مبكر يرجع إلى أوائل القرن التاسع عشر وهي حال لعلها ترجع إلى توجههم الديني المسيحي البروتستاني والكاثوليكي أو إلى عنفوان توجههم السياسي الاستعماري بعد تصاعد نفوذ أمريكا السياسي في العالم، وكان الشرق الأوسط المركز الأساس الذي توجهت إليه البعثات التبشيرية الأمريكية انطلاقاً من التصور الذي تم

---

(١) الدباغ؛ د. تقي وآخرون: طرق التنقيبات الأثرية (بغداد، ١٩٨٣) ص٥٠، ٥١، ٥٢.

(٢) فرحات: تاريخ الشعب الأمريكي ص ٢٧٠ أعتماداً على رسالته الاستشراق الأمريكي (تحت أشرافي) جامعة تكريت ص ٤١.

ذكره تواً بأن البلاد تعد مهد الحضارة الغربية ومهد ميلاد المسيح. فوصلت البعثات التبشيرية إلى الموصل والبصرة في العراق وفي سنة ١٨٢٠ وصل إلى بيروت مبشرون أرسلتهم اللجنة الأمريكية للاشراف على الإرساليات الأجنبية واتخذت مالطة مركزاً لأعمالها. ثم نقلت اهتماماتها التبشيرية إلى سوريا في ١٨٢٣، حيث عملت على نقل مطبعة كانوا يطبعون بها منشوراتهم التبشيرية. وأسست اللجنة أول مدرسة أمريكية تبشيرية عام ١٨٣٥ في سوريا بعدها أخذت هذه المدرسة تنمو تدريجياً حتى أضحت من المراكز التعليمية المهمة في الشرق ثم تحولت إلى كلية بعد عقدين من الزمن أي في سنة١٨٦٠ وصارت تعرف بالكلية السورية البروتستانتية، وعيّن المبشر دانيال بلس Daniel Bless أول عميد لها. وتوسع عملها في تأسيس المدارس والمؤسسات التبشيرية في بلاد الشام حتى بلغ عددها في سنة ١٨٦٠ ثلاثاً وثلاثين مدرسة، ضمت حوالي ألف تلميذ.

وحققت هذه اللجنة التبشيرية نجاحات كثيرة، موازية للبعثات التبشيرية الفرنسية، وكان المشرفون عليها أذكياء في إهتبال الفرص السياسية المتذبذبة في بلدان الشرق الأوسط، فتأسست مدارس في مصر وفلسطين والعراق وتركيا وإيران؛ وأسست كليات للتعليم العالي في جامعة بيروت والقاهرة، وكلية روبرت في اسطنبول وكلية في طهران. ونشطت البعثات الأمريكية التبشيرية في العمل التبشيري في شمال العراق إذ يؤلف الآشوريون والأرمن نسبة عالية من السكان، واستثمرت مؤسسة التبشير الأمريكية فرصة اعتراف الإمبراطورية العثمانية في سنة ١٨٤٨ بالبروتستانت ونشاطاتهم، فتوافد المبشرون الأمريكان على مدينة الموصل وتأسست البعثة

التبشيرية العربية Arabian Mission في البصرة عام ١٨٩١ مستفيدين من موقع البصرة الجغرافي، ومن وجود قنصلية أمريكية فيها. ونحن أهالي البصرة نتذكر دائماً نشاط هذه المؤسسة الأمريكية التبشيرية إذ كانت ترحب بالشباب المسلم في المدرسة وتوزع عليهم الكتاب المقدس بطبعته الجميلة[١]. كان صموئيل زويمر وهو تلميذ للمستشرق لانسنغ Lansing الذي كان يعمل أستاذًا للغة العربية في معهد اللاهوت للكنيسة الإصلاحية الهولندية[٢]، وله مؤلفاته عديدة منها كتابه الجزيرة العربية مهد الإسلام طبعه في نيويورك ١٩٠٠[٣]. وصار زويمر من المستشرقين المبشرين المؤثرين على الاستشراق الأمريكي، فقد تأثر به المستشرق كالفرلي أدوين مؤلف كتاب سيرة محمد سنة طبعه في سنة ١٩٣٦ E. E Calverley، لاسيما أراء زويمر بأن رسول الله ما هو إلا صاحب بدعة (حاشاه الله) وخارج على الكنيسة المسيحية[٤]. ويذكر الدكتور التميمي بخصوص العلاقة بين

---

(١) ينظر

De Novo John: American interests and politics in the Middle East (Minneapolic 1963) P. 14, Layard, A. H Discoveries in Nineveh ad Babylon (London 1853) p. 378\379.

(٢) Addison, James: The Christain Approach to the Moslem (NewYork 1942) p. 196.

(٣) العقيقي، المستشرقون ج٣ ص١٣٨ Zewemer. S,M Arabia the Cradle of Isam

(٤) ينظر Calverley. E. ;Review of Zewemer in Moslem World (1952) P. 63 Calverley, E: Review of Zewemer in Moslem World 1952. p. 63 الاستشراق الأمريكي، ص 40.

البعثات التبشيرية الأمريكية وغير الأمريكية وبين النشاطات السياسية لممثلي هذه البعثات ما نصّه (صحيح أن نشاط الإرساليات متمركز على النشاط الطبي والتعليمي والديني ولكن أيضاً كان له نشاط سياسي. لقد أصبح المبشرون حملة ثقافة غربية إمبريالية يبشرون بها بالإضافة إلى مهمتهم الدينية أو تحت ستار المهمة الدينية)[١].

وفي هذا الجانب لا ريب في أن الإرساليات العلمية كالبعثات الطبية الاستطلاعية هي الأخرى مرتبطة بشكل أو بآخر بالبعثات التبشيرية؛ وكانت أيضاً تقدم للساسة معلومات في الميادين الاجتماعية والصحية، فهي من الجانب الإيجابي قدّمت خلال تجوالها الخدمات الطبية لأهالي المناطق بهدف كسب ودّهم وثقتهم لكنها في الوقت نفسه كانت متورطة في التبشير والسياسة إذ كانت توزع الكتب الدينية التبشيرية فضلاً عن كونها كانت الوسيلة التي بوساطتها يتحسس الساسة ردود فعل الأهالي أو بالأحرى مدى استجاباتهم. ومثال على ذلك التقرير السياسي الذي بعثه الطبيب البريطاني الجراح بول هرزون إلى السلطات البريطانية شارحاً فيه أوضاع المناطق التي كان يعمل بها ومشيرا إلى الكيفية التي ينبغي التعامل بها مع أبناء المنطقة[٢]. ولما كان الحديث على العلامة المميزة بين الاستشراق والتبشير والاستشراق والسياسة فلا مندوحة من الإشارة إلى السياسي الدبلوماسي والمؤرخ البريطاني المعروف

---

(١) التميمي، د. عبد المالك ص٧، مصطفى الخالدي، التبشير والاستعمار في البلاد العربية بيروت، ١٩٥٧، ص ٢٥، ٥٨، ٦١.

(٢) التميمي، التبشير: ص٧.

بكتابه التاريخي The Persian Gulf السير آرنولد ولسون، فإنه قد كتب تقاريراً وكتباً مفصلة عن العديد من الموضوعات التاريخية والسياسية في منطقة الخليج العربي(١). كذلك من الأدلة التي تؤكد تورط البعثات التبشيرية بالأمور السياسية ما ذكره المؤلفان الأمريكيان ديفيد فنّي David H. Finnie في كتابه (التجربة الأمريكية المبكرة في الشرق الأوسط) وجون دي نوفو John A. De Novo في كتابه (المصالح الأمريكية والسياسات الأمريكية في الشرق الأوسط بين ١٩٠٠-١٩٣٩)، إذ أشار الأول منهما إلى أن الإرساليات التبشيرية الأمريكية كانت تختلف عن الإرساليات الأوربية وبالأخص الفرنسية في عدم تورطها في السياسة الخارجية(٢)، ومع هذا فإن البعثات الأمريكية كان لها توجهها السياسي الخاص بها في كونها سياسياً ضد الدولة العثمانية لأن الأمريكان كانوا يعتقدون بأن الحكم التركي العثماني يشكّل عقبة في طريق عملهم التبشيري(٣). أما دي نوفو فإنه يقدّم تفصيلات مهمة بشأن المجالات التي تتمثل فيها المصالح الأمريكية ويقف على رأسها مجال البعثات التبشيرية

---

(١) فضلاً عن كتابه المذكور (الخليج الفارسي) بالإنجليزية طبعه في أكسفورد ام ١٩٢٨، له أيضاً كتاب ما بين النهرين بين سنتي ١٩١٧-١٩٢٠ (طبع ١٩٢١)، وكتاب بلاد فارس (طبع ١٩٢٢) وكتاب شمال غربي فارس (طبع ١٩٤١) وكتاب شط العرب (طبع ١٩٢٥).

(٢) DAVID H. Finnie: Pioneers East: The Early American experience in the Middle East (Massauchesttes 1967)P. 129. 130.

(٣) David H. Finnie: Pioneers East; The early American experience in the Middle E AST.

MISSIONARIES التي «غالباً ما كانت تطلب مساعدة الحكومة الأمريكية»[1]، وكما تم ذكره أيضاً فإن البعثات التبشيرية الأمريكية كانت بحدود سنة ١٩٠٠ تعمل في خمس مناطق هي: الأناضول وتركيا الأوربية وسورية وفلسطين والخليج.

أما المجال الثاني الذي تتمثل به المصالح الأمريكية فهو البعثات الأثرية التي تركزت كما يذكر دي نوفو في فلسطين ومصر والعراق. كذلك فإن هناك مجالاً ثالثاً للمصالح الأمريكية، يتمثل في تأسيس المدارس والمعاهد والكليات وأما الرابع فيتمثل بالأعمال والصفقات التجارية بما يقال الاستثمارات، والخامس فهو واضح في الزيارات التي تقوم بها الأساطيل الأمريكية[2]. نخلص إلى القول حسب نظر دي نوفو أن الإرساليات التبشيرية كانت تعدّ الوسيلة الأولى التي تمثل المصالح الأمريكية في الشرق الأوسط، وعلى هذا الاعتبار عملت الحكومة الأمريكية أو وزارة خارجيتها State Department على تأسيس شبكات من المحالفات السياسية وهيئات دبلوماسية في الشرق لحماية رعاياها ومصالحها، وكانت البعثات التبشيرية تحصل على مساعدات مالية من الحكومة[3].

إذن فإن البعثات التبشيرية والعمليات التبشيرية التنقيبية فضلاً عن التوجهات العلمية الأخرى والتجارية والاقتصادية وبالأخص منذ الربع الأول من القرن العشرين بعامل ظهور الثروة النفطية أدى إلى

---

(١) Op. Cit. P. 9 - 18s.

(٢) Ibid. Ps. 17.18.

(٣) Ibid. وينظر أيضاً مصطفى الخالدي؛ المصدر السابق صفحات 19، 23، 25.

تصاعد التحركات الأجنبية على الأصعدة المختلفة وأدت بدورها إلى تزايد اهتمامات المؤسسات العلمية كالجامعات في أوربا وأمريكا في الدراسات الشرقية العربية والإسلامية. وبادرت بعض هذه الدول مثل فرنسا وألمانيا وهولندا وبريطانيا وروسيا وأمريكا إلى التركيز على المؤرخين والأدباء وعلماء الآثار والمحققين والمبشرين وحثّهم وتشجيعهم على الدراسة والبحث والتنقيب. مع أن القارئ سوف يستنتج بالتأكيد أن السياسة والتبشير هما الدافعان والمحفزان الأساسان للتوجهات العلمية نحو الشرق. وأن العديد من كتابات ودراسات المستشرقين الأوائل قد قدّمت خدمات كبيرة لتوجيه أو لتطوير سياسة الدول المتنافسة بهدف إحكام سيطرتها السياسية والاقتصادية. فضلاً عن ذلك فإن المستشرقين المتخصصين في الدراسات التاريخية الإسلامية ومن ضمنها التاريخ السياسي والتاريخ الفكري والحضاري ودراسات القرآن الكريم والفقه والحديث والدراسات الإسلامية التراثية هم من اليهود، وكان لبعضهم ارتباطات صهيونية. والملاحظ أن الربع الأخير من القرن العشرين قد شهد تحركاً صهيونياً فعّالاً، لأجل تفعيل أطماع هرتزل وزعماء الصهيونية وسوف نتطرق إلى نشاطات وإسهامات جديرة بالقراءة والتمعن عن عقيدة الشيعة وعن مسائل مهمة كالإمامة والفقه الشيعي وعقيدة المهدي قد أنجزها مستشرقون إسرائيليون وهم يعتمدون على المضان الشيعية الأساس، وأن عدداً غير قليل من أعمالهم قد تم ترجمتها إلى اللغة الفارسية والتركية ولغات أجنبية كالفرنسية والألمانية.

ففي مجال التبشير مثلاً وما قام به هؤلاء من أعمال ومؤلفات

حول التشيع - كما سنرى لاحقاً - فهناك دراسات قديمة تناولت موضوعات مهمة نظير دراسات المستشرق المبشر البريطاني دوايت دونالدسون والمستشرق البريطاني الآخر هوليستر Hollisler إذ ألف الأول كتاباً عن الديانة (عقيدة) الشيعة في إيران والعراق، وكتب أخرى عن الشيعة في الهند، وكتاباً آخر بشأن الشيعة في القارة الآسيوية فضلاً عن الدراسات الكثيرة التي تناولت السيرة النبوية والرسول الكريم.

هل تحفزنا المعلومات السابقة إلى الاستنتاج بأن الحركة الاستشراقية منذ نشوئها ما هي في بعض جوانبها إلا صورة مرتبطة ومتطورة باستمرار بتطور وتغير الخرائط السياسية الأوربية التوسعية، وكذلك بخرائط التبشير الفرنسي والأمريكي والبريطاني؟

الجواب المباشر على هذا التساؤل نعم، آخذين بنظر الاعتبار ملاحظة في غاية الأهمية ألا وهي ضخامة العمل الاستشراقي وأصالته في كثير من مفاصل بحوثهم وتحقيقاتهم ودراساتهم فالدافع السياسي مثلاً لا يتطلب من الأقلام الموجّهة إلا في الكتابة عن أمور لها علاقة بالتركيب الاجتماعي وبما له علاقة بالأحوال الدينية والمذهبية وما له ارتباط تاريخي بهذه المسائل. إذ يلاحظ مثلاً إن المؤلفات والدراسات المركزة عن التشيع والإمامية الاثني عشرية وعن عقيدة المهدي عجل الله فرجه قد تضاعفت كثيراً بعد نجاح الثورة الإسلامية الإيرانية؛ وهذا إن دلَّ على شيء فإنما يدل على دفع سياسي من الدول التي ينتمي إليها هذا المستشرق أو ذاك. لكن أليس من الممكن بل المعقول أن هناك مجالاً لحب الإطلاع عند المستشرقين والمؤلفين الغربيين لمعرفة المذهب الشيعي الذي كانوا

يعتمدون لأجل فهمه على الرواية الأموية والعباسية السائدة إذ كانوا يعتقدون بأنه مذهب هرطقة وبدعة وبعيد عن الإسلام الحنيف كما صوره ابن حزم الظاهري مثلاً بينما أخذوا يدركون إدراكاً حقيقياً وواقعياً بأنه مذهب إسلامي توحيدي، وأن أتباعه هم مسلمون لا كما أشارت إليه كتابات بعض كتب الفرق الإسلامية بل عدد من المؤرخين المسلمين، في إظهار المذهب على أنه خروج عن الإسلام؟ هذه الملاحظة قد توسع الفكرة بأن التعميم السياسي والتبشيري وفي جميع الأحوال ربما يصطدم بحالات صعبة نظير:

١ - تشعب مناهج البحث التاريخ والعلمي في أوربا وأمريكا، ليس بالنسبة إلى التاريخ الشرقي فحسب إنما في جميع العلوم والتواريخ الشرقية منها، والأوربية والأمريكية أيضا.

٢ - تنامي حركة النقد العلمي والجدل العلمي بناء على ما وفرته المصادر الجديدة المكتشفة عن مناحي شتى من التراث العربي والإسلامي أدت بالضرورة إلى دراسة هذا الموضوع أو ذاك وظهور ردّ فعل بدراسة نقدية فيها إضافات واستنتاجات.

٣ - الدراسات والتحقيقات الاستشراقية الكثيرة جداً عن جوانب علمية وفلسفية وفنية بحتة، لا يظهر فيها الدور السلبي للدوافع السياسية والتبشيرية، كالكتابة عن الرياضيات والطب والكيمياء والفيزياء، وعلوم الحياة والنبات والفلك والهندسة والبناء والتكنولوجية، وجوانب اقتصادية دقيقة كالضرائب والتجارة والصناعة والزراعة.

٤ - الانفتاح علمياً على مناهج بحث الآخرين وما توصلت إليه إسهاماتهم لاسيما بالنسبة إلى العلماء والباحثين غير الأوربيين

ولنأخذ مثالاً على ذلك يتعلق بموقف المستشرق مونتغمري وات Watt إذ يقول بشأن الدراسات العربية عن رسول الله ما ترجمته في كتابه الذي لم يترجم بعد وهو Mohammad the Prophet and Statesman.

«المسلمون على أية حال يزعمون بأن محمداً هو نموذج للإنسانية في الأخلاق والسلوك.. وأنه ما زال الأمر مفتوحاً أمامهم اليوم على أن يقدموا للعالم عرضاً كاملاً وموضوعياً عن هذا الأمر فهل يتمكنون من غربلة ما موجود في المصادر عن حياة محمد بهدف اكتشاف المبادئ الأخلاقية وبذلك يقدّموا إسهاما خلاقاً للعالم؟».

W. Montegomery Watt: Mohammad: Prophet and Statesman (1967) p.235.

هذا القول يدل على أن المستشرق وات كان منذ ستينيات القرن العشرين على معرفة بالدراسات العربية والإسلامية عن السيرة النبوية المطّهرة، وأنه يرنو إلى معرفة المزيد وفيما إذا كانت هناك دراسات تحليلية ومقارنة عن حقبة الرسالة؟ وفيما إذا أخضع الباحثون المسلمون الروايات السائدة في تاريخنا الإسلامي المبكر التي تحتاج إلى وقفه تمعن وتحليل، وسواء كانت هذه الحال أم غيرها فإنها لا تدل قطعاً على ارتباطها بالخط السياسي الاستعماري أو حتى التبشيري ولكن علينا أن لا نكون إيجابيين إلى درجة الإفراط بنوايا المستشرقين فقد ينهجون بذلك منهج إثارة الشكوك في العناصر المهمة من تراثنا وتاريخ سيرة سيد الأنام. وهناك مسألة سبق أن أشرنا إليها وهي أن الكثير من الروايات التي دخلت التاريخ بشكل متعمد ومبالغ به ومزور كما عبّرت عنه مؤلفات الرجال والتراجم في

نقدها للرواة والمحدثين تدفعنا إلى أن نمارس قدراً من التحليل والتريث في قبول الروايات كما هي وعلى حالها.

لكننا ونحن نتطرق إلى الجوانب السلبية للحركة الاستشراقية، ولاتجاهات المستشرقين لابد من الإشارة إلى أن للحركة جانباً إيجابياً يتمثل بشكل صريح بما تثيره الدراسات والتحقيقات الاستشراقية فينا من اندفاع متحفز للاستجابة العلمية المنّظمة المعتمدة على مناهج بحث علمية وموضوعية بعيدة عن التزمت والتشنج من جهة؛ وبعيدة عن الاستخفاف بجهود الآخرين، وبعيدة عن التحزب والحقد ضد الآخر المذهبي والديني والسياسي، وذلك بغية وضع مشروع علمي لرؤية تاريخية نافعة ومفيدة لدراسة تاريخنا العربي والإسلامي. ورب سائل يقول لماذا هذا كله، ألم يكن الباحثون العرب منصفين وموضوعين ويتحلون بمناهج بحث علمية؟ أقول وبتواضع أن تشعب الدراسات الاستشراقية ومركزيتها قد أثرت كثيراً بل بالأحرى صارت أنموذجا يحتذ به العديد من الباحثين المحدثين ممن تتلمذوا في أوربا وأمريكا فاتجهت أهدافهم واهتماماتهم وجهة مقاربة إلى حدّ كبير مع اتجاهات وأهداف واهتمامات المستشرقين. فالمستشرقون ألفوا في موضوعات كثيرة من تراث الإسلام لاسيما المواضيع التي تهمهم أكثر من غيرها، فكانت الحصيلة صدور فيض غزير من الدراسات الأجنبية والعربية المكملة والمتممة لتلك الميادين التي طرحها المستشرقون ودرسوها منذ نهاية القرن السابع عشر؛ كاتجاه التركيز على الجوانب السياسية والعسكرية من تاريخنا، وحالات الانقسام في جسم الدولة المركزية ومواضيع التكوين الاجتماعي والطبقي والقبلي والعنصري والمذهبي

للمجتمع الإسلامي. لذلك بات على الباحثين العرب والمسلمين أن يتحملوا قسطاً كبيراً من مسؤولية الدراسة والبحث في الحركة الاستشراقية بما تثيره من تحدٍ فكري يدعوا العلماء العرب والمسلمين إلى إعادة النظر في الكتابات التي تمت كتابتها لحد الآن عن بعض النقاط الساخنة من تاريخنا، وإلى العمل المخلص لتخليص ما علق في كتبنا الدراسية والمنهجية من معلومات قيّدتها وحوّرتها وزيفتها المرويات التي خضعت للجرح والتعديل من قبل علماء المسلمين في هذا الميدان العلمي. فالمفروض بالنسبة إلى مؤرخينا العرب والمسلمين في الوقت الراهن والمهتمين بدراسة السيرة النبوية الشريفة وتاريخ العرب والمسلمين خلال القرن الأول للهجرة توسيع ثقافتهم المصدرية وصولاً إلى وضع مخطط شامل علمي وهادف عن المظهر العالمي للسيرة النبوية ومصداقية الرسول الكريم بدلاً من الاكتفاء بما هو متوافر من مصادر إسلامية برغم أهميتها البالغة؛ وأعني بذلك توسيع المعرفة بالتواريخ المحلية للبلدان المجاورة للعرب آنذاك كتاريخ الحبشة وتاريخ مصر وتاريخ الأقباط وتاريخ السريان في بلاد الشام وتاريخ اليهود وتاريخ الفرس وتاريخ الصين وتاريخ الهند وتاريخ بيزنطة في القسطنطينية وتاريخ روما. كذلك على أن يتوسع العلماء بدراسة تاريخ تطور المسيحية والفرق التي خرجت في المجامع الكنيسة عن المذهب المألوف؛ والفرق المسيحية التي انتشرت في بلاد الشام والجزيرة الفراتية كاليعاقبة والنساطرة.. نحن بحاجة إلى كل ذلك فلعل الباحث، سيعثر على معلومات تاريخية مهمة تبدل من آراء المستشرقين وتلغي بالتالي شكوكهم.

ففي هذا الصدد نضرب مثالاً عن مصدر معاصر إلى حدّ ما لأحداث الخلافة الراشدة وإلى عهد الخليفة الثاني وإلى حقبة فتوح مصر على وجه الخصوص، إنه تاريخ ألفه أسقف مصري ربما عاش في مصر وهو يوحنا النيقي Johna Nikiu فهو قد ولد زمن فتح مصر وترقت به الأحوال إلى أن يتولى منصباً رفيعاً في سنة ٦٩٦م وهو مشرف على الأديرة المسيحية وشهد يوحنا ذلك الإقبال الواسع على اعتناق الدين الإسلامي من أهالي مصر، ولم يستطع أخفاء غضبه الشديد على هذه الحال فدّون في تاريخه الذي يبدو أنه كان أصلاً باللغة القبطية ثم ترجم إلى اللغة الحبشية وبعدها إلى الإنجليزية واعتمد هذه الترجمة من قبل R. H Charles المرحوم الدكتور جواد علي. وقف يوحنا موقفاً معارضاً للإسلام وللنبي محمد شخصياً فأطلق لسانه المتحامل على الدين الإسلامي قائلاً (دين أعداء الله أو دين الوحوش The faith of beasts) ولكنه من جانب آخر يشير إلى النبي وإلى الموجة العارمة في اعتناق المصريين الإسلام ما نصّه «وفي أيامنا هذه أرتد كثير من المصريين ممن كانوا نصارى كذباً، فهجروا الديانة القويمة وتركوا التعميد ودخلوا في الإسلام دين أعداء الله. . وقبلوا دين الوحوش دين محمد، وتعاونوا مع عبّاد الأصنام وحملوا معهم الإسلام وحاربوا النصارى».

The Chronicle of John, Bishop of Nikiu (Translatated from English by R. H Charles (1916).

الدكتور جواد علي تاريخ العرب في الإسلام (السيرة النبوية) بغداد ١٩٦١، ص ٢٠ ويشير المستشرق ساندرز في كتابه (الحضارة الإسلامية في العصر الوسيط) في أثناء تطرقه إلى معركة إجنادين سنة

١٤هـ / ٦٣٥ إلى رواية معاصرة مصدرها أسقف نسطوري عبّر عن مشاعره إزاء المعاهدة التي أبرمها خالد بن الوليد مع أهالي دمشق مشيراً إلى موقفه الشخصي من هذه المعاهدة بما ترجمته: العرب الذين منحهم الله الهيمنة dominion أصبحوا سادتنا، لكنهم لم يحاربوا ضد الدين المسيحي الأحرى أنهم كانوا يحمون عقيدتنا ويحترمون رهباننا ورجالنا القديسين، ويقدمون الهدايا إلى كنائسنا وأديرتنا

John Nikiu, The Chronicle History of John. Bishop of Nikiu. See Saunders, History of Medieval.

هاتان روايتان فقط كنماذج تشير إلى اعتراف بعض المؤرخين المسيحيين عن مدى واقعية الدين الإسلامي ومصداقية نبي الإسلام فالبحث الدؤوب للرد على مبالغات وطعون المستشرقين وشكوكهم بالإسلام ورسول الله وهي مكتوبة بلغاتهم الأصلية أو من مصادرهم الأساس بما تم العثور عليه من مؤلفات سريانية وتواريخ ووثائق أمثال يوحنا النيقي ويوحنا الخلدقدوني ويوحنا الدمشقي والأسقف سيبوس ويعقوب الرهاوي وغيرها من المصادر المعاصرة والقريبة العهد من حقب الدولتين الأموية والعباسية.

وقبل أن نختتم هذا الفصل لا ضير من الاستشهاد بقول للمستشرقة سلفيا نيف Silvia Naef في مقدمة الكتاب الذي حققته مع البروفسور Farian Sabahi الموسوم بـ(الشيعة الآخرون: - من البحر المتوسط إلى آسيا الوسطى) المطبوع في نيويورك سنة ٢٠٠٧ بشأن أهمية التشيع إذ ترى: - أن الإسلام الشيعي اليوم يعدّ مسألة مركزية في السياسات وأنه دائماً يرتبط بإيران؛ مع العلم أن الشيعة

واقعياً موجودون في العديد من البلدان الإسلامية. وأن الكتاب إنما يقدم مسحاً لكثرتهم وتنوع ثقافاتهم خلال القرنين الأخيرين. لهذا فالكتاب يتناول ثلاثة محاور هي (أولاً؛ العلاقة بين الأقليات الشيعية والأنظمة السنية، أما الثاني فيركز على دور الشعائر الخاصة والممارسات الاجتماعية في تثبيت وتقوية هويتهم، والمحور الثالث فيتناول قوة ومتانة هذه الهوية من خلال الشعائر والثقافة والتقاليد الدينية)[1].

---

(١) Alessandro. Monsutti. Silvia Naef. Farian. Sabahi (Eds.); The other Shiites; From the Mediterranean to Central Asia . (New York. Peter Lang 2007). Introduction.

الفصل الثالث

محاور الاستشراق والتشيع

أولاً: محور الاستشراق والرسول أول أئمة أهل البيت

في القرآن الكريم عدة آيات كريمة تشير إلى المضمون التاريخي والاجتماعي (الأسري) لأهل البيت، أولها آية في سورة الأحزاب بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾(1).

فأهل البيت هنا يقصد بهم أهل بيت النبي أو كما أشار إليه رسول الله من حديث معروف في الفكر الشيعي حديث الكساء، أو حديث أهل العباد: هم رسول الله والإمام علي وفاطمة الزهراء والإمامين الحسن والحسين، وهو المعنى نفسه في (آية تشير إلى النبي نوح ﴿وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾(2) ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾﴾(3)، كذلك الآية الكريمة الثالثة المتعلقة بأبي الأنبياء إبراهيم قال عزّ من قائل خلال قصة تبشير الملائكة لزوج إبراهيم بغلام، وأن زوجه قد تعجبت من الأمر لأنها

---

(1) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

(2) سورة هود، الآية: ٤٢.

(3) سورة هود، الآيتان: ٤٥، ٤٦.

عجوز أجابها الملائكة ﴿قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ﴾[1].

أقصد بهذه المقدمة أن الآيات الكريمات تلقي ضوءاً لا يقبل الشك في ما هو المقصود بتعبير أهل البيت، وأن الله تعالى لم يهدف إلى كون هذا التعبير قد أستخدمه عرب قبل الإسلام من قبل، أو استخدموه بعد الإسلام للإشارة للمسلمين أو المؤمنين عموماً أو للدلالة على بني العباس أو بني هاشم. فهو أمر مألوف أن يتكرر استعمال تعبير (آل) للإشارة إلى العائلة أو الأسرة أو القبيلة أو غيرها، أو أن يستخدم أهل البيت بأشكال واستعمالات مختلفة؛ لكن الأمر الذي يعنينا في الحديث عن التشيع أن تعبير أهل البيت النبي أو أهل البيت إنما يقصد به بوضوح ما قصدته الآيتين المتعلقتين بإبراهيم (حديث الملائكة مع إبراهيم وأهله) ومع نوح (نوح وابنه).

والمستشرقون شأنهم شأن بعض المفسرين الذين لا يرضون، بل لا يرغبون أن يكون التعبير شاملاً رسول الله والمنتسبين إليه بنسب الأقربين نسباً، فراحوا يتجولون في تفسيراتهم الهادفة إلى توسيع فحوى التعبير محاولة منهم أبعاده عن نصّه الأساس أهل بيت رسول الله. فهناك من المفسرين المسلمين من فسّر

قول الله سبحانه وتعالى بأنه يقصد به في سورة الأحزاب جميع زوجات الرسول ومنهم من قال بأنه لا يؤشر إلى رسول الله أو إلى الإمام علي أو إلى غيرهما مباشرة إنما يشير إلى المضمون العام

---

(١) سورة هود، الآية: ٧٣.

الذي وردت فيه آيات تتعلق بإرشادات الله تعالى وتوصياته إلى أمهات المؤمنين أن لا يتبرجن، ولا يعملن فاحشة... الخ.. هنا أيضاً تأثر عدد من المستشرقين بهذا الجدل فتوقفوا على الموضوع بتخريجات متعددة أهمها تعبير (آل) المفردة المطلقة إذ كتب جولدتسيهر[١] وهنري لامانس في بحوثهم (حول البيت عند العرب قبل الإسلام) وكذلك في كتاب لامانس بالفرنسية (فاطمة وبنات محمد)[٢]، وفان آرندونك Van Arendonke في بحثه (أهل البيت) وترتون في مقالته في دائرة المعارف الإسلامية[٣]، وماثير شارون Sharon في البحث الموسوم People of house فقد ألتزم هؤلاء جميعاً بفكرة أن التعبير الوارد في الآيات لا يفهم منه أهل بيت النبوة المشار إليهم إنما الشيعة فقط هم الذين حدّدوا التعبير بكل من رسول الله والإمام علي وفاطمة الزهراء والحسن والحسين والتعبير حسب رأيهم هو أوسع فهماً من ذلك فهو استعمال عام كـ آل عثمان وآل أمية، وكما يؤكد جولد تسيهر أبعد من ذلك بأن كفّار قريش أيضاً كانوا يسّمون بآل أو أهل الله، وأن العرب قبل الإسلام قد استعملوا التعبير للتدليل على العائلة الحاكمة في القبيلة. وفي الإسلام كان يشمل عائلات الخلفاء وأن العباسيين حدّدوه في بني هاشم، وأنهم أي آل العباس هم أهل البيت. بشكل خاص. وهكذا في غيرها من

---

(١) في دائرة المعارف الإسلامية القديمة (AL al Nabi) ,Goldzeiher.

(٢) Lammens H: Fatima of les Filles dc Mahomet (Rome 1912), idem (Le Culte des Bcytlcs) in L'Arabic Occidentale avant L'hcgira) Beirut 1928, Pagcs 136, 145, 155.

(٣) Van Arendonke (Ahl al Bayt) in Encydopcliq of Islam (New Edition) Volume I. Pp. 257 - 258.

الآراء والتفسيرات التي لا علاقة لها بأصل المسألة سوى أنهم يقلدون عددا من المفسرين الذين لا يريدون ذكر أهل بيت النبوة، أو الذين لا يروق لهم حديث الكساء الذي ورد في عدد من مؤلفات الصحاح والسنن والمسانيد ويقصد به الرسول والإمام علي. إنه لمن المؤسف جداً أن يتوسع أمثال هؤلاء في التفسيرات التي تتعارض مع أصل مضمون الآيات القرآنية.

وانطلاقاً من كون رسول الله في العقيدة الإمامية الإثني عشرية هو أول إمام من أئمة أهل البيت الأطهار، وإنه كان وما زال من المواضيع المهمة في دراسات المستشرقين والمبشرين منذ القرن الحادي عشر للميلاد أي في أثناء العصر الكنسي والأوربي الوسيط وحتى وقتنا الراهن. إذ صنفت فيه الكتب والرسائل والبحوث في شتى اللغات الأوربية في الانجليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية والروسية والسويدية والهولندية وما إلى ذلك من اللغات الأجنبية حسب العنوان المتكرر عندهم وهو:

The Life of Mohammad.

Vie de Mohammad.

Geschechte das Leben der Mohammad.

التي تركز على السيرة النبوية المطّهرة في مكة والمدينة حتى انتقاله إلى الرفيق الأعلى، عندئذ بات من الضروري أن نخصص هذا الفصل لتتبع محور دراسات المستشرقين وتفسيراتهم بشأن السيرة النبوية وبشأن الدعوة الإسلامية وحياة الرسول الشخصية.

للمستشرق الاسكتلندي مونتغومري وات المعروف باختصاصه ودراساته عن رسول الأمة في كتابيه (محمد في مكة)، و(محمد في

المدينة) قول أورده في كتابه (محمد في المدينة) يمثل الوصف العدواني للكتابات الاستشراقية والتبشيرية الحاقدة ضد النبي يقول: - ليس هناك بين جميع الرجال العظام في العالم شخصية قد افتري عليها أو أوذيت كما أوذي محمد، إذ كان الإسلام لقرون عديدة هو العدو الأكبر للعالم المسيحي[١]. وأقول في الوقت نفسه بأنه ليس هنالك من شخصية دينية أو سياسية في التاريخ عامة قد سلّطت الأضواء على دراستها أو التأليف والبحث في سيرة حياتها من قبل المستشرقين مثلما خضع له رسول الله؛ وبالأخص حياته ونبوته ودعوته السرية والعلنية وهجرته إلى المدينة وإنجازاته المدنية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية والعسكرية. وإن اختيار المستشرق هارت Hart الرسول الكريم بأنه أعظم شخصية مؤثرة في العالم من بين مائة شخصية أختارها في كتابه (أكثر الشخصيات المؤثرة في التاريخ)[٢]، هو اختيار واقعي وموفق. فقد أحصينا، قدر الإمكان أكثر من خمسين كتاباً والكثير من البحوث باللغات الأجنبية قد خصّصت لدراسة نبي الأمة وجميعها يحمل عنوان حياة النبي. إنها محاولة إحصاء قد جمعت بين الجيلين من المستشرقين القدامى والمعاصرين، من مؤرخ وأديب وفيلسوف ومبشر وغيرهم. وواقع الحال فأنه لمن النادر أن نجد مستشرقاً أو مبشراً يؤلف في التاريخ الإسلامي لم يتناول حياة الرسول وشخصيته وإنجازاته أو

---

(١) Watt M.; Muhammad at Media (London, New York 1956) p 235.
وقد ترجمه الأستاذ شعبان بركات إلى العربية (محمد في المدينة).

(٢) Hart, M. The Most Influential Persons in History p. 4.

الدعوة الإسلامية في سنيها الأولى سواء كان ذلك بتأليف كتب مستقلة عنه أم بتخصيص فصول كاملة في مؤلفاتهم.

مرّت دراسات المستشرقين عن رسول الله بعدة مراحل تاريخية، ترتبط كل مرحلة ارتباطاً وثيقاً بالمتغيرات السياسية والفكرية الأوربية ومن المهم القول بأن هذه الدراسات قد تميزت بنسبة من المزايا والسمات الواضحة.

ففي المرحلة الأولى التي تشتمل على فترة العصور الكنسية والأوربية الوسطى ظهرت عدة كتابات لا يمكننا الجزم بأنها دراسات استشراقية لأنها تعدّ كتابات تفتقر إلى المنهج العلمي فضلاً عن ذلك أنها بعيدة عن الحقبة التي ظهر فيها مصطلح الاستشراق في أوربا الوسطى. لكنها على أية حال تمثل في حقيقتها البدايات لطبيعة التطور في التدوين التاريخي الأوربي وطبيعة تفهم أوربا للتاريخ الإسلامي الوسيط بصورة عامة ولتاريخ الدعوة الإسلامية ونبوة الرسول بشكل خاص، هذه الدراسات على الرغم من افتقارها الموضوعية والعلمية إلا أنها صارت الأسس التي أرتكز على آرائها وتفسيراتها العديد من الآراء الاستشراقية المتأخرة، واستمر تأثيرها يحتل نصيباً يعتد به في دراسات ومواقف عدد من المستشرقين في الفترات الحديثة والمعاصرة.

والمعروف أن فترة العصور الوسطى الأوربية عاصرت حدثاً سياسياً وبارزاً لا في أوربا فحسب إنما بالنسبة إلى العالم الإسلامي ذلك الحدث هو الحروب الصليبية عندما التقى الغرب بالشرق لقاءاً عسكرياً وسياسياً بالدرجة الأولى وحضارياً إلى حد ما، فالحروب الصليبية، كما عرفت وتعرف في أوربا The Crusades وعرفت في

حينها عند المؤرخين المسلمين بحروب الإفرنج، واحدة من المحاولات المتكررة التي تحمس إليها الغربيون لأجل الاستحواذ والسيطرة على الشرق. إنها كانت في مرحلتها الأولى انعكاساً لفلسفة دينية بعد ذلك ثم تطورت لأن تكون أهدافها سياسية واقتصادية أيضاً، وقد رافقت هذه الحروب الأوربية نتائج سلبية كثيرة وأخرى إيجابية منها ما يتعلق الأمر بموضوع البحث بأنها وجّهت أقلام عدد من الكتاب والأدباء الأوربيين لكتابة تاريخ العالم الذي كان مسرحاً لعمليات حربية طويلة. فدفعت هذه الأقلام إلى دراسة أحوال الشرق الإسلامي الدينية. ولذلك كان موضوع الدعوة الإسلامية والقرآن الكريم وحياة الرسول من أهم الموضوعات الدينية التي استهوت أنظار أولئك الكتّاب بتحفيز وتشجيع من الكنيسة التي وجدت في الدين الإسلامي تحدياً دينياً خطيراً في منطقة البحر المتوسط، على هذا الأساس ترتب أمران متلازمان هما:

١ - إن الأوائل الذين كتبوا عن تاريخ هذه الفترة المبكرة من تاريخنا الإسلامي يغلب عليهم اتجاه رجال الدين والرهبان.

٢ - كانت أهم التوجهات التي حظيت باهتماماتهم هي دراسة الأحوال الدينية للعالم الإسلامي، على اعتبار أن الدين كان محفّزاً مباشراً وقوياً للمحاربين المسيحيين. ولذلك اعتماداً على ما سبق من الممكن القول بأن كتابات وإسهامات هذه المرحلة أتسمت بالآتي:

أ - التطرف في عرض الآراء والأفكار والتفسيرات المعادية للقرآن الكريم ولرسول الله وآل بيته الأطهار والدعوة الإسلامية.

ب - الجهل البيّن بالمصادر الإسلامية وفي اللغة العربية وفي القرآن الكريم والحديث الشريف.

ج - غلبة الطابع القصصي والخيالي - غير الواقعي - على تلك الإسهامات التي ترجع إلى حقبة العصر الكنسي والعصر الأوربي الوسيط. حقيقة إن بعض الكتّاب قد اعتمد على ما تيسر له آنذاك من مراجع عربية؛ غير أن هذا النفر القليل كان غير موثوق في طرحه الروايات الإسلامية، كما أنه عمل بجهد على تحريف هذه المعلومات أو تحويرها أو كتابتها بصيغ وأشكال بعيدة عن حقيقتها، مما يدل على جهلهم فضلاً عن ذلك فإن هذه المرويات والمعلومات قد وصلت أوربا عبر بيزنطة وهنا أيضاً تعرضت إلى عمليات من التزييف والإضافة أو الزيادة أو النقصان.

ففيما يتعلق بالأمثلة المتعلقة بآل بيت النبي وبالأخص بالإمام علي نذكر الآتي اعتماداً على ما قدّمه المستشرق برنارد لويس B. Lewis وإيتان كوهلبرغ Etan Kohlberg، فيذكر الأول أن الغرب قد عرف التشيع عبر معرفتهم للفاطميين والحشاشين، لذلك صار جميع ما كان معروفاً عن المذهب الإثنى عشر ما هو إلا معرفة منحازة أو محرّفة.

فالمؤرخ الصليبي وليم الصوري William of Tyre في كتابه تاريخ أعمال الكنيسة عبر البحار؛ رأى الشيعة من خلال محاولته عرض طبيعة وواقع الإسلام السني والإسلام الفاطمي ثم استنتج قائلاً كان الشيعة يرون في الإمام علي أنه النبي الحقيقي الذي أولاه الله تعالى ثقة الرسالة السماوية، وأن جبرائيل قد أخطأ في تنزيل

الرسالة للإمام علي فسلمها إلى محمد[١]. بهذه الرؤية التي تدل بوضوح تام على جهل مطبق بتاريخ الدعوة الإسلامية وبنزول الوحي على رسول الله مع العلم أن وليم الصوري متوفى سنة ٥٨٤ هـ/ ١١٨٦م، أي القرن السادس الهجري بمعنى أنه كان معاصراً لفترة ازدهار المكتبة أصل التشيع علماً بأنه كان مهاجراً لفترة ازدهار المكتبة الإسلامية بكثرة المؤلفات الإسلامية التاريخية ومن ضمنها مؤلفات الرجال والمؤلفات الحديثية والفقهية وغيرها كثير. وأنها كانت معروفة جداً؛ مع ذلك فإن وليم الصوري يدلي بمثل هذه المعلومة القصصية والخيالية التي تشير إلى جهل في التاريخ. وقد ترددت مثل هذه المعلومات البعيدة عن الواقع على لسان يعقوب الفيتري Jacques de Vitery [٢] في كتابه (أسقفية Bishop عكا ١٢١٦-١٢٢٨) إذ ورد فيه ما يتعلق بالشيعة وبالإمام علي معلومة مشابهة لتلك التي أوردها وليم الصوري ويزعم، وهو على خطأ تام، أن للشيعة مبدأ يعتقد فيه بأن علياً هو النبي المعروف الذي تحدث عنه الله تعالى في القرآن الكريم. وقد تحدث عنه اكثر مما تحدث عن النبي محمد نفسه. وأن علياً وأتباعه هم الذين هاجموا شريعة

(١) William of Tyre: A History of Deeds done beyond the Seas'Transleted by Emily A. Babcock and A. S Krey (New York 1943) Vol 2. P 323 according to Kohlberg E. Belief and low in Imami Shiism (collected Studies) Published by Variorum. P. 31 - 33.

(٢) Jacques de Vitery (or Vitriaco): Bishop of Acre 1216 - 1228. idem.: Libri due, quorum prior orieutalie sive Hierorsolym itanc (1597 Ch. 8 P. 33 - 34) According to Professor Kohlberg in (Belief and low) P. 32 - 33.

رسول الله، وأن للشيعة طقوساً في الصلاة والزكاة وغيرها من العادات هي تختلف عن طقوس السنة. وأشار البروفسور كوهلبرغ إلى كتاب آخر ليعقوب دي فتري ردّد فيه تلك الأقوال الساذجة[1].

وهناك أدلة أخرى على مثل هذه القصص المزيفة التي لا تعتمد أي مصدر موثوق إنما كانت من وحي عقليتهم وكانت تمثل عندهم التاريخ الإسلامي وهي السائدة في العقلية الغربية المسيحية بما تعرف بأدب الحروب الصليبية المبكر؛ ومنها ما هو متعلق بالإمام المهدي (عج) لا يستحق[2] ذكره في هذا المجال. ولكن السؤال المهم هو كيف وصلت مثل هذه المعلومات المحرّفة إلى الكتّاب الصليبين في القرن السادس الهجري وبعده. أإنها كانت من بقايا الرواية الأموية المتداولة في بلاد الشام عندما كان الحكّام الأمويون العتاة قد تبنوا سياسة لعن الإمام علي وشتمه من على المنابر،

---

(١) see Daniel, V: The Arabs and Medieval Europe (London 1975) p. 215 - 319
وقد ترجم إلى اللغة العربية، Ugo Monneret de Villard: IL Libro Peregrinazione nell parti d, Orient di frate Ricoldo de Montecroce, Rome 1948 p. 111.

(٢) Daniel, N; Islam and the West (1960) p 28,78: Gabreili, F. Muhammad and the Conquests of Islam (Trans) BY Lulling and Linell (London 1968)P. 14. Southern. R; Western Views of Islam in the Middle Ages (Harvard 1962) P. 24. 28. 30.

كذلك ينظر مكسيم رودنسون: الصورة الغربية والدراسات العربية الإسلامية. وهو بحث في كتاب تراث الإسلام (تحقيق د. شاكر مصطفى (الكويت ١٩٧٨) صفحة ٢٧، ٢٨، ٢٩.

A. D, Ancona "La leggende di Maometto in occidewt" in.

وحينما كانت الرواية الشيعية مغيبة تماماً وحينما كان الأمويون يقتلون راويها ويهدمون بيته ويقطعون رزقه؟

بهذه العقلية الحاقدة والجاهلة توجهت كتابات مؤرخي العصور الوسطى الأوربية حول شخصية رسول الأمة وسيرته وحول نبوته. فإنهم بصورة عامة كانوا يعرضون شكوكهم بمصداقية دعوة الرسول ونبوته كما رأينا قبلَ أسطر كيف أنهم حبكوا قصصاً خيالية عن العلاقة بين رسول الله وابن عمه الإمام علي. أن هذه الأفكار كانت بالنسبة إليهم مهمة جداً ترتبط برباط قوي بالعمل المحرك والمحفز للصراع الصليبي الإسلامي، لذلك شدّدوا عليه بل اختلقوا قصصاً تاريخية نظير قصة بحيرى الراهب وقصة عدّاس الراهب وقصة ورقة بن نوفل ابن عم السيدة خديجة الكبرى زوج رسول الله، لأن إثارة مثل هذه القصص كان يُراد من ورائها إظهار الأثر الديني المسيحي في الإسلام. فقد شوّه في هذه الكتابات اسم النبي تعمداً وتقصداً فالاسم جاء على صيغة ميثوموس Methomus ومامونو Maomatto وما موتيوس Mamatius وماهوند Mahound وغير ذلك، وهي تسميات لم تذكر جزافاً ولم تأت أعتباطاً إنما تتضمن معاني هادفة تتوافق والخط الذي سار عليه هؤلاء الكتاب في كتاباتهم فأسم ماهوند ومامتيوس مثلاً يعني باللغة اللاتينية إلة الظلام. فضلاً عن ذلك فإن هؤلاء تخيّلوا أيضاً قصصاً غريبة وعجيبة بخصوص نزول الوحي ونزول آيات الذكر الحكيم على رسول الله[1]، واعتماداً على

(١) A. D, Ancona "La leggende di Maometto in occidewt" in.

هذه القصص الهزيلة والضيقة الأفق، وعلى ما صورته الأسطورة الشرقية ومثّلته كحقيقة تاريخية انبثقت الأسطورة العدائية في العقلية الغربية، تلك التي وصفها دانكونا Dancona في دراسته الإيطالية القديمة (أسطورة محمد في الغرب) المنشورة في عام ١٩١٢(١)، وأخذت هذه الأحقاد تتركز أكثر فأكثر في كتابات سير القديسين والموسوعين في العصور اللاتينية الوسيطة نظير كتابات جيوبرت النوجيني Guibert of Nogeni وهيلدبرت الصوري Hildebert of Tours في القرن الحادي عشر وكتابات بطرس الناسك Peter the Venerable في القرن الثاني عشر الميلادي، ويعقوب الفيتري De vitry ومارتينوس بولونيوس Martinus - Polonus فنسنت البوفوي Vincent of Beauvals وغيرهم في القرن الثالث عشر وقف عليهم البروفسور غبريلي في كتابه الذي قمت بترجمته إلى العربية (محمد والفتوحات الإسلامية)(٢).

ويبدو أن ما ورد من تفسيرات حاقدة في مؤلفات كتّاب العصور الوسطى قد أثّرت في الفرد الأوربي كثيراً، ثم أتسع الاعتماد عليها في تشويه صورة الإسلام حتى أن الشاعر الإيطالي دانتي هو الآخر، قد صوّر الرسول الكريم تصويراً حاقدا(حاشاه الله) في الكوميديا الإلهية، وتجاوز تأثير هذه الأساطير والأباطيل حتى امتد إلى كتابات

---

(١) A. D, Ancona "La leggende di Maometto in occidewt" in Studia di Crilica e Storia Letteraele (Bologne 1912) pp. 167 - 206.

(٢) Holt, P. M. The treatment of Arabic history by Prideaux, Ocley and Sale in Historians of the Middle East (London 1964) p. 291.

القرن السابع عشر للميلاد؛ ثم بعد أن توسع الأفق الأوربي وظهرت بوادر عصر النهضة الأوربية علمياً وفكرياً، ثم بعد أن تم اكتشاف العديد من المخطوطات الإسلامية بشأن حياة الرسول والدعوة الإسلامية، وقراءة كتاب المستشرق البريطاني همفري بريدو Prideaux الموسوم (حياة محمد The Life of Mohammed) نجده كتاباً مملوءاً بتفسيرات الرهبان في العصور الوسطى، لاسيما وأنه كان هو الآخر راهباً عمل في كنيسة السيد المسيح في أكسفورد. وتتضح تفسيرات ومواقف بريدو المتعصبة من رسول الله في كتاب نشره عام ١٦٩٧ يحمل عنواناً حاقداً هو (الطبيعة الحقيقة لدجّال كلتي عكسته بوضوح حياة محمد) وقد ترجم إلى اللغة الفرنسية.

ومما يجدر ذكره أن عدداً من المستشرقين المحدثين قد فنّد تلك التفسيرات الضعيفة والملفقة وأظهروا خطأ قائليها من أمثال ما قام به المستشرق غرونباوم ومونتغومري وات وغبرييلي وساذرون وساندرز وغيرهم، وأشار بعضهم إلى الدوافع الأساس التي دفعت بل شجعت على ظهور مثل هذه التفاهات؛ أنها وضعت لجعلها محفزات فعّالة للجندي الصليبي في ساحة المعركة، على أنه إنما يقاتل (الكفارا) من أجل استرداد بيت المقدس. ومع أنها كتابات مزيفة وحاقدة فإنها ما زالت إلى الآن تحتل مكانة غير قليلة من حيث رسوخها في العقلية الغربية؛ وما الرسوم الكاريكيترية والمقالات الساذجة الاستهزائية بالإسلام تلك التي تنشر في الدانمرك ولندن وباريس وعلى لسان البابا إلا أنموذجاً من التأثر بتلك القصص.

في المرحلة التاريخية الثانية التي امتدت من القرن السادس عشر إلى القرن التاسع عشر في أوربا حصل تطور تمثل ببروز مدارس

فكرية وفلسفية في ألمانيا وفي فرنسا بما صار معروفاً بالمدرسة العقلية التي ركّز أنصارها على معايير النقد والتحليل والمقارنة في أبحاثهم ودراساتهم. كذلك بما أثارته فلسفة الشك التي نادى بها ديكارت واستبعاده التاريخ والعلوم الاجتماعية من دائرة المعرفة الإنسانية؛ الأمر الذي أثار من حفيظة المؤرخين المعاصرين لحقبة ديكارت من أجل الدفاع عن العلم الذي تخصصوا به. فأنتجت هذه الأزمة الفكرية اتجاهاً بين صفوف المؤرخين مستخدماً مناهج النقد والتحليل والمقارنة في التدوين التاريخي كرد فعل لموقف ديكارت المعادي للتاريخ.

وأفرزت مرحلة عصر النهضة الأوربية تطوراً مهماً في تغيير النظرة إلى التاريخ والكتابة التاريخية؛ إذ بعد أن كانت الكتابة خاضعة إلى تأثيرات وتوجهات رجال الكنيسة في رؤيتها للعالم وبأن التاريخ ماهو إلا تعبير للمشيئة الإلهية حدثت في عصر النهضة فلسفة ترى في التاريخ دراسة اجتماعية معنية بدارسة المجتمعات الإنسانية عبر التاريخ. فكان من أهم نتائج هذا التحول تنقيح المادة التاريخية التي سبق كتابتها إبان العصور الوسطى وإعادة النظر فيها بعد استبعاد الجوانب الخرافية والأسطورية منها. وأعطت هذه التطورات الفكرية والثقافية والتطور في الكتابة التاريخية أكلها على الدراسات الاستشراقية سواء كانت الدراسات التاريخية منها أم الأدبية أم الفلسفية أم الحضارية، فظهر عندئذ تقويم جديد للتاريخ الإسلامي وتاريخ السيرة النبوية صار فيه الرسول الكريم في نظر مستشرقي عصر التنوير مثلاً مصلحاً علمانياً غير مسيحي لكنه أفلح في قيادة أتباعه بعد أن حرّرهم من التعاليم اللاهوتية الغامضة إلى عالم متحرر

ومضيء. كذلك ظهرت صورة جديدة لشخصيته وأخلاقه ونبوته ودعوته بشكل يخالف تصورات وتخيلات رجال الكنيسة المتعصبين.

حلّت هذه الرؤية على الرغم من أن مؤرخي التنوير نظروا إلى العصور التي سبقت عصرهم وإلى المؤلفات التاريخية التي دوّنت عن الماضي زمن الكنيسة نظرة دونية فيها ازدراء وسخرية. ومن الجانب الآخر علينا أن لا نلغي دور المتغيرات السياسية التي شهدتها أوربا في علاقاتها مع الشرق الإسلامي عندما تزايدت الاهتمامات الأوربية في منطقة الشرق الأوسط وعندما تزايدت عناصر المنافسة والتصارع بين الدول الأوربية منذ القرن السادس عشر للميلاد من أجل الحصول على أكبر نصيب ممكن من المنافع التجارية والسياسية والاستراتيجية التي تميزت بها منطقتي الشرق الأوسط والأدنى، فكان لهذا المتغير أثر في توجيه الدراسات الاستشراقية وجهة أكثر إيجابية إزاء موضوعات التاريخ الإسلامي الوسيط؛ فلم يعد العامل الديني دافعاً أساساً أكثر للتصادم مع الشرق، في الظاهر على الأقل.

ولعل من أبرز من مثّل هذا المتغير المستشرق الفرنسي كونت هنري دي بولينفيه Boulainvillers (١٦٥٨-١٧٢٣) مؤلف كتاب باللغة الفرنسية عنوانه Vie de Mahomed (حياة محمد) الذي ترجم إلى اللغة الانجليزية ونشر عام ١٧٣٠. فقد رفض بولينفيه البديهيات الساذجة التي هيمنت على كتابات رجال الدين بشأن الرسول، ونظر إلى الموضوع نظرة مختلفة إذ يقول «إن كل ما جاء به محمد من

مبادئ دينية صحيح لكنه لم يأت بكل ما هو حقيق، وهذا هو كل الاختلاف بين ديننا ودينه»[١]. كان خطأ بولنفييه أنه وقف في كتابه عند السنة الخامسة للهجرة، ثم إنه اعتمد على ما جاء في الكتب الأجنبية ولم يراجع في دراسته المؤلفات العربية الإسلامية. كذلك نحى المستشرق الفرنسي ليبنز Leibniz في كتاب اختار عنوانه ليكون رداً على كتابات الكنيسة التي شككت بمصداقية الرسول وعنوانه (محمد ليس مبدعاً Mahomet no Imposter)[٢] وفنّد فيه الآراء التي كتبها كتّاب العصور الوسطى. وضمن هذا المحور كتب فولتير الكاتب الفرنسي الناقد للعصر الكنسي والعصر الوسيط كتاباً بعنوان (محمد Mohomet) وكتابه الآخر (مقالة في الأخلاق)[٣]. وألف جي جاجنيه J. Gagnier كتاباً عنوانه (حياة محمد) بالفرنسية وجعله في جزأين.

لم يقتصر هذا الموقف الإيجابي من المستشرقين إزاء رسول الله والدعوة الإسلامية على كتّاب ومؤرخي عصر التنوير، إنما امتد ذلك إلى العصر الذي أعقبه، المعروف بالفترة الرومانتيكية. فهذا العصر هو الآخر قد أنتج عدداً من الإسهامات الاستشراقية الإيجابية الجديرة بالملاحظة. ولما كانت فلسفة الرومانتيكيين في الأحداث التاريخية الماضوية، ما هي إلا التعبير الواقعي لجهود الإنسانية

---

(١) ينظر رودنسون ص ٦٦-٦٧.

(٢) م. ن ص ٦٦.

(٣) Gabrieli, Muhammed p. Ñ-B, Andrae. Tor: Mahammed the man and his faith (1956) P. 176, Holt: The Treatment p. 299, 300.

وتجاربها القيمة، لهذا فإن الكتّاب لم يهملوا الماضي ولم ينظروا إليه نظرة ازدراء وسخرية. ويتبين هذا الاتجاه في كتاب الاسكتلندي المعروف كارليل الموسوم (الأبطال وعبادة البطل)[1] On the Heroes and Hero Worship المنشور سنة ١٨٤٠والذي ترجم إلى اللغة العربية بعنوان (الأبطال). ونال كتاب كارليل على تأييد وسمعة واسعتين في الشرق وأوربا، والملاحظ أن كارليل لا يختلف عمن سبقه في مصادره إنما اختلافه الحقيقي معهم يكمن في وجهة النظر.

فصوّر رسول الله تصويراً بطولياً ممتدحاً إياه إلى درجة كبيرة موّثقاً صفاته وأخلاقه وأمانته وصدقه وصدق دعوته. فالنبي في نظره كان الموقظ الملهم لشعبه، ثم أنتقد كتّاب العصور الوسطى مطلقاً عليهم صفة (المتعصبون) قائلاً: إن المتعصبين من النصارى والملحدين يزعمون أن محمداً كان يريد الشهرة ومفخرة الجاه والسلطان فيردّ عليهم قائلاً «كلا وأيم الله لقد كان في فؤاد ذلك الرجل الكبير، ابن القفار والفلوات المتوقد المقلتين العظيم النفس، المملوء رحمة وخيراً وحناناً وحكمة وحمى واربه ونهي، أفكار غير الطمع الدنيوي ونوايا خلاف طلب السلطة والجاه»، ويقو كارليل أيضاً (إني لأحب محمد لبراءة طبعه من الرياء والتصنع، ولقد كان ابن القفار هذا رجلاً مستقل الرأي لا يعوّل إلا على نفسه ولا يدّعي ما ليس فيه ولم يكن مبتكراً لكنه لم يكن ذليلاً . . .).

(١) توماس كارليل، الأبطال (ترجمة علي أدهم ٩ ص ٥١-٥٢-٦٣-٦٤.

Fuck. (Islam as a historical problem in European historiography since 1800) in Historians of Middle East Pp. 305.

من نافلة القول إن هذا التطور في الموقف الاستشراقي من السيرة النبوية وليد عدة عوامل من بينها :

أ - تزايد الاهتمام بتاريخ الشرق الأوسط والأدنى منذ نهاية القرن الثامن عشر.

ب - تحقيق العديد من المخطوطات الشرقية، العربية والفارسية والتركية، ونشرها أو ترجمتها إلى اللغات المختلفة ودراستها وتقويمها تقويماً مقارناً.

ج - تزايد الاهتمام بالدراسات اللغوية لاسيما العربية منها.

د - تزايد اهتمامات الغرب وتنامي العلاقات السياسية والاقتصادية بينه وبين بلدان الشرق الأوسط.

كان من النتائج المباشرة والمهمة لهذه العوامل ظهور مادة علمية تاريخية غنية للمستشرقين والمهتمين بتاريخ العرب والإسلام، فأدى ذلك إلى ظهور تحليلات ووجهات نظر وتفسيرات جديدة عن الدعوة الإسلامية وعن الرسول الكريم وكذلك حول التشيع. فمثلاً كتب سايمون فايل Weil في ألمانيا كتاباً عن النبي حياته ودينه معتمداً على سيرة ابن هشام وهي في حقيقتها سيرة النبي لمحمد بن إسحاق[1]. وأقدم المستشرق الألماني المشهور ثيودور نولدكه في عام ١٩٦٠ على ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة الألمانية بعنوان تاريخ القرآن Geschischte des Qorans، كذلك فإنه صنّف كتاباً عن حياة الرسول[2]. والملاحظ أن القرآن الكريم قد ترجمه إلى اللغات

(١) العقيقي، المستشرقون ج٢ ص٧٠٨.

(٢) Gabreilie, Muhammad p. 17.

الأوربية عدداً من المستشرقين منها الترجمة المشهورة للمستشرق البريطاني جورج سيل Sale وكلونياك Cluniac وخوان سيجوفيا Juan of Segovia وترجمة رودويل Rodwell J. M التي قدّم لها المستشرق جورج مارغوليوث G. Margolioulh، وترجمة بالمر Palmer E. H وترجمة آربري Arberry وترجمة N. g David وترجمة ريتشارد بيل Richard Bell وترجمة فلوجل G. Fluegel في ليبزك بعنوان Coranus Arabice وترجمة كازمرسيكي M. Kasimirski بعنوان Le Koran

وفي ألمانيا أيضاً ظهر كتاب المستشرق الألماني ألويس سبرنجر Aloys Sprenger وهو الذي تأثر بمقدمة ابن خلدون وتاريخه (تاريخ العبر) فألف كتاباً بعنوان (حياة محمد وتعاليمه Das leben und die Lehre) ونشره في ستينيات القرن التاسع عشر. وفسّر الدعوة الإسلامية تفسيراً عقلياً بكونها نتاج روح ذلك العصر؛ على خلاف فلسفة الرومانتيكين. يذكر المستشرق فوك FUCK أن سبرنجر قد حجّم من أهمية الدين الإسلامي الذي جاء به محمد (وهنا علينا ملاحظة أن سبرنجر وفايل وغيرهما كانوا يعتقدون خطأ بأن القرآن الكريم من وضع رسول الله. كذلك فأنه قلل من أهمية وفعالية الدور الذي أداه رسول الله، غير أنه قد أساء فهم مكانة الدين الإسلامي في التاريخ العالمي ومدى التأثير العميق للحضارة الإسلامية في العصور الأوربية الوسطى وفي عصر النهضة[١].

كذلك لابد من الإشارة إلى الدراسة البريطانية التي نهض بها المستشرق الاسكتلندي وليم موير William Muir الموسومة (حياة

---

(١) علي د. جواد، تاريخ العرب في الإسلام (بغداد) ص٩.

محمد وتاريخ الإسلام) Life of Mahomet and History of Islam اعتماداً أيضاً على سيرة ابن هشام؛ وأنه أيضاً اعتمد على المصادر التي اعتمدها قبله سبرنجر فضلاً عن سيرة محمد بن إسحاق وهي الطبري في تاريخه وابن الأثير في تاريخ الكامل لكن موير Muir انطلاقاً من غرضه التبشيري نظر إلى رسول الله نظرة فيها تعصب أرثوذوكسي صليبي بخاصة عندما توافق مع أوصاف كتّاب العصر الكنسي في تصوير الرسول الكريم بأنه (حاشاه الله) أداة من أدوات الشيطان. وحينما قلل من أهمية الحضارة الإسلامية وأنكر أصالتها، هذه المؤثرات هي التي دفعته إلى أن (يتفاءل) في استنتاجه المستقبلي الحاقد، بأنه سيأتي اليوم الذي يتحول فيه المسلمون إلى الدين المسيحي[١]. ووليم موير كتب كتاباً آخر عنوانه (ظهور وانحطاط وسقوط الخلافة) The Caliphate its Rise, Decline and Fall.

وحدثت في فترة القرون التاسع عشر والعشرين والواحد والعشرين تطورات هائلة، متمثلة بالقفزات السريعة التي شهدها عالم الصناعة والتكنولوجيا والعلوم البحتة كالرياضيات والفيزياء والطب والهندسة وغيرها، وقد أحدثت هذه التطورات التقدمية العلمية تأثيراً ملموساً على التركيب الاجتماعي والاقتصادي لمجتمعات أوربا وأمريكا فتنامت الأدوار التي أدتها المدن في التقدم الحضاري الغربي؛ وبرزت في هذه المدن حركة اجتماعية وحضرية متنامية ساعدت على تقوية الفوارق الطبقية وعلى استئثار الرأسمالية واتساع

(١) Fuck, islam p. 305.

نفوذ وأهمية استثمارها واحتكاراتها. وفيما يتعلق بموضوع البحث فإن هذا التقدم العلمي والصناعي والاقتصادي والاجتماعي أعطى دفعاً جديداً للدراسات الاجتماعية ومن بينها الدراسات التاريخية في أوربا وأمريكا وبالتالي الدراسات الاستشراقية. فالمتابع للإسهامات الاستشراقية التي ظهرت في هذه القرون يجد فيها جدة في الرؤية والتفسير تدل على توسع الاهتمام بتحقيق ودراسة المخطوطات الإسلامية لا في حقل التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية فحسب إنما في حقول المعرفة الإنسانية المختلفة. كذلك يتمثل هذا الاهتمام بجديّة المستشرقين في الكشف عن مصادر عربية وفارسية أصيلة؛ فمثلاً بالنسبة إلى دراسات التشيع والحركات الشيعية وعقيدة الشيعة لم يعدّ المستشرق مكتفياً بالرجوع إلى المصادر التاريخية والفرقية والتراجمية السنية، إنما تحول الاهتمام إلى استقاء المادة الأصلية من المؤلفات الشيعية نفسها. وبدأ المستشرقون يشيرون إلى فقر المصادر السنية في عدم تناول عقائد المذاهب الأخرى ومنها عقيدة الإمامية الأثني عشرية والزيدية والإسماعيلية والخوارج. وصار منهج المستشرق الدانمركي فريدلاندر الذي حقّق كتاب ابن حزم الظاهري (الفصل) وترجمه بغية الاستشهاد به خلال حديثه عن التشيع وهو منهج غير مقبول ذلك لأن ابن حزم يعدّ متحيزاً ضد عقيدة الشيعة. كذلك فإن هذه الفترات المعاصرة أخرجت مدارس استشراقية جديدة سارعت بشدة إلى التخصص في دراسة التاريخ الإسلامي وتراثه، وإلى دراسة الفلسفة الإسلامية وعلم الكلام، وإلى دراسة الفرق الإسلامية. وهنا لابد من الإشارة إلى ما أحدثته

المتغيرات السياسية الكبيرة التي حدثت في الشرق الأوسط وبالأخص ما أحدثته الثورة الإسلامية الإيرانية وانتصارها ودعمها للحركات الإسلامية ورفعها بجدارة شعار الإسلام أولاً وقبل كل شيء. وبما أن الثورة الإسلامية أمامية أثنى عشرية المعتقد فقد اندفع المستشرقون إلى دراسة هذه الظاهرة الإسلامية الجديدة، فنشرت وما زالت تنشر دراسات كثيرة في أمريكا، وهي مدرسة إستشراق جديدة، وفي إسرائيل وهي كذلك مدرسة جديدة للاستشراق. في هذا الوقت ظهر عدد من الدراسات التي تتسم إلى حدّ ما بالموضوعية في طروحاتها وتفسيراتها ويرجع سبب ذلك إلى أنها اعتمدت المصادر الأساس غير المنحازة وغير الحاقدة مذهبياً أو سياسياً. لكن علينا القول بأن الدراسات التي أنجزت في القرون السابقة لم تهمل نهائياً وأنها أو استنتاجاتها أو تفسيراتها صارت مراجع يعتمد عليها وبالأخص في حقول معرفية معينة. فالنظريات والآراء في علم الاجتماع الحضري التي ظهرت في أمريكا والتي عرضها علماء الاجتماع الأمريكان بالنسبة إلى المدن الإسلامية مثلاً بحاجة إلى معالجات من العلماء المسلمين وذلك لأن منظريها قد وصلوا إلى استنتاجاتهم مقلدين الأفكار والتفسيرات الجاهزة التي توصل إليها مستشرقو القرنين الثامن عشر والتاسع عشر دون الإطلاع على النصوص الأصلية في المصادر الإسلامية فكانت استنتاجات عامة ومقلّدة وغير صحيحة.

وبينما كانت الدراسات السابقة، عدا الدراسات التي تهدف إلى التفسير الديني ضد الإسلام، يعوزها الهدف مع أنها تعتمد منهجاً

بحثياً تحليلياً مقارناً، فإن الدراسات الاستشراقية في القرون الحديثة والمعاصرة أخذت تميل إلى مذاهب ومدارس اجتماعية أو اقتصادية أو حتى سياسية. فمنذ الحقبة الثانية من القرن التاسع عشر تقريباً بدأت تظهر في سماء أوربا، ونتيجة للتقدم الصناعي الكبير، أفكار وحركات ثورية قادتها الطبقات العاملة التي رزحت تحت ظلم الرأسماليين والتي قاست الأمرين جراء تزايد حجم الرأسماليين وتزايد أرباحهم وجراء الكساد الذي عمّ أوربا بعد فترات طويلة من الحروب، وجراء انعدام العدالة في توزيع الثروات. فثورات النصف الأخير من القرن التاسع عشر تعدّ صورة واضحة للتوترات الثورية التي باتت تهدد أوربا. والواقع أن مثيل هذه العوامل قد وجّه هو الآخر الدراسات الاستشراقية ومن ضمنها الكتابات التي تم إنجازها عن السيرة النبوية المطّهرة وسيرة آل البيت الأطهار. فالمستشرق هيوبرت جريم Grimme ألف كتاباً بعنوان (محمد Mohammad) ونشره عام ١٨٩٢ ركّز فيه على الإنجازات الاجتماعية التي أنجزها رسول الله. فالإسلام في نظره ليس رسالة دينية فحسب إنما هو رسالة اجتماعية في أصولها وطبيعتها، وكان التبشير بالدعوة الإسلامية ردّ فعل واقعي للحقد والسخط الكبيرين على اللاعدالة في توزيع الثروات التي سادت في علاقة قريش مع الفقراء والمستضعفين. لذلك أنطلق الإسلام ناجحاً من الرغبة المتأججة في نفوس الفقراء بغية إيجاد مجتمع إنساني بديل يحلّ محل المجتمع المكي الطبقي المعقد. وعلى هذا الاعتبار فالثورة الإسلامية بحسب رأي جريم في حقيقتها ثورة البروليتاريا على قريش Proletarians of Arabia Arise ومع أن تفسيره الاجتماعي الاقتصادي له مغرياته

وواقعيته لكنه من الزاوية المهمة في الإسلام تطرف كثيرا، وذلك بتركيزه على الوضعية الطبقية لمجتمع مكة وللدعوة الإسلامية وتجريد الدعوة بالمرة من مقوماتها وأصولها الدينية القاضية إلى تغيير ديانة المجتمع المكي من الوثنية إلى عبادة الله الواحد. وفي رأينا أنه من الصعب جداً في الدراسات التاريخية وضع الثقل الأساس والمطلق على عامل واحد (اجتماعي اقتصادي طبقي)، دون التفطن إلى آثار العوامل الأخرى. على الرغم من أن أطروحة جريم الاجتماعية سبقت وربما أعيدت بحجم أكبر في التفسير الماركسي بعد عدة عقود من فترة جريم كما لاحظ ذلك المستشرق غبريلي. وفي تفسير آخر يقارب تفسير جريم فقد ألف المستشرق سنوك هورجرونجيه Snouck Hurgronje كتاباً بعنوان (قصة حياة محمد).

من الجانب الآخر ألف المبشر المتعصب هنري لامانس عدة أعمال منها (محمد وأمانته) و(جمهورية التجار في مكة) مركزاً الدور على الحياة الحضرية، الاقتصادية والمدنية، فالدعوة الإسلامية في نظره نتيجة من نتائج المجتمع الحضري التجاري المكي. كذلك أولى المستشرق الأسقف اللوثري تور اندريه Tor Andrae في كتابه (محمد الرجل وعقيدته Mohammad the Man and His Faith المنشور بالانجليزية عام ١٩٣٦ اهتماماً بالمؤثرات والمحفّزات الاجتماعية والاقتصادية للدعوة الإسلامية[١].

---

(١) ينظر رودنسون: الصورة س ٨٩، د. جواد علي: تاريخ عن الإسلام ص ٢٠. Gabrielie, Muhammad p. 19, 20, Salibi, K. S " Islam and Syria in the writing of Henri Lammens" in Historians of the Middle East p. 331, 332, Fuck, Islam. P. 310 - 311.

وتصل هذه الدراسات التي لها وجهة إيجابية إزاء الرسول الكريم والدعوة الإسلامية قمتها بالجهود المتميزة التي أنجزها المستشرق الاسكتلندي مونتغومري وات Watt الذي قضى شطراً كبيراً من حياته العلمية في دراسة هذا الموضوع وتتبع مصادره وأنتج أعمالاً مهمة من كتب وبحوث عن السيرة النبوية وحياة الرسول الكريم ودعوته في مكة والمدينة، إذ تعدّ الفترة بين سنة ١٩٥٠-١٩٦٠ فترة نشاط علمي ملحوظ في حياته.

كانت مؤلفاته موازنة بما تم تحقيقه من دراسات استشراقية موضوعية بعيدة عن التعصب والتطرف، وإن مواقفه من الرسول أقرب إلى التأييد والمدافعة، فإنه يسّلط الضوء الإيجابي على كفايته السياسية وعلى حنكته وصدق نبوته وأخلاقه الرفيعة مستقياً معلوماته من المضان الأصلية كالقرآن الكريم والأحاديث الشريفة ومؤلفات السيرة النبوية.

الفصل الرابع

محور اهتمامات المستشرقين

بموضوع عقيدة الشيعة

قبل أن نعقد فصلاً مقارناً بين الدراسات الاستشراقية التي تمثل الجيل الأول، أي جيل المستشرقين القدامى، والجيل الثاني وهم الذين يمثلون العصر الحديث والمعاصر، لا ريب في رسم خارطة تتوزع عليها اهتمامات المستشرقين فيما يتعلق بالعقيدة الشيعية وبأئمة أهل البيت الأطهار، لأن هذه الخارطة، إن صح استنتاجنا، ستبين التوجهات الأساس لكل مدرسة من المدارس الاستشراقية، كالمدرسة الألمانية أو المدرسة البريطانية أو المدرسة الأمريكية، وهكذا في بقية المدارس الأوربية والإسرائيلية.

بادئ ذي بدء فقد اهتم المستشرقون منذ القرن التاسع عشر للميلاد وربما أبعد من ذلك اهتماماً ملحوظاً في الكتابة التاريخية عن حياة النبي الشخصية وكذلك عن عصر السيرة النبوية عامة كما ألمحنا سابقاً، وفي الوقت نفسه فقد عنوا أيضاً ضمن هذا التوجه بدارسة التشيع والحركة الشيعية السياسية وبحياة الأئمة عليهم السلام والأدوار التي أدوها في مسيرة الأحداث التاريخية العقيدية والسياسية والفكرية. لكنهم عموماً قد استندوا في تأسيس مبانيهم الفكرية حول هذه الأمور المهمة إلى المؤلفات الإسلامية المعروفة والمحقّقة في تلك الآونة، وهذه المصادر بدورها اعتمدت في سردها التاريخي على المألوف من الرواية الأموية والعباسية بالدرجة

الأولى دون الرواية الشيعية، وكما هو معروف فإن الروايتين الأموية والعباسية أن تم الاعتماد عليها لوحدها عندئذ يكون التدوين التاريخي غير منصف وغير عادل؛ فالرواة الأصليون الذين تأثروا بهاتين السلطتين السياسيتين، الأموية والعباسية، كانوا غير منصفين في مروياتهم لأنهم اضطروا بدافع الخوف أو الطمع في الدنيا إلى أن يغيبوا الرواية الشيعية، الرواية التي عرّفها الأمويون برواية أبي تراب أي الإمام علي عمداً أو أنهم قد سايروا السياسة. والمستشرق دونالدسون مؤلف كتاب عقيدة الشيعة قد وقف على هذه النقطة المهمة مؤكداً حرصه الشديد ضرورة أن يأخذ المؤرخ الذي يريد كتابة موضوعية، عن التشيع، معلوماته من المؤلفات الشيعية فأنها المهتمة بالمذهب. لذلك؛ فأنه كان في كثير من المناسبات يعرض موضوعاته عن الأئمة الأطهار سيّرهم وأخبارهم وكذلك العقيدة الشيعية عرضاً موضوعياً مستنداً في كتابه بصورة عامة تقريباً من العلماء الشيعة، علماً بأنه كان في الأصل مبشر. فقد قسم كتابه على اثنين وثلاثين باباً، وأفرد لكل إمام من أئمة أهل البيت باباً، ولأهمية الكتاب من حيث زمن تأليفه ومن حيث اعتماده على مؤلفات شيعية فسوف نفرد له دراسة في الفصل القادم.

لعله من المناسب توزيع اهتمامات المستشرقين وتوجهاتهم في الكتابة عن التشيع وعن الأدوار التي أداها أئمة أهل البيت العقيدية والفكرية والاجتماعية إلى عدة محاور واتجاهات:

١ - المحور الأول

وهو محور يتعلق بالدراسات والإسهامات الاستشراقية بشأن العقيدة الشيعية، ولعلنا لا نخطأ القول بأن المدرسة الألمانية للاستشراق (إذا جاز لنا التعبير أنها مدرسة) قد أنجبت عدداً من الدراسات القيمة ومن بينها الدراسة القديمة التي كتبها المستشرق الألماني الذائع الصيت جوليوس فلهاوزن J. Willihausen الموسومة بـ (أصول التشيع: إجماع البحث الغربي) The Origin of Shiism: A consensus of Western Scholarship. عنوانه هذا في الأصل ألماني هو Shiizen.

وطبع في برلين سنة ١٨٩٩. وتناول المستشرق التشيع والحركات الشيعية السياسية في مؤلفاته الأخرى نظير كتابه (المعارضة الدينية في الإسلام[١]؛ كما حقق البروفسور فستنفلد Wustenfield كتاباً عن الإمام الحسين[٢] اعتمد فيه على ترجمة كتاب أبي مخنف الموسوم (مقتل الحسين) وقد عرض فيه إلى جملة أمور

---

(١) Die relgioes politischen partien im alterislam (Berlin 1901), idem Das Arabische Reich and sein starz.

وقد ترجم إلى الانجليزية والعربية وله كتاب الشيعة والخوارج وقد ترجم إلى العربية والفارسية في قم ١٣٧٥ شمسي.

(٢) Der Tod des Husein ben ali and die rach (cottingen) 1883.

في العقيدة الشيعية. وألف الكتاب في سنة ١٨٨٣ ويعدّ رودولف شتروسمان Strothmann من المستشرقين الألمان الذين ألفوا عدة بحوث في دائرة المعارف الإسلامية (طبعة قديمة) عن مسائل في التشيع.

وله كتاب بعنوان (الشيعة الإثني عشرية)(١)، درس فيه فكر التشيع والعقيدة الأمامية في المذهب الإثني عشري، وهو الذي أسهم ببحث عن (الشيعة) في دائرة المعارف الإسلامية وعرض فيه أمور تستحق المناقشة، وسيتطرق البحث إليها لاحقاً. والذي يجدر ذكره هنا أن آراء رودولف شتروسمان في الإمامة؛ التي تناولها في كتابه الذائع الصيت حول (الزّيدية) صارت المصدر الأساس للمستشرقين الألمان من الجيل الحديث أمثال المستشرق مادولنك الذي ألف عدة أعمال، فضلاً عن دراسته للدكتوراه عن المذهب الزيّدي ونظرية الإمامة عند الزيدية؛كذلك كان المستشرق الآخر هاينز هالم قد تأثر به ووسع نظرية شتروسمان في الإمامة عند الزيّدية. من هذا كله يمكننا الوصول إلى نتيجة مفادها أن هناك استمرارية وتواصلاً علمياً في دراسات مدرسة الاستشراق الألمانية في موضوع الزيّدية. والحال نفسها بالنسبة إلى ميدان الامامية الإثني عشرية؛ فقد بدأ البروفسور شتروسمان الكتابة في هذا الميدان؛

---

(١) Rudolph. Strothmann: Die Zwolfer Schia'a (Leipzig 1926).
وقد اعتمد فيه على عدد من العلماء الشيعة كالطوسي والكشّي والنجاشي وابن شهرآشوب والحلي وغيرهم..

Idem. Das Staatsrecht der Zaiditen. Strassburg 1912.

فألف كتاباً بعد أكثر من عشر سنوات من تأليفه الكتاب حول الزيدية (ألفه سنة ١٩١٢) بعنوان (الشيعة الإثنى عشرية) وكان ذلك في سنة ١٩٢٦. ولم يغفل شتروسمان الحقيقة بأن المصادر الشيعية هي الأساس في توفير المعلومات المهمة عن نظرية الإمامة، تماماً كما فعل عند استناده إلى المرجعية عن المذهب الزيدي. وهي الحال التي عمل بها كل من المستشرقين مادولنك وهالم هاينز. أيضاً فأن شترسمان كان له تأثير واضح في دراسة موضوع السفراء الأربعة للإمام المهدي(عج)؛ إذ قدّم الدكتور المرحوم جواد علي دراسة إلى الجامعة في ألمانيا وحسبما روي أنه كان تحت اشراف المستشرق شتروسمان بعنوان (السفراء الأربعة للإمام الثاني عشر Die Beiden ersten Safir des Zwolften Imam) ونشرها في مجلة Der Islam في سنة ١٩٣٩كما سنشير في الفصل الخاص بعقيدة المهدي. وكذلك فأن المستشرقة الألمانية فيرينا كليم Klemm ألفت بحثاً بعنوان (السفراء الأربعة Die Vier Sufara) ونشرته في مجلة عالم الشرق سنة١٩٨٠ وترجمه المستشرق كوهلبرغ إلى الإنجليزية ضمن كتابه (التشيع Shiisme) وهو بعنوان (السفراء الأربعة للشيعة الإمامية. حول الفترة التكوينية للشيعة الإثني عشرية) كما سنقف عليه في فصل (عقيدة المهدي).

ويشير المستشرق الإسرائيلي إيتان كوهلبرغ Etan Kohlberg إلى مستشرق ألماني آخر يدعى Frank كتب بحثاً عن المجتهدين الشيعة وآرائهم في العقيدة، وضمنها نص وترجمة رسالة (كتيب) شيعي حصل عليه أثناء التقائه بأحد العلماء الشيعة في ألمانيا بعد الحرب

العالمية الأولى وقد نشرها في مجلة إسلاميكا[١]. وتطرق المستشرق الألماني المشهور الفريد فون كريمر[٢] Kraemer عن العقيدة الشيعية في كتابه حول تاريخ المذاهب الإسلامية، وحسب رأي إيتان كوهلبرغ فإن كريمر حلّل التشيع تحليلاً ممتازاً على الرغم من أنه لم يستخدم أي نص أثني عشري. مع أن المستشرق الألماني المعروف آلويس سبرنجر Sprenger الذي ألف كتاباً جيداً عن الرسول الكريم بعنوان (حياة محمد وتعاليمه)[٣] ونشره في ستينيات القرن التاسع عشر للميلاد لم يؤلف عملاً عن العقيدة الشيعية، بل أنه حقق نصوصاِ لعلماء شيعة نظير النصوص المقتبسة من الفهرست لأبي جعفر الطوسي اعتمد فيها على ثلاث مخطوطات. وللمستشرق الألماني بارتولد شبولر Spuler وقفة على التشيع في إيران في كتابه (إيران في العصر الإسلامي)[٤]. كما ألف المستشرق غارملش R. Garmlich عن الدراويش الشيعة، وخصص فيها معلومات عن عقيدة التشيع[٥]، وتجدر الإشارة هنا إلى أن الاستشراق الألماني الحديث قد أنفرد بشكل ملحوظ في دراسة الجوانب الأدبية والشعرية

---

(١) Islamica \2\1926 Pp. 171 - 192.

(٢) A. V. Kraemer, Geschichte der Herrschenden ideen (Leipzig 1868).

(٣) Aloys Sprenger. Das Leben und die Lehre. Op. Cit.

(٤) Spuler, B: Iran in Fruhislamicscher zeit (Wiesbaden 1952), idem (Der Verliuf der Islamisierung.

(Persia) in Islam Vol. xxxix (1950).

(٥) Garmlich, R: Die schiitischen Derwischen Persiens Erester Teil Affiliation (Wiesbaden 1953).

وفرق التصوف في إيران، وهو موضوع سنقف عليه إن شاء الله في الفصل اللاحق. لكن لابد من الإشارة إلى المستشرق الذي تخصص في الكتابة عن التشيع كتباً وبحوثاً في دوائر المعارف الأجنبية وحول الشيعة وعدد من أئمة أهل البيت وعن موضوع الإمامة ذلك هو ولفرد مادلونك Wilfred Madelung (١)، وألف المستشرق الألماني جرهار كونسلمان كتاباً بعنوان (سطوع نجم الشيعة) ويقصد بتعبير (سطوع) الثورة الإسلامية الإيرانية المباركة، وقد أبتدأ كتابه بذكر أحداث الهجرة إلى المدينة مؤشراً إلى دور الإمام علي في هذا الحدث، بعد ذلك يقف على استشهاد الإمام الحسين وأثره في تطوير البناء العقيدي في الإمامة(٢). والإشارة أيضاً تستحق إلى المستشرق موللر Moller الذي أنجز سنة ١٩٠١ ترجمة وطبع جزء من أجزاء كتاب (كمال الدين) للشيخ الصدوق ابن بابويه القمي، وبذلك هيأ للمستشرقين الاستفادة من كتاب (كمال الدين) المتعلق في بناء العقيدة الإمامية، ولعل موللر هذا هو نفسه الذي ألف كتاباً عاماً عن التاريخ الإسلامي في العصور الوسطى تطرق فيه إلى التشيع August Muller. وقد طبع كتاب (كمال الدين) بعنوان Beitrag Mahdileher في هيدلبرج ١٩٠١ بينما طبع كتابه الثاني في جزئين في برلين ١٨٨٥-١٨٨٧(٣). أما بالنسبة إلى المستشرق ثيودور نولدكه

---

(١) Madelung, W. Authority in the Twelver Shiism in the absence of the imam (Paris 1982), (imamate) in Encyclopedia of religions, Vol. ñ Pp: 114 - 19.

(٢) سطوع نجم الشيعة.

(٣) Moller, Beitrage zur Mahdileher, Heidelberg 1901.

Th. Noldeka فقد ألف كتاباً عن الإمام الحسين تناول في مقدمته التشيع في التاريخ(١).

وكما أشرنا إلى المستشرق المعاصر ولفريد مادلونك في تلك البحوث المذكورة آنفا، فإنه قد ألف كتابين اعتمد عليهما المستشرقين الآخرين عند تناولهم ميدان التشيع والعقيدة الشيعية وهذا يعدّ دليلاً على مدى الثقة بكتاباته؛ ومن بين دراساته كتاب (الإتجاهات الدينية في إيران الإسلامية)، وهو كتاب سنقف على ذكره في مجال (التشيع في إيران في العصور الإسلامية المبكرة) والآخر بعنوان (الإمام القاسم بن إبراهيم) الذي عرض فيه أفكاراً تتعلق بتاريخ التشيع والعقيدة الشيعية، ويعدّ من أعماله الأولى في الستينيات وهو كتاب عن الزيدية.

والمستشرق مادولنك يعد من المستشرقين الموضوعيين في عرضه الكثير من النقاط المثيرة للجدل؛ كذلك فأنه يعتمد أساساً على المؤلفات الشيعية ولا يضع وزناً ثقيلاً على الروايات الواردة في المؤلفات السنية عن أمور تتعلق بالعقيدة الشيعية. وفي عام ١٩٩٧ نشر كتاباً هو دراسة عن الخلافة الإسلامية بعد انتقال رسول الله إلى جوار ربه وقف فيه على ميدان التشيع؛ فضلاً عن عرضه خلافة الإمام علي بصورة مفصلة. وله مساهمات جديّة أخرى منها بحثه الذي خصصه للحديث على الولاية (السلطة) عند الشيعة الامامية

---

(١) Noldeke, A. Das Heligtum al - Husains zu Kerbala (Berlin 1909), idem"zur Ausbreitung der shiitismus" in der islam (1923).

الإثني عشرية في فترة غياب الإمام) نشره عام١٩٨٢[١]. كذلك أمور اقتصادية في الفكر الشيعي نظير بحثه الموسوم (الجدل الشيعي حول شرعية الخراج)، وقف فيه على موضوع مثير للجدل ذلك المتعلق بموقف العلماء الشيعة من مسألة الوكالة أو السفارة Deputyship في عصر الغيبة ونشره عام١٩٨١[٢]. وكتب في دائرة المعارف الدينية بحثاً بعنوان (الإمامة)ركّز فيه على عقيدة الشيعة في الإمامة وأشار إلى أنهم،على خلاف السنة،يشددون على الحاجة الماسة إلى الإمام بصورة دائمية لأنه قائد السلطة الألهية والقيادة السياسية بما يعادل بمفهوم divinely guider. وكتب بحثاً آخر في دائرة المعارف الإسلامية حول الميدان نفسه بعنوان (إمامة Imama) وهو بحث قيّم تناول فيه نظرية الإمامة عند مختلف الفرق الإسلامية كالشيعة والسنة والزيدية والخوارج. كما أنه كتب في هذه الدائرة للمعارف الإسلامية بحثاً قيّماً آخر تحت عنوان (قائم آل محمد)[٣] أستند فيه

---

(١) Madelung. Wilfred. Religious Trends in Early Islamic Iran (1988). Der Imam al-Qasim ibn Ibrahim und die Glaubenslchre der Zaiditen (Berlin-1965). Idem. Lectures on History of Shiism (University) of Chicago Press 1976.

(٢) dem . Authority in the Twelver Shiism in the Absense of the Imam" in La notion d. authorite au Moyen Age . Ed. by George Makdisi (Paris 1982)" Pp. 163 - 174. Idem. "Shiite Discussion on the legality of the Kharaj" in Proceedings of the Ninth Congress of Arabic and Islamic Studies (Leiden 1981) Pp. 193 - 202.

(٣) Idem. (Imamate) in Encyclopedia of Religion . Volume 7Pp. 114-119 . Idem. (Qaim Al_Muhammad)in Encyclopedia of Islam. (New Edition) Volume4 Pp. 456-457.

إلى المؤلفات الشيعية كالشيخ المفيد في كتابه (الإرشاد) والعلامة ابن بابويه في (كمال الدين) والشيخ أبي جعفر الطوسي في كتابه (الغيبة) والنعماني في كتابه (الغيبة) وعلى مؤلفات العلامة المجلسي. ووقف على موضوع الإمامة عند الشيعة الإمامية وعند الزيدية في بحوثه الخاصة بالعلامة نصير الدين الطوسي ورسالته حول الإمامة الموسومة بـ(رسالة في الإمامة). وأسهم في أول مؤتمر أو ندوة عقدت في ستراسبورغ عام ١٩٦٨ تحت عنوان (الشيعة الإمامية) ببحث عنوانه(الفقه الإمامي والفقه الزيدي) وقد نشرت بحوث هذا المؤتمر في باريس عام[١] ١٩٧٠. كذلك كتب بحثاً آخر بعنوان (مساهمة الشيعة والخوارج في علم الكلام قبل علم الكلام الأشعري)نشره في كتاب (علم الفقه الفلسفي الإسلامي) الذي حققه Morewedge وطبع في Albany. 1979. Pp.120-139. فضلاً عن هذا فإن البروفسور مادولنك كتب في سنة ١٩٦١[٢] بحثاً آخر بشأن الإمامة نشره في المجلة المشهورة Der Islam Volume 37 بعنوان(الإمامة في المذهب الإسماعيلي Das Imamat in der fruhen ismilitischen lehre. كذلك فقد وقف على مسألة الإمامة في بحوثه عن العلامة نصير الدين الطوسي مثل بحثه (أخلاقيات نصير الدين

---

(١) Idem . "The Shiite and Kharijite contribution to pre-Asharites Kalam"in Islamic Philosophical Theology) ed. Morewedgè Albany 1979. Pp. 120-139.

(٢) Idem. "Das Imamat in der fruhen ismailitischen lehre " in Der Yslam (I sl) Volume 3791961 Idem. "Imamism and Mutazilitic Theology" in le Shiisme Imamite (Paris 1970).

الطوسي بين الفلسفة والتشيع والتصوف نشره في كتاب يدور حول الأخلاق في الإسلام عنوانه (Nasir al-Din Tusi.s ethics between Philosophy. Shiism and Sufism) ونشره عام١٩٨٥ في[١] كتاب (R. G. Havannisiañed. Ethics in Islam Malibu Pp.24-54).

والاستشراق الألماني المعاصر أنجب أيضاً مستشرقاً مشهوراً آخر تخصص في ميدان التشيع، وأضحت مؤلفاته مصدراً للمستشرقين والمسلمين على حد سواء وهو هاينز هالم .Heinz Halm والملاحظ أن دراسات ما دلونك ودراسات هاينز هالم عن التشيع تبينان بجلاء تواصل المدرسة الألمانية واستمراريتها في متابعة البحث والدراسة لعقيدة الشيعة. فاشتهر هاينز في كتابه باللغة الألمانية (الشيعة Die Schia)[٢] الذي ترجم إلى الإنجيلزية فكانت أول طبعة له عام ١٩٨٨ ثم كانت الترجمة الإنجيلزية في سنة ١٩٩١ وبعنوان (الشيعة Shiism) وأعيد طبعه في أمريكا عام ٢٠٠٤[٣] وبالعنوان نفسه. وكما المحنا بأنه صار مصدراً أساساً بالنسبة إلى الآخرين من المستشرقين. والواقع أن الأستاذ هاينز هالم تابع هذه الدراسة ببحوث أخرى. كان في بداية الأمر متخصصاً في الدراسات

---

(١) Idem. " Tusi. s ethics between Philosophy. Shiism and Sufism " inEthics in Islam (Ed, by R. G. Havannisian. Malibu) Pp. 24-54.

(٢) Heinz . Halm. Die Schia (Wiesbaden1978. Darmstust 1988). Idem. Shiism (Edinburgh 1991. Second English EditionU. S. A. 2004).

(٣) See Heinz . Halm . Das Reich des Mahdi der Aufslieg der Fatimiden (Munich 1991). English Translation ; The Empire of the Mahdi (Leiden 1996). Idem . "Shia Islam from Religion to Revolution (Princeton Series on the Middle East'Translated by Allison Brown 1996).

الإسماعيلية وتناولت رسالته الجامعية مسائل فلسفية وفكرية للمذهب الإسماعيلي بعنوان (Kosmologe und Heilslehre der fruhen Ismailya) وقد طبعت عام١٩٧٨ في فيسبادن. وللمستشرق كتاب بعنوان(دولة المهدي عند الفاطميين)وطبعه في ميونيخ عام١٩٩١ وقد ترجم أيضاً إلى اللغة الإنجيليزية وطبع عام١٩٩٦[1].

كذلك هناك دراسة قام بها المستشرق الألماني كارل هاينرشKarl Heinrich Gobel بعنوان (إمامة Imamatc) ترجمها حميد دباشي H. Dabashi والدراسة في الواقع هي ترجمة لما كتبه المرحوم محمد جواد مغنيه في كتابه الإمامة، المطبوع في بيروت عام ١٩٦١ بعنوان (الشيعة والحاكمون) والذي ترجم إلى اللغة الفارسية. وقد وقف هذا المستشرق على عقيدة الشيعة في الإمامة.

والمدرسة البريطانية هي الأخرى قد أسهمت في ميدان عقيدة الشيعة. حقيقة أن المستشرق المشهور لأدوارد براون يعدّ من أقدم المستشرقين البريطانيين تخصصاً في دراساته عن فرقة البابية وتاريخ خروجها عن المذهب الإمامي؛ وكذلك في كتابه الذائع الصيت عن الأدب الفارسي لكنه ليس الأقدم من بين البريطانيين في هذا المضمار فضلاً عن مضمار التشيع؛ فالسير جون مالكولم Malcolm قد سبق براون بحوالي المائة سنة أي سنة ١٨٢٩ وكتب كتاباً بجزئين عن بلاد فارس[2]، وتحدث عن مدينة النجف الأشرف زمن القاجاري آغا محمد خان.

---

(١) Idem . The Empire of the Mahdi . the Rise of the Fatimids (Leiden 1996).

(٢) (Malcolm,SirJohn, History of Persia' London 1829) vol. 2 p . 124.

وإن السير لويس بيلي Pelly قد ألف سنة ١٨٧٩ كتاباً بجزئين عن الإمامين الحسن والحسين(١). كذلك فإن بالمر Palmer في كتابه هارون الرشيد الذي ألفه سنة ١٨٨١ قد وقف على الإمام الرضا ورحلته إلى خراسان عندما اختاره الرشيد وليّاً للعهد(٢)، أيضاً فأن المستشرق كانون سيل Canon Sell قد كتب كتاباً عن العقيدة الإسلامية تناول فيه ذكر التشيع عبر التاريخ. وكانون سيل مبشر بريطاني كان يعمل في التبشيرفي الهند.

فضلاً عن أنه أسهم ببحث عن (الأثني عشرية)، وقد اعتمد على الصحيفة السجادية (صحيفة الإمام زين العابدين)، وتناول في الكتاب الأئمة وسيرّهم وفكرهم العقيدي عبر التاريخ.

وله أيضاً إسهام في دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة الأولى)، عن الإمام علي معتمداً على مصادر شيعية(٣). أيضاً فقد سبق البروفسر براون السير برسي سايكس Sykes، أو ربما عاصره؛ فهو مؤلف كتاب (تاريخ بلاد فارس) وطبعه بجزئين في لندن سنة ١٩١٥.

ووقف فيه على وصف مرقد الإمام علي في النجف الأشرف،

---

(١) Pelly, Sir Lewis: The Miracle Play of Hasan and Husain, London, 1879.

(٢) Palmer, E. H. Harun ol - Rashid, Caliph of Baghdad (London 1881) p. 115,119,126.

(٣) Canon Sell, Faith of Islam (2 nd edition 1896). idem. Ithna Ashariyya (Madras 1915) Ps. 33,66,85. idem (Ali) in Encyclopedia of Islam (Old Edition).

معتمداً على عدد من كتب الرحلات الإسلامية[١]. لكن هذا لا يعدم من أهمية دراسات الأستاذ براون التي صارت مصدراً مهماً بالنسبة للباحثين في إيران وغيرها من الدول الإسلامية والعربية، وإن كتبه قد ترجمت بالفعل إلى اللغة الفارسية. فكتاب براون الذائع الصيت (تاريخ الأدب الفارسي)[٢]، يقع في أربعة أجزاء وطبع في لندن ١٩٠٨-١٩٢٤، وله مؤلف آخر هو (رواية رحال كتبها لتوضيح وشرح الحادثة المتعلقة بظهور الباب) وطبعه في لندن ١٩١٨، وكتابه الآخر (مصادر دراسة الدين البابي) وقد طبعه في لندن ١٩١٨، وله كتاب آخر عن الأدب الفارسي تحت السيطرة القاجارية. وغني عن التعريف أن براون في كتبه عن الأدب الفارسي يتناول شتى المواضيع الفكرية بالنسبة إلى علماء الشيعة كالعلامة الحليّ؛ وإلى الحديث عن أوصاف المراقد المقدسة في النجف والكاظمين وقم[٣].

وبراون يشير في كتاب مهم له (سنة بين الفرس) A Year amongst the Persians بأنه خلال سفرة له إلى قزوين استفسر من أحد أعلام الشيعة في قم عن أي المصادر الشيعية أكثر مصداقية؛

---

(١) Sykes, Sir Percy: History of Persia (London 1915).

(٢) Browne, E. G: A Literary History of Persia (London 1918 - 24).
وقد ترجم إلى اللغة الفارسية بعنوان (تاريخ أدبيات فارس إيران و ترجمه فتح الله مجتبائي، تهران ١٣٧٧ قمري، وأخرى بترجمة علام حسين صدري أفشار، تهران ١٩٨٤م، وترجم جزء من أجزاء الكتاب السيد رشيد ياسا.

(٣))ينظر ما ذكره المستشرق كوهلبرغ Kohlberg في كتابه Belief and law in Imam Shiism (لندن) pp. 43-44.

وأن الشيخ أشار إلى كتاب (معراج السعادة)، وإلى العلامة الحليّ والعلامة المجلسي، وسنقف لاحقاً - إن شاء الله - على رأي براون بشأن الإسلام في إيران.

ومن المستشرقين الذين كتبوا في مؤلفاتهم عن التشيع ووصفوا المراقد المقدسة المستشرق غي لسترنج G. Le Strange الذي ألف عدة كتب تحمل السمة الجغرافية الوصفية أهمها (بلدان الخلافة الشرقية) الذي ترجم إلى اللغة العربية؛ وتم طبعه في كمبردج سنة ١٩٠٥، إذ قدّم أوصافاً مهمة جداً عن مدن النجف والكاظمين ومشهد المقدسة وقم تتوافق مع الأوصاف التي ذكرها السير برسي كوكس. وفي الكثير من هذا الكتاب يقدم لسترنج معلومات مفيدة عن العقيدة الشيعية في التاريخ الإسلامي وآراءاً تاريخية مهمة. وله كتاب جغرافي آخر هو (فلسطين تحت حكم المسلمين) وكتاب طريف يتحدث فيه عن التشيع بعنوان (دون جوان بلاد فارس؛ الشيعة الكاثوليك) والكتاب يستحق القراءة، وقد طبع في لندن سنة ١٩٢٦وطبعه في لندن سنة ١٩٢٦، بينما طبع كتاب بلدان الخلافة الشرقية الذي ترجم إلى العربية في كمبردج ١٩٠٥[١]. والمستشرق الآخر ماكدونالد D. B. Macdonald الذي ألف كتاباً عن تطور نظرية الفقه والشريعة في الإسلام وطبع في نيويورك ١٩٢٦ وكتاب الحياة الدينية في الإسلام وطبع في شيكاغو ١٩٠٩[٢]. وهذا ربما يؤشر

(١) Le Strange,G. The lands of the Eastern Caliphate (Cambridge 1905) Pages 78,90,310,380,389.

(٢) (Macdonald. D. B, Development of Muslim theology. Jurisprudence and constitutional Theory (New York).

إلى أنه أمريكي الجنسية أوقد انتقل إلى أمريكا وهو الأصح، والمهم أنه أسهم في دائرة المعارف الإسلامية ببحث عن الإمام جعفر الصادق وتوقف على مسألة مؤلفاته التي تناولت شتى الميادين العلمية والفقهية والعقائدية، لا سيما كتاب الجفر وتابع مدى موثوقية نسبته إلى الإمام معتمداً على مختلف المصادر التاريخية والأدبية[١].

وتميزت المدرسة البريطانية للاستشراق بمستشرق ألف أول كتاب كامل عن العقيدة الشيعية ذلك هو (دوايت دونالدسون) في كتابه The Shi'ite Religion (الديانة الشيعية) طبعه في لندن ١٩٣٣؛ وكان في أصله، كما ذكر المؤلف، رسالة دكتوراه عن الأئمة الأثني عشر. وقد قسّم الكتاب على أثنتين وثلاثين باباً أفرد فيه لكل إمام باباً، وخصّص لكل مدينة مقدسة باباً أيضاً. ووقف على عقائد الإمامية في الإمامة والعصمة والشفاعة، كما تطرق إلى علماء الشيعة وفقهائهم مع ذكر مؤلفاتهم؛ وركّز المؤلف في باب مفرد على الكتب الشيعية الأربعة. وبهدف إكمال بناء كتابه عن التطور التاريخي للتشيع فقد أفرد أبواباً تتعلق بالأحداث التاريخية التي شهدها التاريخ الإسلامي نظير سقيفة بني ساعدة والخلفاء الراشدين والثورة العباسية وظهور البويهيين وفترة الوكلاء (السفراء الأربعة)، وظهور الفرق المنسوبة خطأ إلى التشيع الإمامي الإثني عشري كالاسماعيلية والشيخية والبابية والبهائية[٢]. وقد ترجم الكتاب إلى اللغة العربية بعنوان (عقيدة الشيعة) لكن الترجمة بحاجة إلى إعادة نظر ودراسة؛

(١) الترجمة العربية مجلد ٧ ص ٤٦ - ٤٧. (Macdonald, (Djaft) in E. I. (1).

(٢) (The Shi'ite Re;igion: A History of Islam in Perisa and Irak (London 1933).

كذلك فأن الكتاب نفسه بحاجة إلى تعقيب لأنه يحتوي على آراء وتحليلات على ما أورده من آراء وتفسيرات أستشراقية. وهناك المستشرق ميللر W. M. Miller الذي ألف كتاباً عن البهائية بعنوان Bahaism. Its Origins, History and Teachings وطبعه في نيويورك سنة[1] ١٩٢٦. والمهم فإنه وقف على التطور العقيدي للمذهب الأثني عشري قبل أنقسام البهائية إلى فرقة خارجة عن الإمامية. وإنه أسهم في ترجمة أول كتاب شيعي أو رسالة عن عقائد الشيعة وصارت مصدراً مهماً للمستشرقين وهو الباب الحادي عشر من الكتاب الفقهي الذي ألفه العلامة الحسن بن يوسف المشهور بالعلّامة الحلي المتوفى ٧٢٦/ ١٣٢٦ وهو الموسوم بـ(النافع في يوم الحشر) مع التفسير والشرح؛ ونشره في مجلة الجمعية الآسيوية الملكية في سنة ١٩٢٨. ومع صغر حجم هذه الرسالة لكنها تعدّ مهمة في مسائل في العقيدة. وله بحث مهم آخر حول التصوف الشيعي بعنوان Shia Mysticism of the Suffis of Gunabad [2] في همدان.

واستمرت الدراسات الشيعية متمثلة بعدد من المستشرقين البريطانيين القدامى الآخرين منذ ستينيات القرن العشرين ومن بين أهمهم مارشال هودجسون Hodgson الذي كتب بحثاً ما زال المستشرقون والباحثون المسلمون يعتمدونه عند الحديث عن بداية

---

(١) (Moller. W. M. Bahaism, its Origin, History Teachings (New York 1931).
A Treatise on the Principle of Shiite Theology.

(٢) (Royal Asiatic society, 1928 (London).

تطور الفكر الشيعي وتحوله إلى فرقة لها برنامجها العقائدي الإمامي زمن الإمام الصادق وعنوانه (كيف أصبح الشيعة فرقة؟)[١]، كذلك فإنه أسهم ببحوث في دائرة المعارف الإسلامية (طبعة جديدة) فكتب عن الإمام جعفر الصادق؛ وكتب بحثاً في دائرة المعارف الإسلامية عن (الغلاة).

ونشط بصورة ملحوظة في السبعينيات فألف كتاباً عن الحشاشين (والأصل في هذا المصطلح أما أنه جاء من لفظة حشيشة أو من ترجمة الحشاشين بالقتلة) The Order of the Assasins وكتاباً آخر بعنوان The Venture of Islam تحدث في الجزء الأول منه عن موضوع مهم يتعلق بمصادر الكتابة التاريخية عن التشيع[٢]. ويعاصر الأستاذ مونتغومري وات Watt فترة البروفسر هودجسون، وهو الآخر من المستشرقين البريطانيين(من اسكتلنده) البارزين في ميدان السيرة النبوية؛ ولكنه في الوقت نفسه أسهم في الكتابة عن عقيدة التشيع في عدة بحوث؛ أهمها البحث التاريخي عن التشيع بعنوان (الشيعة في العهد الأموي)[٣]، وبحث آخر مهم حول (أهمية المراحل الأولى للتشيع الإمامي)[٤]، وكتب بحثاً قيماً عن الروافض

---

(١) (Hodgson, M. G. S. "How did the Shia become Sectarian" in JSOS (1955) vol. Lxxv.

(٢) (See; The Order of the Assasins (Chicago 1974). idem (Ghulat) in the Encyclopedia of Islam (New Edition)

(٣) "Shiism under the Umayyads" in JRAS (1960).

(٤) The significance of the early stages of Imami Shiism (in N. Keddi (ed.): Religion and politics in Iran (1983).

بعنوان (الروافض، دراسة تمهيدية)(١). . كذلك أسهمت المستشرقة البريطانية المشهورة في تخصصها عن إيران في العصور الإسلامية البروفسورة آن لامبتون Ann Lambton في بحثين مهمين عن الجانب السياسي والعقيدي، أولهما حول مرجع التقليد ومكانته في المؤسسة الدينية الشيعية، وقد نشرته في سنة ١٩٦٤، أما البحث الآخر الذي يعتمد عليه المستشرقون عند الحديث عن نظرية الحكم في بلاد فارس؛ مع أنها لم تتطرق بشكل مباشر إلى التشيع فأنها تقف فيه على عقيدة الولاية عند الشيعة؛ ولكنها دراسة قيّمة تتناول النظرية الدينية السياسية في إيران وقد نشرت البحث في سنة ١٩٥٦(٢).

وهناك المستشرق البريطاني برنارد لويس B. Lewis قبل إنتقاله إلى الولايات المتحدة فقد قدّم إسهامات عدة عن ميدان التشيع وأبدى وجهات نظر بشأن تاريخ التشيع؛ وقد بدأ دراساته في رسالته الجامعية عن أصول الإسماعيلية(٣) وقف فيها على آثار فاجعة كربلاء الحسين، على الواقع التاريخي للتشيع، مع أنه لم يعالج موضوع استشهاد الحسين على وفق المنهج التقليدي الذي رسمه المستشرق

---

(١) "The Rafidites: A preliminary study" in Oriens. Vol. xvi\ 1963. The Formative Period of Islamic Thought (Edinburgh 1973).

(٢) Lambton . A. K. S. "A reconsideration of the position of the Marje al - Taqlid and the religious institution" in Studia Islamica vol xx (1961) pp. 115-35, idem (Quis Custodiet Custoses: Some reflection on the Persian theory of Gover ment:" in Studia Islamica vol. v\1956 p. 125-48 (vol vi\1956 p. 125-46.

(٣) B. Lewis, The Origins of Isma' ilism (Cambridge 1940).

المبشر هنري لامانس (وهو أن ثورة الحسين كانت تحقيق غرض سياسي الا هو الوصول إلى سدة الحكم. والمستشرق لويس يعطي رأياً يؤشر إلى تفاعلات الأزمة تاريخياً وعقائدياً بالنسبة إلى نمو وتطور التشيع. كانت رسالته الجامعية من جامعة باريس ترجع إلى حقبة الأربعينيات من القرن العشرين.

والبرفسور لويس من بين الأعضاء الأساسين للجنة المشرفة على الإنجاز الكبير (دائرة المعارف الإسلامية الطبعة الثانية)، وقد أسهم في الكثير من المقالات المهمة التي تشتمل عليها هذه الموسوعة، من بينها الذي يعني التشيع بحثه عن أبي نصر العيّاشي السمرقندي الذي خصّص منزله ليكون مركز أشعاع وتعليم للعقيدة الشيعية، وكان من العلماء الذين ألفوا المؤلفات الشيعية، وأن العلامة الشيعي المعروف مؤلف كتاب الرجال محمد بن عمر الكشي كان أحد تلامذته[١].

حقيقة أن الحقبة التي رافقت أندلاع الثورة الإسلامية الإيرانية ونجاحها قد ساعدت كثيراً على تحفيز المستشرقين البريطانيين في الكتابة عن الإسلام في إيران بصورة عامة والتشيع خاصة، غير أن نسبة توجه الاستشراق البريطاني كما هي أقل من توجه المستشرقين في أمريكا؛ والمعتقد أن عدداً غير قليل من المؤلفين المؤرخين المهتمين بدراسة التشيع قد انتقل من بريطانية للعمل في المعاهد العلمية الأمريكية. ومع ذلك لا يعدم من وجود مستشرقين بريطانيين

(١) AL - Ayyashi) in E. I (2) by Lewis Supp. I p. 701.

من بينهم المستشرق المعني بالفلسفة الإسلامية (وللي) P. E. Wiley الذي طبع كتاباً عن (التشيع الفلسفي المبكر) ونشره في كمبردج عام ١٩٩٣[١]، وهناك المستشرق جويس ويللي Joyce Wiley الذي طبع كتابه الموسوم (الحركة الإسلامية للتشيع في العراق) في لندن ١٩٩٢. والمستشرق يعمل في الولايات المتحدة أستاذاً مساعداً في قسم الدراسات الدولية والحكومية في جامعة ساوث كارولينا الأمريكية. والدراسة هدفها كما يفصح عنه العنوان دراسة أوضاع الشيعة في العراق تاريخياً وأحصائياً، ثم الوقوف على مدى تأثير الصفويين على التشيع في العراق[٢]. ولعل أندرو نيومان Andrew J. Newman من البريطانيين، وهو مستشرق مشهور إذ أنه ألف كتباً وبحوثاً قيّمة عن الأثني عشرية منها كتابه (الفترة التكوينية في مباني الأحاديث الشيعة الاثني عشرية كحال دراسية بين مدرستي بغداد وقم[٣]، والواقع أن هذا الكتاب يعدّ بشكل أو بآخر متأثراً أو متواصلاً في آرائه مع رسالته للدكتوراه الموسومة(أصول مدارس الأصوليين والأخباريين في التشيع الاثني عشري)[٤]، وأردفه ببحث عن الموضوع نفسه بعنوان (طبيعة الخلاف بين الأخباريين

---

(١) Walker. Paul E. Early philosophical Shiism: The Ismaili Neo Ptatonism of Abu Yaqub al- sijistani (2008).

(٢) Joyce N. Wiley: The Islamic Movement of Iraqi shiism (London 1992).

(٣) Andrew J. Newman: Formative period of the Twelver Shiism Hadith as Discourse between Qom and Bagdad (Curzon Press 2000).

(٤) Idem, The roots of the Usuli and Akhbari Schools in Twelver Shiism (1986).

والأصوليين في إيران في العهد الصفوي المتأخر)[1]، ثم ألف بحثاً آخر عن (هجرة العلماء الشيعة العرب إلى إيران في زمن الصفويين أولئك الذين عارضوا المذهب الكرابي والتشيع الصفوي).

الحديث عن إسهامات البريطانيين في حقل التشيع حديث طويل لأن بريطانيا بسبب العوامل السياسية التي أحدثتها الثورة الإسلامية الإيرانية، واتخاذها موقفاً مؤيداً إلى جانب أمريكا جعلها دائماً في صف أمريكا في توجيه الإتهامات السياسية المعادية ضد إيران. وهذا العامل قد حفّز هو الآخر عدداً من المستشرقين والباحثين في هذه البلاد على المتابعة والبحث في مجال التشيع في إيران. ومن بين العلماء الذين من الضروري ذكرهم هنا المتشرق (كالدر) N. Calder، الذي ترجع إنتاجاته إلى الثمانينيات من القرن العشرين وهي كثيرة قد تناولت الجوانب العقيدية وجوانب أخرى لها صلة بالاحوال العامة والقضائية للأئمة عليهم السلام منها بحثه عن (السلطة القضائية لأئمة الشيعة)[2]، وبحثه الآخر (بنية السلطة) «بمعنى الولاية» في التشريع أو الفقه الشيعي الإمامي من القرن العاشر إلى القرن السادس عشر)[3]، وبحثه القيم الآخر (ظهور نظرية الاجتهاد

---

(١) "The nature of the Akhbari\ Usule Dispute in Late Safawid Iran" in BSOAS 55\(1992) 22-57, (ii) p. 250-61.

(٢) Norman Calder (Judicial Authority in Imami Shi'I Jurisprudence) in Bulletin of British Society for Middle Eastern Studies \6\ii(1979) p, 104-108.

(٣) (Idem. (The Structure of Authority in Imami Shi'I Jurisprudence. From the Tenth to the Sixteenth Ceutury) in (BSOAS 44\ili\1981) p. 468-80.

عند الشيعة الإمامية) وبحثه عن (الزكاة في الفقه الشيعي الإمامي) وبحثه المكمل عن (الخمس في الفقه الإمامي)[1].

وقد قدّمت المدرسة الفرنسية شأنها شأن المدرستين الألمانية والبريطانية مساهمات مهمة وقيّمة في ميدان التشيع، وبرز من المستشرقين الفرنسيين علماء أضحت مؤلفاتهم من كتب وبحوث مصادر لابد من أن يرجع اليها الباحثون المستشرقون والعرب والمسلمون.

ففي إيران الإسلامية مثلاً توجه الاهتمام نحو ترجمة العديد من أعمال المستشرق الفرنسي هنري كوربن Corbin، الذي كان دائم الزيارة لهذا البلد؛ وكان العلامة الطباطبائي قد عقد سلسلة من المحاورات السنوية حتى عام ١٩٧٨ مع هذا المستشرق في طهران وقم. وقد تناقشا في مختلف الميادين المعرفية التي تعرّض لها في دراساته. حقيقة أن الأستاذ كوربن يعدّ من العلماء والمستشرقين المعروفين، لكنه من المتخصصين في الأصل بالفلسفة الإسلامية والاسماعيلية، وإنه - إلى حدّ ما - يمثل الجيل الثاني من المستشرقين الفرنسيين. على اعتبار أن هناك عدداً منهم قد صنّف المؤلفات عن التشيع، وهم أقدم منه، وترجع فترة نشاطاتهم إلى القرن التاسع عشر للميلاد.

والملاحظ على الاستشراق الفرنسي أن توجهاته واهتماماته متميزة في ميادين معرفية تكاد تنحصرفي الفلسفة الإسلامية، أو

---

(١) (Ilem,(Zakat in Imami Shi'I jurisprudence) in BSOAS x\v (1982) p. 39-47, idem (Khums in Imami Jhi'I juris prudence" in BSOAS (xl 17\1982).

بالأحرى فلسفة التشيع، والتصوف الإسلامي ويضمنها الفرق الشيعية، كالنعمة الإلهية والكبروية والحركات الشعبية التي تنتمي إلى التشيع والأحوال الدينية في ايران، فضلاً عن الدراسات المتعلقة بالمدن الإسلامية عامة والمدن الإيرانية خاصة كما هو الحال في الدراسات المتعددة عن مدينة قم المقدسة.

ويحتل المستشرق جوزيف آرثر كومت دي جوبينو Josoph Arther comt de Goboneau الصدارة في الاستشراق الفرنسي وهو في الحقيقة يمثل ما يشبه أن يكون بشاهد عيان لواقع التشيع في إيران لإنه خدم في الدبلوماسية الفرنسية في طهران مرتين الأولى بين سنتي ١٨٥٥-١٨٥٨ والثانية من ١٨٦١-١٨٦٣.

فقد ألف كتاباً بعنوان (الأديان والفلسفات في أواسط آسيا)[١] وقد طبع في باريس في عدة طبعات أولها في سنة ١٨٦٥ والثانية سنة ١٨٦٦؛ وبذلك فمن السهل القول إنه يمثل النصف الأول من القرن التاسع عشر. ومن المفيد القول بأن جوبينو أبدى ملاحظة في كتابه عن أصل التشيع في إيران، أو بالأحرى لماذا ازداد انتشار التشيع في إيران؟ وقد صارت هذه الملاحظة مجالاً للمناقشة من قبل العلماء في إيران من بينهم الشهيد آية الله مرتضى المطهري في كتابه القيم (الإسلام وإيران)[٢] ومع أن العلماء في إيران قد وقفوا مناقشين ومعارضين لرأيه القائل بأن عقائد الشيعة الإمامية ما هي إلا

(١) (De Gobineau, A: Les Religions et Philosophies dans L'Asie central Paris 1865) (3rdEdition 1900) p. 28-33 ehapter 15 pp. 405-437.

(٢) (الإسلام وإيران، ترجمة محمد هادي اليوسفي الغروي (منظمة الإعلام الإسلامي) ج١ ص٨٩-١٠٣.

نسخة مطابقة للأديان الإيرانية القديمة؛ لكن عدداً من المستشرقين نظير ادوار براون البريطاني في كتابه عن الأدب الفارسي يعتمد على مقولة جوبيتو ويرجحها ويكملها ويؤيدها، بالاستشهاد على ما جاء في كتاب الأفستا، كما سنقف على ذلك لاحقاً.

وهناك مستشرقون فرنسيون يمتّون إلى هذا القرن أيضاً يعتمدون على آراء جوبينو أمثال كوسين دي برسفال Caussin de Pereval، لكن كتابه الموسوم بـ(دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام)[١]. ويقع في ثلاثة أجزاء لم يقف على أمور مهمة تتعلق بالتشيع.

ومن المستشرقين القدامى المعروفين باهتماماتهم في الكتابة عن أمور متنوعة من تراثنا الإسلامي أيدجر بلوشيه Edger Blochet الذي ألف كتاباً عن (الأثر العقيدي المسيحي Messianism في الفرق الإسلامية) ونشره في باريس ١٩٠٣[٢]، وصنّف كتاباً آخر حول (الأثر النسطوري المسيحي والبوذي في المعتقدات الإسلامية والشيعية) ونشره في باريس عام ١٩٢٦[٣]. والواقع أن المستشرقة كارا دي فو Carra de Veaux قد سبقت بلوشيه في تأليف كتاب عن (المحمدية، والآثار السامية والآرية في الدين الإسلامي)[٤]، وقد

---

(١) de Perceval, Caussin, Essai sur L'hisloire de Arabes avant L;lslamisme, 3 vol (Paris 1847-48).

(٢) BLochet . E. La Conquets des Etats Nestoriens de L' Asie Central par Les schiites et Les influences chriet ienne et Bouddiqne dans le dogme Islamique (Paris 1926).

(٣) Idem. Le Messianism dans L'Heterdoxie Muslmane (Paris 1903).

(٤) Carra de veaux, Le mahomedism, Le Genie semitique et Les Genie aryen dans 'islam (Paris 1898) p. 142.

أشار إلى ملاحظة مهمة تتعلق بالجانب المصدري حول التشيع، وهي أن التشيع عبارة عن (فرقة سنية آرثودكسية) أي بمعنى أنها فرقة محافظة Free Sunni Orthodoxy، وهو في هذا الرأي يستند إلى ما كان سائداً في أوربا من المصادر السنية التي لاتقدم معلومات عقائدية وفقهية أساسة عن المذهب الشيعي؛ وكذلك لعدم وجود وشيوع النصوص الشيعية المحقّقة؛ وقد استمر الأمر هذا حتى النصف الثاني من القرن التاسع عشر كما يشير إليه المستشرق كوهلبرغ.

وأشهر من عرف من المستشرقين الفرنسيين بكتاباته السلبية الحاقدة ضد الرسول الكريم وأهل بيته الأطهار المستشرق الفرنسي المبشر هنري لامانس H Lammens، الذي أولى اهتماماً واضحاً بالدعوة الإسلامية، وعوامل ظهور الإسلام وبشخصية الرسول الكريم وأهل بيته؛ وكان يتقن اللغة العربية وله معرفة جيدة بحدود تلك الحقبة بالمصادر الإسلامية. غير أنه يميل إلى منهج الأخذ بالضد في كتاباته، لذلك شهر بأنه من المستشرقين الذين شككوا بالحديث الشريف برمته وبما جاء من مؤلفات السيرة النبوية. وكان يفضّل في مؤلفاته الخاصة بالتشيع معاوية بن أبي سفيان وابنه يزيد على الإمام علي وابنيه الإمامين الحسن والحسين؛ فضلاً عن إنه كتب كتاباً بعنوان (فاطمة وبنات محمد)[1] وقف فيه الموقف الحاقد نفسه. وأسهم في دائرة المعارف الإسلامية الطبعة القديمة بكتابة بحث عن الإمام الحسن وآخر عن الإمام الحسين[2]، وألف كتابين

---

(١) (Lammens, H. Fatima et les filles de Mahomet (Rome 1912).

(٢) Idem. (al- Hasan b, Ali) in E. I. 403-400 والترجمة العربية مجلد 7 ص ص
Idem (al- Husain b. Ali) in E. I.427 - 429

عن الحكّام الأمويين أولهما متعلق بمعاوية بن أبي سفيان والثاني عن يزيد بن معاوية.

ويعدّ المستشرق لويس ما سنيون من المشهورين في دراسات خطط المدن الإسلامية، وفي دراساته عن التصوف الإسلامي، وعن الحلاج بصورة خاصة؛ ولكنه ألف بعض البحوث المهمة التي لها علاقة بالتشيع وبفاطمة الزهراء وبسلمان المحمدي.

والبروفسور ماسنيون على سبيل المثال استشد بفاطمة الزهراء وقارن بينها وبين مريم العذراء كذلك قارن في عقيدة الاستشهاد بين أستشهاد الإمام الحسين وبين مسألة الصلب عند المسيحيين Crucifixion، وكتب الأستاذ ماسنون بحثاً عن (سلمان باك والآثار الروحية في الإسلام)، ونشره في سنة ١٩٣٨، وله بحث آخر عن (الشيعة المتطرفين في بغداد حتى نهاية القرن الثالث للهجرة التاسع الميلادي) ونشره في السنة نفسها؛ كما كتب بحثاً عن عائلة من أصول شيعية تسلمت الوزارة في العصر العباسي وهي عائلة (آل الفرات) ونشره ضمن بحوث تم نشرها في سنة ١٩٣٥[١].

ومن المستشرقين الفرنسيين القدامى المستشرق شارل فيرولو Ch-Virolleaud الذي ألف كتاباً عن الإمام الحسين، وطبعه في

---

(١) Massignon, L. Annuaire du Monde Muslman (Paris 1923) . idem "Salman Pak et Les premices spirituelles de Islam au 3rd siécle de L'begira (Paris 1938) idem (Les origins chiltes des Banu'L Furat). MeLange Gaudefroy. Cairo 1935, idem Recherches sur les Les chiites extremists a Baghdad a La du troiseme siécle) in ZDMG/ZCII/1938/P. 378.

باريس عام ١٩٢٧[١]. كذلك لا بد من الإشارة إلى الكتاب القيّم الذي ألفه صديقي Sadighi، وهو حسبما يبدو من الجنسية غير الفرنسية، لكنه كتب كتابه باللغة الفرنسية وطبعه في باريس سنة ١٩٣٨ بعنوان (الحركات الدينية الإيرانية) وقف فيه على بعض المعتقدات الشيعية؛ وكان هذا المستشرق بشكل أو بآخر من المؤيدين لنظرية جوبينو بالنسبة إلى أثار الأديان الفارسية القديمة، كالزرادشتية، في عدد من الفرق الشيعية الغالية التي تأسست في ايران زمن الصفويين والقاجاريين.

استمر الاستشراق الفرنسي على نشاطه في الدراسات عن التشيع عند الجيل الثاني من المستشرقين، غير أن الملاحظ على إسهامات المستشرقين الفرنسيين المحدثين (أي منذ ستينيات القرن العشرين)، اهتماماتهم المتميزة في حقول الدراسات الفلسفية الإسلامية، ودراسات التصوف والفرق التي خرجت عن التشيع الإمامي في إيران، وكذلك في دراسة الأديان في ايران وآثارها على الدين الإسلامي.

ومن أولئك المستشرقين المعروفين الذين يعدّون في الواقع ممثلين لجيلين، القديم والحديث، البروفسور كلود كاهين Cahen, Cl. صاحب التصانيف الكثيرة، فإنه ألف بحثاً طويلاً قيّما عن (الحركات الشيعية في آسيا الإسلامية في العصور الوسطى) نشره في مجلة أرابيكا عام ١٩٥٩ تناول فيه عند حديثه على الحركات الشيعية

---

(١) (CH. Virolleaud, La passion de L' imam Hossein (Paris 1927).

بعض الأفكار المتعلقة بالعقيدة الشيعية العقائدية[١]، التي اعتقدت بها الفرق الشيعية، كالاسماعيلية والقرامطة وغير ذلك. ومن الفرنسيين المستشرق موليه Mole الذي كتب بحثاً عن الفرقة الكبروية[٢]، وتعدّ دراسته من الدراسات القيّمة إذ شدد فيها على العناصر الشيعية والسنية المتداخلة في الكبروية. كذلك ألف المستشرق كلمرد J. Culmard بحثاً نشره في كتاب (العالم الإسلامي والإيراني) سنة ١٩٧١ بعنوان (الشيعة الإمامية في إيران خلال الحقبة السلجوقية اعتماداً على كتاب النقض)[٣]، وهو بحث قيّم تناول فيه العقيدة الشيعية على ضوء ما تقدم في الرّد على الآراء التي ذكرت عن الرافضة. ولهذا المستشرق بحث في دائرة المعارف الإسلامية (طبعة جديدة) عن مدينة قم Kum تناول فيها أوضاع المدينة مسلطاً الضوء على وضعية المذهب الشيعي الإمامي،

والمستشرق في بحثه هذا يركّز على مسألة الموروث الساساني

---

(١) Cahen, CL. (Movement populaire et autonomisme urbam dans L'Asie musalman du moyen age) in Arabica 1959.

(٢) Mole',m M. (Les Kubrawiya entre sunnism et shiism et neuvieme siecles de hegre) in REI/1961 vol. xxix pp. 61-142.

(٣) CuLmard. J. (Les chiisme imamate en iran a l'epoque seljoukide d'apres Le Kitab al - Naqd" in Le Monde iranien et L,Islam (Geneva and Paris 1979. Pp. 43-67). Idem. Le Cult de L. imam Husayn; Etude sur la commenoration du drame de Karbala dans L. Iran pre-Safavide (Doctorat Thesis-Paris 1973). idem"Le Mocent de representation de Taziye" inLe Monde Iranien et l. Islam (6-1974). Idem. (Mudjtihid) in Encyclopedia of Islam (New Edition).

وبالأخص، الزرادشتي مشيراً إلى تقدم زعيم الزرادشتيين يزيدان ماذار لمساعدة الأشاعرة - القبيلة العربية المعروفة - بعد هجرتها قسراً من العراق وتوجهها إلى ايران للإقامة في منطقة قم[1]. ومن الجدير بالذكر أن المستشرق كلمرد قد حصل على شهادة الدكتوراه من جامعة باريس عام ١٩٧٣ في موضوع مهم بعنوان (تبجيل الإمام الحسين: دراسة في ذكرى دراما كربلاء في أيران قبل الفترة الصفوية). وأنه قدّم بحثاً عن التعزية وما يتخللها من مشاهد مسرحية حيّة. فضلاً عن هذا كله فقد أسهم في دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة الثانية) ببحث تحت عنوان (مجتهد Mudjtahid). ومن النشاطات العلمية الأخرى لهذا المستشرق أنه قد حقق كتاباً يضم عدداً من البحوث عن التشيع بعنوان (دراسات صفوية Etudes Safavides) المطبوع في باريس- طهران/ ١٩٩٣

ومع أهمية ما تقدم ذكره من أعمال قام بها المستشرقون الفرنسيون فأن الستشرق هنري كوربن Corbin قد احتل مكان الصدارة في التأليف والبحث عن جوانب شتى من الإسلام في إيران. ثم هناك المستشرق بازن M. Bazin الذي شهر كثيراً في الكتابة عن مدينة قم المقدسة من الجوانب الدينية والاجتماعية كالتشيع في قم أو سكان مدينة قم وغير ذلك. والمستشرق كوربن يعرف العربية وتعلمها منذ سنة ١٩٢٥ وتعلم الفارسية، وكانت له معرفة بالإسلام الروحاني عن طريق استاذه البروفسورماسينون فضلاً عن معرفته بالمستشرق الألماني رودولف أوتو Otto. ويعدّ كوربن

(١) ينظر بحث كلمرد Kum في دائرة المعارف الإسلامية (طبعة جديدة).

العامل الرئيس في تأسيس قسم (الايرانولوجي) في المعهد الفرنسي هناك. وإنه بعد أن تقاعد عن العمل من جامعة السوربون صار عضواً في مركز الدراسات الفلسفية الإيرانية الذي أسسه العالم الإيراني في دراسات التشيع الاستاذ حسين نصر وظل يدّرس في هذه الأكاديمية حتى سنة ١٩٧٨. وله إسهامات كثيرة جداً كما سنذكره لاحقاً. ومن المستشرقين الفرنسيين الذين اهتموا بالتصوف في إيران وأشاروا في أثناء ذلك إلى ما له علاقة بعقيدة التشيع رايبكا J. Rybka فقد درس التصوف الإيراني[١]، وللمستشرق جان أوبين j. Aubin المعروف بدراساته عن سيراف، وعن الخليج الفارسي فإنه كتب بحثاً عن (مصادر دراسة ترجمة شاه نعمة الله الوليّ الكرماني)، وطبعها في طهران - باريس ١٩٨٢)[٢].

وهناك نقطة تستحق الذكر في هذا المجال تتعلق باسهام المدرسة الفرنسية في الكتابة عن التشيع الإمامي وهو المؤتمر الأول عن التشيع الذي عقد في ستراسبورغ عام ١٩٦٨بعنوان Colloquium (الشيعة الإمامية Le Shiisme Imamite)، إذ قدمت فيه بحوث تتناول عدة جوانب من التشيع فكراً وعقيدة وتراجم من أعلام الشيعة. وتم تحقيق البحوث وطبعها في باريس عام ١٩٧٠ إذ حققها البروفسور Fahad فهد. فمن المستشرقين المشاركين فيه ولفرد مادولنك وهنري

---

(١) Rypka. J. "Dans L'intimite d'un mystique", in Ame de Iran (Paris 1951) Pp. 181-200

(٢) Aubin, J. "Materiaux pour La biographie de shah Ni'mat allah wali Kirmani (Tehran- Paris-1982).

كوربن وآن لامبتون وغراملیج Gramlich المعروف ببحوثه عن الدراويش الفرس الشيعة وكان بحثه أيضاً في هذا المؤتمر حول الميدان نفسه. والمستشرق يارون لننت دي بيليفوندز Y. Linant de Bellefonds وكان بحثه (الإمامية الإثني عشرية Le Droit Imamite). والمستشرق الفرنسي المعروف هنري ماسيه H. Masse؛ والمستشرق برونشفيك Brunschvig R. في بحثه (أصول الفقه الإمامي في القرنين العاشر والحادي عشرLes Usul al-Fiqh Imamites a leur stade Ancien) وكان بحث المستشرق مادولنك (فقه الإمامية والفقه المعتزلي Imamism and Mutazilitc) بينما كان بحث المستشرق الفرنسي كوربن (الإمامية والفلسفة عند الشيعة Imamologie et Philosophie le Shiism. ومن الطريف ذكره بأن شخصيتين مهمتين من علماء الدين الشيعة قد حضرتا المؤتمر وهما الإمام موسى الصدر من لبنان والبروفسور حسين نصر من إيران؛ وكان أقل من نصف أعضائه من المتخصصين في الإسلام الشيعي على حد قول البروفسور إيتان كوهلبرغ.

والمدارس الاستشراقية في دول أوربا الوسطى وروسيا، هي الأخرى أسهمت في تخريج مستشرقين درسوا ظواهر عدة من عقيدة الشيعة والحركات الشيعية، مع أنها حقيقة أقل كمّا ونوعاً من الدراسات الألمانية أو البريطانية أو الفرنسية.

ففي إيطاليا على سبيل المثال من المهم الإشارة إلى (G. Vajda فاجدا) التي كتبت عدة إسهامات مهمة صارت مصدراً للحجاج والمناقشة، أما في حقل التشيع فقد قدّمت بحثاً بعنوان (تاريخان أو

دليلان عن السيرة النبوية، يشيران إلى الشيعة الاثني عشرية) نشرته في سنة ١٩٤١[١]. ومن جيل الأستاذة فاجدا نفسه ظهر في إيطاليا المستشرق موسكاتي Moscati الذي كتب بحثاً ممتازاً عن الإعتراف أو الوثيقة التي عرفت بصحيفة أبي هاشم بن محمد بن الحنفية. فقد درس المصادر المعنية بالصحيفة فضلاً عن تناوله عدة أمور تتعلق بتاريخ التشيع. ولكنه كتب أيضاً بحثاً قيّما عن التشيع في التاريخ، ووقف على أهمية دور الإمام الصادق في وضع الأسس العقائدية للتشيع ونشر البحث في سنة ١٩٥٥[٢]. ومن مستشرقي الجيل الحديث في إيطاليا اشتهرت المستشرقة فيشيا فاجيلري L. Veccia Vaglieri في ميدان الكتابة عن التشيع وعن سير عدد من الأئمة الأطهار؛ فكتبت عن الإمام علي والإمام الحسن والإمام الحسين عليهما السلام من وجهة نظر ومن موقف يختلفان كثيراً عن الموقف والتفسير اللذين صرّح بهما المستشرق المبشر الفرنسي هنري لامانس، وسنقف على هذا الموضوع لاحقاً إن شاء الله تعالى. وكتبت بحثاً في دائرة المعارف الإسلامية (طبعة جديدة) عن غدير خم عرضت فيه موقف المشككين من المستشرقين حول هذا الموضوع وناقشت تلك الآراء مناقشة موضوعية. إذ أبدت رأياً واضحاً مفاده أن السبب الأساس في تجاهل كل من ابن سعد وابن هشام (المنقّح أو المهذب لكتاب محمد بن إسحاق (السيرة النبوية)،

---

(١) G. Vajda "Deux histories de prophet selon La tradition des Shiites duodecimain" in REVOL. xvi (1914) pp. 124-33.

(٢) Moscati,s, "Testamento di Abu Hashim" in RSO vol. xxvll (1952) pp. 24-28. Idem (Per una stioiria dell Antics shi's) in RSO, xxx/ 1955, p. 25.

والطبري لواقعة غدير خم بأن هؤلاء كانوا يخشّون ويخافون السلطة العباسية[١]؛ ولهذا السبب لم يبدوا أي موقف من ذلك الحدث.

أدّت مدرسة الاستشراق الهولندية دوراً مهماً في ميادين معرفية متعددة من التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، إلا أن دورها في ميدان التشيع قليل نسبياً، فقد ألف المستشرق المشهور فان فلوتن Van Vloten بحثاً عن مقتل الإمام الحسين في كتاب يعتمد عليه في طهران. وفان فلوتن من المستشرقين القدامى من الجيل الأول إذ نشر هذا البحث في سنة ١٨٩٢[٢].

أما في الإتحاد السوفيتي فقد برز المستشرق المشهور في تخصصه عن الإسماعيلية إيفانوف Ivanow فدرسها في دراسات كثيرة ونشر عدداً من الرسائل الإسماعيلية. وإنه أيضاً حقق إسهامات عن الإسماعيلية في إيران، وعن الأدب الإسماعيلي نشرها في طهران. أما عن التشيع فقد نشر بحثاً في سنة ١٩٣٩ عن الحركات الشيعية المبكرة، ركّز فيه على وضع الشيعة والعقيدة الشيعية أيام الأمويين، وكيف أدت سياسة الأمويين العاتية إلى حدوث الثورات والحركات الشيعية[٣]. ومن المستشرقين الروس أو من البلدان الشرقية المستشرق صاحب الإنتاج الغزير والقيم مارسينكوفسكي .M

---

(١) L. Veccia Vaglieri (Ali b. abi Talib) in E. I. (al- Hasan b. ali) in E. I. (al- Husain b. ali) in E. I (Ghadir Khum) in E. I.

(٢) G Van Vloten, (Les drapeany en usage'a La fete de Huccin a Teheran) in Internationales archive fur Ethnographie le chisme (1892) vol 5 p. 313-317.

(٣) (Ivanow, w. (Early Shiite movements) in JBBRAS'. 1939/ p.3
الجمعية الآسيوية نومباي.

I. Marcinkowski ولعله من بلغاريا. المهم أن هذا المستشرق قد اختص بالشيخ العلامة الكليني بما له علاقة بفقهه ومؤلفاته فكتب بحثاً بعنوان (الكليني وأحاديثه الشيعية الإثني عشرية المبكرة في الكافي: جوانب مختارة من الجزء المختصر من الأصول من الكافي)؛ وبحثه الآخر الموسوم (جوانب مختارة من حياة وأعمال الشيخ المفيد). وبحثه الموسوم بـ(حياة وعصر الشيخ الصدوق)(*).

وعلينا أن لا نغفل ما قدّمه الاستشراق في الأرجنتين وهو استشراق حديث، فقد نشر المستشرق لويس البيرتو فيتور Luis Alberto Vittor دراسة قيّمة نقدية عن الإسلام الشيعي؛ وفيما إذا كان موقعه ضمن الإسلام أم أنه يعدّ كالذي عرضه عدد من المستشرقين بدعة أي هرطقة Orthodoxy or Heterodoxy وعرض مواقف المستشرقين الغربيين المشككين، وأخضعها للمناقشة؛ ثم عقد فصلاً من كتابه حول مسألة مهمة وهي الولاية (ولاية الأئمة) وسلطات الأئمة الدينية والدنيوية كما خصّص فصلاً عن الإمامة؛ فضلاً عن تناوله تفسير معنى الشيعة في فصل خاص(١).

كان من أهم نتائج المتغيرات السياسية التي سادت منطقة الشرق الأوسط والعالم برمته؛ وما له علاقة بالسياسة الخارجية للولايات

(*) M. I. Marcinkowski. "Al-Kulayni and His early ûShiite Hadith Twelver-compendium al-Kafi. Selected Aspects of the part al-Usul min al-Kafi" in Islamic Culture (74-2000) Pp. 89-126. Idem. Twelver Shiite Scholarship and Buyid domination. A glance on the life and times of Ibn Babawayh al-Shaykh al-Saduq" in Islamic Quarterly (45-2. 2002Pp. 199-222.

(١) Vitto, Luis Alberto: Shiite Islam/Orthodoxy or Heterodoxy (Translated by J. A. Morrow) Kum 2006. P. 16-18. 135,209,223.

المتحدة الامريكية وأوربا بالدرجة الأولى وسياسة إسرائيل في علاقتها مع الدول العربية والإسلامية بشكل خاص، نجاح الثورة الإسلامية الإيرانية المظفرة. فإن ما حققته الثورة بزعامة الإمام الراحل الخميني أقدّس الله سره - قد صعقت أمريكا وإسرائيل، عندئذ تركّزت أنظارهم بجديّة نحو الشرق، ونحو إيران بشكل خاص، ودفعتهما إلى أن يتحركا بسرعة لمعرفة ما هو جارٍ بالفعل من أحداث بخصوص التشيع والعقيدة الشيعية في إيران والعراق ولبنان وغيرها من البلدان التي تضم بين سكانها الشيعة.

عندئذ، وبصورة خاصة، أنطلقت الدراسات والبحوث عن التشيع، وتم عقد الندوات والمحاضرات في أمريكا وأوربا وإسرائيل عن هذا الميدان، وتوجهت دوائر المعارف الأمريكية كدائرة المعارف الأمريكية The Encyclopedid Americana، ودائرة المعارف الكاثوليكية الجديدة New Catholic Encyclopedid، وأقدم عدد من الباحثين على تحقيق الكتب التي تضم بحوثاً لمستشرقين وباحثين من العالم الإسلامي متخصصين في ميدان التشيع؛ وتوجه العمل على تشجيع الكتابة والبحث عن عقيدة التشيع وعن الحركات الشيعية وعن الإمامية الأثني عشرية والمهدية وغيرها من المواضيع الحيوية ضمن العقيدة الشيعية.

وتأسست مراكز خاصة بالدراسات الدينية والدراسات الإيرانية نظير مركز الدراسات الإيرانية في جامعة كولومبيا كذلك حقّق مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية CSIS في واشنطن إسهامات عديدة في نشر الكتب عن الإسلام وعن إيران أو عن التشيع. وكان للأستاذة نيكي كيدي Nikki Keddi وشيرين هنتر Sh. Hunter الدور

الفاعل في انجاز مثل هذه النشاطات التابعة إلى مؤسسة سياسية أمريكية. لذلك صار لزاماً على هذا البحث التطرق إلى المساهمات الأمريكية والإسرائيلية في حقل الاستشراق والتشيع.. فمن المستشرقين الذين يمتّون إلى الجيل الأول من الاستشراق البروفسور برنارد لويس B. Lewis الذي انتقل من جامعة لندن (مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية) ليعمل في أمريكا. ومنذ استقراره هناك توجه إلى دراسات متعددة عن الإسلام المعاصر ولكنه كتب كتاباً بعنوان (إيران في التاريخ) طبعه في سنة ٢٠٠٧ في تل أبيب وكتاب آخر (الشيعة في التاريخ)، وقف فيه على تاريخ التشيع في إيران، وكيف كان موقف الإيرانيين تاريخياً من دخول الإسلام إلى بلادهم[1]، وكتب أيضاً كتاباً عن الشيعة في التاريخ مظهراً أوضاع الشيعة السياسية والعقائدية عبر التاريخ الإسلامي. وفي الإتجاه نفسه فإن الأستاذ فيليب حتي Ph. Hitti الذي نشر في لبنان كتباً حول تاريخ العرب وإسهامات أخرى عن ميادين مختلفة من التاريخ الإسلامي يكون مستشرقاً أمريكياً يسهم في مجال تخصصه فضلاً عن الكتابة بخصوص التشيع. فكتب بحثاً مطولاً في دائرة المعارف الأمريكية بعنوان الفرق الإسلامية Moslem Sects وخصّ في بحثه هذا الشيعة. وكتب مقالة الإثني عشرية إلى جانب الفرق الإسلامية الأخرى متتبعاً فيه تاريخيةَ التشيع والدور الذي أدّاه الإمام علي. أما بالنسبة إلى القسم الثاني من دراسته فإنه يرى أن معتقد الشيعة في المهدي(عج)، ما هو إلا معتقد المسيح[2] Messanic. وأسهم

(١) Lewis. B. IRAN IN History (Tel Aviv University 2007) pp. 3-5.

(٢) Philip Hitti, (Moslem sects) in E. Americana (vol-19) pp. 500-501.

الأستاذ حتي أيضاً في دائرة المعارف الكاثوليكية الجديدة ببحث عن عقيدة الشيعة في المهدي المنتظر (عجل الله فرجه) بعنوان[1]، (المهدي). ومن المستشرقين الأمريكان الآخرين ديفري B. Davery، الذي أسهم هو الآخر في دائرة المعارف الكاثوليكية الجديدة ببحث عن الشيعة، وابتدأ بحثه بهذه الجملة (واحدة - يعني الشيعة - من الفروع - بمعنى الفرق - الرئيسة في الإسلام، أما البقية فهي سنية) وهي بداية غامضة إنما تعكس رأي الباحث وتحتاج إلى رأي.

وهو على الرغم من تلك البداية الضعيفة يشدّد على الانقسامات المذهبية في الإسلام وعلى الاختلافات العقائدية بين الشيعة والسنة. وتوقف فيها على مبدأ الاجتهاد في الفكر الشيعي[2]، ولكن وقفته لم تعكس فكرة واضحة وعميقة.

وهناك الأستاذ دوغلاس كرو Douglas S. Crow الذي أسهم في دائرة المعارف الدينية The Encyclipedia of Religion؛ ومن المناسب القول إن دائرة المعارف الكاثوليكية الجديدة الطبعة الثانية هي عمل مشترك مع الجامعة الأمريكية الكاثوليكية في واشنطن وطبعت سنة ٢٠٠٣. أما دائرة المعارف الأمريكية التي اعتمدتها فهي Copyright طبعت سنة ١٩٦٣، وأما دائرة المعارف الدينية فهي أيضاً Copyright طبعت سنة ١٩٨٧. وأسهم الأستاذ كرو CROW ببحث عن Messianism المسيحية أو المهدية متتبعاً المصطلح في

(١) Philip hittti, (al - Mahdi) in New calholic Ency,(Second Edition) vol - 9 p 48.

(٢) Davary, B. (Shi'ites) in New cath. Ency. Vol-13 pp. 83-84.

التوراة والإنجيل ووقف على استعمال التعبير في الإسلام مشيراً إلى أن الشيعة في هذه العقيدة متأثرون بالعقيدة المسيحية. وعند انتقال البحث إلى موضوع حول توضيح معنى المصطلح (المهدي) في الإسلام عندئذ يلقي المستشرق دو غلاس كرو CROW الضوء على التطور التاريخي للمعتقد، معتمداً على كتاب الإرشاد للعلامة الشيخ المفيد الذي ترجمه المستشرق هوارد I. K. A. Howard سنة ١٩٨١[١].

وأسهم الأستاذ متي موسى - الأمريكي الجنسية - في الكتابة عن التشيع بعنوان (الشيعة المتطرفون: الفرق الغالية)[٢]. والأستاذ متي موسى يتحدث في مقدمة كتابه عن الفكرة نفسها التي تحدث عنها المستشرق ديفري المذكور في أعلاه؛ أي أن هناك القليل من المعرفة في الغرب عن الانقسام المذهبي في العالم الإسلامي بين السنة والشيعة. وهو يقول بصراحة في المقدمة: - علينا أنحن الأمريكان - أن لا نخلط أو نرتكب خطأ في جعل التطرف الذي يفرضه الراديكاليون السياسيون والدينيون في نظام الحكم الشيعي القائم في إيران المخاصم للغرب[٣] وبين الفرق الشيعية المعتدلة. ومن بين فصوله المثيرة للجدل والنقاش الفصل الخاص بعقيدة

---

(١) Helmer Ringgren (Messianism) in Ency. of Religion vol - 9 p. 469,. Douglas S. CrowVol -9 pp. 470-481.

وقد أسهم (كرو) أيضاً في الكتابة عن (الغيبة) في دائرة المعارف الدينية مجلده ٥ ص ٥٤٠-٥٤١.

(٢) Matti Moosa, Extremist Shiitees; The Ghulat Sects First Edition 1987.

(٣) ibid (p. xl).

الشيعة وبخاصة الفصل الموسوم بـ(الأئمة الإثني عشر)، والفصل الخاص بالتأثير المسيحي، والتأثير الأرمني على معتقدات فرقة القزلباش الأكراد. لكن الأكثر إثارة قول المؤلف «إن الكتاب مهم للساسة والعلماء وطلبة التاريخ والمؤسسات الحكومية والخاصة في الغرب»[(١)].

والملاحظ أن الدراسات الأمريكية عن التشيع والعقيدة الشيعية والحركات السياسية الشيعية قد تصاعدت في أواخر السبعينيات والثمانينيات والتسعينيات، ثم أخذت حيّزاً أوسع بكثير في سنوات الـ ٢٠٠٠ م، وحتى الوقت الراهن. وهاهنا استشهادات حول هذه المسألة التي تؤكد ما بدأنا به القول عن العلاقة بين المتغيرات السياسية التي أحدثتها الثورة الإسلامية، وبين ما ظهر من شحذ الهمم في أمريكا نحو الكتابة التاريخية والعقائدية بخصوص التشيع سواء كان التشيع بصورة عامة أم التشيع في إيران على وجه الخصوص.

فالمستشرقة نيكي كيدي Nikki Keddi المسؤولة في مركز الدراسات الدولية والاستراتيجية (CSIS) قد حققت عدة إسهامات بمفردها أو عن طريق ندوات ودراسات أقامها هذا المركز للأبحاث حول الثورة الإيرانية. ففي سنة ١٩٧٢ أشرفت على تحقيق كتاب بعنوان (العلماء والأولياء والمتصوفة) وأسهمت ببحث عنوانه (جذور سلطة أو هيمنة العلماء في إيران الحديثة)[(٢)]، وفي سنة ١٩٨٣

---

(١) ibid (p. x).

(٢) Nikki Keddi, (The roots of the ulama's power in modern iran) inScholars, Saints and Sufis (1972).

حققت كتاباً طبع في جامعة Yale بعنوان (الدين والسياسة في إيران)[1]، أسهمت فيه وعدد من الباحثين ببحوث عن هذا الموضوع.

وأسهمت المستشرقة جوان كول J. R. COLE بعدد من الأبحاث والكتب عن التشيع عامة والتشيع في العراق بخاصة فكانت دراستها حول (رجال الدين الشيعة في العراق وإيران من سنة ١٧٢٢ حتى ١٧٨٠) إحدى إسهاماتها وقد نشرته في مجلة دراسات إيرانية سنة ١٩٨٥، بعد ذلك أسهمت مع الأستاذة نيكي كيدي Nikki Keddi في كتابة كتاب عن(الشيعة والمعارضة الإجتماعية) وتم نشره في عام ١٩٨٦، وألفت كول Cole أيضاً عن السياسة والثقافة والتاريخ في الإسلام الشيعي بعنوان (بين المجال الديني والحرب المقدسة - الجهاد -) وقد نشرته في نيويورك ٢٠٠٢، ثم أسهمت بكتاب آخر عن شيعة العراق وطبع في مشيغن عام ٢٠٠٤[2]. فالمستشرقة كول أسهمت عدة إسهامات مهمة عن التشيع في العراق وإيران بعد الثورة الإسلامية الإيرانية. والواقع فإن كول أعطت عطاء غزيراً في البحث عن البابية والشيخ أحمد الأحسائي والشيخية والبهائية وهو موضوع سنقف عليه في الفصل الأخير من الكتاب.

وحقق المستشرق الإسرائيلي مارتن كريمر Kremer كتاباً بعنوان

---

(١) ibid, Religion and Politics Iran (Ed, by) Nikki Keddi/ Yale University 1983, idem The roots of revolution (New Haven 1981).

(٢) Juan Cole, Shiism and social protest (1986), idem (Sacred space and Holy war-the politics, culture and history of Shiite islam (New York) 2002. Idem The Iraqi Shiites(Michigan 2004).

(الشيعة: احتجاج ومقاومة ثم ثورة) وقد نشره عام ١٩٨٧[١]. وألف بنولت ديفيد Pinault David كتاباً بعنوان (الشيعة) أصدره عام ١٩٩٣[٢]. كما نشرت المستشرقة لندا ولبردج Linda S. Walbridge كتاباً بعنوان (من دون أن ننسى الإمام) ونشرته في عام ١٩٩٦[٣]. وأصدر ريتشارد Y. Richard كتاباً بعنوان الإسلام الشيعي ونشره في عام ١٩٩٥، وأشرف جيكوفسكي P. J. Chelkowiski على كتابة كتاب بعنوان[٤] (التعزية، طقس أو تقليد أودراما في إيران) أحتوى على عدة بحوث اجتماعية وعقائدية وتم طبع الكتاب سنة ١٩٧٩. وألف المستشرق ستيوارت Stewart كتاباً نشره في جامعة أوتاوا بعنوان (رد فعل الشيعة الاثني عشرية من النظام أو المؤسسة الفقهية السنية)[٥]. وأصدر المستشرق الارجنتيني الذي سبق ذكره تواً فيتوريو لانترنري Vittorio Lanternari في نيويورك كتاباً بعنوان (أديان الطبقات المسحوقة والمظلومة)[٦]، وألف رينر برونر Brunner وورنر أند Werner كتاباً عنوانه (الشيعة الأثني عشرية في الأزمنة الحديثة: دين وثقافة وتاريخ سياسي[٧]،

---

(١) Marten Kremer, shiism, Resistence and Revolytion 1987.

(٢) Pinault David : The Shiite 1993.

(٣) Linda s. Walbadge. Without forgotten the Imam 1996.

(٤) P. J. Chelkewiski (ed.) Ta'ziyah: Ritual and Drama in Iran (1979).

(٥) Stewart. Islamic Legal orthodoxy, Twelver Shiite Response to the Sunni Legal system (Uta Press 1998).

(٦) Vittorio Lanternari: The Religions of the Oppressed (New York 1965).

(٧) Brunner, Rainer and Werner Ende: The Twelve Shia in modern times: Religions, Culture and Political History.

وأصدر سكوت أيبلباي scott Appleby كتاباً بعنوان (ما هو الاختلاف بين الشيعة والسنة ولماذا؟!)(١)، وكتب المستشرق مايكل جويلين Michael chaublain كتاباً عن (الشيعة في العراق من القرنين التاسع عشر إلى القرن العشرين)(٢).

وألف المستشرق تكاميتسو سشيمامتو Takamitsu shimamoto، الذي يبدو أنه أمريكي الجنسية؛ كتاباً طبعه في أمريكا بعنوان (القيادة أو الإمامة عند الشيعة الإمامية الاثني عشرية)(٣).

وتستمر النشاطات والإسهامات الاستشراقية الأمريكية في التركيز على ميدان التشيع في إيران بعد سنة ٢٠٠٠ حتى يومنا هذا؛ فقد درس جيمس بل James A. Bill بالإشتراك مع جون وليمز John Williams في جامعة نورث كارلونيا في سنة ٢٠٠٢ موضوعاً طريفاً ومهماً في الوقت نفسه حول (روما الكاثوليكية والمسلمون الشيعة بخصوص الصلاة والسياسة والعاطفة)(٤)، ركّز فيه الباحثان على أوجه التشابه بين المسلمين الشيعة والرومان الكاثوليك في تلك الميادين، وقد شددا على التشيع الإثني عشري، وبالأخص ما معمول به في سياسة الجمهورية الإسلامية في إيران. وكان الفصل الأول معقوداً على المقارنة بين الميدانين، وعقدا فصلاً عن أهل

---

(١) Scot Appleby: What is the difference between Shiite and Sunni muslim and why?

(٢) Michael Chaubelain: Shiism in Iraq 19th. 20th. centuries.

(٣) Takmamitsu Shimamoto: Leadership in Twelve Shiism.

(٤) James A. BILL and john Williams: Roman Cathlics and Shii Muslims. Prayer, Passion and Politics Univerxity of North Carolina Press 2002.

البيت وفصلاً آخر عن الأعلام المقدسين ثم عقداً في الاستنتاج دراسة مقارنة بين الجوانب السياسية والدينية. والملاحظ أن كليهما من أساتذة كلية وليم ماري في فرجينيا. وفي سنة ٢٠٠١م أصدر كلارك L. Clarke (المحقق) كتاباً بعنوان (التراث الشيعي) ويضم دراسات عن المرويات القديمة والحديثة. وأحتوى على فصل عن التاريخ والمجتمع عند الشيعة وآخر عن الشيعة والسنة[١]، وألف ديفيد بيف David Pieff كتاباً بعنوان: اندفاع الشيعة (The Shiite Surge)[٢]، طبع في نيويورك عام ٢٠٠٤. وألف المستشرق ديفيد مورغان David Morgan كتاباً عن الصفويين الشيعة في إيران الإسلامية نشره سنة[٣]، ٢٠٠٧م. وألف المستشرقون مايكل مزاكو M. Mazzaqu وهيلينا كولبّان Helena Colbban وحنا بتاتوكتاباً مهماً حول التشيع في العالم العربي. كذلك كتبت المستشرقة التي ذكرناها في عدة مناسبات جوان كول Juan R. Cole كتاباً بعنوان (أصول تشيع شمالي الهند في إيران والعراق)[*].

والأكثر أهمية في هذا الميدان التقرير الذي قدّم من GRS إلى الكونغرس الأمريكي في ٢٣ شباط ٢٠٠٨ حول الإسلام السني والشيعي، قدّمه الأستاذ كرستوفر بلانجرد Christopher M.

---

(١) CLARKE, L (cd.) Shiite Heritage: Essays on Classical and Modern Traditions (2001).

(٢) David Pieff: The Shiite Surge (New York Times 2004.

(٣) David MORGEN: ISLAM IN IRAN (2007).

(*) ينظر. Juan R. Cole ;Roots of North Indian Shiism in Iran and Iraq (Berkely University of California Press 1988).

Blanchard [1] إلى الخارجية الأمريكية والدفاع الأمريكي، حول إحصائيات الشيعة والسنة وجوانب اجتماعية وعقائدية أخرى. كذلك لابد من الإشارة إلى ما قدّمه مركز الدراسات الإيرانية في جامعة كولومبيا من بحوث عن (الإسلام في إيران) تناولت المسيحية/ المهدية/ ومفهوم المهدي في الإسلام ومفهومه عند الشيعة الاثني عشرية، كذلك موضوع الغيبة وسفراء المهدي[2].

حقيقة أن المستشرقين اليهود قد أدوا دوراً كبيراً في إسهامات المدارس الاستشراقية الأوربية منذ بداية نشاطات المستشرقين البحثية، لكن الاستشراق الإسرائيلي حديث جداً.

وعلى الرغم من حداثته فإن المدرسة أنتجت عدداً من العلماء النشيطين في التاريخ الإسلامي عامة وفي ميادين فرعية منه بشكل خاص؛ وكان التشيع والحركات الشيعية السياسية والعلماء الشيعة في ميادين العقيدة والفكر، وبعض المعتقدات الشيعية الإمامية أحد هذه الميادين التي أهتم بها المستشرقون الإسرائيليون. ومن بين نشاطات مستشرقيها ما قام به المستشرق شالوم زاوي والمستشرق آبراهام فقّه ومارتن كريمر، وبن شيمس وحافا لزروس يافا، ويوسف ريفلين وريكوندورف وآخرين ممن اشتهروا في الأغلب بدراساتهم القرآنية والتاريخية والسياسية[3] وكذلك المستشرق كوهلبرغ الذي

---

(١) GRS report fof congress Jan 23/2008 by Christopher M. Blanchard.

(٢) Messianism and Millenarianism in Islam, Columbia University, Center for Iranian Studies.

(٣) يراجع إدريس، د. محمد جلاء: الاستشراق الإسرائيلي في الدراسات العبرية المعاصرة (طبعة أولى ٢٠٠٣/ القاهرة ١٤٢٤هـ).

أسهم كثيراً في الكتابة عن عقيدة التشيع؛ والمستشرق يوري روبين كما سنقف عليهم لاحقاً.

ومما لا شك فيه أن اهتمام المستشرقين المكثف وتوجههم نحو دراسة وتتبع مختلف الجوانب المتعلقة بعقيدة التشيع، قد دفعت العلماء المسلمين إلى تحقيق دراسات قيّمة، إما على شكل ردود فعل، أو ردود على آراء المستشرقين، أو بصيغ أخرى من حب البحث أو التدوين التاريخي في هذا الموضوع الخطير والحيوي عند الشيعة عموماً، والإثني عشرية على وجه الخصوص. ومما يستحق الإشارة إليه أن العلماء المسلمين قد تسارع اندفاعهم في إجراء هذه الدراسات على إثر نجاح وانتصار الثورة الإسلامية في إيران. فألف العلامة الشيخ رسول جعفريان كتاباً قيّماً بعنوان (الشيعة في إيران) وعرّبه السيد علي هاشم الأسدي. وعرض آراء المستشرقين نظير فلهاوزن ووات ومادولنك وفري وناقشها(*). كذلك كتب المؤلفون(**) محمود حيدرى آقايى وقاسم خانجانى وحسين فلاح زاده ورمضان محمدى كتاباً بجزئين عنوانه (تاريخ تشيع). وهنا أيضاً اعتمد المؤلفون على عدد من المستشرقين وناقشوا أفكارهم، من أمثال كوهلبرغ ومادولنك وبراون. وهناك دراسات أخرى عديدة أسهم فيها علماء مسلمون يعملون في الجامعات الأمركية، أمثال

(*) ينظر رسول؛ جعفريان: تشيع در إيران ترجم إلى العربية بعنوان الشيعة في إيران/ دراسة تاريخية من البداية حتى القرن التاسع الهجري؛ تعريب علي هاشم الأسدي؛ طبعة أولى ١٣٧٨ شمسي/ ١٤٢٠ قمري مشهد.

(**) محمود حيدرى آقايى، قاسم خانجانى، حسين ملاح زاده، رمضان محمدى: تاريخ تشيع (قم/ ١٣٨٥).

الأساتذة مدرسي وعبد العزيز ساجدينا ومعّزي وشهروه آخوي وجعفرى وموجان مومن وغيرهم. وفي العقود الأخيرة من القرن العشرين وحتى الوقت الراهن أخذ الجدل يتوسع بخصوص أوضاع التشيع اليوم وما يواجهه من تحديات وكان للمستشرقين أو للعلماء المسلمين موقف في هذه المسألة. فقد درس المستشرق ستيفن روزنك Stephan Rosing هذه الجدلية من زاوية التحديات الماثلة إزاء مذهب الإثني عشرية ببحث عنوانه (الشيعة الإثني عشرية على خط المواجهة: التحديات إزاء سلطاتها الدينية)(*).

(*) ينظر: Stephan Rosing; -The Twelver Shia Online; Challenges for its religious autherities) in The other Shiites from the Mediterranean to Central Asia)`dited by Silvia Naef and others (New York 2007).

الفصل الخامس

المحور الثاني

دراسات المستشرقين حول عقيدة المهدي

المحور الثاني

دراسات المستشرقين حول عقيدة المهدي

تطرق البحث في المحور السابق إلى تشخيص إسهامات المستشرقين، وكانت غير قليلة، في ميادين تاريخية حركة التشيع، وعقيدة التشيع، وكذلك الحركات السياسية الشيعية في التاريخ الإسلامي؛ وتضمن ذلك المحور أيضاً التنويه بالدراسات التي لها علاقة بمحاور أخرى. إلا أننا آثرنا ذكرها في المحور الأول، على سبيل الاستشهاد بتلك الاهتمامات والدراسات، وسنضطر إلى تكرار عناوينها لأكثر من مرة لأنها دراسات شاملة وتتضمن موضوعات في أكثر من اهتمام وميدان يتعلق بالتشيع كأن يحمل الكتاب عنواناً مثل (التشيع Shiism)، غير أن مجال الدراسة فيه تتشعب إلى حقول معرفية متنوعة ضمن باب التشيع. والذي يعنينا في هذا المحور دراسة ذلك الاهتمام الواسع من المستشرقين الأمريكان والإسرائيليين، في حقل واحد من حقول عقائد الشيعة الإثنى عشرية ألا وهو عقيدة المهدي المنتظر. ولكون هذا الميدان في غاية الأهميةً في العقيدة لما يمثله من فاعلية في الحركة الشيعية وتحركها قدماً نحو المستقبل الذي يتطلع إليه الملايين من المستضعفين في العالم نحو تحقيق العدالة والسعادة وإحقاق الحق ودحر الظلم والشر؛ كذلك لأن أديان ومعتقدات أخرى ضمّنت مبدأ المهدي في

عقائدها؛ من أجل ذلك عقدنا العزم على تخصيص هذا المحور مباشرة بعد تناولنا في الفصل السابق الدراسات الاستشراقية المعنية بالتشيع أو بالعقيدة الشيعية.

وتوصل البحث إلى استنتاج عام حول العامل الرئيس الذي ساعد على تزايد اهتمام المستشرقين في هذا الميدان منذ فترة تاريخية قديمة، أو بما عبّرنا عنه دراسات المستشرقين من الجيل الأول ونقصد بها تلك الدراسات التي يرجع تاريخ تأليفها إلى حوالي منتصف القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين. حقيقة أن الاستشراق السويدي قد أثمر عدداً من المستشرقين المعروفين أمثال كارل يوهان تورنبرغ Karl Johan Tornberg المتوفى سنة ١٨٧٧ (ينظر كوهان فوك: تاريخ حركة الاستشراق، الدراسات العربية والإسلامية في أوربا بداية القرن العشرين، تعريب عمر لطفي العالم، طبعة ثانية بيروت ٢٠٠١ ص ٢٠٥)، ولكن هذا المستشرق اللامع إلى جانب زملائه من السويد لم ينزعوا إلى الكتابة عن موضوع المهدوية في الإسلام. إلا أن المدرسة الألمانية للاستشراق قد خرّجت مستشرقين لامعين في دراسة عقيدة المهدي، فضلاً عن مستشرقين آخرين ألفوا دراساتهم باللغة الألمانية حول عقيدة المهدي أو حول سيرة الإمام الثاني عشر أو عن نظرية المهدوية بصورة عامة.

أثار بعض المستشرقين تساؤلات نعدّها ردّ فعل أو إنعكاس للمنهج الذي يعتمدونه دائماً، وبالأخص في الدراسات الإسلامية بصورة عامة، وبما يتعلق بسيرة الرسول الكريم والقرآن الكريم والحديث الشريف، وهو منهج الشكّية، وأحياناً الشكّية المفرطة

وبالأخص فيما يتعلق بولادة الإمام أو بالنسبة إلى دوره التاريخي القصير الأمد في الحركة الشيعية، أو بمعنى آخر فترة الغيبة الكبرى للإمام.

والمدرسة الألمانية تعدّ من المدارس الاستشراقية الأوربية المهمة إذ أنجزت إسهامات غير قليلة في ميدان عقيدة المهدي المنتظر. فهناك أسماء قديمة معروفة في الاستشراق الألماني ظلت نتاجاتها العلمية تشكّل مصدراً أساسياً ومعتمداً حتى الوقت الراهن: مثل دراسات كل من فون كريمر Von Kremer ونولدكه Noldke وشتروسمان Strothman وجولد تسيهر Goldziher (المجري الذي دأب على الكتابة باللغة الألمانية).

فالبعض من هؤلاء قد صنّف مواضيع عامة في التاريخ الإسلامي منذ نهاية القرن التاسع عشر، كدراسة جولد تسيهر (دراسات إسلامية) مثلاً التي تقع في جزءين صدراً بين عامي ١٨٨٨-١٨٩٠ أتى فيهما على مناقشة موضوع الشيعة الإمامية وعقائدهم، كذلك فإنه ألف بحثين مباشرين ومهمين أحدهما حول مذهب التقية في الإسلام ونشره في مجلة ZDMG الألمانية المعروفة عام ١٩٠٦، أما البحث الآخر فهو الموسوم (موجز تاريخ أدب الجدل الشيعي السني)[(١)] ونشره عام ١٨٧٤ وقد ناقش فيه المؤلفات الشيعية.

أما المستشرق فون كريمر Kremer فقد ألف عام ١٨٦٨ كتاباً عن الفرق الإسلامية تناول فيه عقائدها ومن بينها فرقة الشيعة

---

(١) Glodzehir, I. (Das prinizip der Takiya im islam) in ZDMG volume 60 (1906), idem, Beitrage sur Literatur geschechte der shia und der suunitichen Polemic (Academie der.

وعقائدها، وبالأخص عقيدة المهدي[1]. كذلك علينا الإشارة إلى المستشرق ثيودور نولدكه Noldeke إذ ألف كتاباً عن الإمام الحسين وواقعة كربلاء معتمداً رواية أبي مخنف وأشار فيها إلى النتائج العقيدية المهمة للفاجعة في عقيدة المهدي المنتظر وفي تاريخ الحركة الشيعية. ثم أنه أردف تلك الدراسة بدراسة أخرى تبحث في حركة التشيع وتطورها ونشر الدراسات في مجلة Der islam عام ١٩٢٣[2].

ومع ذلك فإن المستشرق أوجست موللر A. Moller أنجز عملاً رائداً وذلك بتحقيقه وترجمته وطبعه كتابا شيعيا مهما، يعدّ من الكتب الشيعية الأربعة الموثوقة في أصول الفقه الشيعي، وهو الكتاب الذي صنفه العلامة الشيخ الصدوق القمي محمد بن علي بن الحسين بن موسى المعروف بابن بابويه المتوفى سنة ٣٨١هـ/ ٩٩١م وعنوانه (كمال الدين وتمام النعمة في إثبات الغيبة).

واختار موللر عنواناً مباشراً لدراسة خاصة حول عقيدة الإمام المهدي بعنوان (حول موضوع المهدية في الإسلام)[3] وتم طبعها عام ١٩٠١.

والمعروف أن كتاب (كمال الدين) قد طبع طبعة حجرية في طهران عام ١٨٨٣، ومن هذا المنطلق يعدّ عمل موللر مهماً من

---

(١) Van Kremer. A. Geschichte de herrschen ideem des Islams (Leipzig 1868).

(٢) (Noldeke. A. Das Heiligtum al-Husains zu Kerbala (Berlin 1909), idem. Zur Ausbreitung der schiitismus) in Der Islam (1923).

(٣) Moller. A. The Perfection of Religiom, Beitrage zur Mahdile hre (Heidbrrg 1901). مقدمة الكتاب.

الناحية التاريخية. فقد بدأ العلامة ابن بابويه الكتاب بالحديث عن آدم ثم استمر بسرده المعلومات عبر اثنين وستين فصلاً حتى بداية الحديث عن علامات عودة صاحب الزمان. وذكر المؤلف أنه ألف هذا الكتاب (كمال الدين) بناءً على أمر من الإمام المهدي نفسه بعد أن رآه في حلم عندما كان في الحج في مكة المكرمة وتحدث معه.

عودة إلى إنجازات المستشرق اليهودي المجري جولد تسيهر فإن بحثه المذكور عن تاريخ أدب الجدل الشيعي السني خصّص فيه بحثاً عن التشيع عامة وعن الإمامية الإثنى عشرية بوجه خاص. وصارت هذه الدراسة معتمدة من المستشرقين الآخرين، فاعتمدها المستشرق الألماني من الجيل الحديث هاينز هالم Heins Halm في كتابه المشهور (الشيعة Die Schia)، المطبوع في برلين عام ١٩٨٨[١]؛ وألف جولد تسيهر بحثاً تطرق فيه إلى مسألة نادى بها المستشرق البريطاني المعروف أدوارد براون E. Browne، ألا وهي الأثر الفارسي القديم - الساساني - على العقائد الشيعية ومنها عقيدة المهدي المنتظر وعنوان البحث (تبجيل الميت في الإسلام والوثنية)[٢]، وقد نشره في مجلة دراسات إسلامية عام ١٩٦٧.

---

(١) Ggoldzehir, Beitrage sur Literatur. Op. Cit;. H. Halm: Die schia (Darmstust) 1988 (English TRANSLATION Edinburgh 1991).

(٢) Idem., "On the veneration of the Dead in paganism and islam" in Muslin Studies volume I (edited by S. M Stern (London 1967) Pp. 209-38, idem. (Ahl al- Bayt)in Encyclopeia of Islam (Old Edition) volume 3.

ildem, An troduction to islamic Theology and law (Trans lated into English by Andras Hamori and Ruth Hamori (Princeton University Press) 1980 pp. 202-205.

ولهذا المستشرق كتاب حول الفقه الشيعي ضمّنه معلومات عن فلسفة الإمام عند الشيعة وطبيعة الإمام المهدي، وقد ترجم هذا الكتاب إلى اللغة الانجليزية عام ١٩٨٠ بعنوان (مدخل إلى الفقه والشريعة الإسلامية) وطبع في جامعة برنستون[١].

فضلاً عن تلك الدراسات فإن جولد تسيهر كتب بحثاً آخر عن العناصر الأفلاطونية المحدثة والغنوصية الموجودة في الحديث[٢]، وتطرق فيه إلى الحديث الشريف المتعلق بظهور الإمام المهدي الذي يملأ الأرض عدلاً بعد أن ملئت ظلما وجوراً وذلك بهدف اظهار أثر عدد من العناصر الافلاطونية المحدثة وتأثيرالأسفار اليهودية في ذلك الحديث. ومما يجدر ذكره بأن هذا المستشرق لم يكن متخصصاً في حقل التشيع، إلا أن تقويمه للتشيع، كما يقول المستشرق كوهلبرغ Kohlberg، كان محل ثناء وإطراء من قبل المستشرقين؛ لأنه أبدى ملاحظات دقيقة ظلت معتمدة حتى الوقت الحاضر، لا سيما في أسهامه حول الجدال الشيعي السني، وحول مفهوم التقية والاختلاف المتميز بين الإمام الصامت والإمام الناطق[٣]. مع أن آراءه بالنسبة الينا بحاجة إلى مناقشة وتفنيد، وبالأخص ما ذكره في كتابه المذكور آنفا (مدخل إلى الفقه والشريعة

---

(١) iIdem, An troduction to islamie Theology and law (Trans lated into English by Andras Hamori and Ruth Hamori (Princeton University Press) 1980 pp. 202-205.

(٢) Idem Neo platonische und ghostische Elema;s in Hedilh) in ZA/vol 22/ 1909. p. 33 Belief and law p. 33.

(٣) (Strothmann, R. Die zwolfer schi'a (Lepcig 1926).

الإسلامية) بشأن ظهور التشيع وبأن الشيعة رفضوا سنة رسول الله وأحاديثه صفحات (٢١٠، ٢١٢، ٢١٥) كذلك الحال بالنسبة إلى مبالغته في فرض التأثير الغنوصي واليهودي على عقيدة المهدي المنتظر. والواقع عكس ذلك تماماً إذ أن القرآن الكريم أشار إلى المهدي الذي سيظهر آخر الزمان. فإن الشيعة من أكثر الفرق الإسلامية اعتماداً على الحديث الشريف بما رواه أئمة أهل البيت الأطهار.

ومن المستشرقين الألمان من الجيل القديم الذين اهتموا بتاريخ التشيع وعقائد الشيعة رودولف شتروسمان Rudolph Strothmann الذي اشتهر بكتابه المهم الشيعة الإثنى عشرية(١): الذي درس فيه العقيدة الشيعية بضمنها عقيدة الإمامية في المهدي المنتظر وقد اعتمد شتروسمان في معلوماته على ما قدّمه العلماء الشيعة في عدة كتب منها رجال الطوسي، ورجال الكشي ورجال النجاشي ورجال العلامة الحلي ومحمد بن علي الأخباري ومؤلفات العلامة المجلسي والعلامة اليزدي الطباطبائي وغيرهم، وهناك أمور عديدة ينبغي الوقوف عليها لاسيما بشأن عقيدة المهدي.

لقد ركّز المستشرق على العنصر الفارسي بوصفه العامل الأساس المكوّن للتشيع، وقوله إن الأئمة الأطهار كالإمام الصادق والرضا لم يكونوا الزعماء الحقيقيين للشيعة وأن وكلاءهم ونوابهم (ويقصد هنا السفراء) كانوا الأكثر سلطة. وهو قول غير صحيح، إذ تغاضى عن الحقائق التاريخية والأحاديث الواردة بشأن هذين

---

(١) Shi'a في دائرة المعارف الإسلامية طبعة قديمة.

الإمامين وأنهما كانا الأساس المتين للحركة الشيعية فالإمام الباقر والصادق - كما قال عدد من المستشرقين أنفسهم - هما اللذان أرسيا القواعد الأساس للحركة الشيعية بما له علاقة بنظرية الإمامة والنص. وكان الأئمة جميعاً هم الذين يرعون شؤون الشيعة في الأرجاء. وأن السفراء الأربعة لم يكن دورهم آنذاك حاضراً وواضحاً؛ أي كان دور السفير الأول مثلاً قد ظهر إبان إمامة الإمام الحسن العسكري.

وألف شتروسمان فضلاً عن هذا الكتاب بحثاً عن الشيعة نشره في دائرة المعارف الإسلامية (طبعة قديمة) ومع أنه اعتمد على مؤلفات شيعية أساسية إلا أنه أدلى بآراء بحاجة هي الأخرى إلى مناقشة وتفنيد منها منها قوله إن احصائية الشيعة الإمامية في العالم تقدر بأربعة إلى خمسة ملايين نسمة في بلاد فارس، وينظم إليهم مجموعة من جماعات مشتتة ومتفرقة تقطن في العراق والهند (المقالة p.68) وهذا استنتاج غير صحيح فالإمامية موجودون في العراق لا بصيغة جماعات متفرقة، كذلك هناك إمامية أثني عشرية في لبنان وبلدان الخليج العربي، فضلاً عن الهند وغيرها.

أما قوله إن الإمامية بعد عهد الغيبة الكبرى قد أسقطوا صلاة الجمعة، وذلك لأن الإمام غائب ولا يجوز قيادة المسلمين للصلاة دون الإمام؛ لأن الإمام فحسب هو الذي يؤم الصلاة، فاختياره تعبير (أسقطوا) غير صحيح وأن الشيعة الإثنى عشرية اليوم سواء في إيران أم في العراق أم في لبنان يصلّون الصلاة الجامعة ويشددون عليها تماماً كالذي يؤديها عامة المسلمين. وكالعادة فإن المستشرق يشكك في أن يكون نهج البلاغة للإمام علي وأن الكثير الذي ورد

فيه منحول وغير صحيح؛ وقد ناقشنا هذا الموضوع الذي تردد عند المستشرقين المشككين في الكتاب الذي ترجمناه (علي ومعاوية للمستشرق بيترسن) مستشهدين بقول العلامة ابن أبي الحديد نفسه الذي شرح نهج البلاغة(١). وألف شتروسمان كتاباً عن الزيدية، تطرق فيه إلى عقائد الشيعة في الإمام المهدي(٢)، كما ألف بحثاً عن تاريخ البدع والغلاة في الإسلام)(٣)، ونشره عام ١٩٣٨، وقف فيه - كما وقف قبله جولدتسيهر - على الآثار الغنوصية والأفلاطونية المحدثة على بعض معتقدات الشيعة.

وللمستشرق الألماني المعروف جوليوس فلها وزن Wellhausen إسهامات في دراسة التشيع عامة وله وقفة على عقيدة الإمام المهدي في كتابه (الشيعة والخوارج)، كما أنه ألف كتاباً نشره عام ١٨٩٤ عن الأحوال الدينية في الإسلام(٤).

ومن الدراسات الألمانية القديمة حول التشيع اسهام المستشرق آلويس سبرنجر Aloys Sprenger المشهور في كتابه عن الرسول الكريم وتعاليمه الذي أمضى في تأليفه أكثر من عشر سنوات في أثناء إقامته في الهند، وقد حقق آنذاك نصوصاً من كتاب الفهرست للعلامة شيخ الطائفة أبي جعفر الطوسي، وطبعه في كلكتا سنة ١٨٥٣ مستنداً في تحقيقه على ثلاث مخطوطات ثم أدمج فيه كتاب

---

(١) ناجي، د. عبد الجبار؛علي ومعاوية في الرواية العربية المبكرة تأليف البروفسور أيلرلنغ بيترسن. (قم ٢٠٠٨) صفحة ٢٨٣ (هامش ١).

(٢) Strothmann. Das staatsrecht der zaiditen (Strass burg 1912).

(٣) em "History of Islamic heresiography" in Islamic Cuthre 1938.

(٤) Wellhausen, Julius: Die religios sur la domination (Amstrdam 1894).

الرجال للكشي. والعلامة الطوسي هو محمد بن الحسن الطوسي مؤسس الحوزة العلمية في النجف الأشرف وقد توفي ودفن فيها سنة ٤٦٠هـ صاحب المؤلفات الكثيرة؛ وكتابه فهرست لعلماء الشيعة ومؤلفاتهم[1]، كذلك حقق هلموت ريتر Ritter الألماني كتاب فرق الشيعة للنوبختي وترجمه وقدم مقدمة مهمة تناول فيها عقيدة الإمام المهدي وأموراً أخرى قيّمة؛ ونشره في عام ١٩٢٠[2].

كذلك فقد أتينا على ذكر المستشرق الفريد فون كريمر، فإنه في كتابه عن تاريخ البدع (الفرق) في الإسلام المنشور في ليبزك عام ١٨٦٨ يتحدث عن حالات الغلو عند الشيعة، مدعياً أن الشيعة كانوا غير متسامحين مع (المحمدين أي المسلمين من غير الشيعة) الآخرين، وهو إدعاء غير صحيح يدل بوضوح على أن المستشرق كريمر لم يكن على إطلاع دقيق بالفكر الشيعي وعقيدة المهدي؛ فضلاً عن ذلك يصفه المستشرق كوهلبرغ بقوله: إن تحليلات كريمر عن التشيع تعدّ تحليلات عالية المستوى لكنه لم يستخدم أي نص من النصوص أو أي من المؤلفات الشيعية الإثنى عشرية[3].

واستمر المستشرقون الألمان من الجيل الجديد في اهتمامهم بميدان التشيع وعقيدة الإمام المهدي، إذ ألف ولفرد ما دولنك كتابه عن الإمام القاسم بن إبراهيم الزيدي ونشره عام ١٩٦٥ في

---

(١) index of al- tusi (Calcutta 1853).

(٢) Ritter. Hellmut: (Die Secten der schia) Military Gazetta Press 1920.

(٣) von Kremer, A: Geschichte der herrchenden ideem des Islam (Leipzig 1868) p. 373. 374 Kohelberg, E Op. Cit p. 43.

برلين[١]، والمستشرق مادولنك يعدّ من المتخصصين في دراسة موضوعات عديدة عن التشيع وأعلام الشيعة من الأئمة الأطهار وألف كتاباً بعنوان (محاضرات عن تاريخ التشيع)[٢]، نشره في عام؛ ١٩٧٦، وفي عام ١٩٨٨ ألف كتاباً بعنوان (إتجاهات دينية في إيران الإسلامية في الفترة المبكرة)[٣]، وفي عام ١٩٩٧ نشر كتاباً هو دراسة في الخلافة بعد وفاة رسول الله[٤]، وقف فيه على موضوع التشيع وعقيدة المهدي في النصف الأول منه وكذلك في الحديث عن خلافة الإمام علي. وألف بحثاً قيّماً بعنوان(الولاية عند الشيعة الإثنى عشرية في فترة غياب الإمام) نشره في La Notion d.autoritc au Moyen Age ed. By George Makdisi (Paris 1982) Pp.163-174. وعلينا أن نكرر ما سبقت الإشارة إليه قبل عدة صفحات من أعمال أخرى للمستشرق مادولنك لأنها تدعم نقاطاً مهمة في حقل عقيدة المهدي المنتظر. من ذلك بحثه القيم في دائرة المعارف الإسلامية بعنوان (المهدي) الذي تتبع فيه الحديث الشريف بشأن المهدي عند السنة والشيعة الإمامية والزيدية والإسماعيلية، وتابع دراسته المفصلة هذه بتركيزه على تتبع الحديث عند الشيعة الإمامية؛ وأبدى ملاحظة، سبق للأستاذ مدرسي أن وقف عليها وهي أن

---

(١) Madelung,Wilfred: Der imam al- Qasim obn Ibrahim (Berlin 1965).

(٢) Idem. , Lectures on history of Shiism, Univ of Chicago Press 1976.

(٣) Idem , Religious trends in eary Islamic Iran (Albany 1988).

(٤) Idem. The successious of Muhammad: A study of the early Caliphate (Cambridge Univevsity Press 1997).

الغالبية من الذين ألفوا عن الغيبة هم من الواقفة بدءاً بالبطائني الكوفي وعمر الأعرج الكوفي وعلي بن سماعة وغيرهم.

ولهذا المستشرق مساهمات جديّة أخرى منها بحثه الذي خصصه للبحث عن السلطة (الولاية) عند الشيعة الإمامية الإثنى عشرية بعد غياب الإمام المهدي، ونشره في ١٩٨٢[١]، وكذلك ناقش عقيدة الإمام الغائب في بحثه (جدال الشيعة حول شرعية الخراج)[٢].

حيث وقف على موضوع مهم مثير للجدل، الا وهو موقف العلماء الشيعة من الوكالة أو السفارة Deputuslisp في عهد الغيبة نشره في عام ١٩٨١ وكتب لدائرة المعارف الدينية بحثاً قيماً عن (الإمامة)[٣]، ركز فيه على عقيدة الشيعة، بخلاف السنة، في الحاجة الماسة إلى الإمام مصدره وأتمه وذلك لأنه قائد السلطة الإلهية والقيادة السياسية، divinely guider وكتب بحثاً قيماً في دائرة المعارف الإسلامية (طبعة جديدة) بعنوان (قائم آل محمد)[٤] اعتمد فيه على المصادر الشيعية كالنعماني في كتابه الغيبة وابن بابويه في

---

(١) Idem "Authority in the Twelve Shiism in the Abseuse of the imam" in La notion d'autorite au Moyen Age. (Ed George Makdisi) Paris 1982) pp. 163-174.

(٢) Idem. (Shiite Discussion on the legality of kharaj" in Proceedings of the Ninth Congress of Arabic of Islamic Studies (Leiden 1981) 193-202.

(٣) Idem. (Imamate) in Encycloyedia of Riligtion Vol. 7 pp. 114-119.

(٤) Idem. (al-Qaim Al Muhammad) in Encyelapedia Islam (New Edition Supp) Vol4P. 456-57 1978 pp. 219-266, VII (1981) pp. 15-86.

كتابه (كمال الدين) والشيخ المفيد في كتابه (الإرشاد) وأبي جعفر الطوسي في كتابه (الغيبة)، والعلامة المجلسي وغيرهم.

والمستشرق هاينز هالم Heinz halm هو الآخر مشهور كالمستشرق مادولنك في دراسته التي ترجمت من الألمانية إلى الأنجليزية أكثر من مرتين بعنوان الشيعة Die Schia، وأعيد طبعها سنة ٢٠٠٤ بالعنوان نفسه[١]. وهو كتاب أصبح مصدراً للمستشرقين الآخرين؛ والواقع أن الأستاذ هالم كان متخصصاً في بداية أمره بالدراسات الإسماعيلية وكانت أطروحته عن مسائل فكرية وفلسفية عند الإسماعيلية بعنوان Kosmologe und Heileleher der fruhe Ismailiyah [٢] المطبوع في فيسبادان عام ١٩٧٨.

وأنه كتب عن الإمام المهدي في كتابه (دولة المهدي)[٣]، عند الفاطميين، طبعه في ميونيخ عام ١٩٩١ وترجم إلى الانجليزية بعنوان (أمبراطورية المهدي: - ظهور الفاطميين) ونشر عام ١٩٩٦، واستمر يعمل في ميدان التشيع فصدر له كتاب (التشيع الإسلامي من الدين إلى الثورة) وطبع سنة ١٩٩٤، بالألمانية وترجم إلى الإنجيليزية في أمريكا سنة ١٩٩٦[٤]، وكان قد نشر(كتاب شيعي

(١) Heinz. Halm, Die schia (Darmstusl 1988, idem shiism) Edinburgh 1991) usa 2004.

(٢) idem Wiesbaden 1978.

(٣) Idem. Das Reich des Mahdi der Aufslieg der Fatimiden (Munich 1991) English Ttanslation: The Empire of the Mahdi, the Rise of the Fatimids (Leiden 1996).

(٤) Idem. , Shia Islam From Religion to Revolution (Princeton Series on the Middle East/Trans. By Allisou Brown 1996.

للمفضل) وهو يمثل بداية ظهور فرقة النصيرية ونشره في مجلة Der Islam عام ١٩٧٨[1]، واهتم مؤلفاته إلى أنه قد وقف فيها على عقيدة الإمام المهدي.

ومن المستشرقين الألمان الآخرين الذين درسوا التشيع وعقيدة المهدي المستشرق لوشنر H- Loschner في كتاب له عن العقائد الشيعية وطبعه في سنة ١٩٧١[2]، ووصف كتاب لوشنر بإنه قد تعرض لعقيدة المهدية والمذهب الإثنى عشري عرضاً مرتباً ومنظماً. كذلك هناك دراسة المستشرق بليشفيلدت J. O. Blichfeldt الموسومة بـ(المهدية المبكرة: السياسة والدين في الفترة التكوينية للإسلام Early Mahdism. Politics and Religion in the Formative Period of Islam (Leiden 1985.

ومن الدراسات الحديثة المهمة دراسة المستشرقة فيرينا كليم Verena Klemm الموسومة (سفراء الإمام الثاني عشر الأربعة في الفترة التكوينية للشيعة الإثنى عشرية) وقد نشرت الدراسة في مجلة عالم الشرق Die Welt de Oriens عام ١٩٨٤[3]، وهي المجلة التي

---

(١) Idem. "Das Buch der schatten: Die Mufaddal tradition der gulat und die ufspung des Nasairetuins" in Der Islam Lv/1978 Pp. 219-266, LVII (1981) Pp. 15-86.

(٢) Harald Loschner: Die dogmatischen Grundlagen des shitischen Rechts (Cologne, Carl Heymanns Verlag 1971).

(٣) Verena . Klemm "Die Vier Sufara des Zwolften Imam zur formativen Periode der Zwolfersschia "in Die Welt des Orients (15/1984) Pp. 126-143.
وقد نشر البحث البروفسور كوهلبرغ في الكتاب الذي يحمل عنوان (التشيع) باللغة الإنجليزية تحت عنوان: =

كان يرأس تحريرها آنذاك البروفسور هالم هاينز، والكتاب يعد مباشراً عن موضوع الإمام المهدي. لقد تطرقت المستشرقة كليم إلى موضوعات مهمة جداً من بينها دراسة الروايات الواردة في المؤلفات الشيعية حول فعاليات ونشاطات السفراء الأربعة؛ مع أنها تعتقد أن هذه الروايات ضعيفة نسبياً (unsound). بعد ذلك وقفت على تفسير معنى النائب والسفير وواقع ذلك بالنسبة إلى أن النائب يعدّ أمراً حيويا في فترة الغيبة الكبرى فإنه يعكس أمرين مهمين هما إما يعني وقوع أزمة crisis وأما يشير إلى حدوث اضطراب بين صفوف الشيعة بمعنى (حيرة) بالنسبة إلى الإمامية الإثنى عشرية بعد وفاة الإمام العسكري. ثم تثير التساؤل الذي يكرره المستشرقون دوماً ويدور حول الشك بولادة الإمام المهدي؟ وكذلك وقف البحث على سيّر وحياة السفراء الأربعة؛ وفي ختام البحث أثارت المستشرقة عدة أسئلة عن الغيبة وأمدها وفيما إذا تبقى الإمامة مستمرة دون انقطاع أو أن الإمام المهدي محمد بن الإمام الحسن العسكري هو الأخير؟

والملاحظ أن المستشرق الإسرائيلي كوهلبرغ قد اختار بحث المستشرقة كليم في كتابه الموسوم (التشيع Shiism) المطبوع سنة ٢٠٠٣ في إنجلترا، وترجمه إلى اللغة الإنجيلزية تحت عنوان (السفراء الأربعة للإمام الثاني عشر: عن الفترة التكوينية للشيعة الإثنى عشرية. والنقطة الجيرة بالذكر أن فيرينا كليم استندت إلى

= Shiism (The four Sufara of the Twelfth Imam. On the formative Period of the Twelfer Shia) in Etan Kohlberg (ed.) Shiism. the formation of the Classical Islamic World (no 33). Aldershot. Hampshire. England. 2003. Pp. 135 - 152.

المؤلفات الشيعية فوقفت على رواية التنوخي حول اسم الإمام ثم استشهدت بالرواية التي تسمي الإمام بـ(حجة الله على الأرض .God s Proof وراجعت عن التوقيعات من الإمام في مؤلفات الغيبة. وعموماً فإن الدراسة حريّة بالقراءة والمناقشة. كذلك هناك نقطة أخرى لا بدّ من عرضها وهي أن المرحوم الدكتور جواد علي حينما كان يحّضر رسالة الدكتوراه في لايبزك في ألمانيا كتب رسالة صغيرة Dissertation في سنة ١٩٣٩ونشرها في مجلة Der Islam العنوان بنفسه الذي وضعته المستشرقة (سفراء الإمام الثاني عشر Die Beiden ersten Safir des Zwolften Imam) المجلد ٢٥صفحة ١٩٧ث٢٢٧ استند إلى المؤلفات الشيعية في أصول الفقه الأربعة؛ ولا نعرف مدى تأثر المستشرقة بهذه الدراسة.

ومع أن المستشرق الألماني فان أس J. Van Ess [(١)]، معروف بتخصصه في المعتزلة، لكنه قدّم اسهامات مهمة عن الفرق الإسلامية ومن بينها الشيعة، فضلاً عن ذلك فإنه سواء في كتابه عن المعتزلة أم في غيره أشار إلى عقيدة الشيعة في المهدي المنتظر.

وهناك دراسة لمؤلف مسلم هو فلاتري عبد الجواد كتبها باللغة الألمانية وطبعها في مطبعة جامعة بريل عام ١٩٦٨ حول (الشيعة الإثنى عشرية ومشكلة الانقسام الشيعي)[(٢)]، علما بأن عبد الجواد غير مستشرق، ولكننا حبذنا ذكرها هنا في إشارة إلى تأثير الفكر

---

(١) J. Van Ess, Fruhe Mu' taziltische Heresio graphie (Beirut 1971).

(٢) Falaturi, Abdoljavad: Die zwolfer schia aus der Sicht eines schiiten problem ihrer untersuchung (Leiden Brill University Press 1968.

الألماني على طلبة الشرق لمتابعة هذا الموضوع المهم في حركة التشيع.

وكما ظهر في اسهامات المستشرقين الألمان بأن هناك استمرارية وتواصلاً في الاهتمام بالكتابة عن عقيدة صاحب الزمان، ولعلنا لا نكون مغالين إذ ما قلنا بأن المستشرقين من الجيل الجديد قد كثفوا من اهتماماتهم ودراساتهم عن الإمام الحجة وهو ما نلحظه في دراسات كل من هاينز هالم Heinz Halm وما دولنك. والأمر يكاد يكون نفسه في نشاطات المدرسة الفرنسية التي سبقت المدرسة الألمانية في هذا المجال ولاسيما عندما نستذكر أولاً اهتمام الفرنسيين في الديانات الشرقية وفي الإسلام في إيران. فإشارة البروفسور ادوارد براون إلى إسهامات الدبلوماسي الفرنسي جوزيف آرثر كومت دي جوبينو De Gobineau المتعلقة بالعقيدة الشيعية أنها متأثرة بل هي في حقيقتها نسخة جديدة للديانة الساسانية القديمة، ووقوفه - أي براون Browne - إلى جانب هذه النظرية، تدعونا إلى التوقف عند ما كتبه دي جوبينو. إذ لم يكن هذا الدبلوماسي الذي كما أشرنا قد خدم بلاده في طهران مرتين خلال منتصف القرن التاسع عشر، ومع أن جوبينو De Gobineau لم يكن مهتماً بصورة رئيسة بعقيدة المهدي على وجه التحديد إنما وقف على الانقسام الذي وقع في المذهب بين الأخباريين والمجتهدين الأصوليين، كذلك في نظرته العمومية بشأن العلاقة بين التشيع والقومية الفارسية ففي مثل هذه المواضيع نراه يدلي برأيه. وقد انتقده عدد من المستشرقين منهم المستشرق الإسرائيلي كوهليرغ Kohelberg. كما لم يفوت علماء الدين الإيرانيون الفرصة بانتقاد نظريته ونظرية

الأستاذ براون. فالعنوان الذي اختاره جوبينو لدراسته بالفرنسية هو (الديانات والفلسفات في آسيا الوسطى) وطبعه في باريس عام ١٨٦٥، وأعيد نشره ثلاث مرات في باريس أيضاً عام ١٩٠٠[١]، والمثير في هذا إن البروفسور الفرنسي المعروف هنري كوربن H. Corbn، الذي شهر بدراساته الكثيرة عن الفلسفة الإسلامية عامة وعن التشيع الإمامي بشكل خاص، ومع أنه ألف أكثر من ثلاثمائة عنوان يؤشرها الفهرست المطبوع بأسمه فهرست هنري كوربن (باريس ١٩٨١) فقد بدأ حياته العلمية بدراسته الضخمة الموسومة (الإسلام الإيراني الجوانب الروحية والفلسفية) ويقع بأربعة أجزاء خصص الجزء الأول منها لموضوع الإمامة Imamology والثالث والرابع حول موضوع التصوف والفلسفة في إيران حتى القرن التاسع عشر الميلاد[٢]. فعنوان الإسلام الإيراني كأنه يوحي إلى ما وقف عليه جوبينو في كتابه المذكور آنفا، وأقصد بذلك الاستمرارية في فلسفة الاستشراق الفرنسي بخصوص التشيع. والمفيد أن هنري كوربن أقام في طهران وسعى إلى تأسيس قسم الإيرانولوجي Iranology - علم الإيرانيات - في المعهد الفرنسي، وعند تقاعده صار عضواً في الأكاديمية الفلسفية الإيرانية وظل عضواً فيها حتى سنة ١٩٧٨، وكانت له سلسلة من المحاورات السنوية منذ عام ١٩٥٨-١٩٧٨ مع العلامة الطباطبائي في طهران وقم.

---

(١) De Gobineau J. A. Les religions et les philos ophiesphies Asie Centrale (Paris 1865).

(٢) Corbin. H ; En Islam iranien: Aspects spirituals et philosophiques (Paris 1971).

ومن المستشرقين الفرنسيين القدامى الذين كتبوا عن عقيدة الإمام المهدي المستشرق دار مستتر Darmstater مؤلف كتاب (المهدي من بداية أصوله الإسلامية وحتى أيامنا هذه)[1]، وطبع في باريس مرتين الأولى سنة ١٨٨٥. والراجح أن دارمستتر هذا قد تعقب المهدوية عبر التاريخ في دراسته، ووقف على عقيدة التشيع في المهدوية، وقد اعتمده المستشرق الألماني مادولنك في بحثه (المهدي) في دائرة المعارف الإسلامية (طبعة حديثة)، الذي تناول فيه نظرية المهدي والمهدوية عند الشيعة والسنة والزيدية والإسماعيلية في مصر وبلاد الشام والأندلس.

ومع هذا فإن إسهامات المستشرق الفرنسي دارمستتر تعدّ من الإسهامات الأولى؛ ومع أن المستشرقة كارادى فو Carra de Veaux قد درست الإسلام بصورة عامة والأصول السامية والآرية في كتاب بعنوان (المحمدية وتقصد الإسلام)[2]، ونشر في باريس عام ١٨٩٥ لكنه لم يكن مخصصاً عن عقيدة الإمام المهدي، مع أن الكتاب قد وقف على أصل التشيع، والإشارة إلى عقيدة المهدي، واعتماداً على ما ذكره كوهلبرغ إن كارادي فو نتيجة لعدم معرفتها المؤلفات الشيعية قد اكتفت بنصوص قليلة واعتمدت على المصادر السنية لذلك كله فقد توصلت إلى نتيجة بأن المذهب الشيعي هو مذهب سني متحرر، كما ألمح المستشرق كوهلبرغ[3].

---

(١) Mahdi depuis les origins de L' islam jusqa nos Jours (Paris 1885).

(٢) Carra de Veaux: Le Mahometism , Les genie semittique of les genie Aryan dans L,Islam (Paris 1898).

(٣) Kohel berg, E. P. 43.

كذلك وقف المستشرق غارسين دي تاسي Garcin De Tassy [(١)]، على العقيدة الشيعية والمهدية وقفة غير مفصلة في كتابه الشامل (الإسلاموية) الذي نشره في باريس عام ١٨٧٤، وقد اعتمده المستشرق البريطاني دونالدسون عند تطرقه إلى عقيدة المهدي.

أما المستشرق الفرنسي المبشر هنري لامانس فإنه ألف كتاباً خارج اهتماماته عن الأمويين، وهو حول المعتقدات والمؤسسات الإسلامية[(٢)]، الذي نشر في باريس ١٩١٠، وترجم إلى اللغة الإنجليزية، ونشر في لندن عام ١٩٢٩، وقد وقف لامانس موقفاً ضدياً من التشيع، فضلاً عن دفاعه عن رأيه الذي يقول بأن أصل عقيدة المهدي مسيحية كالذي تكرر عند الباحثين الغربيين.

وأسهم المستشرق الآخر المشهور بلوشيه E. Blochet بأسهاميين مهمين في ميدان عقيدة الإمام الأول منهما الذي اعتمده عدد من المستشرقين بعنوان (المسيحية في الهرطقة (البدع) الإسلامية)، ونشره في باريس عام ١٩٠٣، أما الكتاب الآخر فهو عن تأثير المسيحيين والبوذيين على العقيدة الإسلامية، ووقف على التشيع في آسيا الوسطى وفتوحات الشيعة للدولة النسطورية في آسيا الوسطى وطبع الكتاب في باريس عام ١٩٢٦[(٣)].

---

(١) Garcin de Tassy, L'Islamisme (Paris 1874) scc Danaldson. The Shiite p. 223.

(٢) Lammens H. S. Islam Beliefs and Institutions (Trans. By sir E. Denison Ross (London 1929).

(٣) Blochet. E. Le Messianiisme dans L'heterodoxie Musalmane (Paris 1903), idem La Conquete des Etats Nestoriens de L' Asie Centrale par les Shiites

والمستشرق لويس ماسينون قد جمع بين الاستشراق القديم والحديث وله إسهامات كثيرة ومتنوعة عن الحضارة الإسلامية، فقد وقف في عدة بحوث على التشيع وأصوله في العراق خلال العصور الإسلامية. فكتب بحثاً قيّماً عن أصول التشيع في القرن الثالث الهجري لعائلة آل الفرات التي أدت دوراً إدراياً مهماً في الوزارة العباسية ونشر البحث عام ١٩٣٥(١).

وأردفه ببحث آخر عن الشيعة في بغداد خلال القرن نفسه بعنوان (بحث عن الشيعة المتطرفين (أو الغلاة) في بغداد في نهاية القرن الثالث)(٢)، نشره في المجلة الألمانية المعروفة ZDMG عام ١٩٣٨، لكنه درس عصر الغيبة الكبرى والسفراء الأربعة في دراسته القيمة عن الحسين بن منصور الحلاج الذي أدلى فيه برأي بخصوص السفير الأول (الباب) بأنه توفي قبل الغيبة الكبرى وفي أثناء حياة الإمام الحسن العسكري، وأن فترة الوكالة أو السفارة قد امتدت حتى سنة ٢٨٠هـ / ٨٩٣، وقدم رأياً بشأن الحلاج وعلاقته بموضوع السفراء(٣).

---

ct les influences chrcticnn et Boudd hique dans Le dogme Islamique (Paris 1926).

(١) Massignon,L. (Les origins chiites des Banu'l Furat" in Melanges Gauelefroye Demombynes (Cairo 1935).

(٢) Idcm. "Recherches sur lcs chiites extremistes a Baghdad a La fin du trioseme siécle" in ZDMG vol. "XCII (1938).

(٣) Idem. "La passion de Husayn ibn Mansur Hallij (4 volumes, Galimard. Paris 1975) Trans by Herber Mason into Engilish (The passion of Halley 4 vols. Princeton University Press' 1983) vol. I pp. 307-309.

وبرع المستشرق هنري كوربن Corbin منذ الستينات في مجال الفلسفة الإسلامية والإسماعيلية وموضوعات خاصة بالإمامية الإثنى عشرية، وقد ألف الكثير من الكتب والبحوث، واشترك في المؤتمرات الفلسفية الإسلامية، وكان على معرفة بالمستشرق ماسنيون وأمضى حوالي ثلاثين عاماً في ألمانيا فتعرف على المستشرق رودلف أوتو Otto وهايدجر Heidegger، واشتهر بكتابه (الإسلام الإيراني دراسة في الأحوال الفلسفية والدينية)، بعدة أجزاء كان الجزء الأول عن Le shiism duooleeman الشيعة الإثنى عشرية وتناول فيه مسألة مهمة تتعلق بالإمام عند الشيعة وكذلك بالولاية

ومذهب الإمامية الإثنى عشرية[١]. وكتب بحثاً قيماً عن الإمامية والفلسفة الشيعية وقف فيه على شخصية الإمام وعلى موضوع ولاية الإمام علي بما جاء في عدة أقوال وأحاديث عن الرسول الكريم وما ورد في بيعة غدير خم[٢]، وألف عن الإمام الغائب وعودته في الفقه الشيعي ونشره في زوريخ عام ١٩٦٠[٣]، ونشر في باريس عام ٢٠٠٣ كتاباً عن الإمام الغائب[٤]، وله بحث آخر عن الفكر الشيعي

---

(١) corbin, H. En Islam irainien: Aspects, spirituels et philosophiq ues (Paris 1971).

(٢) Idem. "Imamologie et philosophie le shiism Paris Univ. de France 1970, pp. 1-27.

(٣) Idem. , "L' Imam et La renovation de L'homme dans La theologie Shiite" in Eramos - Jahe bach Zurich 1960).

(٤) Idem,. L'imame cache (Paris 2003).

وقف فيه على عقيدة المهدي وعودة الإمام الشيعي الثاني عشر[١]، وأسهم في بحث عن الإمامية الإثنى عشرية في كتاب Les Shiisme Imamate [٢]، المطبوع في باريس عام ١٩٧٠. وألف بحثاً حول الولادة والعودة في الفكر الإسماعيلي بعنوان:

(Divine Epipheny and Spiritual Birth in Ismailian Gnosis (in Man and Transformation) Volume 5 of Papers from the Eranos Yearbook ed. By Joseph Campbell (New York 1964) Pp.69-160 وقد طبعت أولاً في عام ١٩٥٤.

وهناك عدد آخر من الدراسات الاستشراقية الفرنسية عن التشيع عامة، وعقيدة المهدي خاصة منها دراسة لويس أرنولد Arnold بالفرنسية وعنوانها (عقيدة الإمامية الإثنى عشرية)[٣]، ودراسة برونشفيك R. Brunschvig بالفرنسية حول (أصول الفقه الإمامي وأصوله أو جذوره القديمة)[٤]، والظاهر أن المستشرق الألماني أسهم في الكتاب المذكور آنفا الصادر في باريس ١٩٧٠ (الشيعة الإمامية Les Shiisme Imamite). وللمستشرق الفرنسي لاوست H. Laoust عدة بحوث عن التشيع منها دراسته التشيع في الإسلام

(١) Idem. , Shiite Thought" in History of Islamic Pholosophy, London 1993 ونشر البحث في كتاب (Shiism)

(٢) Idem. "Le shiisme imamate" Paris 1970.

(٣) Arnold, L. "Le Credo du shiisme duodecimen" in Travant et Jours, vol. 17 (1965).

(٤) Brunschving, R. "Les usul al- Fiqh imamates a Leur stade ancient X et Xi siÒcle" in Le Shiism Imamcte ed. By Fahd (Paris 1970) p. 201-212.

ونشرها في باريس عام ١٩٦٥[١]، وأعيد طبعها في باريس عام ١٩٧٧، وله بحث آخر حول الدور الذي أداه الإمام علي في سيرة أئمة الشيعة[٢]، المنشور في مجلة REI عام ١٩٦٢. والمستشرق جان اوبين J. Aubin المشهور في كتاباته عن سيراف فقد اهتم أيضاً بالتشيع فكتب بحثاً مصدرياً عن الولي نعمة الله الكرماني، وفهرست مصادر المعلومات عن سيرته[٣]، كذلك ركّز على المنظور القومي الفارسي في المذهب الشيعي شأنه في ذلك شأن جوبينو المذكور آنفاً، وكانت له علاقات شخصية مع عدد من علماء الشيعة في إيران، وكان بحثه هذا حول (التشيع والقومية الفارسية)[٤].

وللمستشرق والمؤرخ الفرنسي دومنيك سورديل D. Sourdel مؤلف كتاب الوزارة في العصر العباسي إسهام عن التشيع في بحث عنوانه مفهوم الإمامة من القرن الحادي عشر إلى ما بعد حقبة الشيخ المفيد) نشره في كتاب حول الحضارة الإسلامية من سنة ٩٥٠-١١٥٠م، المطبوع في أكسفورد عام ١٩٧٣[٥]. كذلك نشر دي بيلفوندز Y. Linant de Bellefonds بحثاً في كتاب الشيعة الإمامية

---

(١) Laoust, H. Les Shiismes dansl' Islam (Paris 1965).

(٢) Idem,. "Le role de Ali dans sira Shiite" in REI (VoL 30) 1962.

(٣) Aubin,J. Materiaux pour biographie de shah Ni'mattullah Wali Kirmani (Tehran- Paris 1982.

(٤) Idem., "Le chiisme la nationalite Persane" in RMM (NO. 4 1908) PP. 457-490.

(٥) Soundel ,D. "Les conceptions au debut du xi siécle d' aprés le Shaykh al-Mufid" in D. S. Richards ed. Islamic Civilizalion 950-1150 (Oxford 1973).

المطبوع في باريس ١٩٧٠ بعنوان (الإمام الثاني عشر)[١].

ومن اسهامات الفرنسيين الأخرى، دراسة جيمرت ومونو Gimaret and G. Monnot عن كتاب في الفرق الدينية وقفا فيها على عقيدة المهدي[٢].

والمدرسة الثالثة من حيث عدد البحوث والدراسات عن عقيدة المهدي ومن حيث تواصل اهتماماتها في هذا الميدان هي المدرسة البريطانية. فالمستشرقون البريطانيون شأنهم في ذلك شأن الألمان والفرنسيين ترجع اهتماماتهم إلى حوالي منتصف القرن التاسع عشر؛ ومنذ ذلك الحين فقد توجهوا إلى تحقيق وترجمة بعض المؤلفات في العقيدة الشيعية والفرق الخارجة عن الإثنى عشرية. حقيقة أن السير لويس بيلي Sir L- Belly الذي أسهم في موضوعات متنوعة قد ألف كتاباً عن الإمامين الحسن والحسين بجزئين طبعهما في لندن ١٨٧٩، لكن الكتاب لا يتعلق بالموضوع تحت البحث[٣]، إلا أن المستشرق الرحال جيمس فريزر B. James Freser كتب رحلة في خراسان نشرها في لندن عام ١٨٢٥[٤]، وتحدث فيها عن عدد من عقائد الشيعة منها عقيدة المهدي في عيون رحال إنجليزي.

---

(١) Yron Linant de Belleffonds: "Le Droit imamite" in Le Shiisme Imamate College of Strasbourg, 1968 (2 nd edition) Paris 1970. Pp. 183-199.

(٢) Gimaret, D. and g. Monnot. Liver des religions des sects (Peters-Unesco\1986).

(٣) Pelly, sir Lewrs, The Miracle Play of Hasan and Husain, 2 vols (London 1879).

(٤) Fraser, James, B. Journey into Khorasan (London 1825).

فضلاً عن ذلك فإن المستشرق أدوارد براون E. Browne يعدّ من المستشرقين البريطانيين المشهورين، وأن بعض آرائه الواردة في كتابه عن التاريخ الأدبي لإيران صارت ميداناً للمناقشة، وردود الفعل من بعض علماء الدين الإيرانيين، فقد ألف في سنة ١٨٩١ كتاباً عن قصة رحال بشأن شرح حادثة الباب وظهور البابية، وطبعت الرسالة في كمبردج عام ١٨٩١. غير أن نشاطه الواسع المتمثل بتاريخ الأدب الفارسي بأربعة أجزاء طبع ما بين سنة ١٩٠٨-١٩٢٤[١]، وهو الكتاب الذي ترجم إلى الفارسية وتضمن معلومات أدبية وتاريخية ومن بينها موقفه من التشيع في إيران والوقوف على عقيدة المهدي. فالعلامة الشهيد آية الله مرتضى مطهري مثلاً في كتابه الإسلام وإيران خصّص في الجزء الأول من كتابه الذي يقع في ثلاثة أجزاء مساحة لمناقشة ما أطلق عليه (توهُّمات) المستشرقين بشأن الأصول الساسانية للتشيع وبعض عقائدهم كعقيدة المهدي، وهو التفسير الذي أبداه أولاً المستشرق الدبلوماسي الفرنسي جوبينو. والشهيد مطهري تتبع العوامل التي تأثر بها المستشرق أدوارد براون بضمنها كتاب جوبينو وكتاب الإسلام للمستشرق الهولندي دوزي والسير توماس آرنولد؛ كذلك ناقش امتدادات رأي جوبينو وبراون على مستشرقين آخرين بريطانيين وغيرهم أمثال فراي Fray الذي يعدّ من المتخصصين في تاريخ فارس وعقائدها وكتب

---

(١) Browne . E. G: A Literary history of Persa (4 vols. , London) 1908-1924.
وقد ترجم إلى العربية بعنوان (تاريخ الأدب الفارسي) وباللغة الفارسية بعنوان (تاريخ أدبيات إيران).

كتاباً عن ميراث إيران القديم وترجم إلى الفارسية[١]. ومن آرائه قوله بشأن مناقشة فراي (لقد حاول بعض المستشرقين أن لا يقولوا بصدق العلاقة بين الفرس ومحبتهم أهل البيت بل دأبوا على القول إنه نوع من رد الفعل الذكيّ أمام الإسلام الرسمي أو قل أمام العروبة من أجل إحياء دينهم القديم)[٢].

نال المستشرق براون شهرة واسعة في مؤلفاته وتحقيقاته واستنتاجاته بخصوص التشيع في إيران، ففي سنة ١٩٠١ حقّق براون كتاباً للسيد نور الله المرعشي الشهرستاني المتوفى عام ١٩١١، الموسوم بـ(مجالس المؤمنين)، وألف السيد الشهرستاني الكتاب عام ١٥٨٢م وظل بطبعته الحجرية إلى عام ١٨٦٦[٣].

والمستشرق الآخر الذائع الصيت هو نيكلسون R. A. NichoLoson في كتابه تاريخ الأدب العربي المطبوع بجزئين في لندن (وطبعته الثانية عام ١٩٣٠)[٤]، والمستشرق نيكلسون معروف بدراساته عن التصوف في الإسلام، فكتب كتابين نشر أحدهما في لندن عام ١٩١٤، والآخر في كمبردج عام١٩٢١. ومع أنهما لا يتعلقان بموضوع البحث عقيدة المهدي إلا أن نيكلسون تعرض للمذهب الشيعي في هذه المؤلفات الثلاثة، بالأسلوب الذي تعرض

---

(١) الإسلام وإيران، ترجمة محمد هادي اليوسفي الغروي، ثلاثة أجزاء، منظمة الإعلام الإسلامي ج١ ص٣٩٦ كذلك ينظر ج١ ص٢٩٩.

(٢) م. ن ج١ ص١٠؛ ٤٠٠، ٤٠٢.

(٣) Browne. E. Assemblies of Believers للسيد نور الله الشهرستاني، لندن 1901.

(٤) Nicholson, R. A. A Literary History of the Arabs (London 1930) وقد ترجم إلى اللغة العربية.

إليه البروفسور بروان. كما أنه ترجم وحقق كتاب (تذكرة الأولياء) لمؤلفه فرائض الدين العطار وطبعه في لندن عام ١٩٠٧[١].

والمستشرق البريطاني المعروف غي لسترنج G. Le Strange ألف عدة كتب وبحوث من أهمها كتابه (بلدان الخلافة الشرقية) المطبوع في كمبردج عام ١٩٠٥ الذي وصف فيه عدداً من عقائد الشيعة والمزارات المقدسة في العراق وإيران وتطرق إلى عقيدة المهدي[٢].

كما كتب كتاباً آخر بعنوان (دون جوان بلاد فارس شيعي كاثوليكي)[٣]، نشره في لندن عام ١٩٢٦ تحدث فيه عن المذهب الشيعي. وللجنرال الإنجليزي السير برسي سايكس Sykes كتاب عن تاريخ بلاد فارس[٤]، بجزئين، أدلى فيه بمعلومات تتعلق بالجوانب الدينية وبالأخص عن المذهب الشيعي، وعقائد الشيعة في إيران.

وألف كتاباً مهماً آخر عن التشيع بعنوان (مجد أو عظمة عالم الشيعة)، طبعه في لندن عام ١٩١٠[٥].

وللمستشرقين الذين خدموا بريطانيا في الهند، سواء كان في شركة الهند الشرقية البريطانية أم في البعثات التبشيرية البريطانية في

---

(١) Nicholson, R,A. Memoirs of the saints Tadhkiratu'L - Awliya , London 1907.

(٢) G. Le Strange, The lands of the Eastern caliphate (Cambridge 1905).

(٣) Idem, Don Juan of Parsia, a shi" ah Calholic (London 1926).

(٤) Sykes, General sir Percy, History of Persia (2 volumes London 1915).

(٥) Idem. , The Glory of the Shi'ah world (London 1910).

جنوبي آسيا والهند دور في الكتابة عن التشيع عامة وعقيدة المهدي بصورة خاصة. ولعلنا لا نبالغ القول أن المبشرين البريطانيين في الهند قد اهتموا بدراسة التشيع من نواحي مختلفة عقيدية، وأخرى تتعلق ببعض الممارسات والطقوس الشيعية كالتعزية بأنواعها مثلاً، ويقف على رأس هؤلاء المستشرقين المبشرين المبجل كانون أدورد سيل Canon Sell كانت له عدة إسهامات مباشرة منها كتابه المطبوع في مدراس عام ١٩٢٣، بعنوان الأئمة الإثنى عشرية[١]، وكتابه المهم الآخر (عقيدة الإسلام) طبع مرتين الثانية منهما في لندن عام ١٨٩٦[٢]، وهناك أيضاً مؤلفات مهمة أخرى لـ Reverent كانون سيل Sell تشير بوضوح إلى مدى اهتمامه وتخصصه في الكتابه عن التشيع وعقيدة المهدي المنتظر منها كتابه (The Cult of Ali)[٣]، وقد يقصد المبشر سيل (عبادة علي أو إعجاب الشيعة بعلي) والأول أكثر مباشرة بالنسبة إلى عمله كمبشر، وطبع الكتاب في مدراس أيضاً.

وأما بالنسبة إلى كتابه المذكور آنفا (الأئمة الإثنى عشرية)، فإنه قد ترجم من الإنجليزية إلى اللغة الأردية وطبع في لاهور بإشراف جمعية كتاب البنجاب الدينية؛ والملفت للنظر أنه ألف كتاباً آخر عن

---

(١) Rev Canon Sell. Ithna Ashariyya or The Twelver Shi'as Imams (Madras 1923).

(٢) Idem. , Faith of Islam(Secoud Edition) London 1896.

(٣) Idem. , The Rev. Canon Edward Sell (D. P Madras) The Cult of Ali (Madras) .1910 طبع بإشراف جمعية الأدب المسيحي للهند عام

الدروز، مع أنه لا يعرف تاريخياً عن وجود إتباع للحاكم بأمر الله المصري الفاطمي في الهند ولعله هنا أراد الوقوف على الإسماعيلية أيضاً[1]، وفضلاً عن سيل Sell فقد ألف المبجل Reverent جون بلير Blair كتاباً بمثابة التأثيرات أو المصادر عن الإسلام وقدّم فيه معلومات تبين أثر الديانات في الأصول الإسلامية والمصادر عن الإسلام، كذلك اشتمل الكتاب على معلومات عقيدية عن التشيع، طبع الكتاب في مدراس عام ١٩٢٥[2].

وألف السير جون جاردين Chardin كتاباً يحتوي على رحلات في بلاد فارس في القرن السادس عشر طبع عام ١٩٢٧[3]، ويتضمن مشاهدات رحال إنجليز تجولوا في إيران، وتشتمل هذه الرحلات على معلومات مهمة معاصرة عن عقائد الشيعة والمراقد المقدسة في إيران.

أما المستشرق المبشر دوايت دونالدسون Donaldson D. فكان من المبشرين ومن المعروفين بكثرة مؤلفاته التي اعتمدها الكثير من مستشرقي الجيل، الثاني سواء كانوا إنجليز أم ألمان أم أمريكان أم إسرائيليين، فإن المعلومات المفصلة التي يحتويها كتابه عن التشيع وعن أئمة أهل البيت الأطهار وعن الإمام المهدي وغيبته في سامراء هي من بين أقدم الإسهامات الاستشراقية، وإن كان كتابه في الأصل عبارة عن أطروحة لنيل درجة الدكتوراه تم طبعها سنة ١٩٣٣، فكتابه

---

(١) Idem., The Druses for India (1925).

(٢) Blair, Rev John: The sources of Islam (Madras 1925).

(٣) Chardin. Sir John: Travels in Persia (Argonaut Press 1927).

هذا كان بعنوان (Religion Shiite) الديانة الشيعية: تاريخ الإسلام في بلاد فارس والعراق)[١]، وطبعته مؤسسة لوزاك Luzag ضمن سلسلة الكتب الدينية الشرقية Oriental Religions Series وهو جزء من كتاب كتب أولاً كرسالة دكتوراه بعنوان (الأئمة الإثنى عشرية) مموهة بكتاب المبشر سيل Sell، وقد أيد المستشرق الإنجليزي نيكلوسون الذي كان آنذاك أستاذاً في جامعة كمبردج أن يكون الكتاب بعنوان (الديانة الشيعية)[٢]، وقد ترجم إلى اللغة العربية بعنوان (عقيدة الشيعة) ومع أن المترجم قد اختار - جزاه الله خير الجزاء - عنواناً ممتازاً، لكن ترجمة كلمة Religion المباشرة حسب الرؤية التبشيرية هي دين وليس عقيدة، والبروفسور دونالدسون قد اشاد في دراسته بما أشار إليه المستشرق أدوارد براون في عام ١٩٢٤ في كتابه (الأدب الفارسي في العصور الحديثة ص٤١٨)، بالحاجة الماسة إلى دراسة الإسلام الشيعي. وبناءاً على توصية براون نهد تصدى المستشرق دونالدسون على الإستجابة، فألف كتاب (الديانة الشيعية) وقدم مسودته إلى المبشر الأمريكي المعروف صموئيل زويمر Zwemer رئيس تحرير مجلة عالم الإسلام The Moslem World وإلى الدكتور روبرت سبير Speer عضو المجلس الذي يدير شؤون الكنيسة البروتستانتية في أمريكا فقدموا له عدة ملاحظات لإثارة اهتماماته أيضاً في البحث والدراسة والتخصص في ميدان التشيع في إيران على وجه الخصوص[٣].

---

(١) Donaldson, Dwight M. The Shiite Religion: A history of Islamin in Persia and Irak.

(٢) ibid. , (preface) p. VII.

(٣) Ibid. , (Preface) P. vii- viii

يعدّ كتاب المستشرق دونالدسون، من أوسع المؤلفات التي ألفت عن التشيع في إيران والعراق حتى الوقت الراهن، إذ ضم ثلاثة وثلاثين فصلاً، واختار عنوانات مثيرة لبعضها؛ فالفصل الأول يحمل عنوان (مشكلة التعاقب على الخلافة)، ويحمل الفصل الثاني عنوان (المغتصبون الثلاثة)، ويبدأ في الفصل الثالث دراسة أئمة الشيعة الأطهار بدءًا بالإمام علي بعنوان (علي الخليفة الرابع)، أما الفصل الرابع فأعطاه عنواناً هو (علي الإمام الأول)، ودأب المستشرق دونالدسن على تخصيص فصل بعد كل فصل مخصص لإمام من أئمة أهل البيت كدراسة عن ضريح الإمام والمدينة التي تضم ضريحه الشريف كالنجف الأشرف بعد فصل الإمام علي وكربلاء بعد أستشهاد الإمام الحسين. وقد أعطى تسمية لفصل الإمام الحسين عنوانه (الإمام الذي استشهد في معركة)؛ أما العنوان الذي خصصه لفصل كربلاء فهو (كربلاء: الضريح الأكثر أهمية بالنسبة إلى الشيعة)، وخصص فصلاً عن ظهور العباسيين، بهدف دراسة سيرة الإمام الصادق في فصل خاص، ثم خصّ المدينة بفصل يحمل عنوان (المدينة، مدينة الرسول وعائله أو وآله)، وضمّن الفصل الخاص بالإمام موسى الكاظم موضوعاً تناول فيه الكاظمين، والفصل الخامس عشر يحمل عنوان (الرضا، الإمام المتورط في السياسة)، أعقبه بفصل مفصل عن مدينة مشهد المقدسة ووقف على أهمية ضريح مشهد؛ واختار كلمة الحج بدلاً من الزيارة لضريح الإمام الرضا من قبل الشيعة بعنوان Significance of the Pilgrimage.

ومع أن هذه الكلمة قد تترجم أيضاً (الحج إلى مكان مقدس)،

ورسم مخططاً لوصف المشهد المقدس. ومعلوماته عن مشهد كانت معلومات شاهد عيان، إذ أنه عاش وزوجه في المدينة مدة ستة عشرة سنة؛ فضلاً عن اعتماده على مؤلفات شيعية مهمة. بعد ذلك خصص فصلاً مهماً عن مشهد الكاظمين في بغداد، مع رسم مخطط له بالاعتماد على الخارطة التي زود بها المستشرق لسترنج كتابه (بغداد في عهد الخلافة العباسية)، وخصص عن الإمام الحجة فصلاً بعنوان (الإمام الغائب Imam Hidden أو الإمام المختفي أو المحتجب أو الغائب، الذي يتوقع عودته).

وأعقبه بفصل عن (سامراء مدينة آخر الأئمة)، كذلك خصّص فصلاً عن السفراء الأربعة بعنوان (الوكلاء الأربعة للإمام الغائب) بعدها خصص فصلاً عن زيارة قبور إمام زادة في قم المقدسة.

وخصّص فصلاً تاريخياً عن فترة حكم البويهيين في العراق، تمهيداً للحديث في فصل خاص عن العلماء الشيعة الأوائل الذين جمعوا الأحاديث الشيعية أي أصول الفقه الأربعة، ثم أعقبه بفصل عن العلماء الشيعة المتأخرين... الخ.

لهذا فالكتاب يضم فصولاً شاملة ومفصلة عن أئمة أهل البيت الأطهار، وعن الإمام الحجة خاصة، والملاحظة المصدرية المهمة أن المستشرق دونالدسون لم يقدم هذه التفصيلات مستنداً إلى المصادر السنية المألوفة وإنما وضع ثقلاً كبيراً على المؤلفات الشيعية الأربعة أولاً مقدماً ترجمة لحياة كل من العلامة الكليني والشيخ المفيد والعلامة ابن بابويه وشيخ الطائفة أبي جعفر الطوسي، ومؤلفات العلامة المجلسي المتعددة. وهو يعتمد على هذه المؤلفات أيضاً في جميع المعلومات التاريخية والخططية

والاجتماعية لفصول كتابه معتمداً على المصادر السنية، إنما وضع ثقلاً كبيراً على المؤلفات الشيعية الأربعة الموثوقة من دون غيرها من المؤلفات الشيعية المتأخرة. فضلاً عن إنه عندما كان يناقش مسائل مهمة كالإمامة أو المهدي صاحب الزمان أو غير ذلك، يرجع إلى آيات الذكر الحكيم، مصدراً في توثيق وتجذير هذا المصطلح أو ذاك.

لكنه في حالات محددة يعرض موضوعاً ما معتمداً المؤلفات السنية، التاريخية والصحاح والمساند. وحقيقة أنه يقدم معلومات مترجمة حرفياً من مؤلفات العلامة المجلسي مثلاً لكن الكتاب بحاجة إلى دراسة وتقويم قد أخذت على عاتقي تشخيص تلك الحالات التي تحتاج إلى دراسة وتمعن. فالمستشرق استند مثلاً إلى تفسير فضل بن الحسن الطبرسي الموسوم (مجمع علوم القرآن) وهو تفسير له أهميته عند الشيعة؛ كذلك اعتمد على كتاب الشيخ محمد بن يعقوب الكليني وهو من الكتب الأربعة الموسوم (الكافي في علم الدين) بجزئين المطبوع طبعة حجرية في طهران عام ١٨٨٩ وعلى كتب الشيخ الصدوق ابن بابويه القمي (من لا يحضره الفقيه) المطبوع طبعة حجرية عام ١٩٠٨ وكتاب (كمال الدين وتمام النعمة في إثبات الغيبة) المطبوع طبعة حجرية في طهران عام ١٨٨٣ الكتاب الذي حققه وترجمه المستشرق الألماني آرنست موللر Moller في عام ١٩٠١، واختار عنواناً للكتاب يتضمن (كتاب حول نظرية الإمام المهدي)[1]، واعتمد على كتابه الآخر أخبار الرضا

(١) Moller,A: Beiterge zur Mahdilehre (HeiLdberg) 1901.

والكتاب مطبوع طبعة حجرية أيضاً طبعت في إيران عام ١٨٥٨، كذلك رجع إلى كتاب الشيخ محمد بن حسن الطوسي الموسم (تهذيب الأحكام) المطبوع طبعة حجرية في إيران عام ١٨٩٩ وعلى كتابه الثاني وهو الكتاب الرابع من الكتب الشيعية الأربعة (الاستبصار) المطبوع في (لكناو)، ورجع إلى كتاب زيد بن علي الموسوم (مجمع الفقه) الذي حققه المستشرق الإيطالي غريفني E. Griffini وطبعه في ميلان سنة ١٩١٩[١]، وكذلك مؤلفات العلامة المجلسي مثل بحار الأنوار المطبوع طبعة حجرية في إيران بأربعة وعشرين مجلداً، وكتابه الآخر (تذكرة الأئمة) المطبوع طبعة حجرية في إيران سنة ١٩١٣، وكتابه (مشكاة الأنوار) المطبوع طبعة حجرية في تبريز عام ١٨٦٣، وكتابه (زاد المعاد) المطبوع حجرياً في بومبي، وكتابه (تحفة الزائرين) المطبوع في طهران عام ١٨٥٧، وكتابه (حياة القلوب) بثلاثة أجزاء تشتمل على حياة رسول الله و(الإمامة) وهو مطبوع حجرياً في إيران عام ١٩٠٦، ١٩٠٩. وقد ترجم الجزء الثاني منه المتعلق برسول الله المستشرق ميرك L. Merrick وطبع في بوسطن[٢]، أميركا عام ١٨٥٠. وكتابه (حق اليقين) المؤلف سنة ١٦٩٨ والمطبوع في طهران عام ١٨٢٥.

---

(١) E. Griffini: (Corpus Juris di zaid ibn Ali) Milano 1919.
والمناسب أن ترجمة Corpus مجموعة قوانين إشارة إلى عنوان مجمع الفقه.

(٢) Merrick, James L. (The life and religion of Muhammad, Boston 185).
ويلاحظ أن المستشرق ترجم حياة القلوب بعنوان: The life and religion. بينما لا يؤشر الكتاب إلى كلمة دين Religion.

واعتمد على كتاب المحقق الأول نجم الدين جعفر الموسوم (شريعة الإسلام) الذي ترجمه المستشرق الفرنسي كويري A. Querry [1]، وطبعه في باريس بجزئين عام ١٨٧١، واعتمد أيضاً على كتاب ملا فتح الله الذي ترجم نهج البلاغة للسيد الرضي باللغة الفارسية والمطبوع حجرياً في طهران عام ١٨٩٢ وقد اشتمل على خطب الإمام علي؛ كما اعتمد على مؤلفات ميرخواند (روضة الصفا) وكتاب الشيخ البهائي وعلى كتاب حاجي ميرزا (عقيدة الشيعة) المطبوع حجرياً في كربلاء عام ١٨٧٩، وعلى كتاب ملا محمد رضا إمامي مدرسي (جنة الخلد) المطبوع حجرياً في طهران عام ١٨٤١ وهو فهرست مجدول لحياة رسول الله والأئمة الأطهار، واعتمد على مجموعة من مؤلفات العلامة الحلي منها (الباب الحادي عشر) الذي ترجمه المستشرق البريطاني وليم مللر Miller [2]، وطبعه عام ١٩٢٨ بعنوان (رسالة عن المذاهب الفقهية عند الشيعة)، والملاحظ أن الكتاب هو أحد الكتب الثمانية للعلامة الحلي الموثقة عند الشيعة الإمامية في تفسيرات العقيدة الشيعة الإثنى عشرية، وقد حلّ هذا الكتاب محل كتب أخرى وصارت نصوصه تدرس في المدارس الشيعية[3].

---

(١) a. Querry, Droit musulman recueil des Lois concernant les musulmans schyiteś 2 vols., Paris 1871.

(٢) Miller,W. MCE. The Principles of Shiite Theologgy (Oriental translation Fund) volume XIX (1928).

(٣) See (AL-Hilli)- in Encyclopedia of Islam (New Edition) Vol 3 P. 390 by S. H. M. Jafri.

وبالفعل فإن المستشرق دونالدسن لم يتجاهل توصيات معارفه من المبشرين، أمثال صموئيل زويمر وروبرت سبير SPEER بأن يتابع الخطا ولا يتوقف عند هذا الحد، في متابعاته ودراساته للتشيع في إيران؛ فأقدم على تأليف عدة إسهامات من بينها ترجمة إحدى رسائل أخوان الصفا وخلّان الوفا واختار عنواناً لهذه الرسالة (تقويم إسلامي قديم للمسيح، ترجمة لرسائل أخوان الصفا) وطبعها في القاهرة عام ١٩٤١، ثم في مجلة سلسلة الدراسات الإسلامية(١).

وسبق دونالدسن المستشرق الفرنسي ماسنيون في الكتابة عن سلمان الفارسي؛ إذ أن ماسنيون كتب أيضاً بحثاً بعنوان سلمان باك نشره في مجلة جمعية الدراسات الإيرانية عام ١٩٣٤، أما دونالدسون فقد نشر دراسته بعنوان (سلمان الفارسي) في مجلة عالم الإسلام Moslem World سنة ١٩٢٩(٢). والراجح أن دونالدسون قد وقف على عقيدة المهدي في هذه الدراسة وكتب دراسة ثالثة لكنها لا تتعلق بموضوع البحث وتناولت المحرابات المهمة في حرم مشهد المقدس، ونشر الدراسة في مجلة Ars Islamica سنة ١٩٣٥(٣).

لا شك في أن دراسة البروفسور دونالدسون من الدراسات المعتمدة عند المسلمين والمستشرقين، غير أنها كما أسلفنا بحاجة

---

(١) Donaldson, Dwight. M. (An Ancient Muslim Appreciation of the Messiah (Translation of Rasail Ikhwan al safa) Cairo 1928, in Bulletin of the HMS of Islamic Studies Series (39,nov - Dec\1941).

(٢) Idem. , Salman the Persian" in Moslem World Vol. 30 pp. (1929).

(٣) Idem. "Significant Mihrabs in the HARAM AT Mashhad" in Ars Islamica (2\1935) pp. 118-127.

إلى إعادة تقويم في بعض آرائه وتفسيراته، فمثلاً بخصوص عقيدة المهدي فقد اختار كلمة Hidden للغيبة الصغرى والكبرى، والكلمة لها عدة معاني منها الغائب والمختبيء والمختفي والمحجوب والمتواري عن الأنظار، والملاحظ أن المستشرقين الآخرين قد عبروا عن الغيبة بتعبير آخر هو Occultation التي تترجم إلى أستتار أو استتار أحتجاب؛ ويبدو أن الترجمتين لا تتطابقان تماماً مع المفهوم الروحي والعقيدي لعقيدة المهدي المنتظر والغيبة، لذلك فإن دائرة المعارف الإسلامية اختارت نص الكلمة الغيبة ghayba للتعبير عن الغيبتين الصغرى والكبرى. كما أن دونالدسون في متابعته لآيات الذكر الحكيم المتعلقة بورود كلمة المهدي والهادي في سورة الحج وسورة الفرقان وسورة الرعد وسورة القصص لم يكن دقيقاً كذلك، فالمستشرق يبدو أنه كان يميل إلى التشكيك في أصل العقيدة وفيما إذا كان الإمام موجوداً وحياً في أثناء حياة والده الإمام الحسن العسكري[1]؟، هذه الأفكار وغيرها في متن الكتاب عموماً بحاجة إلى تصويب ومناقشة.

وضمن الفلسفة التبشيرية نفسها التي انطلق منها المستشرق دونالدسون، فإن المستشرق البريطاني الآخر جون نورمان هوليستر John Norman Hollister، قد توجه إلى دراسة التشيع في الهند، إذ صرح بأنه تحمس لدراسة هذا الموضوع حينما كان يعمل في البعثة التبشيرية في لكناو Lucknow التي وصفها كأنها عاصمة الشيعة في

(١) Idem., The Shiite Religion pp. 226-241.

الهند. وأن بحثه قد قدمه إلى كلية كندي مدرسة البعثات التبشيرية للحصول على درجة الدكتوراه في الفلسفة سنة ١٩٤٦. وقد اعتمد هوليستر على كتاب دونالدسون كثيراً، والواقع أنه أعرب عن شكره لدونالدسون في مقدمته، لذلك فإن دراسة هوليستر لعقيدة المهدي جاءت إلى درجة كبيرة مماثلة لما تناوله دونالدسون فإنه ناقش موضوع المهدية والمهدي في القرآن الكريم ومؤلفات الصحاح والسنن مشيراً إلى أنه ليس هنالك آية صريحة في القرآن الكريم ولا في صحيح البخاري أو الفقهاء السنة ما تؤكد نظرية المهدي(١)، فإذا ما أجرينا موازنة بين عمل المبشرين دونالدسون وهوليستر، فإن كتاب الأول يعدّ أكثر شمولية في دراسة عقيدة الشيعة وأغنى مادة ومصادراً أولية، علماً بأن الثاني قد اعتمد هو الآخر على مصادر شيعية منها كتاب العلامة المجلسي (حياة القلوب) بترجمة المستشرق ميرك Merrick، ومع ذلك، فإن كتاب هوليستر تحدث عن التشيع في الهند بينما كان كتاب دونالدسون يتحدث عن العقيدة الشيعية في إيران والعراق. والمبشر هوليستر ألف كتاباً آخر عن الشيعة في القارة الهندية.

ومن المستشرقين البريطانيين - من الجيل القديم - الذين تجدر الإشارة إليهم المستشرق وليم ميلر W. M. Miller، ففي سنة ١٩٢٨ أقدم على ترجمة وتحقيق رسالة مهمة في عقيدة الشيعة الإثنى عشرية المذكورة آنفا وهي للعلامة الحلي بعنوان (الباب الحادي عشر) وقد

---

(١) John Norman Hollister, The Shia of India (Second Edition, London 1979. Idem. Shiism in the Sub-Continent).

ترجمها إلى (رسالة عن أصول أو قواعد الفقه الشيعي)(١). وكتب مللر بحثاً تناول فيه عقيدة المهدي بعنوان (التصوف الشيعي) نشره في مجلة عالم الإسلام(٢). وكتب هيوارت Cl. Huart في دائرة المعارف الإسلامية الطبعة الأولى بحثاً بعنوان (اثنى عشرية)(٣)، وقف فيها على عقيدة المهدي المنتظر بأنه hojtn وسيظهر في آخر الزمان معلناً قيام الساعة فيملأ الأرض عدلاً. ثم ناقش انقسام الحركة الشيعية إلى ما لا يقل عن أحد عشر فرقة بالنسبة إلى من يخلف الإمام الحسن العسكري وفيما إذا كان قد توفي حقاً أم أنه قد غاب؟ أو أن الإمام قد توفي وليس له أحد أي ليس له ابن ولكنه سيعود بعد موته؟ أو أن الإمام قبل موته قد أوصى إلى أخيه؟ أو أنه قد توفى ولم يترك وريثاً؟ أو أن للإمام ولداً ولد بعد موته بثمانية أشهر؟ أو أن الإمامة توقفت عند الإمام الرضا، وأن أتباع هذه الفرقة ينتظرون الحجة؟ ثم تناول كليمونت هيورات المذهب الشيعي أيام الشاه إسماعيل الصفوي، وبحسب رأيه أن الفرس قد نظروا إلى أئمة أهل البيت الأطهار نظرة مقدسة كما نظر النصارى إلى أقانيمهم، واعتقدوا أن في أيديهم مقاليد العالم، وعليهم مسؤولية حفظ الدين وهداية البشر والخلاص معهم. ومن آرائه الأخرى غير الصحيحة

---

(١) Miller, William MCE, A Treatise on the Princcpales of Shiite Theology (Oricntal Translation Fund)Volume XIX\1928).

(٢) Idem.., "Shia mysticism" in Moslem World (Volume XIII) PP. 343-363.

(٣) CL. Huart,(Ithna Ashariyya) in Ency clopedia of islam (First Edition)- volume I. 429-31.

قوله أن للشيعة صلوات خاصة بهم وأن يوم الأحد مقدس لديهم لأجل علي وفاطمة وأن الساعة الثانية بعد الظهر من كل يوم هي ساعة مقدسة عندهم لأجل الإمام الحسن والساعة الثالثة لأجل الإمام الحسين والرابعة لأجل الإمام زين العابدين عليه السلام وهكذا يستمر في أقواله الخاطئة التي اعتمد فيها على ما أورده المستشرق الدانمركي فريد لاندر Friedlander الذي كتب عن (بدع الشيعة إستناداً إلى كتاب (ابن حزم الظاهري الأندلسي المسوم بالفصل في الملل والأهواء والنحل) ومعروف جداً معاداة وكره ابن حزم الظاهري للعقيدة الشيعية فاحتوى كتابه على ترهات وأكاذيب ينبغي على المتخصصين أن يعيدوا قراءته ويشخصوا الغث من المعلومات التي أتى بها في كتابه. الواقع أن المستشرق هيوارت قد غالى كثيراً بشأن التحديدات الزمنية التي ذكرها؛ فضلاً عن أنه قد أثار أسئلة أصبحت متداولة عند غيره من المستشرقين وغيرهم ممن يشككون بولادة الإمام المهدي؛ وقد مرّ بنا قبل عدة صفحات ما أثارته المستشرقة الألمانية فيرينا كليم من أسئلة بشأن الولادة والغيبة تكاد تتطابق مع تلك التساؤلات.

هذا ما يتعلق بالمستشرقين القدامى أو الذين يمثلون الجيل الأول من الاستشراق البريطاني؛ وهناك عدد من المستشرقين الذين يمكن وصفهم بالمخضرمين ممن عاصر الجيل الأول واستمر في عطائه حتى السبعينيات من القرن العشرين، وبعضهم ممن أمتد به العمر حتى الوقت الراهن أي عام ٢٠٠٩، والملاحظ أن هؤلاء المخضرمين قد استمروا في اهتماماتهم ونشاطاتهم في الكتابة عن

التشيع وعقيدة الإمام المهدي. فالمستشرق المعروف بدراساته عن سيرة رسول الله أسهم في الكتابة عن عدد من الموضوعات صارت مصدراً عند من كتب عن الرافضة أو عن الشيعة إبان العصر الأموي من المستشرقين والمسلمين، وهو المستشرق مونتغومري وات .M Watt الاسكتلندي الأصل إذ كتب بحثاً حول أهمية المراحل التاريخية المبكرة في تطور حركة التشيع الإمامي الإثني عشري. ونشر الدراسة في كتاب حول الدين والسياسة في إيران المطبوع عام ١٩٨٣.

ونشر في الستينيات بحثاً قيّماً عن مصطلح الرافضة في تاريخ الحركة الشيعية بعنوان (الرافضة) نشر في مجلة Oriens عام ١٩٦٣[١]، وقد وقف على العلاقة بين الإمام الباقر وزيد بن علي، ومحمد بن الحنفية، فيما يتعلق بمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم تناول عقيدة المهدية في فرقة الكيسانية التي اعتقدت بابن الحنفية أماماً مهدياً لم يمت إنما غاب ليعود مرة أخرى فيحقق العدالة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وإن عدداً من المستشرقين قد وقفوا على فرقة الكيسانية. والملاحظ أن المستشرقين الذين تطرقوا إلى الكيسانية، يسندون دائماً إلى الدراسة القّمة التي أنجزتها الأستاذة وداد القاضي في كتابها (الكيسانية في التاريخ والأدب بيروت ١٩٧٤).

وفرقة الكيسانية قد احتضنت العديد من الشيعة من أهل الكوفة،

---

(١) Idem. , (The Rafidites: A preliminary Study" in Oriens VoL. xvi (1963) p. 116.

أيام وجود الإمام علي بن الحسين زين العابدين. وتصاعد تأثيرها زمن العباسيين. فقد وقف المستشرق وات Watt على هذا الموضوع وتناول فيه وضع الشيعة الإمامية كفرقة في الفترة التي أعقبت الثورة العباسية سنة ١٣٢هـ / ٧٥٠، معتمداً على كتاب فرق الشيعة للنوبختي، وقد وقف في البحث على غيبة الإمام[١] عند الكيسانية في اعتقادهم بأنه قد اختفى في جبل رضوى في مصر.

أما المستشرق المعروف برنارد لويس Lewis البريطاني فقد كان أستاذاً عالماً في جامعة لندن (مدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية) إلى السبعينيات ثم انتقل إلى الولايات المتحدة الامريكية. ويعدّ أيضاً من المستشرقين المخضرمين، فقد نال درجة الدكتوراه في الأربعينيات من جامعة السوربون في فرنسا في موضوع مهم هو أصول الإسماعيلية[٢]، والكتاب هو من المؤلفات الرائدة في هذا الميدان إلى جانب مؤلفات وتحقيقات المتشرق الروسي أيفانوف W. Ivanov. ودرس البروفسور لويس تاريخ الإسماعيلية وأصولها الشيعية وعقائدها ومن بينها عقيدة المهدي المنتظر. وله دراسات عن الفاطميين والعباسيين وعن الفرق الإسلامية بما أطلق عليها (البدعة Heresy)[٣]، إلا أن اهتماماته قد توسعت وتنوعت وحينما أنتقل إلى

---

(١) Idem., (The reappraisal of Abbasid Shiism" in Paul Luft and Colin Turner (Editors): Shiism 4 volumes, Routledge, London, New York 2008 (Volume) P. 92-105.

(٢) B. Lewis, The origins of Isma' ilism (Cambridge 1940), idem, the Assassins (London 1967) والكتابان ترجما إلى اللغة العربية.

(٣) Idem., "Some observation on the significance of Heresy in the history of Islam" in Studia Islamica VoL. I 1953 pp. 43-63.

أمريكا توجه إلى دراسة الإسلام المعاصر بما له علاقة بالنتائج التي أفرزتها الثورة الإسلامية في إيران، وحظي موضوع التشيع من اهتمامه أيضاً فكتب بحثاً عن الشيعة في التاريخ الإسلامي ونشره في كتاب حققه المستشرق الإسرائيلي، مارتن كريمر Kramer بعنوان (التشيع، المقاومة أو الاحتجاج والثورة ونشر في عام ١٩٨٧(١)، والبحث هو متابعة تاريخية للدور الذي أداه الشيعة في التاريخ، ولم يكن هدفه عقيدة المهدي بصورة خاصة.

كذلك اشتهر المستشرق البريطاني مارشال هودجسون M. Hodgson بدراساته، من كتب وبحوث، عن التشيع الإمامي والإسماعيلي، فقد ألف دراستين أحداهما بعنوان The Order of Assassins والأخرى بعنوان (دولة الإسماعيليين)(٢)، والكتابان لا يتعلقان بطبيعة عقيدة المهدي المنتظر، وإنما بفرقة الإسماعيلية وبإحدى فرق الإسماعيلية المعروفة بالحشاشين، ومما يجدر ذكره أن البروفسور هودجسون من المستشرقين المخضرمين الذين يجمعون بين تفسيرات ومواقف جيلين من الاستشراق البريطاني. والذي يعنينا هنا هو إسهاماته في حقل التشيع عامة وحقل عقيدة المهدي بشكل خاص، فكتب في دائرة المعارف الإسلامية (طبعة جديدة) عدة مقالات، منها بحثه عن الغلاة Ghulat تتبع فيه الغلاة الذين خرجوا عن التشيع الإمامي الإثنى عشري واعتنقوا آراءً غالية

---

(١) Idem., " The Shia in Islamic History" in Shiism Resistance and Revoltion (in Martin Kramer (ed) Boulder, Western Press 1987,Pp. 21-30.

(٢) Hodgson, M. G. S. The order of Assassines (The Hague 1955, idem. The Ismaili State" in Cambride History of Iran (Cambridge 1968, Pp. 422-482).

في الأئمة والإمام علي، وأن الإمام لم يمت بل سيرجع في المستقبل.

ويشير هودجسون إلى أن فكرة غيبة Absense الإمام وعودته ليملأ الأرض عدلاً بعد أن ملئت جوراً أو نظرية القائم من قد ظهرت أولاً عند الغلاة[1]، وكتب بحثاً صار مصدراً يشار إليه دائما من قبل المستشرقين والباحثين المسلمين بالأخص حين يتناولون بالبحث عن المراحل التي مرّت بها الحركة الشيعية إلى أن تطورت إلى فرقة، وعنوان البحث (كيف أصبح الشيعة الأوائل فرقة؟)[2]، وكتب بحثاً عن الإمام جعفر الصادق في دائرة المعارف الإسلامية (طبعة جديدة) تطرق فيه إلى دور الإمام زين العابدين ومن بعده الأئمة الأطهار في تكوين الفكر الإمامي وعقيدة المهدي[3]، وألف بحثاً عن حقبة البويهيين في كتاب يعنى بالتطور التاريخي للتشيع، وقف فيه على اهمية عقيدة المهدي في كتابات العلماء والفقهاء الشيعة الذين نشطوا في هذه الحقبة[4] التاريخية.

والمستشرقة المشهورة آن لامبتون Ann. K. Lambton تعدّ من المستشرقين المخضرمين أيضاً، وهي أستاذة مشهورة في دراساتها عن إيران في جامعة لندن (مدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية).

---

(١) Idem., (Ghulat) in Encyclopedia of Islam (Second Edition) Vol. 2Pp. . 1093-95.

(٢) Idem . M., (How did the early Shi'a become sectarian?" in JAOS, 1955.

(٣) Ibid., P. 10,11, idem (Djafar al. sadiq) in Encyclopedia of Islam VOL. 2 PP. 314-375.

(٤) Idem., "The Buyid Era" in Historical Growth of Shiism, Pp. 154-158.

ولذلك فإن التشيع صار موضوعاً من اهتماماتها فألفت في سنة ١٩٥٦ بحثاً اعتمد عليه الباحثون في تاريخ إيران وهو عن النظرية الفارسية[١] في الحكومة، تطرقت فيه إلى دور التشيع في السياسة، ولكن البحث غير مباشر بالنسبة إلى موضوع البحث. ولعل بحثها الآخر المنشور سنة ١٩٦٤ حول إعادة النظر في وضعية مراجع التقليد في المؤسسة الدينية[٢]، يقف على العقيدة المهدوية في الفكر السياسي والديني في إيران، وأن بحثها المهم الآخر عن (النظرية السياسية والممارسة والتطبيقية) الذي نشرته في كتاب يحمل عنوان (توقعات الذكرى الألفية: التشيع في التاريخ) المطبوع في نيويورك عام ١٩٨٩، ووقفت فيه على أفكار مهمة أولها أن التشيع في أصوله قد شدد على المبدأ الباطني Mystical أو الرمزي المتمثل في مبدأ وفلسفة النور. فالنور الإلهي (نور محمد) ظل ينتقل إلى الإمام المهدي، ووقفت على مسألة أن الإمام هو الوصي وهو المعصوم، وإنه الضرورة التي لابد منها في كل زمان، وقد أبدت رأي العلامة ابن بابويه في رسالته الإعتقادات الإمامية ووقفت على غيبة الإمام المهدي[٣].

(١) Ann K. Lambton, "Quis Custodiet Custodies: Some reflections on the Persian Theory of Governmeut" in Studia Islamica, Volume. v, 1956 Pp. 125-148, Volume vi, (1956).

(٢) Idem., "Areconsideration of the position of the maraja al- Taqlid and the religious institution" in Sludia Islamica Volume xx (1964) Pp. 115-135.

(٣) IBID., "POLITICAL THEORY AND PRACTICE" IN Seyyd Hossein Nasr, Hamid Dabashi,and Seyyed WaL Reza Nasr (eds) Expectation of the Millennum: Shiism in History (State University of New York 1989 Pp. 93-167).

ولا بد من الإشارة إلى أن هناك دراسات متفرقة قد نال مؤلفوها درجات علمية في ميدان التشيع في جامعة لندن قد أدخلناهم ضمن الاستشراق البريطاني دون التأكد فيما إذا كانوا بريطانيين في الجنسية أو في السكن منهم راجكوفسكي W. Rajkowski الذي كتب رسالة دكتوراه في جامعة لندن وطبعها في سنة ١٩٥٥ بعنوان (التشيع المبكر في العراق)(١)، وقف فيها على فترة الإمام العسكري وبعده غيبة الإمام المهدي. والاستشراق البريطاني، كما هو الحال في المدارس الاستشراقية الأخرى، ظل دؤوباً في البحث والدراسة في هذا الميدان الذي تأسس كما ألمحنا في الصفحات السابقة على دراسة عقيدة التشيع عامة ونظرية المسيحية أو المهدية بشكل خاص. ففي سنة ١٩٧٥ نال الباحث هوارد I. K. A. Howard درجة الدكتوراه من جامعة كمبردج في موضوع (طقوس الشيعة الإمامية في محيط ومضمون الفقه الإسلامي المبكر)(٢)، تناول فيه نظرية الإمامة حسب العقيدة الإثنى عشرية، وعقيدة المهدي المنتظر. والمستشرق نورمان كالدر Norman Calder من بين المستشرقين البريطانيين المهتمين كثيراً في موضوع التشيع وهو أستاذ في جامعة مانجستر وله بحوث عديدة في ميادين الفقه والشريعة الإسلامية وكذلك في التاريخ الإسلامي المبكر. نال في دراسته درجة الدكتوراه من جامعة لندن (SOAS) عام ١٩٨٠ حول موضوع (مباني السلطة أو المرجعية

---

(١) Rajkowiski, W.: Early Shiism in Iraq (Ph. D. thesis, University of London 1955).

(٢) Howard. I. K. A., Imami Shii Ritual in the context of Early Islamic jurisprudeunce (Ph. D. Camberdge University 1975).

في الفقه الشيعي الإمامي)[١]، ورسالته تتركز على تاريخية الفقه الشيعي والصراع بين التيارين العقلي والتقليدي، ووقف فيها على دراسة عقيدة المهدي المنتظر. وفضلاً عن رسالته الجامعية المهمة هذه فقد ألف مجموعة قيمة من البحوث التي لها علاقة بميدان البحث الشامل لأطروحته (المرجعية أو السلطة الشرعية في الفقه الشيعي الإمامي)، نشره في مجلة الجمعية البريطانية للدراسات الشرق أوسطية عام ١٩٧٩)[٢]، كذلك بحثه الموسوم (مباني أو بنية السلطة أو المرجعية في الفقه الشيعي الإمامي من القرن العاشر إلى القرن السادس عشر للميلاد)، ونشره في مجلة مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية في لندن عام ١٩٨١[٣]، وبحثه الآخر حول (الخمس في الفقه الشيعي الإمامي من القرن العاشر إلى القرن السادس عشر للميلاد)[٤]، ونشره في المجلة نفسهاعام ١٩٨٢، وفي جميع هذه البحوث يقف المستشرق كالدر Calder على فترة الإمامين الحسن العسكري والمهدي المنتظر، ونشر بحثاً قيماً آخر هو (شك وامتياز: ظهور نظرية الشيعة الإمامية في مسألة الاجتهاد) نشره في

---

(١) Norman Calder: The struclure of Authority in Imami jurisprudeuce (Ph,D. Thesis of School of Oriental and African Studies 1980).

(٢) Idem., "Judicial Authority in Imami Shii jurisprudence" Bulletin of British Society for Middle Easttern Sludies vol. 6/11/1979)Pp. . 164-108

(٣) Idem., (The Structure of Authority in Imami Shii Jurisprudeuce from the Tenth to the sixteenth Century A. D" in BSOAS (44-111-1981) Pp, 468-480.

(٤) Idem., (Khums in iIami shii Jurisprudence from rhe 10 th to 16 th century A. D" in BSOAS (VOL. 45/1/1982) PP. 39-47.

مجلة Studia islamica عام ١٩٨٩[١].

وهناك أيضاً المستشرقان هندز Hinds ونورمان كرون N. Cron اللذان ألفا كتابين تناولا فيهما عقيدة الشيعة في الإمام، هما كتاب (خليفة الله) نشراه في كمبردج عام ١٩٨٦ وأعادا طبعه عام ١٩٩٠[٢]، بعنوان (خليفة الله: السلطة أو(الولاية) الدينية في القرون الإسلامية الأولى).

وتناول المؤلفان في هذين الكتابين مصطلح المهدي والخلفاء الذين وصفوا بذلك مثل عمر بن عبد العزيز، والمهدي المنتظر والدراسة في حقيقتها متابعة تاريخية عن مواقف الأئمة الأطهار كالإمام الباقر من الإمام صاحب الزمان.

وألف المستشرق وليم سكوت جرين W. S. Green كتاباً عن المهدية (المسيحية) في الديانة اليهودية وتأثيراتها بعنوان (مقدمة: المسيح في اليهودية؛ اعادة نظر وتفكير وتحديد الإشكالية)، نشر الدراسة في لندن عام ١٩٨٨[٣].

والملاحظ أن دراسة جرين تقع ضمن الدراسات التي تعددت

---

(١) Idem., "Doubt and prerogative: the emergeuce of Imami Shii theory of Ijthad" in SI (VOL 70 1989) Pp. 57-78.

(٢) Crone and Hinds: God's Caliph: Religious Authority in the first centuries of Islam (First Edition Cambridge 1986. (Secoud Edition, London 1990).

(٣) WiLLiam Scott Green: Introduction: Messiah in Judaism . Rethinking. The Qusestion (London 1988) al- sijstani intellectual missionary (London. New York 1996) P 1-2.

بشأن المهدية (المسيحية) في الديانتين اليهودية والنصرانية ومدى تأثيراتها بالنسبة إلى عقيدة المهدي المنتظر الإسلامية. مع ذلك فهي دراسات مهمة للمناقشة والمحاججة مع النظرية الشيعية في عقيدة المهدي الإسلامية، كذلك فهي مهمة للتعبير عن أن الديانات التوحيدية السابقة جميعها تعتقد بأن المهدي الذي سيظهر في آخر الزمان، سيحقق السعادة للمجتمع، ويخلص الإنسانية من الظلم والجور.

وفي هذا المجال كتب المستشرق وولكر P. E. Walker دراسة قيّمة تناول فيها فلسفة عقيدة التشيع وفلسفة عقيدة الإمام صاحب الزمان عليه السلام، وطبع الدراسة في كمبردج عام ١٩٩٣ بعنوان (المرحلة المبكرة من فلسفة التشيع). وله كتاب عن أبي يعقوب السجستاني طبعه في لندن ١٩٩٦، درس فيه آثار غيبة الإمام المهدي على الحركة الشيعية، يرى وولكر أن حال من الإضطراب والحيرة قد استولت على الحركة الشيعية عند غيبة الإمام المهدي[١]. وهناك المستشرق أو المستشرقة) جويس ويلي Joyce Wily الذي ألف كتاباً عن الحركات الإسلامية للتشيع في العراق[٢]، طبعها في لندن عام ١٩٩٢. كذلك هناك المستشرق ساوث وهو أستاذ زائر في قسم الدراسات الحكومية والدولية في جامعة ساوث كارلونيا South Carolina في الولايات المتحدة. والملاحظ أن دراسته محددة

---

(١) Walker, P. E., Early philosophical Shiism (Cambridge), idem, Abn ya'qubal-Sijistani (Ibid).

(٢) Joyce N. Wiley: The Islamic Movement of Iraqi Shiism (London 1992) P.. 11, 120.

بالتشيع في العراق وبالحركات الشيعية الحديثة غير أنه توسع في إطار دراسته للتطرق إلى التشيع الإثنى عشري تاريخياً، منذ إعلانه مذهباً رسمياً من قبل الصفويين في إيران؛ كذلك اهتم بدراسة اعتقاد الشيعة الإمامية بالغيبة - غيبة الإمام - ووقف قبل تناوله عقيدة المهدي على حياة الإمام الحسن العسكري، وما حدث من خروج عدد من الفرق في الحركة الشيعية جميعها قد توزعت حول ولادة الإمام المهدي. واعتمد المستشرق ويللي على دراسة عبد العزيز ساجدينا المهمة حول (المهدي (المسيحية) في الإسلام، نظرية أو معتقد المهدي عند الشيعة الإثنى عشرية)[1]، وهي دراسة اعتمدها العديد من المستشرقين المهتمين بالكتابة عن عقيدة المهدي. والمهم إننا لم ندرج البروفسور عبد العزيز ساجدينا ضمن قائمة المستشرقين على الرغم من أنه يعمل في الجامعات الأجنبية الآن في جامعة فرجينيا في الولايات المتحدة الأمريكية، وألف رسالته ربما في الولايات المتحدة. واشتهر ساجدينا بدراساته عن الإمام المهدي والغيبة، فكتب دراسة عن (الحاكم العادل في التشيع الإثنى عشري: السلطة العامة (أو الولاية) للقضاة في الفقه الإمامي)، وطبعه في نيويورك، ومطبعة جامعة اكسفورد عام ١٩٩٨[2]، وألف بحثاً عن

(١) Sachedina. A. A: Islamic Messianism. The idea the Mahdi in Twelver shiism (New York AlbanY 1980).

(٢) Idem., The Just Ruler in Twelver Shiism: The comprehensive Authority of the Jurists of the Imamate jurisprudence (New York, Oxford University Press 1988).

(رسالة حول الغيبة، غيبة الإمام الثاني عشر) نشرها في مجلة Studia Islamica عام ١٩٧٨[١]، ويقصد بذلك رسالة الشريف المرتضى التي تحمل عنوان (الغيبة).

ومن المستشرقين البريطانيين المحدثين المستشرق برتون J. Burton الذي له أسهام عن الحديث الشريف بعنوان (مقدمة لدراسة الحديث)[٢]، فقد أسهم في دائرة المعارف الإسلامية (طبعة جديد)[٣]، يبحث عن (النص) متتبعاً المصطلح في القرآن الكريم والحديث الشريف ومؤلفات الفقه، ووقف على أهمية المصطلح عند الشيعة بما يعرف النص والتعيين. كذلك درس تعبير الروافض بما يشير إلى الإسماعيلية ثم الإثنى عشرية؛ وبعد ذلك توسع تطبيقه عند أهل السنة فأصبح مدلوله يشير إلى أي شخص يعرف بأنه من الفرق الشيعية عامة ودون إستثناء. والدراسة اعتمدت النصوص التاريخية المعروفة في شرح الفحوى التاريخي لتعبيرالرافضي؛ وأبدى المستشرق رأياً مفاده أن الرفض أصله يهودي، وينسب إلى عبد الله بن سبأ على أساس أنه أول من أدخله. ولم يغفل المستشرق في التركيز على موقف الإمام الصادق من تعبير الرافضي، ووقف وقفة قصيرة على النص والتعيين في عقيدة الإمام المهدي.

---

(١) Idem., "A treatics on the occultation of the twelfth Imam" in SI/1978, PP. 39-50.

(٢) See (Nass) in Encyclopedia of Islam (New Edition) by, A.j. Wensick and Burton.

(٣) John Burton; An Introduction to the Hadith (Edinburgh 1994) Pp. 124-125

ويتحدث فيه عن المؤلفات الشيعية الأربعة بخصوص الحديث عن الغيبة.

وقبل الإنتقال إلى الحديث عن اسهامات مستشرقين او مدارس استشراقية اخرى لا ضير من تسليط الضوء على المعلومات المهمة والمعاصرة لعدد من الرحال الفرنسيين والإنجليز ومنذ القرن السادس عشر للميلاد. فمن بين وثائق شركة الهند الشرقية البريطانية هناك، كما ذكر البروفسور دونالدسون مذكرات كتبها فيللوت Phillott بعنوان (مذكرات الشاه طهماسب)[١] فيها معلومات عن أوضاع الشيعة وعقائدهم. ورحلة جيمس فريزر[٢] Fraser في خراسان. وكذلك ورد ذكر عدد من الرحلات الفرنسية مثل رحلة شفليه جاردين في بلاد فارس وتقع في عشرة أجزاء ألفها J. Chardin [٣] وطبعت في باريس عام ١٨١١، ورحلة موريه J. Morier الثانية في بلاد فارس المطبوعة في باريس عام ١٨١٨[٤]، وقد وقف موريه في رحلته على عقائد الامامية ومن بينها عقيدة المهدي المنتظر والطقوس التي كان يمارسها الشيعة في ذكرى استشهاد الإمام الحسين وفي ذكرى الغيبة.

اما بخصوص مساهمات المدارس الاستشراقية الأوربية الأخرى فانها على الرغم من أهميتها ومباشرتها فهي اقل بكثير مما أنتجته المدارس الألمانية والفرنسية. فالاستشراق السويدي والهولندي هو في الواقع استشراق قديم وبالأخص اهتمامات هولندا

---

(١) Philltt, D. C. Memoirs of shah Tahmasp, Bib. India, no. 1319.

(٢) Fraser, James, B. Journey into Khorasan (London 1825).

(٣) Chardin, J. Les Voyages du Chevalier Chardin en Perse, edited by L. Langle (Paris 1811).

(٤) Morier, J. Second Voyage en Perse' Paris 1818.

السياسية في منطقة آسيا والخليج والهند، وان شركة هولندا الشرقية كانت أقدم في نشاطاتها التجارية من شركة الهند الشرقية البريطانية، مع ذلك فقد برز من بين مستشرقيها المستشرق المشهور فان فلوتن G. Van Vloten الذي ألف بحثاً يستشهد به دائماً من قبل المستشرقين في الحديث عن التشيع بعنوان Worgers in Iraq (١)، وكتب بحثاً آخر عن تاريخ العباسيين(٢)، تناول فيه صراعهم مع الشيعة، ومشيراً إلى غيبة الإمام. وله بحث آخر عن استشهاد الإمام الحسين وقف فيه على الإمامة وأمامة المهدي، فضلا عن ذلك فقد كتب كتاباً مباشراً عن عقيدة المهدي بعنوان (بحوث في السيطرة العربية، الشيعة وعقيدة المسيحية في الخلافة الأموية)(٣).

والاستشراق السويدي استشراق قديم أيضاً وقد أنتج عدداً من المستشرقين المعروفين أمثال يوهان تورنبرغ Karl Johan Tornberg المتوفى عام ١٨٧٧ لكنه لم يكتب شيئاً عن التشيع. ومن أشهر المستشرقين السويد الذين كتبوا عن عقيدة المهدي في التاريخ، المستشرق سنوك هورجرونيه Hurgronje, C. Snouck إذ ألف بحثاً طويلاً عن المهدي (Der Mahdi) نشره عام ١٨٨٩(٤).

وهناك المستشرق السويدي صاحب البحوث الكثيرة

---

(١) G. Van Volten,·Worgers in Iraq) in feesthbundel veth, 57.

(٢) Idem., Zur Abbasiden Geschichte" in ZDMG voL 70 (1898) P..218.

(٣) Idem., (Recherches zur domination des Arabes. Le chiitisme et Les croyances messianiqes sous le KhaLifat des Omayades (Amesterdam 1894).

(٤) Snouck Hurgronje, (Der Mahdi) in Verspr. geschr., Volume 1/Pp. 145-81.

فلهلم(وليم) سترستين المتوفى عام ١٩٥٣، وهو من مستشرقي الجيل الأول Zettersteen، فقد كتب بحثاً عن الإمام الصادق[١]، في دائرة المعارف الإسلامية الطبعة القديمة، أشار فيه إلى موضوع الإمامة في العقيدة الشيعية.

وأنتج الاستشراق الدانمركي الذي له باع مشهود في دراسة ميادين من التاريخ الإسلامي وبالأخص تحليل الرواية التاريخية، عدداً من الدراسات المباشرة، وأخص بالذكر دراسة المستشرق المشهور بدراسته عن النبي الأكرم بهل F. Buhl في دراسته التي نشرها عام ١٩١٠ حول الشيعة وأوضاعهم في عهد الأمويين[٢]، ومع أنه ركّز على الرواية الإمامية بالنسبة إلى أتباع محمد بن الحنفية، وأن الكيسانية اعتقدت بأن ابن الحنفية هو المهدي الذي غاب ليعود مرة أخرى لتحقيق العدالة الاجتماعية والسياسية، والمستشرق بهل Buhl ايضاً وقف وقفة قصيرة على عقيدة المهدي عند الإمامية.

والاستشراق الإيطالي له أهميته في موضوع الإمام صاحب الزمان فالمستشرق موسكاتي S. Moscati كتب بحثاً عام ١٩٥٥[٣] نشره في مجلة RSO بعنوان رواية عن التشيع في المرحلة المبكرة بما له علاقة بالإمام الصادق والثورة العباسية، وفيها يشير إلى عقيدة الإمام الصادق بالمهدي من آل بيت الرسول.

---

(١) See (Djafar al - Sadiq) vol. 6 Pp 473-74 by K. V Zettersteen.

(٢) Buhl, Fr., (Alidernes Stilling til de Shiitiske Bevaesleger under Umajja-derne in Kgl. Danska Viden Selsk, Forhanding 1910 no. 5.

(٣) Moscati,S. (Per Una Storia dell A ntics Shia) in RSO (Volume 30) 1955.

والمستشرق بوساني A. Bausani مستشرق إيطالي معروف بدراساته عن البهائية وعن الحال الدينية خلال العصر السلجوقي منذ القرن الخامس الهجري إلى القرن السادس الهجري وعن الأحوال الدينية في عهد المغول، أشار الأستاذ مومن موجان Moojan إلى دراسة السندرو بوساني عن التشيع الإثنى عشري، ووقف فيها على موضوع الغيبة الكبرى ورجعة الإمام عليه السلام، وآثار بوساني نقاطاً تتعلق بإختلاف الشيعة عن السنة فيما يتعلق بمرويات المهدي المنتظر(١).

والمستشرق سكارسيا G. Scarcia الإيطالي الذي اهتم في دراساته عن التشيع كتب بحثاً عن الجدل بين الأخباريين والأصوليين حول الإمامة والإمام الغائب، ونشر البحث عام ١٩٥٨(٢). وحسب رأي البروفسور ستيوارت Stewart فان دراسة سكارسيا قد تناولت عقيدة المهدي المنتظر.

وللمستشرق سكارسيا بحث آخر مهم وله علاقة مباشرة بموضوع البحث وهو (رأي حول مشكلة (الولاية)س السلطة عند الإمامية).

---

(١) See Moojan Momen: An introduction to shii Islam: The History and Doctrines of Twelver shiism (Yale University Press 1985) Bausani, A. (Religion in the Seljuq period) in Cambridge History of Iran (Volume 5/ 1968) Pp. 283-302.

(٢) Scarcia, Gionroberto, (intornoalle Controver sie tra Akhbarie Usuli Presso gil imamili di Persia) in Rivista degli Studi Orientali 33 (1958) Pp. 211-50..

Scarcia,g, (A proposito del problema Sovranita Presso dil Imamiti) in AIOA (Volume 7) 1957.

وسلط الضوء فيه على السلطات الدينية والدنيوية للإمام المهدي، وقد نشر البحث في مجلة RIOA عام ١٩٥٧.

ومن المستشرقين الإيطاليين الآخرين كابيزون Capezzon الذي كتب بحثاً عن الكيسانية والإمامية بشأن مسألة الإمامة في حال أبو خالد الكابولي ونشر الدراسة عام ١٩٩٢[١]، والمعروف أن الكيسانية اعتقدت بأن ابن الحنفية لم يمت وإنه المهدي.

لقد أشرنا آنفاً إلى دراسة المستشرق الارجنتيني لويس البرتو فيتور Luis Alberto Vittor (الإسلام الشيعي) وهل هو بدعة أو مذهب حنيف[٢] ورشيد؟، والكتاب يتضمن مقدمة للسيد محمد رضوي في قم المقدسة كتبها سنة ٢٠٠٦م بعنوان الإمامة عند الشيعة الإثنى عشرية، والمهم أن المستشرق قد استعان بمؤلفات المستشرق الفرنسي كوربن فعقد فصلين مهمين أحدهما عن الولاية وولاية الأئمة وسلطاتهم الدينية والدنيوية وفصلاً آخر تناول فيه الإمامة؛ وقد وقف في الفصلين على عقيدة المهدي المنتظر مشيراً إلى دراسة كوربن عن (الإمام الغائب) المطبوع في باريس عام ٢٠٠٠ ودراسته الأخرى (الإمام الحجة وعودته)، وهو كتاب طبع سنة ١٩٦٠.

أما بخصوص إسهامات المستشرقين الأمريكان فحقيقة أن الاستشراق في الولايات المتحدة يعدّ أصغر عمراً من الاستشراق الأوربي، لكن لا يعدم وجود اهتمامات في التاريخ الإسلامي

---

(١) Capezzone, (Abiura della Kaysaniyya e conversion all' iIamiyya: il caso di Abn Halid - Kabuli" in RSO Volume 66́ 1992) p 1-13.

(٢) Morier, J. Second Voyage en Perse (Paris 1818).

والحضارة الإسلامية منذ القرن التاسع عشر للميلاد كما هو الحال في دراسة المستشرق واشنطن آرفنج عن حياة رسول الله وكذلك عن حركة التشيع، وهنا يجدر ملاحظة إن بدايات التوجه نحو دراسة الشرق الإسلامي والتاريخ الإسلامي قد تأثر بالبعثات التبشيرية الأمريكية، إن لم يكن من عمل المبشرين أنفسهم أمثال صموئيل زويمر الذي كتب عدداً من المؤلفات عن الإسلام. ومما لا شك فيه أن المستشرقين الأمريكان اهتموا بالكتابة عن الشيعة منذ فترة جيل المستشرقين القدامى، وكانوا أيضاً أما من المبشرين أو ممن تأثر بهم. فالمستشرق المشهور ماكدونالد D. B. MACDONALD وهو كما ذكرنا سابقاً بريطاني المولد وتعلم تعليمه الأول في مدينة غلاسكو ثم أنتقل إلى برلين عام ١٨٩٠ فتعلم فيها اللغات الشرقية تحت أشراف المستشرق المشهور زخاو، وواصل تعلمه اللغات السامية في هارفرد ١٨٩٣. فقد كان كالفني المذهب، وعمل على تأسيس مدرسة للبعثات التبشيرية باسم مدرسة كندي للبعثات وهي Kennedy School of Missions Hartford [١]

وأسس بالتعاون مع صموئيل زويمر مجلة العالم الإسلامي Moslem World عام ١٩١٣، من هنا كانت آراؤه عن الدين الإسلامي آراءاً متطرفة، وإنه بدعة (هرطقة) وأن رسول الله كان شاعراً تأثر باليهودية والمسيحية. لذلك انطلق في آرائه لتنشيط روح التبشير في العالم العربي والإسلامي؛ والمستشرق ماكدونالد له إسهامات كثيرة في دائرة المعارف الإسلامية بطبعتها القديمة

---

(١) العقيقي، نجيب، المستشرقون ج٣ ص١٣٦، ماكدونالد، الدين والحياة في الإسلام ج ٢٣.

والجديدة غطّت موضوعات لغوية وتعريفية واصطلاحية. ففي الطبعة الأولى من دائرة المعارف كتب مقالة عن (الجفر)[١]، مشيراً إلى أن المصطلح كان يعني عند الشيعة منذ عهد قديم جداً بأن الإمام عليا وأبناءه قد توارثوا سنناً باطنية من العلوم الدينية والسياسية الخفية، وستبقى هذه العلوم اللدنية مهمة حتى يوم المعاد. ويعرّج على كتاب الجفر المكتوب على جلد الجفر (وهو ابن المعزة البالغ عمره أربعة أشهر وقد فصل عن أمه)، ودرس الموضوع من جميع وجوهه ومسح المصادر التي ورد فيها ذكره ووقف على موقف الزيدية المعتزلة والخوارج وأهل السنة من الكتاب الذي ذكر بأن الإمام جعفر الصادق قد كتبه وعقب على موقف المستشرق جولد تسيهر الذي كان متشككاً من واقعية وجوده وكذلك من نسبته، كذلك يبدو من حديث ماكدونالد أنه متشكك أيضاً بنسبة الجفر إلى الإمام الصادق. وكتب بحثاً في هذه الدائرة بعنوان (اجتهاد Idjtiad) جاء فيه أن للشيعة مجتهدين مطلقين في سلطاتهم وذلك لأنهم اعتبروا المتحدثين والناطقين بأسم الإمام الحجة الغائب، وعلى هذا الأساس فهم يختلفون عن علماء السنة باعتبار هؤلاء علماء تابعون للدولة في حين يفهم من المجتهد الشيعي بأنه المحافظ على الأمر خلال مدة غياب الإمام[٢]. كذلك كتب مقالة مهمة عن الغيبة Ghayba معتمداً على كتاب الشيخ ابن بابويه القمي (كمال الدين)

---

(١) See (Djafr) in Enydopcdia of Islam (First Edition), by D. B. Macdonald.

(٢) Scc (ghayba) in Encycloprdia of Islam (New Edition) Vol. 2P. 1026 by Macdonald ond Hodgson, idem (Idjtihad) in Encyclopedia of Islam, Volume 3 P. 1026-27.

الذي حققه وترجمه المستشرق ميلر عام ١٩٠١ وفي هذا المقال يذكر أن الإمامية تعتقد بضرورة وجود الإمام في كل زمان، وأشار إلى واجبات الإمام المهدي الدينية والدنيوية وأنه حاضر بين الناس دائماً، ويحج إلى بيت الله وأنه يتسلم أسئلة واستفسارات ورسائل أتباعه باستمرار عن طريق سفرائه أو وكلائه. والمستشرق ماكدونالد يرى رأياً قابلاً للنقاش وهو أن الإمامية لم يغب عن أذهانهم أن هناك ممثلاً للإمام ينبغي أن يظهر بأسماء متعددة كالباب أو السفير، مع أن الباب لم يعترف به بصورة عامة. ونعتقد بأن ما كدونالد يمّهد في هذا القول لما أدّعاه مؤسس البابية وبعدئذ البهائية بأنهما يمثلان هذا الباب وهو إدعاء غير صحيح إذ أن الإمام قد عهد بالأمر إلى أربعة سفراء وأن السفير الأخير عندما طلب منه أن يسمي السفير من بعده لم يقم بذلك وقوله إنه لم يكن مخولاً بهذا الأمر. وما إدعاء مؤسس البابية إلا محاولة لشق المذهب.

وألف ماكدونالد بحثاً عن الإمام المهدي في الطبعة القديمة لدائرة المعارف، فتتبع التسمية في القرآن الكريم وأورد بأن التعبير عند أهل السنة يقصد به الشخص الموعود في المستقبل ذلك المذكور في الحديث الشريف؛ لأنه نقل عن رسول الله عدة اخبار عنه وأنه سيعود في نهاية العالم. ثم واصل ماكدونالد بمتابعة معاني ومقاصد تعبير المهدي اعتماداً على آيات من الذكر الحكيم كقوله تعالى في سورة الحج آية ٥٤ قوله: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ وقوله تعالى في سورة الفرقان آية ٣١: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا مِّنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيٗا وَنَصِيرٗا﴾ وغيرها من آيات الذكر. ومن بين القضايا التي أثارها ماكدونالد بالنسبة إلى

الدّجال anti Christ بأنه يهودي سيظهر اما في الكوفة أو خراسان أو الجزء الذي يقطنه اليهود في مدينة أصفهان، وأن ظهوره يعني ظهور أحدى علامات الساعة. واستند ماكدونالد في روايته عن الغيبة والإمام المهدي إلى الشيخ العلامة ابن بابويه القمي في (كمال الدين) وإلى مؤلفات العلامة المجلسي (حق اليقين) و(حياة القلوب) و(جنّات الخلد) وغيرها من المؤلفات الشيعية. فضلاً عن ذلك فقد وقف على تعبير (المهدي ابن الوصي) مشيراً إلى أنه قد أطلق أولاً على محمد بن الحنفية. والمعروف أن ماكدونالد قد ألف بحوثه وكتبه الأخرى أمثال: (الموقف من الدين والحياة في الإسلام)(١)، الذي أصدره في شيكاغو عام ١٩٠٩، وكتابه الآخر (تطور نظرية الفقه والشريعة والدستور في الإسلام)(٢)، في العقد الأول من القرن العشرين فهو من المستشرقين المشهورين بغزارة إنتاجهم.

والبروفسور فيليب حتي Ph. k. Hitti لبناني الأصل أمريكي الجنسية والسكن ويعد عند البعض من المستشرقين. كان يعمل في جامعة برنستن كأستاذ الأدب السامي وله إسهامات كثيرة حول تاريخ العرب باللغة العربية. أما في ميدان التشيع فقد أسهم في دائرة المعارف الكاثوليكية الأمريكية ببحث عن الإمام المهدي؛ وتبدو نظرته الاستشراقية عندما أبتدأ حديثه بقوله: بعد أقل من خمس

---

(١) See (al- Mahdi) in Encyclopedia of Islam (Old Edition). Volume 3. P. 112. Idem (Ghayba) Volume 2 p. 135).

وقد ترجم إلى العربية بتصرف (الدين والحياة في الإسلام).

(٢) Idem., Developmeut of Muslim Theology Jurisprudeuce and Constitutional theory (New York 1926).

وعشرين سنة من وفاة محمد اندلعت فتنة أهلية صار المجتمع الإسلامي بسببها منقسماً، بحال لا يمكن إصلاحها، على قسمين السنة والشيعة. أما بشأن عقيدة المهدي فيذكر بأن المهدي عند الشيعة ما هو إلا انعكاس للمعتقد اليهودي المسيحي أي Messianic؛ ويستمر قائلاً ليس هناك الكثير من المعلومات عن الإمام المهدي خلا اسمه، وكان ظهوره لمدة قصيرة جداً ثم (hojtn) في سنة ٨٧٨م في قبو بالحلة عند البعض أو في المسجد في سامراء عند آخرين، وأنه سيعود ثانية وينزل عيسى ليقتل الدجّال. ويذكر أيضاً أن هناك رواية تشير إلى كون عيسى هو المهدي نفسه[١]. وهي آراء حسبما يجدها القارىء لا تختلف عن آراء المستشرقين الآخرين في الجيلين القديم والحديث حول التأثير اليهودي - المسيحي على الإسلام عامة وعلى عقيدة المهدي المنتظر بخاصة. والأستاذ حتي يبدو أنه لم يتابع أخبار الإمام في مؤلفات الشيعة وبالأخص المؤلفات التي كتبت عن الغيبة من قبل العلماء الشيعة الموثوقين وهي غير قليلة نسبياً؛ فإن الإطلاع عليها يكون مثمراً قطعاً.

المهم أننا نلاحظ أن هناك تردداً عند المستشرقين الأمريكان وأقصد بهذا تكرار هذه الآراء بشكل مستمر من دون تجديد، أو بالأحرى تطوير إلا اللهم كونهم يتقصدون ذلك خدمة للعامل التبشيري، مما يدعونا إلى التساؤل عن ضغط الأثر التبشيري في المبالغة بفكرة الـ Messianic (أي الأثر المسيحي في عقيدة المهدي

---

(١) See (al- Mahdi) in The New Catholic Encyclopedia (Second Edition) Volume 9P. . 48 by, Ph., Hitti.

الشيعية)، وتتكرر أفكار حتي نفسها في بحثه الآخر الذي كتبه في دائرة المعارف[1] الأمريكية، بعنوان (الفرق الإسلامية Moslem Sects . . . ففي هذا البحث أدلى بعدد من الآراء القابلة للنقاش أيضاً منها قوله: ومنذ سنة ١٥٠٢ م جعل الشاه بوصفه الممثل المؤقت للإمام الغائب (المستتر) مذهب الإثنى عشرية دين الدولة الرسمي في بلاد فارس. والمعروف إن الإمام بعد غيبته الكبرى خلفه أربعة سفراء، وأن السفير الرابع لم يخلّف بعده أحداً. كذلك قوله أن الشيعة على مرور التاريخ صاروا أكثر تميزاً واختلافاً وبعداً عن الإسلام. وهذا أيضاً وهم آخر طالما يتكرر عند المستشرقين والحال على العكس ذلك تماماً، فالشيعة هم أكثر إلتصاقاً بالإسلام وأكثر قرباً منه لأنهم ببساطة إنما يتواصلون بحبهم وإيمانهم بصدق ولاية جدّ الشيعة الأول رسول الله والإمام علي. وأشار حتي أيضاً إلى أن الشيعة رفضوا مؤلفات الحديث السنّية، وهذا الرأي كذلك غير صحيح تماماً وبعيد عن الحقائق التاريخية لأن علماء الشيعة يعتمدون دائماً على مؤلفات الصحاح وعلى مسند الإمام أحمد بن حنبل وعلى المؤلفات السنّية الأخرى دون تمييز. وقوله أن الشيعة خالفوا أهل السنة في أمور شرعية وفقهية، فأنهم لا يشاركون المسلمين في صلاة الجمعة، وأنهم يعتقدون بأن الحج إنما يكون إلى قبر الإمام علي والإمام الحسين ويجعلونه بدلاً من الحج إلى مكة. وهذا الرأي لا يحتاج إلى تعقيب ويدل على قصر رؤية الأستاذ حتي المعروف بكتابه تاريخ العرب

(١) See (Moslem Sects) in the Encyclopedia Americana (Copyright 1963) Volume 19 Pp. 500-501 by, Ph, Hitti.

(المطول)، ويدل أيضاً على عدم متابعته مواسم الحج السنوية أو متابعته الصلوات الجامعة في إيران والعراق وغيرها من البلدان التي يسكنها الشيعة، وقوله أن الشيعة يشرّعون زواج المتعة الزواج الذي لم يمارسه أهل السنة، وهنا أيضاً يقع في الخطأ نفسه من تكرار المسائل الجاهزة وما أدعاه المستشرقون مثل جولد تسيهر وآخرين؛ ويدل على أنه بشكل متقصد لا يريد متابعة دقيقة وأنه لم يتابع المسألة بشكل جيد، فليس هنالك من دولة تنتمي إلى المذهب الشيعي ناهيك القول بعدم وجود مذهب يشرع المتعة رسمياً أو خاصاً.

وأسهم المستشرق الأمريكي ديفري B. Davary في الكتابة عن التشيع، فكتب بحثاً في دائرة المعارف الكاثوليكية بعنوان (الشيعة)[١]، قدّم فيه معلومات بحاجة إلى مناقشة، وهي تماهي المعلومات التي أدلى بها سابقه الأستاذ حتي منها قوله مثلاً: أن الشيعة جميعاً لا يشتركون أو لا يعقدون بعد غيبة الإمام الكبرى الصلوات الجامعة - صلاة الجمعة -، وهم أيضاً يعتقدون بالحج إلى النجف الأشرف وكربلاء بدلاً من التوجه إلى الكعبة وإلى مكة المكرمة، والشيعة يختلفون عن أهل السنة في دور الإمام في النظام الاجتماعي الإسلامي، فالأمة (الرس الإنساني) يحتاج إلى قادة مسترشدين بالله تعالى، وإلى أولياء وفقهاء مستلهمين من الله تعالى، وأن للإمام نور إلهي يرشده في التفسير والشريعة، وأن الأئمة هم شفعاء يوم القيامة. ويتميز الشيعة بزواج المتعة، وبأخذهم الخمس

---

(١) See (Shiites) in New Catholic Encyclopedia (Second Edition) Volume 13 Pp. 83-84 by. B. Davary.

إلى جانب الزكاة، وإلى اعتماد الاجتهاد الذي ظل مفتوحاً عندهم على خلاف أهل السنة الذين عدّوا أبواب الاجتهاد مسدودة. كذلك يركز ديفري على دور فكرة المسيحية Messiamisim وأثرها الكبيرعلى عقيدة المهدي الشيعية.

والمستشرق الأمريكي الآخر دوغلاس كرو Douglas Crow كتب بحثاً في دائرة المعارف الدينية عن المهدية(١) Messianism تناول فيها أصل الكلمة، ورأى أنها ترجع إلى جذر مصدر (مسيح) وترجمتها بالعبرية (مشيح) Mashiah إشارة إلى ملك بني إسرائيل شاؤول Saul وداود David وسليمان SOLOMON، وطبق التعبير ليعني ملك المستقبل المتوقع ظهوره والذي يعيد مملكة إسرائيل وينقذ البشرية. واعتمد المستشرق كرو على دراسة البروفسور الفرنسي ادوارد ذورميه E. Dhorme الموسومة (الديانة الآشورية البابلية) التي نشرها عام ١٩١٠، إذ أورد ذورميه عدداً من النصوص البابلية التي تبين فكرة الترقب للملك بعنوان (الملك المسيح The Mesiah King). وتعرّض بحث المستشرق كرو إلى (المسيحية Messianism) في الإسلام فاستنتج احتمال تأثرها بالفكر اليهودي - المسيحي للملك المرتقب. ويذكر أن بعض الباحثين يجعلون المهدي عند الشيعة يتطابق مع المسيح (عيسى) الذي حسبما يفترض أنه سيظهر قبل نهاية العالم فيدحر الدّجال الذي كان يعرف في الكتابات الاستشراقية بـ Anti Christ (٢).

---

(١) See (Messianism) and (Shiites) in New Catholic Encyclopedia, Volume 9Pp. . 471-81 by Douglas S. Crow.

(٢) Ibid. ,Pp. 80.

والواقع أن هذه الأبحاث الأمريكية المذكورة آنفا تمثل أفكارها ورؤاها عدداً من أفكار جيل المستشرقين القدامى والمخضرمين فهي متماثلة عند جميعهم في التفسيرات والرؤى وخاصة عندما يدرسون عقيدة المهدي وذلك بتأكيدهم على المؤثر اليهودي والمسيحي شأنها شأن الدراسات الاستشراقية بصورة عامة التي هي أيضاً تشدد على هذين المؤثرين. والمعروف أن المستشرقين وهم يكتبون عن الإسلام وسيرة رسول الله يركزون أيضاً على الدور الذي أدّاه المؤثر المسيحي في الإسلام بطريق الراهب بحيرا، وورقة بن نوفل، وعدّاس، والغلام الرومي وغيرهم. لذلك فإنهم يطبقون الآراء نفسها على أي عقيدة أصيلة في الإسلام كعقيدة المهدي المنتظر، والواضح أنه إدعاء لا يعدو أن يكون إنعكاساً مركزياً وحضارياً لما تعتقد به العقلية الغربية من غطرسة بالأفضلية للحضارة الغربية، والأفضلية بله الأولولية للديانة اليهودية والمسيحية وتفوقهما على الديانات الأخرى وعلى الديانة الإسلامية. لذا لا عجب من أن تكتب في هذا الميدان كتبا مفردة عن المسيح في الديانتين اليهودية والمسيحية مثل دراسة يعقوب نسنر Jacob Neusner ووليم سكوت جرين Green وارنست فريرتشز Ernest S. Frerichs الموسومة (اليهودية ومسيحهم في حقبة المنقلب Turn المسيحي)(١). إذ يركز هؤلاء العلماء على الأصل اليهودي للمفهوم؛ وهذا يهدف إلى:- أولاً أنه نظام ديني موجه إلى إسرائيل وثانياً بأن أصله توراتي واعتقادهم أنه محرر بني إسرائيل. كذلك فإن الكتاب هذا يصور أن

---

(١) J. Neusner and others: Judaism and their messiahs at the Turn of the ChristainEra (Cambridge Uuniversity Press 1987) p IX.

هناك صراعاً قديماً بين الديانتين اليهودية والمسيحية بشأن هذه الفكرة. ومن المناسب ذكره أن أحد هؤلاء المؤلفين الثلاثة وهو سكوت جرين Green قد ألف كتاباً لمفرده بعنوان(مقدمة (تمهيد): - المسيح في الديانة اليهودية: إعادة اعتبار أو إعادة نظر). وحول نفس المحاججة بين الديانتين فقد كتب المؤرخ الإسرائيلي جرشوم شولم Gershom Scholem في دائرة المعارف اليهودية بحثاً طوره إلى كتاب حول المسيح في الديانة اليهودية.

ولهذا السبب نلاحظ أن الكثير من المستشرقين يحاولون نقل أو اسقاط هذا الصراع بين اليهودية والمسيحية فيما يتعلق الأمر بالمسيح المنتظر ورجعته على أنه المؤثر الأساس بل القوي على الإسلام من جهة وعلى عقيدة المهدي المنتظر عند الشيعة من جهة أخرى. والمقايسة بين الطرفين مقايسة تتوافق تاريخياً وعقيدياً. عندئذ نلاحظ أن دوغلاس كرو يطبق المفاهيم نفسها على عقيدة الغيبة. ففي بحثه الموسوم (الغيبة) في دائرة المعارف الدينية يشير إلى أن جماعات من الشيعة تعتقد اليوم بعدم موت هذا الإمام أو ذاك بل إنه غائب أو قد غاب ليرجع مرة أخرى حسب مفهوم الرجعة. وتابع المستشرق تجذير تعبير الغائب فافترض الغيب وما جاء به القرآن من آيات حول معنى الغيب، فنلاحظ في تلك الدراسات أن هؤلاء العلماء حينما يحاولون اتخاذ موقف غير محايد من الغيبة يشددون على أصل الفكرة في أن الغيب الوارد ذكره في آيات الذكر الحكيم لا يخدم في تأصيل كلمة الغيبة والغائب إنما يقصد بالغيب في القرآن الكريم عالم الغيب وليس له علاقة بالغيبة الصغرى أو الغيبة الكبرى. وبعد وقوفه على الغيب يتحول إلى فكرة أخرى مفادها اعتقاد المسلمين بوجود

عدد من الأنبياء قد أخفتهم العناية الإلهية عن أنظار أعدائهم خشية مما يقدم عليه الأعداء من أعمال قتل أو تعذيب أو اضطهاد ويضرب أمثلة على ذلك المسيح وإدريس Enoch أو كما يعرف بهرمز Hermes والياس Eliyash والخضر (عليهم السلام جميعاً)، فيصل إلى نتيجة مفادها أن هذا المفهوم قد طبقه الشيعة أيضاً على عدد من أفراد عائلة النبي. وهو استنتاج غير صحيح بأن أئمة آل البيت الأطهار قد استعاروا عقيدة الغيبة متأثرين باختفاء عدد من الأنبياء؛ وكأن الشيعة لاهمّ لهم في عقيدة الإمام الحجة إلا متابعة أخبار الأنبياء واختفائهم ليطبقوا المفهوم على الإمام الثاني عشر فالقول هذا فيه مبالغة.

لقد لاحظنا في بداية الحديث عن إسهامات المستشرقين الأمريكان أن الحركة الاستشراقية إلى حد ما تختلف في طبيعتها وفلسفتها عن المدارس الأوربية المتنوعة بتوسع طبيعة وفلسفة أدواتها، بمعنى آخر فإنه نتيجة لحداثة المدرسة الأمريكية تاريخياً، ونتيجة لتوسع وتعدد أهدافها السياسية والاقتصادية فقد تأسس الاستشراق فيها على مساعدة المستشرقين الأوربيين الذين وفدوا على القارة الجديدة، وهؤلاء هم الذين غذوا بدايات الاستشراق الأمريكي بإتجاهات وفلسفات متنوعة لتنوع عقلياتهم ودراساتها وفلسفاتهم إزاء التاريخ الإسلامي عامة وحركة التشيع بشكل خاص. لذلك، وحسب ما أوردناه عن إسهامات الأمريكان السابقين مثل فيليب حتى أوكرو أو ديفري أنها أفكار متشابهة بشأن عقيدة المهدي وبشأن التجذير التاريخي للتشيع وهي ربما متأثرة كثيراً بالعقلية التي عولت عليها السياسة الأمريكية في تشجيعها إرسال البعثات

التبشيرية. إنها دراسات محدودة في أفقها وعددها مقايسة بالتوجه المتزايد للمستشرقين الأوربيين بخصوص التشيع وغيره من الميادين الفكرية والعقيدية. اليهودية وتهدف إلى:

أولاً: إنه نظام ديني موجه إلى إسرائيل.

ثانياً: إن أصل الفكرة توراثي بإعتقادهم أنه محرر إسرائيل.

كذلك فإن الكتاب يصور صراعاً قديماً بين الديانتين اليهودية والمسيحية بشأن إنتساب هذه الفكرة، والمناسب ذكره أن أحد هؤلاء المؤلفين الثلاثة وهو وليم سكوت جرين green قد ألف كتاباً بمفرده عنوانه (مقدمة (تمهيد): المسيح في الديانة اليهودية: إعادة اعتبار أو إعادة نظر)[١]، وحول نفس المحاججة بين الديانتين كتب المؤرخ الإسرائيلي جرشوم شولم Gershom Scholem [٢]، في دائرة المعارف اليهودية بحثاً طوره إلى كتاب عن المسيح في الديانة اليهودية. وكذلك نشربحثاً بعنوان (الفكرة المهدوية The Messianic Idea in Judiasm and other essays on Jewish Spsirtuality 1971).

ولهذا الواقع الفكري آثاره على سيرة الاستشراق الأمريكي في الستينيات وبعد ذلك حتى وقتنا الراهن، فالاستشراق الأمريكي ظل معتمداً على الدراسات والرؤى الأوربية الجاهزة، كذلك فإنه ظل يلاحق متغيرات السياسة الأمريكية إزاء العالم العربي والإسلامي.

---

(١) Green,W,S. Introduction:Messiah in Judaism Rethinking the Question (London 1988) P. 1.

(٢) Idem., Encylopedia Judaica, Volume 10. Jerusalem 1971. Idem. The Messianic Idea in Judiasm and other essays on Jewish Spiritulity (1971)s.

فتوجه البروفسور حنا بطاط وهو فلسطيني الأصل نحو الحركات الشيعية السريّة في العراق قد أملته مسيرة السياسة الأمريكية إزاء العراق سياسياً؛ لذلك فإن الأستاذ بطاطا بعد نجاحه الكبير في كتابه الذي كتبه عن العراق الاجتماعي والاقتصادي، وبالنظر إلى قدرته على الانتفاع من الوثائق السرية الأمنية المهمة؛ وكذلك نظراً لما كانت السياسة الأمريكية ترغب في التعرف على ما هو أساس لسياستها في تشخيص مكونات المجتمع العراقي بما، يتواءم ومسألة حقوق الإنسان التي أرادت أمريكا أن تتميز وتنفرد بها عن السياسة الأوربية بادر الأستاذ حنا بطاطا إلى دراسة التشيع في العراق انطلاقاً من الحركات الرافضة للنظام القائم آنذاك. غير أنها دراسات لا تخص عقيدة التشيع أو عقيدة المهدي. كذلك على أثر اندلاع بعض الإنتفاضات الشيعية في العراق وبروز تطورات سريعة في ظهور مرجعيات شيعية فاعلة تحركت السياسية الأمريكية نحو التزام عقيدة المهدي المنتظر، وهو ما لحظناه في السابق بشأن تأسيس دائرة في الشأن السياسي الأمريكي حول المهدوية Messianism وحول الإمام الحجة. فظهرت دراسات عن الأحاديث الشيعية بخصوص الإمام المهدي أو تاريخية التشيع أمثال دراسة رون بكلي Ron p. Buckley الموسومة (أصول الحديث الشيعي)(١)، ودراسة اندريو نيومان Newman الموسومة (الفترة التكوينية الحديث الشيعة الإثنى عشرية

---

(١) Ron P. Buckley: "On the origins of shil Hadith" in (shiism, eds. By P. Luft and Colin Turner (London New York. Routledge 2008) Volume 3 Pp 383-302.

كمسألة للمعالجة بين قم وبغداد)[1]، وكذلك بالنسبة إلى الفصل الأول من كتاب البروفسور ديفيد بنوولت David Pinawlt الموسوم (الشيعة)[2].

وفي سبعينيات القرن العشرين حدث متغير أساسي ومهم في جزء من العالم كان تابعاً للولايات المتحدة الأمريكية، ذلك الجزء هو إيران. ففي سنة ١٩٧٩ أنقلب نظام الشاه عن طريق ثورة شعبية عارمة وأدت هذه الثورة الإيرانية إلى تأسيس نظام الجمهورية الإسلامية الإيرانية الظافرة، وهي الثورة التي جعلت شعارها الإسلام ودعمه ونصرته؛ ومع أنها ثورة إمامية أثني عشرية غير أنها رفعت شعار الإسلام ضداً للكفر والاستعمار ولعملاء الاستعمار والطغيان. عندها توجست أمريكا من هذا الوجود الشيعي الجديد توجسا كبيراً لئلا تكون الثورة الإسلامية حافزاً ومحفزاً إلى ثورات شيعية أخرى في المنطقة. ونستشهد بما قاله المستشرق الأمريكي ديفن ستيوارت Davin J. Stewart في كتابه الموسوم (ردود الفعل الشيعي الإثنى عشري على نظام المذهب السني)[3]، يذكر ما ترجمته: إن الثورة الإيرانية وتأسيس الجمهورية الإسلامية قد جعل العالم متيقظاً وحذراً من نفوذ وقوة وأهمية مؤسسة المذهب الشيعي

---

(١) Newmaan, Andrew. J. Formative period of Twelver shiism Hadith as Discourseb Between qum and Baghdad (Curzon Press 2000).

(٢) David Pinault; The Shiite: Ritual and Popular Piety in Muslim Community (St. Martin's Press. New York 1992) First Chopter).

(٣) Davin, J, Stewaart, Islamic Legal Orthodoxy Twelver Shiite Responses to Sunni Legal System (University of Urah Press, 1998).

الإثنى عشري)[1]. والأكثر أهمية أنه منذ نجاح الثورة الإسلامية بقيادة الإمام الراحل الخميني (قدس الله سره) والنجاحات التي أحرزتها الثورة على أصعدة مختلفة من جهة وخوف وذعر أولئك الذين يتسترون بالإسلام ويمارسون أبشع الوسائل والإجراءات اللاإسلامية ضد المستضعفين من أتباع مذهب أهل البيت في بلدانهم من جهة ثانية، حينئذ تحفزت السياسة الأمريكية وغيرها من الدول الأوربية إلى ضرورة التعرف على هذه العقيدة التي هزّت أركان سياساتهم في المنطقة التي تهمهم سياسياً واستراتيجياً وإقتصادياً. عندئذ نهضت همم المستشرقين والعلماء في أمريكا إلى إجراء دراسات حول المذهب الإمامي، فكانت دراسة البروفسور اندريو نيورمان Andrew J. Newman المذكورة آنفا، ودراسة ستيوارت Stewart (إيران من الجدل الديني إلى الثورة)[2]، ودراسة روي متحدي Roy Mottahade (عبادة النبي)[3]، ودراسة ستيورات Stewart الأخرى (السلطات الشرعية الإسلامية ومؤسسة مرجع التقليد) المنشورة في كتاب (الإسلام الشيعي) الصادر من جامعة تمبل وجامعة بنسلفانيا عام ١٩٩٣[4]، وكتبت الأستاذة جوان كول

(١) Ibid., Pp. 10-12.

(٢) Fischer,M. Iran from Religion dispute to Revolution (Cambridge, Harvard University Press 1980).

(٣) Roy Mottahade. The Mantle of the Prophet: Religion and politics in Iran (New work Simon and Schuster 1985.

(٤) Stewart, Devin (Islamic Juridical Hierarchies and The Office of Marji' al-Taqlid) in Shii hslam: Faith Experience and Worldview (Temple Universrsity, University of Pensylvania 1993.

Juan cole دراسة بعنوان (الفترة أو الفسحة المقدسة والجهاد - السياسة والثقافة والتاريخ للإسلام الشيعي)(١)، المنشورة في نيويورك عام ٢٠٠٢.

والمتغير العقيدي الآخر الذي كان نتيجة مباشرة من نتائج الثورة الإسلامية بزوغ النهضة الشيعية في البلدان العربية والعالم الإسلامي والعالم عموماً، إذ اتخذ الشيعة الثورة الإسلامية في إيران وانتصار المذهب الإمامي أنموذجاً متألقاً فأنشدت إليه نفوس وضمائر أنصار أهل البيت عليهم السلام وكسروا حواجز الخوف، أو بما يطلق عليه المستشرقون كما سنقف عليه لاحقاً - مصطلح المسالمين Quietiest أو المنطويين Introveted (المنطوين) أو Passivest المستترين أو المستسلمين إلى ثائرين أو إلى قوة مقاومة جسورة وجريئة ومندفعة.

وهنا أيضاً نلاحظ توجهات المستشرقين الأمريكان التابعة إلى توجهات السياسة الأمريكية التي فعّلتها مثل هذه الظواهر إلى تقديم دراسات حول هذه الإشكالية فألفت الأستاذة لندا ولبردج Linda I. Walbridge دراسة بعنوان (من دون أن ينسى الإمام: التشيع اللبناني في دير بورن في جالية أمريكية)(٢)، وقد تعرضت المؤلفة في هذا الكتاب إلى غيبة الإمام وهي تذكر أنها لا تمتلك معلومات عن حياته وما هو موجود فعلاً من معلومات فهي غير مفهومة فهماً كاملاً

---

(١) Juan R. Cole : Sacred Space and Holy war - The Politics, Culture and History of Shiite Islam (New york 2002).

(٢) Linda S. Walbridge, Without forgotten the Imam/Lebanses Shiism in an American Community (Wayne State University Press, Detroit 1997).

بالنسبة اليها. وتقول أن بعض الباحثين - حسب قولها - قد شكك في ولادته. لكنها عقبّت على قولها المتردد بأن المؤلفين الشيعة متفقون على ولادته وغيبته وأنه سيظهر في اليوم الموعود. وأشارت إلى سفراء الإمام الغائب، واستنتجت بعد ذلك أن غيبة الإمام قد جعلت الزعماء الدينيين في الغالب في صراع مباشر مع السلطة التي يرونها مغتصبة وقد اغتصبت حقوقهم الشرعية[١].

ودرس ديفيد بنولت David Pinault [٢] الشيعة في جنوب آسيا، كما كتب ليتفاك M. Litvak دراسة عن المدرسة والتعاليم في النجف وكربلاء في القرن التاسع عشر[٣]، وكتبت جوان كول Juan R. Cole كتاباً عن جذور التشيع في شمال الهند في إيران والعراق[٤]، وكتب ما يكل معزّوي بحثاً نشره في كتاب لدراسة (التشيع Shiism) الذي حققه بول لفت Luft وكولن تيرنر Turner. وتم نشر عدة بحوث بعنوان (التشيع والمغول)[٥]، (والتشيع في تركيا)، (والتشيع في العراق)، (والتشيع في سوريا العثمانية) وغيرها من البحوث التي تلقي الضوء على أهمية التشيع.

والأكثر أهمية فإن الثورة الإسلامية في إيران قد حثّت عدداً من

---

(١) Ibid., p. 32,33,34.

(٢) David Pinault, Shiism in South Asia.

(٣) Litvak, M. (Madrsa and Learning in the 19 th century Najaf and Karbala) in Shiism eds. by Paul Luft and Colin Turner, Volume I.

(٤) Juan R,cole: Roots of north Indian Shiism in Iran and Iraq (Berkeley University of California Press 1988).

(٥) Colin Turner, Shiism: Critical Concepts in Islamic Studies 2007.

الباحثين في أمريكا على معالجة العلاقة بين الإسلام وإيران تاريخياً مع التركيز على إيران في العهد الصفوي إذ صار المذهب الإثنى عشري هو المذهب الرسمي فيها، وهو موضوع جاء أيضاً انعكاساً لاهتمام المؤسسة السياسية الأمريكية والأوروبية في عقيدة التشيع في إيران التي باتت تشكل خطراً كبيراً على مخططات أمريكا التوسعية. فضلاً عن أهميتها في خارطة الطريق وفي مشاريع التسوية التي صار يلهث وراءها زعماء العالم العربي الذين كانوا وما يزالوا يخدمون أمريكا. وهو موضوع سنقف عليه في مبحث آخر بعنوان الإسلام في إيران عند المستشرقين.

وكرد فعل إزاء ما فرضته إيران التشيع من خطر على أمريكا فقد كتبت دراسات استشراقية ذات اهتمامات تتعلق بشكل أو بآخر بعقيدة الامامية في الغيبة وفي المهدي المنتظر؛ فألف كولن تيرنر Colin Tumer كتاباً طبع سنة ٢٠٠٧ بعنوان (التشيع مفاهيم جديّة في الدراسات الإسلامية)، تعرض فيه إلى عقيدة المهدي المنتظر ودوره المستقبلي في تحقيق العدالة. كما درس المستشرق الياباني الأصل الأمريكي الجنسية تكمتسو شيماموتو Takamtsu Shimamoto الفترة التاريخية للإمامين العسكري والمهدي عليهم السلام في كتاب بعنوان (القيادة في الفكر الشيعي الإمامي الإثنى عشري)[١]، وهنا لابد من الإشارة إلى كتابين متأثرين بحركة التبشير لا سيما في رؤيتهما إلى الحركة الشيعية في التاريخ الإسلامي، ألفه أولهما المستشرق James A, Bill جميس بيل وجون وليمز J. Williams بعنوان (الرومان

---

(١) Takanmtsu Shimamoto;, Leader ship in Twelver Imami Shiism.

الكاثوليك والمسلمون الشيعة، الصلاة، الألم، والسياسة)[1]، وطبع في مطبعة جامعة ساوث كارولينا عام ٢٠٠٢ ومما يلاحظ أن المؤلفين اختارا كلمة Passion التي هي في الأصل تعني آلام السيد المسيح بين ليلة العشاء الأخير وبين موته، وتعني أيضاً الأنفعال والحب، وكذلك بخصوص الربط بين الرومان بعد اعتناقهم المسيحية وبين المسلمين الشيعة. والدراسة تضمنت سبعة فصول الأول منها عنيّ بالكاثوليكية الرومانية وتشيع الإثنى عشرية والثاني درس قصة أو رواية أهل البيت، أما الثالث فركز على الممثلين أو العاملين المقدسين والشفعاء بين الكاثوليكية والشيعة، والرابع حول الشهادة، والخامس عن التصوف الكاثوليكي والتصوف الإسلامي، والسادس عن الشريعة والسلطة، والسابع عن السلطة والعدالة. وقد تناول المؤلفان عقيدة المهدي المنتظر في الفصلين الثاني والثالث بينما كما هو معروف عند المستشرقين تكرار فكرة التأثير المسيحي على معتقد المهدي عند الإمامية. ومع أن المؤلفين قد حددا عنوان الكتاب للمقارنة بين مذهب الشيعة الإثنى عشرية والكاثوليكية فإنهما أيضاً تعرضا إلى الزيدية والإسماعيلية. وهناك ملاحظة مهمة وقف عليها المؤلفان وهو العنوان الذي قدّما به المقدمة وهو (دينان حضاريان عظيمان). وكذلك موضوع الشهادة التي اتسمت بها الحركة الشيعية. وجدير بالملاحظة أن الباحثين قد انطلقا في دراستهما من مناسبة زيارة رئيس الوزراء الإيراني السيد خاتمي إلى

---

(١) James A Bill and John Willams,; Roman Catholics and Shii Muslims, Prayer, Passion and Polilics (University of Notth Carolina Press 2002.

الفاتيكان، فصورة غلاف الكتاب تشير إلى ذلك (البابا وخاتمي)، وهذا يؤكد ما سبق ذكره من أن المستشرق الأمريكي يلاحق سياسة بلاده حينما يكتب - سابقاً والآن - عن التشيع.

والكتاب الآخر ذلك الذي ألفه المستشرق العراقي الأصل الأمريكي الجنسية متي موسى وعنوانه (الشيعة المتطرفون، فرق الغلاة)(١)، المطبوع، طبعته الأولى، عام ١٩٨٧ ومقدمة الكتاب مهمة جداً في تأكيد هدفه السياسي إذ يقول «علينا أن لا نخلط بين الراديكاليين الدينيين والسياسيين في النظام الشيعي في إيران العدوّة والمتخاصمة antagonism مع الغرب، فالمتطرفون الشيعة الخاضعين للدراسة هم مسالمون ولا يبدو أنهم نشيطون سياسياً أو أنهم نشيطون في تشكيل فقرة سياسية معادية»(٢)، وهناك نقطة مهمة يجدر الإشارة إليها وهي أن متي موسى لا يفرّق بين الشيعة والامامية أو التشيع في التاريخ وبين الفرق أو الأشخاص الذين خرجوا عن الفرقة الشيعية الإمامية من جهة وبين هؤلاء وبين الأشخاص الذين أدعوا آراء غالية سواء الغلو في الأئمة أو الغلو في ادعائهم شخصياً بالربوبية والنبوة، فيقول في الصفحة (٩٦): والشيعة الغلاة أيضاً يعتقدون بالأئمة الإثنى عشر ويعزون إليهم مبدأ العصمة والسلطة الإلهية وأن أسماءاً كأبي بكر وعمر وعثمان كان الشيعة يشتمونهم ويكرهونهم.. وغيرها من الترهات التي تدل على أن المؤلف هدفه تشويه التاريخ الإسلامي وتاريخ الصحابة (رضوان الله عليهم) وإثارة

---

(١) Matti Moosa, Extremist Shiitees: The Ghulat Sects (First Edition 1987) P.93.

(٢) Ibid., Pp. 92-109, especially p. 92-93.

الطائفية أو تقديم الطائفية في الإسلام على طبق من ذهب إلى الساسة الأمريكان، فإليهم قدّم موسى كتابه هذا الذي يتضمن نفساً تبشيرياً واضحاً. أما بشأن عقيدة المهدي فإن المستشرق يكرر التفسيرات السابقة في دراسات ماكدونالد وفيليب حتي وغيرهما بأن المهدي كالمسيح وأن العلماء الشيعة يرون بأن هناك تشابهاً قوياً بين الإثنين، دون تقديم دليل على كلامه هذا، أي من هؤلاء العلماء؟ والأستاذ متى يدعو في كتابه بدءاً من المقدمة وإنتهاءاً بالفصول الأخيرة إلى الأثر المسيحي؛ هذا لا سيما أن أم المهدي مسيحية واسمها نرجس، وهويشدد على هذا ويتخذه دليلاً قوياً، وأن الشيخ أبا جعفر الطوسي يؤكد أنها منحدرة من ملوك أو من حواري السيد المسيح ويشير إلى كتاب الغيبة (ص ٣-٤)، فضلاً عن ذلك يرى المستشرق بأن الإمام الغائب وعودته ثانية قد ورد ما يشابهها في السفر الأول Genesis رقم ٢٠/١٧[1].

فضلاً عن هذين الكتابين فهناك مجموعة من الدراسات التي تحمل عنواناً أساسياً وهو التشيع Shiism لكننا لا نعرف فيما إذا كانت تتحدث عن عقيدة المهدي المنتظر والغيبة الكبرى أم لا؟ علماً بأنها لا بد من أن تتعرض لهذه الموضوعات على وجه الخصوص، وسوف نشير إليها في مباحث أخرى من هذا الكتاب كالفصل الخاص بإسهامات المستشرقين عن عقيدة الشيعة واسهاماتهم عن الغلاة والفرق الغالية وغير ذلك.

وقبل أن نختم الحديث عن دراسات المستشرقين الأمريكان

---

(١) ibid,.

بشأن عقيدة المهدي لابد من ملاحظة متغيرين أساسيين في الدراسات الأمريكية الاستشراقية أو غيرها في ميدان التشيع.

الملاحظة الأولى-: تتعلق بفلسفة الكتابة الأمريكية عن موضوع البحث ألا وهي أن الباحثين الأمريكان غير المتخصصين في دراسة التاريخ الإسلامي أو الفقه الإسلامي، والذين لا يعرفون اللغة العربية قد توصلوا إلى حلٍّ علمي وبحثي مهم بهدف تواصلهم مع موضوع التشيع الذي تحتاجه السياسة دائماً خلال هذه الفترة التاريخية المليئة بالأحداث الساخنة والمتسارعة. وهي أحداث يظهر فيها ما كان كامناً وهادئاً متعلقاً بالنهضة الشيعية في المناطق التي رسمتها السياسة الأمريكية ضمن مناطق نفوذها ومصالحها، فالاستمرارية بإنجاز الدراسات عن التشيع عامة والتشيع في العراق وإيران ولبنان وغيرها بصورة خاصة أضحت مهمة جداً، ينبغي الاستمرار في إنجازها وعدم توقفها، ولما كان من الصعب على الباحثين الأمريكان التواصل مع التراث الإسلامي ومع التراث الشيعي لندرة الموضوعات الأصيلة والجديرة؛ ناهيك عن صعوبة الوصول إلى المخطوطات والمصادر الأصلية العربية والفارسية والتركية وغيرها. فضلاً عن أن الاستشراق عموماً قد قلَّ حجمه وأهميته منذ عام ١٩٧٣، فلم يبق من المستشرقين المتضلعين بالتراث الإسلامي في الجوانب العقيدية والفقهية والفلسفية إلا العدد الضئيل. لذلك فالحلُّ الذي وجد فيه الباحثون الأمريكان ضالتهم هو:

١ - إعداد كتب عن التشيع أو عن المهدوية أو عن الإمامية أو عن إيران والسياسة والدين تحمل عناوين واضحة وتحتوي على

بحوث عديدة لمؤلفين متنوعين من مستشرقين إلى غربيين إلى اسلامويين، سواء كانت البحوث جديدة أم قديمة كتبها هؤلاء العلماء في فترات تاريخية بعضها يعود إلى الستينيات من القرن العشرين بما يعرف بالدراسات الجماعية. Collected Studies

٢ - حثّ العلماء المسلمين من إيران والهند وباكستان وماليزيا والعراق وغيرهم، ممن درس أو ممن يعمل في الجامعات الأمريكية أو الأوربية، على الكتابة في ميادين التشيع ,وبالفعل ظهرت دراسات مهمة جداً بقيت إلى وقتنا الراهن مصادر معلومات وتفسيرات بالنسبة إلى الباحثين الأمريكان والأوربيين.

الفصل السادس

الدراسات الأمريكية الجماعية The Collected Studies
والدراسات الإسلامية في أمريكا بشأن عقيدة المهدي

أولاً: لقد رافق نشاط الباحثين والمستشرقين في الكتابة عن التشيع مساعي جهود بحثية متميزة هدفها مواصلة هذا النشاط والإبقاء عليه حياً وفاعلاً، طالما ظلت المؤسسة السياسية محتاجة إليه والى ما تتوصل إليه من نتائج. حقيقة إن الاستشراق الأوربي هو الآخر استمر على نشاطه في تقديم دراسات قيمّة وجديّة في هذا الميدان بصورة إنفرادية أو جماعية؛ لكن النتائج التي حققها الباحثون الأمريكان في إنجاز الكتب المحققة (الجامعة Collected Studies) للعديد من البحوث التي تدور حول أطروحة واحدة هي نتائج بارعة وعملية وقيمة. يشير المستشرق الإسرائيلي إيتان كوهليبرغ E. Kohlberg إلى أول مؤتمر دولي متخصّص لدراسة التشيع الإثني عشري، عقد في ستراسبورغ عام ١٩٦٨، وكان أقل من نصف أعضائه من المتخصصينً في الإسلام الشيعي، وقد حضر عالمين شيعيين هما البروفسور السيد حسين نصر من طهران، والسيد موسى الصدر من لبنان في هذا المؤتمر. فصدر كتاب جامع للبحوث التي ألقيت في هذا المؤتمر وساهم فيه البروفسور كوربن Corbin والبروفسور مادلونك Madelung، والبروفسورغرملش R. Gramlich والبروفسور لينانت بيلفوندز Y. Linant de Bellefouds والبروفسور هنري ماسية H. Masse والبروفسورة لامبتون Ann Lambton [١].

(١) Le Shiisme Imamate, Calloque Strasbourg 1968. Paris 1970.

واتخذ المجمع العلمي هذا عنواناً له (التشيع الإمامي Le Shiisme Imamate) وصدرت البحوث في كتاب حققه البروفسورفهد T, Fahd.

وطبع في مطبعة الجامعة الفرنسية في باريس عام ١٩٦٨، وأعيد طبعه عام ١٩٧٠. وقد احتوى على بحوث قيمة عن التشيع الإثني عشري، منها بحث البروفسورة آن لامبتون حول مرجع التقليد والمؤسسة الدينية؛ وبحث البروفسور مادولنك عن الإمامية. أما بحث البروفسور المستشرق لينانت دي بيلوفوندز فكان بعنوان(الإمامية الإثني عشرية) الإمامية. وبحث المستشرق كوربن بعنوان (الإمامية الإثني عشرية). وجميع هذه البحوث وقفت على عقيدة الإمام المهدي وغيبته في سامراء. والملاحظ أن الكتاب ضمّ بحوثاً تمثل الاستشراق الأوربي بالدرجة الأولى، فضلاً عن كونه أول تجمع أو مؤتمر Colloquium يعقد حول المذهب الشيعي تحديداً، أي قبل الثورة الإسلامية الإيرانية. وبعد عدة سنوات من مؤتمر ستراسبورغ وفي ١٩٧٨ حققت الأستاذة الأمريكية المعروفة نيكي كيدي Nikke R, Keddie كتاباً لعله حصيلة ندوة علمية أو مؤتمر بعنوان (علماء، وأولياء ومتصوفة) طبع في (بركلي) وضم عدة بحوث تدور حول علماء شيعة ومتصوفة وأولياء؛ ومن بين هذه البحوث بحث المستشرق غوستاف ثيس Gustav Thaiss حول (الرمز الديني والتغيير الاجتماعي: دراما الحسين)[1]، والمستشرقة نيكي

(١) Gustav, Thaiss "Religious Symbolism and Social change. The drama of Hussein" in Nikki R. Keddle (ed.) Scholars, Saints and Sufis (Berkeley 1978).

كيدي متخصصة بتاريخ إيران وسياستها، فقد حققت قبل هذا الكتاب - أي قبل الثورة الإسلامية أيضاً - كتاباً آخر بعنوان (دراسات مقارنة في التاريخ والمجتمع) وكان بحثها حول (الدين واللادين في القومية الإيرانية المبكرة)(١). وفي الثمانينيات أي بعد الثورة الإسلامية، تزايد عدد الكتب الجامعة Collected التي كانت تضم، كما يبدو، بحوث Proceedings المؤتمرات أو الندوات فحقق البروفسور جورج مقدسي Makdisi الفلسطيني الأصل الأمريكي الجنسية كتاباً تحت عنوان (مفهوم السلطة autorite (أو الولاية) في العصر الوسيط)(٢)، وطبع في باريس عام ١٩٨٢. وكان بحث البروفسور مادولنك بعنوان (السلطة) (الولاية) عند الشيعة الإمامية في عصر غياب الإمام)(٣)، وفي عام ١٩٨٣ حققت المستشرقة نيكي كيدي أيضاً كتاباً يحمل عنوان (الدين والسياسة في إيران: التشيع من المسالمة أو السكون Quietism إلى الثورة) وطبع في نيوهافن، مطبعة جامعة ييل Yale عام ١٩٨٣. ومن بين بحوثه بحث المستشرقة ماري هيغلاند .M Hegland بعنوان (صورتان للحسين، مثال للتسوية وآخرللثورة في قرية إيرانية)(٤)، كذلك قدّم البروفسور مونتغومري وات Watt بحثاً

---

(١) Nikke Keddie (Religion and Irreligion in carly Iranian Nationalism" in Comparative Studies in History and Society (Berkely los Angele 1962) Pp. 265-95.

(٢) George Makdise (ed.) La Notion d'autor au Moyen Age (Paris 1982).

(٣) Nikki Keddie (ed) Religion and Politics in Iran: Shiism from Quietism to Revdution (New Haven, Yale University Press 1983).

(٤) Hegland, Mary: "Two images of Husain: Accommodation and Revolution" Pp. 218-235.

بعنوان (أهمية المراحل المبكرة للتشيع الإمامي)[١]. والواضح أن هذه الكتب قد ضمّت بحوثاً متنوعة بأقلام أوربية حول الإمام المهدي والغيبة كما تشير إليه بحوث مادولنك ووات بشكل خاص. وحققت المستشرقة نيكي كيدي كتاباً مشتركاً مع المستشرقة جوان كول J. Cole بعنوان (التشيع والمعارضة الاجتماعية)[٢]، طبع عام ١٩٨٦.

ومما يجدر ذكره في هذا الصدد أن مركز الدراسات الإيرانية[٣]، في جامعة كولومبيا أقام ندوة بعنوان (المهدوية Messianism) والألفية Millenarianism في الإسلام: مفهوم المهدي في الإسلام مفهوم المهدي عند الشيعة الإثني عشرية، غيبة المهدي، سفراء المهدي). وهو يؤشر بوضوح إلى الأهمية القصوى التي وظفها هذا المؤتمر لعقيدة المهدي والغيبة الكبرى. والمهم أن المركز قد تأسس عام ١٩٨٥، أي في أثناء العدوان على الجمهورية الإسلامية في إيران ومقاومتها العنيدة لهذا العدوان الذي تورطت فيه الولايات المتحدة وخططت له.

وفي عام ١٩٨٨ حقق العالم الإسلامي سعيد أمير أرجموند Arjomond مؤلف كتاب (ظل الله) الذي صار مرجعاً للمستشرقين والباحثين الأمريكان الذي وقف فيه بالتفصيل على أوضاع العقيدة

---

(١) Watt, Montegomery: "The significance of the early stages of Imami Shiism" in Nikki Keddic (ed) Religion and politics in Iran (1983).

(٢) Cole, J. R and Nikki R. Keddie: Shiism and Social Protest (1986).

(٣) Center for Iranian Studies, Columbia University (Messianism and Millenarianism in Islam).

الشيعية فكرياً وعقائدياً إبان فترة الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام، وكذلك قدّم معلومات تاريخية عن فترة الإمام الحادي عشر وعن الإمام المهدي وعقيدة الغيبة وغيرها مما سنتناوله في مبحث خاص. وحقق الأستاذ أرجموند كتاباً بعنوان (السلطة والثقافة السياسية عند الشيعة)[1]، ومن بين البحوث التي تضمنها الكتاب بحث المستشرق المشهور إيتان كوهلبرغ Kohelberg الموسوم بـ(الإمام والمجتمع في فترة ما قبل الغيبة) وهو بحث شامل ركّز فيه على دور زرارة بن أعين تلميذ الإمام ومواقفه الفكرية، كذلك درس عدداً من أتباع الإمام الذي شهروا بالعلم؛ ووقف على كتاب الإمام العسكري المعروف (كتاب التفسير)[2].

كذلك حقق العلماء المسلمون من إيران كتاباً بعنوان (توقعات حول الألفية: التشيع في التاريخ)[3]، طبع في مطبعة جامعة نيويورك عام ١٩٨٩. والأساتذة المحققون هم سيد حسين نصر، وحميد دباشي وسيد ولي رضا نصر، وقدموا له مقدمة مفادها أن الأحداث السياسية المهمة التي تشهدها كل من إيران ولبنان وباكستان قد أدت إلى تسليط الضوء على إثارة اهتمام الرأي العام في الغرب بشأن التشيع؛ الذي ظل حتى فترة حديثة حقلاً مجهولاً بالنسبة إلى أكثرية

---

(١) Said Amir Arjomand (ed.) (Authority and Political Culture in Shiism 1986.

(٢) Kohelberg, E. (Imam and Community in the pre - Ghayba Period"Pp. 25-53. Especially P41).

(٣) Seyyd Hossein Nasr, Hamid Dabashi, Seyyed Vali Reza Nasr (eds) Expectation of the Millennium Shiism in History (Stat University of New York 1989).

العلماء المتخصصين في الدراسات الإسلامية. ، ومحققو هذا الكتاب يأملون في أن يقدموا معرفة ما عن خلفية التشيع من أجل توضيح أغلبية الأحداث المعاصرة. كذلك يأمل المحققون في أن هذه المعرفة ستخلق عاملاً مساعداً لفهم أفضل في الغرب عن التشيع(١). وضم الكتاب بحوثاً مهمة، منها بحث المستشرق الألماني كارل هينرخ جوبل Gobel بعنوان (الإمامة) وترجمه الأستاذ حميد دباشي إلى الإنجليزية، والبحث ترجمة لما كتبه المرحوم جواد مغنية في كتابه (الإمامة) المطبوع عام ١٩٦١(٢)، كذلك احتوى الكتاب على بحث المستشرقة آن لامبتون Ann Lambton بعنوان (النظرية السياسية والتطبيق)، مركّزة على فلسفة النور عند الشيعة، والنور الإلهي عند الأئمة الأطهار(٣).

وفي عام ١٩٨٧ حقق المستشرقان رينر برونر R. Brunner وورنر أيند W. Ende كتاباً جامعاً تحت عنوان (التشيع الإثني عشر في الأزمنة الحديثة: التاريخ الديني والثقافي والسياسي)(٤)، وضم عدداً من البحوث منها ما هو متعلق بتاريخ التشيع والعقيدة الشيعية في الغيبة ومنها ما له علاقة بتاريخ الأئمة الأطهار

وفي عام ٢٠٠٠ قُدّم تقرير إلى وزارتي الخارجية الأمريكية

---

(١) Ibid., P, xxvIII.

(٢) Karl- Hcinrich Gobel: Imamate Pp. 2-6.

(٣) Ann K. Lambton: Political Theory and Prac;ice Pp. 93-107.

(٤) Rainer Brunner and Werner Ende: The Twelver Shia in Modern Times (Machigan 1987).

والدفاع الأمريكي بعنوان GRS Report for Congress بتاريخ ٢٣ كانون الثاني عام ٢٠٠٠ بعنوان (الإسلام السني والإسلام الشيعي) كتبه كرستوفر بلانكدرد ChrisTopher M. Blanclard [١]، ويشتمل التقرير على التوزيع الديموغرافي للشيعة والسنة وإحصاء لنسبهم والاختلافات العقيدية بينهم. ووقف التقرير على عقيدة المهدي المنتظر كعنصر من عناصر الاختلاف بين المذهبين ناهيك عن الاختلافات الأخرى. وكانت الفترة التي تقدم فيها التقرير مهمة للغاية خلال أزمة الخليج الثاني، وبعد الإنتفاضة الشيعية العارمة في العراق.

وفي سنة ٢٠٠١م أيضاً حقق البروفسور كلارك L. Clarke كتاباً بعنوان (تراث الشيعة) ويحتوي على بحوث تتعلق بالعادات والمرويات الشيعية القديمة والحديثة[٢]. فهنالك فصل خاص بالعقائد الشيعية في الإمامة والغيبة، وفصل آخر عن المجتمع الشيعي في التاريخ. ومن بين بحوثه بحث البروفسور M. Morgan الموسوم (إعادة في التفكير: التشيع الصفوي)[٣]، وحققت المستشرق لندا ولبردج S. Walbridge Linda سنة ٢٠٠١ كتاباً جامعاً يحمل عنوان (علماء الشيعة الأكثر عالمية: مؤسسة مرجع التقليد)[٤]، طبع في

---

(١) Christopher M. Blanclard: GRS report for congress. Jan 23/2000 (islam sunnis and Shiites).

(٢) L. Crarke (ed) Shiite Heritage: Essays on classical and Modern Traditions 2001.

(٣) D. Morgan "Rethinking: safavid shiism.

(٤) Linda S, Walbridge (ed.) The most Learned of the shia: The institution of the Marja Taqlid (Oxford).

مطبعة جامعة أكسفورد عام ٢٠٠١، ويحتوي على أربعة عشر فصلاً أحدها حول سيد نعمة الله الجزائري، ترجمة أدوارد براون[1] Browne، والثاني حول عودة الإمام الغائب وقيادة المهدوية عند الشيعة في العصر الوسيط المتأخر[2]، وهو من تأليف الأستاذ شاهزاد بشير.

وفصل حول (فيض الكاشاني ورفضه لرجال الدين: تحالف الدولة بين صلاة الجمعة والسياسة في الفترة الصفوية)، وكتب هذا البحث Andrew Newman اندريو نيومان[3]، وبحث حول الشيخ أحمد الإحسائي وأصول السلطة الدينية[4]، وحسبما عرضناه آنفا أن الفصل الثالث يتعلق بموضوع البحث. واحتوى الكتاب أيضاً على فصل عن السلطة الدينية لفاطمة في أول كتاب للباب، وفصل كتبه تود لوسن Todd Lawson وفصل عن الشهيد محمد باقر الصدر كتبه جون وولبردج وفصل عن الشهيدة بنت الهدى كتبه جويس وللي Joyce Wiley وفصل عن ولاية الفقيه عند الإمام الخميني وفصل عن آية الله فضل الله والمرجعية وكتبه ديفين ولبردج Devin S. Walbridge حول المدينتين النجف الأشرف وقم المقدسة، وفصل أخير عن المرجعية.

---

(١) E. G. Browne: The life of an Alim al- Djazari.

(٢) Sh. Bashir: The Imam's Return, Messianic Leadership in Late Medieval Shiisn. P. 21.

(٣) Andrew J. Newman, Fayd al- Kashaui and the rejection of the clergy. state alliance: Friday prayer and.

(٤) Juan R. Cole: Saykh Ahmad al- Ahsai on the sourcesof Religious authority Pp. 82-93.

والكتاب الجامع الأخير الذي يستحق دراسة مفصلة هو الذي حققه كل من الأستاذين بول لفت Paul Luft وكولن تيرنر Colin Turner بعنوان (التشيع، مفاهيم نقدية وجدلية في الدراسات الإسلامية)[١]، الذي صدر في (روتلدج ولندن ونيويورك عام ٢٠٠٨، ويتألف الكتاب من أربعة أجزاء، خُصّص الجزء الأول لدراسة (الجذور التاريخية والتطور) واحتوى على سبعة عشر بحثاً مهماً أحدها بعنوان (دليل قديم عن استخدام مصطلح الإثني عشرية) كتبه المستشرق إيتان كوهلبرغ[٢] Kohelberg، والبحث الآخر بخصوص (الغيبة) ألفه العالم المسلم سعيد آرجمند Arjomand بعنوان (أزمة الإمامة ومؤسسة الغيبة عند الشيعة الإثني عشرية: وجهة نظر اجتماعية تاريخية)[٣].

وبحث بعنوان (مملكة الإمام: - الفاطميون في القرن التاسع الميلادي) كتبه البروفسور مايكل بريت M. Brett.

وفي هذا الجزء بحث بعنوان (جعفر الصادق مصدراً للأحاديث الشيعية)[٤]، كتبه البروفسور رون بكلي Ron p. Backley، وبحث بعنوان (استشهاد الحسين بن علي ووجهات النظر الشيعية

---

(١) PAUL Luft and Colin Turner (eds): Shiism critical concepts in Islamic Studies (Frist Published).

(٢) E. Kohelberg: "Early attestation of the term ithna ashariyya".

(٣) Said Amir Arjomend: "The crisis of the Imamate and the institution if Ghayba in the Ithna Ashariya.

(٤) Ron p. Buclely: "Jafar al- Sadiq as a source of Shii traditions.

المبكرة)[١]، كتبه البروفسور دوغلاس كرو .D. K. CROW أما الجزء الثاني من الكتاب فخصّص للفقه والفلسفة عند الشيعة، والجزء الثالث حول الشريعة وطقوس الشيعة، أما الجزء الرابع فإنه تركّز على موضوع التشيع والدولة والحكومة. وفي كل جزء من هذه الأجزاء بحوثَ كثيرة مصّنفة بحسب موضوعات الأجزاء الأربعة؛ والملاحظ أن كثيراً من البحوث قد اختارها المحققان من بحوث قد سبق للمستشرقين والمؤلفين أن نشروها في مجلات وأعمال جماعية مختلفة، ولكنها صنّفت ونظمت بشكل علمي مدروس وضمن أبواب مرتبة ترتيباً تاريخياً أو فكرياً.

---

(١) D. K. CROW: "THE death of al- Husayn b. Ali and early Shii Views.

الدراسات الإسلامية في أمريكا

ثانياً: في نهاية الفصل السابق حددنا متغيرين مهمين شهدتهما الدراسات الاستشراقية الأمريكية بصدد عقيدة المهدي والغيبتين الصغرى والكبرى، كذلك تم في الأوراق السابقة الوقوف على تلك الدراسات الجماعية التي حشّد لها محققوها العلماء من المستشرقين، واختاروا لها عناوين هادفة ومباشرة، وقد ضمنوها بحوثاً قيمة ومتنوعة عن التشيع بصورة عامة. وكان استنتاجنا بأن دراسة التشيع في أمريكا قد بدأت متأخرة نسبياً، موازنة مع الدراسات التي أنجزت في أوربا. غير أنها تمثل في حقيقها فترة ما قبل الثورة الإسلامية في إيران، وأثناء الأحداث والمتغيرات السياسية السريعة التي شهدتها منطقة الشرق الأوسط سياسياً بالدرجة الأولى. ولكن دراسة التشيع اندفعت بشكل ملحوظ بظهور عدد من الدراسات الجادة بشأن الأوضاع الدينية في إيران وعلاقتها بالسياسة. وحينما بات من الواضح أثر النهضة الشعبية العارمة ضد حكم الشاه التي أجج عنفوانها علماء الدين من الشيعة الإمامية وفرضوا ضغطاً لا يمكن تجاهله عندئذ توثقت الفكرة بوصف الدين المحفز الأساس لتلك الأحداث ولأحداث الثورة نفسها.

فكان من بين أهم النتائج إثارة الاهتمام فالتفت المستشرقون الأوربيون بصورة واضحة إلى ضرورة التعرف على هذا المحفز الديني والتعريف به. ولما كان التشيع الإمامي هو الذي أنشدت إليه

الآمال وتمحورت حوله الشعوب الإيرانية؛ عندها صار التشيع الإمامي على وجه الخصوص موضوع الدراسة في مؤتمر بترسبورغ وباريس في نهاية الستينيات وتسارع الملل إلى تحشيد التجمع أو المؤتمرالأول للمستشرقين وحضره عدد من زعماء علماء الدين لتدارس واقع وطبيعة مذهب الإمامية الإثني عشرية. المؤتمر الذي ألقيت فيه بحوثٌ قيّمة في الفرنسية والألمانية والإنجليزية والإيطالية وغيرها من اللغات عن التشيع الإمامي، وعقيدة الإمامية في الغيبة وحول المهدي المنتظر، مثل بحث البروفسور هنري كوربسن (الإمامية وفلسفة التشيع)[1]، وبحث البروفسور برونشفيك R' Brunschving عن (أصول الفقه الإمامي في التاريخ المبكر)[2]، وبحث لننات بيلفوندز De Bellefunds (الأئمة الإثني عشر)[3]، وغيرها من البحوث.

والأكثر أهمية أن مؤتمراً آخر أعقب المؤتمر السابق تم عقده في باريس أيضاً عام ١٩٧١ بعنوان (التشيع الإثني عشري)، وطبعت بحوثه في جزئين، وكان ينقسم على فصول، ويتفرع كل فصل إلى بحوث عدة، وكان للاستشراق الأوربي في المؤتمر حضور فاعل أيضاً.

والملاحظ أن العلماء المسلمين في أوربا ممن كان يدرّس أو

---

(١) H. Corbin: Imamologie et philosohie le Shiismé Paris, Uniresaits de France 1970Pp. 1-27).

(٢) Brunschvig ,R, Les usul al - Fiqh Imamates a Leur Ancien xe et XIe siecles"Pp. 201-212.

(٣) Y. Linant de Bellefonds: Le Droit Imamate pp. 192. 303.

يعمل في الجامعات البريطانية والألمانية والفرنسية لم يؤدوا حتى هذا الوقت دوراً كبيراً في إجراء دراسات إضافية حول عقيدة التشيع وعقيدة المهدي المنتظر بغية نشر المعرفة الصادقة والصحيحة بين العلماء في أوربا وهو أمر حيوي ومهم جداً، على الرغم من ظهور دراسات مهمة كالتي حققها فهد T. Fahad في باريس وهو الذي حقق بحوث مؤتمر (التشيع الإمامي Les Shiisme Imamate) عام ١٩٧٠ وقدم لها؛أو العمل القيم الذي نهض به المرحوم المؤرخ الدكتور جواد علي في أثناء دراسته في ألمانيا إذ ألف كتاباً عن (المهدي والسفراء الأربعة)[١]، ونشر البحث في مجلة Der Islam عام ١٩٣٩، وربما كان البحث عنواناً لرسالته الجامعية للدكتوراه. ومما له علاقة بهذا الشأن قدم التجربة في ألمانيا أو في الدراسات التي كتبت باللغة الألمانية. فالاستشراق الألماني قد أنتج في هذا الميدان كتاباً ألفه المستشرق شتروسمان Strothmann عام ١٩٢٦ بعنوان (الشيعة الإثني عشرية)[٢]. غير أن الحال في الولايات المتحدة الأمريكية تختلف كثيراً، إذ اضطلعت مجموعة واسعة من العلماء والباحثين المسلمين من إيران وباكستان والهند وماليزيا والعراق وغيرها من البلدان على القيام بدراسات مثمرة وقيّمة عن التشيع الإثني عشري وعن الإسماعيلية. ولعل العامل الأساس في مثل هذا التحول أن الباحثين الأمريكان قد وجدوا في هؤلاء خير من يقدم لهم معلومات موّثقة عن التشيع وعن عقيدة المهدي إعتماداً

---

(١) Javad Ali, "Die beiden ersten Safire des Zwolfter Imams" in Der Islam Volume 25 (1939) pp. 197-227.

(٢) Strothmann, Die Zwolfer Shia (Leipzig 1926).

على المصادر الأساسية للتشيع، وربما يرجع الأمر أيضاً إلى أن هؤلاء الباحثين الأمريكان لم يحسنوا اللغات العربية·أو الفارسية أو التركية في الوقت الذي يجدون فيه أنفسهم بحاجة ماسة إلى التواصل مع الجديد في هذا الموضوع (التشيع) الذي أصبح متحركاً ومهماً في الأمور السياسية والاجتماعية والإعلامية في العالم وبالأخص في أمريكا. وذلك أن السياسة الأمركية حاولت أن تربط بوثاق وهمي بين الإسلام والإرهاب، وبين التشيع والإرهاب والثورة لأن هذه السياسة ستكون حسب مشروعهم الوسيلة الناجحة في عرقلة انتصارات الإسلام على الصورة التي نجحت فيها في إيران.

فتسممت عقلية الأوربيين في العالم بذلك الإعلان الأمريكي إلى درجة ذهب فيها الشباب في الدانمارك والسويد وفرنسا وبريطانيا حد التندر والاستهزاء بالإسلام ديناً وبرسول الله نبياً. وراحوا يعتقدون بأن إيران التشيع هي الملهم والمصدر الأساس لهذا الإرهاب في العالم. عندئذ لابد من إجراء دراسات مستمرة بشأن التشيع وبشأن الفرق الغالية وبشأن البدع والباطنية ودور هذه الحركات جميعاً في الجوانب الثورية في التاريخ الإسلامي، لذلك وبحسبما مرَّ بنا سابقاً فإن الباحثين الأمريكان أنتجوا كتباً عن الدين والسياسة في إيران تمثل التاريخ والمعاصرة، أو إيران من المسالمة إلى الثورة أو التشيع الإمامي من حال الهدوء إلى الثورة وما إلى ذلك من عنوانات تفصح بأن السياسات في الغرب وأمريكا بخاصة باتت مرتعدة من النهضة الشيعية في إيران ولبنان والعراق،لهذا شجعت دور النشر الأمريكية والبريطانية أو ممن هم قريبو الصلة بالتشيع سواء كانوا من أتباع المذهب الإثني عشري أم من المذهب الإسماعيلي أو من البهائية

الكتابة عن المذهب الإمامي من الوجهات العقائدية والفقهية والسياسية.

فالأستاذان بول لفت وكولن تيرنر محققا كتاب Shiism يشرحان في مقدمة الكتاب أهدافهما في إخراجه فيذكران: «إن أهم تطور في الأحداث العالمية بعد انهيار الإتحاد السوفيتي هو العلاقة بين الغرب والعالم الإسلامي، وأن أناساً في بعض الدوائر في العالم الإسلامي قد ساعدوا على تحديد هوية الإسلام وكأنه بعبع Bogeyman آخر بالنسبة للغرب ذلك الذي عرف في أمريكا بالحرب على الإرهاب، فإن المواجهة Face off بين الغرب والإسلام هو في حقيقته المواجهة مع الإسلام الشيعي»، وهو ما أكدناه آنفاً وأن دولاً عربية وإسلامية في المظهر كانت وما زالت تدفع الغرب والدول الإسلامية بشكل سافر وعلنيّ ضد الإسلام الشيعي الذي بات يهدد بل يكشف زيفهم وتلاعبهم بالقيم الإسلامية الصادقة التي يؤمن بها الإسلام الشيعي تماماً في الإتجاه نفسه الذي سبق أن مورس في التاريخ الإسلامي ضد الرسول الكريم وآل بيته الأطهار. فالعقلية التي يدير فيها الإرهابيون المتمثلون بالدول التي تحتضنهم وتموّلهم بالمادة والكره والحقد وتدفعهم إلى قتل الأبرياء بالجملة هم الداء والبلاء الذي غلّف عقول هؤلاء فصاروا أشد وبالاً على الإسلام من المبشرين؛ هؤلاء تجار الأفيون والإرهاب وليس الإسلام الشيعي الذي يحاربه الغرب والذين يتراكضون وراءه». لكن أمريكا مدّت يدها إلى هؤلاء بتحركها الاستعماري لكبح النهضة الجديدة للإسلام الشيعي المتطلع لمستقبل حرّ فعلاً. «فجميع الهجمات التي صوبت نحو الإسلام في الحقبة الماضية هي في الحقيقة وبعد إجراء جميع التغييرات

الضرورية Mutatis mulandis إنما كانت موجهة ضد التشيع أيضاً، وكانت الأيدلوجية بأن الثورة الإسلامية عام ١٩٧٩ هي المعين الذي لا ينضب للتشيع؛ فضلاً عن الأهمية الجغرافية الاستراتيجية لأهمية الشيعة في المنطقة التي على الغرب وأمريكا أن تأخذها بعين الإعتبار وذلك: لأن أكثر الشيعة يقطنون في مناطق تعدُّ من أعظم المناطق في أحتياطي النفط في العالم، فضلاً عن أهمية التشيع كقوة ثقافية ودينية، وأن تأثيرات الشريعة والفقه الشيعي كبيرة وحيوية على تطور الإسلام عامة، مع ذلك فإن التشيع بقي بصورة كبيرة وجود وحال غير معروف خارج جماهير الناخبين الطبيعيين Natural Constituencies فيما خلا بعض أو عدد من الأبحاث العلمية قد ركزت بصفة خاصة على الجوانب التاريخية والعقيدية والطقسية[١] (الشعائر والطقوس والممارسات).

ويستمر المحققان في القول: «إن الأجزاء الأربعة من الكتاب Shiism هي محاولة لإلقاء ضوء قليل غير أنه ضروري جداً على فرع (ويقصدان فرقة الشيعة) من الإسلام ذلك الفرع الذي أصبح منذ تأسيس الجمهورية الإسلامية في إيران معروفاً ومعترفاً به، ومع هذا فإنه واقعياً غير معروف بالنسبة إلى الجميع خلا مجموعة قليلة نسبياً من الأكاديميين الغربيين، الذين بذلوا الكثير من الجهد خلال الخمسين سنة الماضية في إجراء بحوث، محاولة منهم لفهم التعقيدات والتشابكات الدينية التقليدية المشتركة بين أكثر من مائة وخمسين مليون شيعي في العالم؛ أنه من الضروري ليس فقط من أجل

(١) Ssee Paul Luft and Colin Turner, Op. Cit. Volume I. Introduction Psp 1-2.

الكشف عن الحقيقة المطلقة بشأن التشيع لمجرد كونهم شيعة ولكن على الأقل للمساعدة في تبديد بعض الخرافات Myths والمفاهيم الخاطئة التي تحيط بالتشيع تلك التي تطوّق وتحيط جميع الأديان عبر التاريخ، لا سيما في أزمة الحروب والتوترات السياسية»[١].

المقدمة إذن هي تحليل موضوعي للعامل الواحد أوالعوامل المتعددة في مساراتها الفكرية والعلمية والعقائدية والسياسية التي دفعت بالباحثين الأمريكان - وهم بحسب قول كل من المحققين - كانوا وما زالوا قلة إلى دراسة التشيع الذي أحالته السياسات إلى عدو مخيف ومخرّب (إرهابي). فالكتاب أسهام جادٌ في الكشف عن الحقيقة الأساسية للساسة في الغرب وفي العالم الإسلامي وغيرهم من أتباع مذهب أهل البيت، وقبالة هذه الرؤية الأمريكية عن الدراسات والبحوث الأمريكية والغربية، فإن الحاجة قد أصبحت ماسة وضرورية لأن يتشجع الآخر من أبناء الأمة الإسلامية وممن يعمل خارج وطنه في أمريكا وأوربا أن يدلو بدلوه إزاء هذا الموضوع الذي تدعو الحاجة إلى أن يدّون المسلمون آراءهم سواء تلك المناصرة والمؤيدة لمذهبهم الشيعي أم تلك التي تطلق على نفسها بالموضوعية والنقدية لجوانب من مذهبهم وبخاصة لجميع نظرتهم المتطرفة ضد الإسلام الشيعي. فبعض هؤلاء ممن تجنس بالجنسية الأمريكية والبعض الآخر ممن راق له العمل الجامعي في مؤسسات علمية أجنبية تمارس وتنتهج مناهج بحث علمية بعيدة عن العواطف والمؤثرات وربما منهم ممن تعاطف مع مؤسساته العلمية

---

(١) See Stewart, Devin: Islamic Legal Orthodoxy Twelver Shiite Responses to the Sunni Legel System (Uninersity of Urah Press 1998) P/. 1-2.

والسياسية الأجنبية، حينئذ يلجأ إلى إظهار عدم تعاطفه مع المؤسسة السياسية القائمة في بلده الذي ينتمي إلى التشيع تعاطفاً سلبياً وأخذ لذلك يفسر التشيع على وفق هذا الميل أو ذاك.

فالأستاذ سعيد أمير آرجمند وهو أستاذ علم الاجتماع في جامعة نيويورك عام ١٩٨٤، نال درجة الدكتوراه - بحسبما يعتقد - من هذه الجامعة المشهورة نفسها، وأن كتابه الإمام الغائب - وقد استخدم تعبير الـ Hidden - المختفي - قد طبع في مطابع جامعة شيكاغو وجامعة لندن؛ وله مؤلفات كثيرة وحقق كتاباً موسوماً بـ (من القومية إلى الإسلام الثوري) يتطابق والرأي أن الثورة الإسلامية فاجأت العالم، وأن هناك فهماً بسيطاً وربما غير صحيح عن المضامين الشيعية السياسية قد وضعت أمام عدد من العلماء الأمريكان والغربيين. وهو يرى بأن آية الله الخميني نفسه وأتباعه أدّعوا وجهات نظر راديكالية غريبة أو غير مألوفة Novel في السياسة على أنها تمثل جوهر التشيع.

أما المؤلف آرجمند فيذكر أنه في كتابه (ظل الله والإمام الغائب) يجمع بين التحليلات السياسية والاجتماعية ويعتمد على هيكلية تحليلية لنظريات ماكس ويبر Weber عالم الاجتماع المشهور، ودراسته تكشف عن الجذور التاريخية للعلاقة بين المؤسسة السياسية والتشيع في التاريخ الإيراني[١]، أما سيد حسين نصر وزملاؤه الذين

---

(١) Said Amir Arjomand: The Shadow of God and the Hidden Imam, Religion, Political Order, and Socital change in Shiite Iran from the beginning to 1890 (The University of Chicage Press and London) 1984 (Introduction).

اشتركوا في تحقيق كتاب (توقعات عن الألفية حول التشيع في التاريخ) فإن منحاه إزاء العلاقة بين التشيع والغرب مختلف إلى حد ما عن المنحى السابق، إذ يعلن هؤلاء العلماء عن إطار الموضوع وعن العامل الدافع بله الضاغط إلى الكتابة عن التشيع، لأنه موضوع آثار اهتمام الرأي العام الغربي وهو يشير إلى اهتمام الأكاديميين والباحثين أيضاً. ولهذا السبب فقد ظهرت دراسات كثيرة، وإن عدداً من علماء الغرب قد اندفع للكتابة لأجل إشباع رغبة علمية فقط.

ولكن السيد حسين نصر وزملاءه الذين شاركوا في الأداء يرون - لسوء الحظ - أن الكثير من هذه الدراسات والأعمال قد فشلت في التوغل إلى عمق وجوهر المسألة، وإلى ما بعد سطح الأحداث، أو سطح الظاهرة. في الوقت نفسه فقد كرّست أعمال أخرى للبحث في العلاقة بين ما هو كائن من توترات سياسية واجتماعية بالنسبة إلى التشيع وبين القوى المتورطة من وجهة النظر الغربية، ويبدي المؤلفون رأياً موضوعياً بقولهم إن الكثير من الناس في الغرب خاصة وفي العالم بصورة عامة يربطون بين التشيع وبين إيران في ثقافتها وتاريخها؛ وهذه حال، حسب قولهم - غير صحيحة - فالتشيع تاريخياً بدأ عربياً وبقي الإسلام في عدد من الدولة العربية عربياً. فضلاً عن ذلك فإن التشيع لم يحمل بين طياته فرساً وعرباً فقط إنما هناك أتراك وهنود وباكستانيون وهناك شيعة في شرق أفريقيا وفي أماكن أخرى من العالم، والمؤلفون يأملون من تحقيق هذا الكتاب، تقديم معرفة عن الخلفية العقائدية والتاريخية للتشيع، بغية تقديم فهم أفضل وتوضيح أكثر عن الأحداث المعاصرة. وبذلك فإن حضور مثل هذه المعرفة سيساعد على خلق فهم أفضل

من الغرب معتمدة على تقييم موضوعي للفكر الشيعي والعقيدة الشيعية بالنسبة إلى الديانات العالمية الأخرى.

بالفعل إنه سيكون فهم أفضل من الصورة المحرّفة والمشوهة التي تسود الساحة الفكرية للعالم اليوم، ويأمل المحققون أيضاً في أن يعقب هذه الدراسة دراسات أخرى لكي تعمل على خلق إدراك أعمق وفهم أكثر واقعية للكثير من الفرق الإسلامية ولأفكار ومذاهب ملايين من البشر(١).

نخلص مما تقدم ذكره أن هناك وعياً مشتركاً بين أهداف الباحثين الأمريكان والعلماء المسلمين، وأن المفكرين الغربيين كانوا أشد حاجة إلى أن يقدم المسلمون آراءهم وتفسيراتهم ومصادرهم عن التشيع المذهب والعقيدة، وعن التشيع السياسي بلغة يقرأونها ويفهمونها، في المقابل كان هدف العلماء المسلمون من كتاباتهم ودراساتهم هذه الكشف عن خلفية التشيع والفرق الخارجة عن المذهب الإمامي الإثني عشري على وفق منهج - في تصورهم - أكثر موضوعية وجدلية بالنسبة إلى ما تتمكن العقلية الغربية من فهمه. ومجرد قراءة ما كتبه البروفسور ديفن ستيوارت Stewart في كتابه المذكور آنفا حول ردود الفعل الشيعية الإثني عشرية على المذهب السني وتقويمه للأعمال التي ألفها العلماء المسلمون فإنه حقيقة يقدم الدليل الواضح على أن العلماء في الغرب كانوا يقرأون هذه الأعمال ويقدّرون موضوعية البعض منها ويعرضون فهمهم

---

(١) Seyyd Hissien Nasr, Hamid Dabashi, Seyyd Vali Reza Nasr (eds) Expectation of the Millennium: Shiism History (State University of New York 1989) P. XXI. XXL.

للمعلومات التي احتوتها. فيقول البروفسور ستيوارت واصفاً عمله إنه كان في الأصل أطروحة دكتوراه نالها من جامعة بنسلفانيا الأمريكية عام ١٩٩١م، وكانت بعنوان (الفقه الإثني عشري الشيعي وصراعه أو تصادمه مع الإجماع السني)[١]، وعند تحليله لعقيدة الغيبة يعتمد دراسة البروفسور حسين مدرسي المعروفة (التماسك أو الإندماج في الفترة التكوينية للإسلام الشيعي)[٢]، ودراسة سعيد أمير آرجمند بعنوان (إختفاء Absconditus الإمام وبداية فقه أو نظرية Theology الغيبة)[٣]، ودراسته الأخرى (أزمة الإمامة ومؤسسة الغيبة عند الشيعة الإثني عشرية)[٤]، فضلاً عن مصادر غربية وأستشراقية. بمعنى أن البروفسور ستيوارت قد مال إلى آراء مدرسي وآرجمند ومصادر معلوماتهما، فخلال مسحه للمصادر التي اعتمدها أثنى ستيورات على عمل آرجمند (ظل الله) قائلاً: إن آرجمند قدم دراسة واسعة ومعقدة، وحلل تطور المذهب الشيعي ضداً للتاريخ السياسي والإجتماعي الإيراني حتى عام ١٨٩٠م معتمداً النصوص الشيعية الأصلية. وعرض رآي آرجمند الذي يفيد بأن تطور المذهب الشيعي الإمامي إلى فرقة دينية ضمن المجتمع الإسلامي الأوسع أدى إلى

---

(١) Devin J. STEWART: Twelver Shii Jurisprudence and its struggle with Sunni Cconseusus.

(٢) Hossein Modarressi: Consolidation in the Formative Period of the Shiite Islam (Princeton, Darwin Press 1993). See Stewart, Op. Cit. P. 10-11.

(٣) Said Amir Arjomand, "Imam Absconditus and the beginnings of a theology of Occultation" in JAOS (Volume 117 (1997) Pp. 1-12.

(٤) Idem, (The crsis of the imamate and the institution of Occultation in Tweiver Shiism" in IJMES (Volume 28) 1996,Pp. 491-515.

انفصام السلطة السياسية عن السلطة الدينية، وفي هذا الموقف يعتمد ستيوارت على دراسة حميد عليكر Hamid Algar (الدين والسياسة في إيران)[١] ودراسة جوان كول Cole (جذور التشيع في شمال الهند في إيران والعراق)[٢].

والمناسب ذكره أن البروفسور آرجمند قد أسهم في عمل بول لفت وكولن تيريز الضخم (التشيع) بأربعة أجزاء، وكان بحثه في الجزء الأول المذكور آنفا (أزمة الإمامة ومؤسسة الغيبة عند الشيعة الإثني عشرية: منظور اجتماعي تاريخي)[٣]، والبحث هذا يسلط الضوء على الدمج الاجتماعي التاريخي في رؤية الأستاذ آرجمند باعتبار تخصصه الأساس هو علم الاجتماع، فانتفع كما ذكرنا سابقاً من نظريات ماكس ويبر وغيره من علماء الاجتماع الأمريكان، كما ألف أبحاثاً عن عدد من أئمة أهل البيت فكتب عن الإمام جعفر الصادق، وطبع الكتاب في إيران عام ١٩٩٢، وعن الإمام الرضا وطبعت الدراسة في إيران عام ١٩٩٧[٤].

وامتدح ستيوارت خلال عرضه بعض المصادر التي كتبها العلماء المسلمون مثل عمل عليكر Algar وجوان كول بأن كليهما قد

---

(١) Hamid Algar: Religion and state in Iran (Berkely University of California Press 1969.

(٢) Juan R. Cole: Roots of North Indian Shiism in Iran and Iraq (Berkely, university of California Press, 1988.

(٣) Said Amir Arjomand (The crisis of the imamate and the institution of Occultation in Twelver Shiism: a.

(٤) Idem., (imam Jafar al -Sadiq) Iran 1992, idem Imam al - Riza`Iran 1997).

عالج دور فقهاء الإثني عشرية قبالة الدولة معالجة تاريخية جغرافية متخصصة، ولاسيما دراسة عليكر عن إيران إبان الفترة القاجارية. والمعروف أن البروفسور علي كر له إسهامات متعددة في ميدان التشيع في إيران، وأنه يميل إلى معالجة مسألة اندماج الدين والدولة أو عدم اندماجهما كما أفصح عنه في دراسته (الدين والدولة في إيران من سنة ١٧٨٥-١٩٠٦) دور العلماء في الفترة القاجارية) وقد طبعه في بيركلي - لوس أنجلس ١٩٩٦[(١)]، وأسهم في كتاب ستيوارت (التشيع) في الجزء الأول منه ببحث بعنوان (التشيع وإيران في القرن الثامن عشر)[(٢)]، وترجم كتاب (الإمامة والقيادة) للسيد مجتبى موسوي لاري إلى اللغة الانجليزية وطبع مرتين الثانية منها في قم المقدسة سنة ٢٠٠٠[(٣)].

كذلك فإن ستيوارت وعدداً آخر من المستشرقين الأمريكان وغير الأمريكان قد رجعوا إلى مؤلفات البروفسور المسلم عبد العزيز ساجدينا A. A Sachedina فامتدح عمله الموسوم بـ(الحاكم العادل) وعنوان الكتاب (الحاكم العادل عند التشيع الإثني عشري: الولاية المطلقة أو الواسعة للفقهاء والمجتهدين للفقه الإمامي)[(٤)]، والكتاب

---

(١) Hamid Algar, Religion and State.

(٢) Idem., (Shiism and Iran in the 18th ceutury) in Paul luft and Colin Turner (Shiism) Volume I Chapler B.

(٣) Idem., (Translater) Imamate and Leadership (Second Edition, Qum 2000).

(٤) A. A Sachedina: The Just Ruler in twelver Shiism: The comprehensive Authority of the Jurists of the Imamate Jurisprudence (New york, Oxford University Press 1988.

منشور في نيويورك ومطبعة جامعة أكسفورد عام ١٩٩٨. فيشير ستيوارت إلى أن الأستاذ ساجد نيا قد ناقش في الكتاب التطور التاريخي لسلطات الفقهاء وبضمنها السياسية، وقد نال في عمله هذا اهتمام الباحثين بله البحث الحديث لأنهم اعتبروه تسويغاً وتوظيفاً لنظرية ولاية الفقيه. وحسب قول ستيوارت إنها النظرية التي أضحت مهمة جداً في أواخر القرن التاسع عشر(١)، والواقع أن البروفسور ساجديتا معروف في الكتابة عن عقيدة المهدي وأن مؤلفاته كما أفصح ستيوارت عنه قد نالت من اهتمام الغربيين، لأنه بوجه من الوجوه يقف على مسألة دينية - سياسية طبّقها الإمام الراحل الخميني بعد نجاح الثورة الإسلامية في إيران، ألا وهي نظرية ولاية الفقيه. وقد ذاع صيت الأستاذ ساجدينا في كتابه، وهو أطروحته الموسومة بـ(المهدوية Messianism الإسلامية: فكرة المهدي عند الشيعة الإثني عشرية(٢)، وطبع الكتاب في نيويورك، آلباني عام ١٩٨٠ وهو الكتاب الآخر الذي دخل العقلية الغربية والأمريكية فصار مصدراً لمن يريد المعرفة حول موضوع الإمام المهدي وعقيدة الغيبة وقيادة المجتمع الإسلامي خلال الغيبة الصغرى سواء كان في الاتصال بالإمام الغائب أو في القيادة أو جمع الخمس. مثل جويس ويللي أو إيتان كوهلبرغ أو ستيوارت أو يعقوب نسنر Neusner أو غيرهم. وللبروفسور ساجدينا مؤلفات وبحوث أخرى مثل بحثه

---

(١) Stewart, Op,Cit P. 13.

(٢) Sachedina, Islamic Messianism, The idea of the Mahdi in Twelver shiism (New york, Al bany 1980 Secoud Edition Albany 1981).

ضمن بحوث كتاب (التشيع Shiism) وعنوانه (رسالة حول غيبة الإمام الثاني عشر)[1]، وقد سبق نشره في مجلة Studia Islamica عام ١٩٧٨، وواقع الأمر أنها رسالة الغيبة الموجودة على حاشية كتاب فرائض الأصول للملا آخوند Akhund الخراساني، والرسالة من تأليف الشريف المرتضى وأن الأستاذ ساجدينا قد وقف على مسح مصدري للمصادر الأولية التي تناولت عقيدة المهدي. والملاحظ أن أطروحة البروفسور ساجدينا التي حصل عليها من جامعة تورنتو Toronta عام ١٩٧٨ وكما يبدو لم تطبع لحد الآن كانت بعنوان (عقيدة المهدي عند الشيعة الإمامية)[2]، التي وقف فيها على الخلفية التاريخية للعقيدة وعلى العناصر العقيدية الأساسية فيها. وقد كان الأستاذ ساجدينا من الذين أسهموا في مؤتمرات دكترين مهدويت) - عقيدة المهدي - التي تعقد في طهران في كل عام.

ومن الأعمال الإسلامية التي امتدحها ستيوارت في كتابه (ردود الفعل الشيعية على النظام الشرعي السني) كتاب الأستاذ أحمد كاظمي موسوي الموسوم بـ(السطلة أو الولاية الدينية عند الإسلام الشيعي)[3]، المطبوع في كوالامبور عام ١٩٩٦، إذ يعقب عليه

---

(١) Idem., "A traetise on the Occultation on the Twelfth Imam" in Stewart. Shiism Volume IPp. 39-50. Also in SI (1978).

(٢) Idem. The doctrine of Mahdiism in Imami Shiism (University of Toronto, April 1976.

(٣) Ahmad Kazemi ,Mussavi: Religious Aulhority in Shiite Islam (Kuala Lumpur 1996).

قائلاً: إن كاظمي موسوي قد بحث بتفحص ودقة تفسير ولاية أو سلطة الفقهاء الشيعة الذين يشكلون ويؤيدون نظرية ولاية الفقيه عبر التاريخ، معتمدين على شواهد تاريخية من الفقه الإثني عشري، كذلك فإنه قد تابع تطور النظرية وتقدمها بدءاً من المفتي التي ابتدأت قبل فترة الغيبة إلى فترة المجتهد خلال القرن الثالث عشر للميلاد كما هو متمثل في كتاب المحقق العلامة الحلي المتوفى سنة ٧٢٦هـ / ١٣٢٥؛ وبعدها إلى مؤسسة مرجع التقليد الذي يخدم ولاية أو سلطة المذهب في توحيد أفراد المجتمع وجمعهم، ويقوم بمسؤولية ومهمة زعامة هيئة الفقهاء الشيعة في القرن التاسع عشر[١]. وهذا التعقيب يدل دلالة واضحة على أن ستيوارت كان متابعاً للمؤلفات الإسلامية الحديثة المؤلفة باللغة الانجليزية، وإنه قد أسترشد بها وعرضها في موضوع مهم جداً ألا وهو ولاية الفقيه؛ كذلك فإنه وقف على الجدل الإخباري الأصولي وردود فعل الأسترباذي على العلامة الحلي في فصل خاص بعنوان (الإخباريون والمذهب) وفي هذا الشأن كتب بحثاً بعنوان (هيئة التشريع الإسلامي ومؤسسة مرجع التقليد).

إن الذي سبق من دليل على تغلغل بل تأثير عدد من مؤلفات العلماء المسلمين الذين يعملون في الجامعات الأمريكية والغربية، يوضح مدى اهتمام هؤلاء النخبة من الباحثين الغربيين بميدان التشيع أو بالأحرى بالمسائل المهمة جداً فيه كعقيدة المهدي والغيبة وولاية الفقيه؛ وهذه الموضوعات مهمة جداً للساسة أومتخذي القرار

(١) Stewart, Op. Cit. P. 13.

السياسي. . لذا ينبغي علينا تسمية أعمال إسلامية أخرى تم طبعها في دور النشر الأجنبية التي تعالج هذه العقائد والفلسفات الشيعية الإثني عشرية. فالبروفسور السيد حسين نصر أحد العلماء المشهورين في إيران والخارج في ميدان الفلسفة الإسلامية وله صلات علمية قوية مع البروفسور الفرنسي كوربن كما ذكرنا آنفاً، وهو يعدّ أيضاً المحقق والمؤلف في الوقت نفسه للكتاب القيّم (تاريخ الفلسفة الإسلامية بالتعاون مع المستشرق أوليفر ليمان[1] O. Leaman إن البروفسور السيد حسين نصر قد حقق الكثير من المؤلفات والبحوث وكان التشيع من بين الحقول التي كتب فيها خلال الثمانينيات وهي الفترة المهمة جداً في الجدل حول التشيع. فكتب في دائرة المعارف الدينية بحثاً واسعاً عن التشيع عام ١٩٨٧[2]، واشتمل على ثلاثة أقسام: التاريخي، والإسماعيلية والإثني عشرية. وحقق بالإشتراك مع الأساتذة سيد ولي رضا نصر وحميد دباشي كتاباً بعنوان (توقعات الألفية: التشيع في التاريخ) طبع في نيويورك[3] عام ١٩٨٩، وله دراسة أخرى عن (التشيع، عقائد، وفكر وروحانيات)، طبعه في نيويورك عام ١٩٨٨.

كذلك لابد من الإشارة إلى الأستاذ موجان مومن M. Momen

---

(١) Seyyad Hossein Nasr and Oliver Leaman: History of Islamic philosophy (2001).

(٢) See (Shiism) in the Encydopedia of Religion (Editor in chief Mircea Eliade, copyright 1987) Volume 13.

(٣) Seyyed Hossein Nasr: Expection (Op. Cit. idem Seyyed Hossein Nasr and others: Shiism Doctrines. Thought and Spirituality (New York 1988).

الذي هو الآخر صار مرجعاً لدراسات المستشرقين والباحثين في أوربا وأمريكا، بحيث أن كتابه الموسوم بـ(مقدمة للإسلام الشيعي: التاريخ وعقائد التشيع الإثني عشري) المطبوع في لندن وأمريكا مطبعة جامعة ييل Yale عام ١٩٨٥، وقد أعيد طبعه عام ١٩٨٧ مع مقدمة كتبها المستشرق الإيطالي المعروف الكسندر بوساني[(١)] A. Bausani صار مرجعاً مهماً للمستشرقين الآخرين. وعقد البروفسور موجان ستة فصول وثلاثة ملاحق في كتابه (مقدمة للإسلام الشيعي)، فتحدث في فصلين منها عن الإمامة وآخر عن الغيبة والرجعة، بينما تناولت مقدمة البروفسور بوساني الذي كان عام ١٩٨٥ رئيس قسم الدراسات الإسلامية في جامعة روما الاختلافات الدينية والعقائدية بين الإسلام السني والإسلام الشيعي.

وأشار البروفسور الإيطالي إلى أن هناك في الغرب أموراً خاطئة تتداولها الكتب والصحافة، منها مثلاً إن الإسلام الشيعي هو الأكثر خطورة وثورية في الإسلام من الإسلام السني، وحول هذه النقطة يعقب البروفسور على ما أورده الأستاذ مومن من أدلة تاريخية على أن التشيع في التاريخ كان مذهباً تطورياً، وقد قدّم لنا بعض الحالات التي تسمى بالأحداث الثورية.

ومن بين أهم النقاط التي تعرض لها الأستاذ مومن تلك المتعلقة بالجانب المصدري، فيقول إن الأكثرية العظمى من الكتب والدراسات الاستشراقية المؤلفة في الغرب عن الإسلام مهتم بشكل

---

(١) Moojan Momen: An introduction to Shii Islam: The history and Doctrines of Twelver Shiism (London. Yale University Press, 1985, 1987).

رئيس بالإسلام السني، وهي تتجه أو بالأحرى قد اتجهت إلى تحجيم أهمية الإسلام الشيعي، والمصادر التي يعتمدها الباحث عند دراسته التشيع، لأن الإسلام السني هو دين أكثرية الدول في الشرق الأوسط والشمال الأفريقي.

وأن البرفسور مومن أيضاً يركز على عاملين أساسيين في نهضة التشيع وفي تزايد اهتمام الغربيين بالتشيع: أولها تزايد أهمية الخليج الاقتصادية بسبب وجود حقول النفط في المناطق الشيعية، وثانيها الثورة الإسلامية في إيران. عندها اضطر الغرب إلى إعادة النظر على وفق ما تمليه عليه أطماعه ومصالحه.

فالكثير من الأوربيين والأمريكان أخذوا يعتقدون بأهمية إجراء محاولة للوصول إلى فهم أعمق للأحداث الدينية في المنطقة(١)، وهناك نقطة ملاحظة على كتاب الأستاذ مومن وبالأخص عند كلامه على الغيبة والسفراء الأربعة للإمام المهدي فإنه يعتمد على كتاب المستشرق الفرنسي ماسنيون Massignin (الحلاج بأربعة أجزاء) في الوقت الذي أهمل المعلومات القيّمة التي تقدمها مؤلفات الغيبة والمؤلفات الشيعية وهي بكل وضوح معلومات أكثر غزارة وأصالة؛ مع العلم أن ماسنيون مستشرق مشهور؛ وإنه في كتابه عن أبي منصور الحلاج قد رجع إلى الموارد الأصلية؛ وهو بالتأكيد لم يغفل مؤلفات الغيبة ولاسيما رأيه البالغ الأهمية في موضوع السفراء.

والبروفسور جعفري S. H. M. Jafr تخرج في جامعة بيروت الامريكية تحت إشراف الأستاذ لورنس كونارد L. I. Conard عام

---

(١) كذلك الفصل الرابع ص ٦٣. Moojan, Momen (Introduction) P. XIV. XV.

١٩٧٦، وموضوع أطروحته (الجذور والتطور المبكر للإسلام الشيعي)[١]، وهو الكتاب الذي صار (منذ طبعه في دار نشر أنصاريان مع مقدمة للأستاذ اللبناني المشهور نيقولا زيارة) مرجعاً يستهشد به المستشرقون الأوربيون والأمريكان؛ لأنه يركز على الخلفية التاريخية لظهور وتطور التشيع، فضلاً عن أن المؤلف قد اعتمد على الكثير من الدراسات الاستشراقية الأوربية. وكان الأستاذ جعفري في جميع الآراء والتفسيرات على الأحداث الساخنة في التاريخ يقف محللاً ومناقشاً ومقارناً. ففي الفصل الحادي عشر فصّل الأستاذ المؤلف في عقيدة الإمامة والإمام المهدي معتمداً على الكتب والمؤلفات الشيعية في عقيدة الغيبة وفي الرجال؛ فضلاً عن المؤلفات والدراسات الأوربية.

ومن بين الباحثين المسلمين تجدر الإشارة إلى محمد علي أمير معزّي Amir Moezzl المشهور في كتابه (الهادي أو الموجه الإلهي في التشيع المبكر)[٢]، وحقيقة إن هذه الدراسة هي ترجمة لرسالة الجعفي إلى اللغة الإنجليزية، وتحتوي على عقائد الإسماعيلية إعتماداً على رواية جابر بن عبد الله الجعفي الأنصاري بوصفها تضم تعاليم ودروس الإمام الباقر. المهم أن البروفسور ديفيد ستريت David Straight المترجم أشار إلى أن المستشرقين والغربيين ليس

---

(١) Jafri, S. H. The Oorigins and Early Development of Shia Islam (Ansariyan Publications Qum (Second Edition London, New York 1979).

(٢) Amir, Moezzi. M. A:The Divine Guide in early Shiism (Translator) Albany 1994 (Translation) of. An Unpubished Arabic Risala. Translated by David Straight (State University of New York Press (from French (Le guide Divin dans le shiism).

لديهم فكرة واضحة عن المذهب الإمامي في الفترة التاريخية المبكرة؛ صحيح أن هناك اهتماماً ودراسات وبحوثاً قيّمة عن المذهب الشيعي لكنها مع ذلك محدودة، ويلاحظ أن الإمامية المصطلح قد عرف منذ غيبة الإمام الثاني عشر(١)، وبخصوص هذه الملاحظة علينا أن نشير إلى المصطلح قد عُرّف قبل ذلك وفي زمن الإمام الصادق.

وأن المترجم ديفيد ستريت كتب في الترجمة نفسها مقالاً عن (الهادي الإلهي، مصادر، أو موارد الإسلام الخفية)(٢)، كذلك فإن الأستاذ محمد علي قد كتب كتابين آخرين أولهما بعنوان (الروحانية والإسلام: المعتقد والتطبيق في مذهب التشيع)(٣)، نشره عام ٢٠٠٨، أما الثاني فعنوانه (الوحي والتحريف: كتاب القراءات لأحمد بن محمد السياري (نصوص، دراسات حول القرآن)(٤)، نشر في هولندا (Brill بريل عام ٢٠٠٨). وتجدر الإشارة إلى أن البروفسور معزي هو أستاذ الإسلام في العصر الوسيط في هولندا عام ١٩٩٢، ثم انتقل إلى جامعة السوربون بمنصب أستاذ الفقه الإسلامي القديم. وله مؤلفات عن العقيدة الإمامية والأدب الإسلامي.

---

(١) avid Straight (Preface) P, 1.

(٢) Idem., The Divin Guide to Early Shiism: Sources of Esolerism in Islam (1994).

(٣) Amir Mozzi,Sspirituality and Islam: Beliet and Practico in Shiism (2008).

(٤) Idem., Revelation and falsification: The Kitab al - Qirat of Ahmed b. Muhammad al - sayyari (Texts and Studies on the Quran (Brill 2008).

وأسهمت الأستاذة أرزينه للاني Arzina R. Lalani بدراسة عن الإمام محمد الباقر بعنوان (الفكر الشيعي المبكر: تعاليم ودروس الإمام محمد الباقر)[1]، نشرته في لندن عام ٢٠٠٠م والأستاذة أرزينه هي الأخرى تقول إن دراسة التشيع كانت وما زالت أحد الفروع المهملة كثيراً في الغرب، وأنها خلال الحقب القليلة الماضية فقط قد انتعشت على أيدي علماء اهتموا في هذا الجانب، مثل رودولف شتروسمان ولويس ماسنيون وهنري كوربن وإيتان كوهلبرغ ومومن وموجان وجعفري وفرهد دفتري وامير معزي[٢].

كذلك فقد أسهم الأستاذ شاهزادبشير[٣] Bashir ببحث في كتاب لندا ولبردج Linda Walbridge (العلماء الأكثر عالمية عند الشيعة، مؤسسة مرجع التقليد) بعنوان (عودة الإمام الغائب: قيادة المهدوية عند التشيع في العصر الوسيط المتأخر). والكتاب الذي ضم هذا البحث قد طبع في مطبعة جامعة أكسفورد عام ٢٠٠١، وهذا يعدُّ أيضاً دليلاً آخر على اعتماد كتاب غربي على علماء وباحثين مسلمين بخصوص عقيدة المهدي المنتظر.

كذلك علينا الإشارة اليكتاب البروفسور عبد الهادي الحائري الذي تناول أحد المواضيع الجديدة في التشيع الا وهو التشيع والدستور في إيران: - دراسة حول الدور الذي أدّاه الفرس

---

(١) Arzina. R. Lalani: The early Shii thought: The Teachings of imam Muhammad al - Baqir (London in association with the institute of Ismaili studies 2000).

(٢) Ibid., Preface p. 1.

(٣) Linda s. Walbridge: The most Learned (Op. Cit) Pp. 21-33.

المقيمون في العراق في السياسات الإيرانية. وطبع الكتاب في ليدن عام ١٩٧٧.

Abd al -Hadi Hairi; Shiism and the constitutionalism in Iran; a study of the role played by the Persians resident in Iraq in the Iranian politics (Leiden 1977).

ومن بين الباحثين المسلمين الآخرين الأستاذ عباس أمانات Amanat الذي ألّف بالتعاون مع المستشرق فرانك غريفيل F. Griffel كتاباً بعنوان (الشريعة الإسلامية في محيط المحاصرة)[١]، طبع عام ٢٠٠٧، وله مؤلف آخر بعنوان (الرؤيا الإسلامية والتشيع في إيران)[٢]، ويركز الأستاذ أمانات في هذا الكتاب على فاعلية حركة التشيع، وعلى الاهتمام العالمي المتصاعد بالتشيع، وذلك أحسب رأيه- يرجع إلى الوضع السياسي في إيران بعد الثورة، وإلى الاعداد الغفيرة من الشيعة في إيران. كل ذلك ولد الحاجة إلى قراءة وتفهم أفضل لخلفيات عقيدة التشيع عامة، وعقيدة الإمامية وأهدافها خاصة. والأستاذ أمانات هو أستاذ التاريخ في جامعة ييل Yale الأمريكية[٣]. وله أيضاًبحث آخر بعنوان(بين المدرسة والسوق. تحديد الزعامة الدينية في التشيع الحديث

(In between the Madrasah and thearketplace. The designation of clerical leadership in modern Shiism) inS. A. Arjomand

(١) Amanat and Frank Griffel: Sharia Islamic Law in the Contemporary context (USA 2007).

(٢) Idem., Amanat: Apocalptic Islam and IranianSshiism (Yale Universiry Press 2007).

(٣) Ibid,Idem. "In between Madrasah" mentioned above.

(ed) Authority and Political Culture in Shiism (Albany 1988) Pp.98-123

كذلك فإن الأستاذ أفرسيابي Kaveh L. Afrasiabi نشط في إلقاء محاضرة في لندن بمناسبة ولادة الإمام المهدي عرّج فيها على أن حركة التشيع صارت موضوعاً رئيساً للحجاج والجدل السياسي والعلمي، بعد أن كان الغرب يتجاهلها بسبب ربطه بين التشيع وعقيدة المهدي وبين التطرف والحرب Militant والثيوقراطية، وهكذا عمّ فوكوياما الحال بالنسبة إلى الشيعة والتطرف في كتابه (نهاية العالم). والأستاذ أفراسيابي هو الآخر مؤسس جمعية تحاور الأديان العالمي في جامعة هارفرد(١).

وكتب روي برويز متحد Roy Parviz Mottahed (٢)، في جريدة الديلي ستار Daily star في آب سنة ٢٠٠٣ موضوعاً مهماً تطرق فيه إلى عقيدة الغيبة بعنوان (تاريخ ودين وسلطة: فهم شيعة العراق)، والأستاذ برويز يعرض في هذه المقالة الصحفية مقارنة بين التشيع والمسيحية من حيث غيبة الإمام المهدي وموازنتها بغيبة السيد المسيح؛ وأن العاطفة عند المسيحيين بسبب صلب المسيح أو قتله تماثل تعاطف الشيعة وحزنهم في ذكرى استشهاد الإمام الحسين.

---

(١) Kaveh L, Afrasiabi (Shiism as Mahdism: Reflection on a Doctrine of Hope) inJ. of Globel Interfaith Peace.

(٢) Roy Parvis Mottahede ; "History. Religion . Power ;Understanding Iraqi "in The Daily Star (8. 30. 2003). SeeW. B. Hallaq;-"On the orgins of the controversy about the existence of Mujtahids and the Gate of Ijtihad" inSI VolumeLX111(1986). Idem. "Was the Gate of Ijtihad closed" in IJMES Volume. 26(1984) Pp. 3-41.

وإن العلماء الشيعة قد طوروا المدارس الفقهية معتمدين على الشريعة الطبيعية كما فعل الكاثوليك. والشيعة الإمامية تعتمد على هرمية تماهي هرمية المطارنة الكاثوليك.

ومع أننا لا نقف مؤيدين مثل هذا الطرح الذي يقصد منه التقريب بين الإسلام الشيعي والكاثوليكية، ولكن يفهم من مقاصد كاتبها روي برويز أستاذ التاريخ في جامعة هارتفرد التي تأسست فيها مدرسة كندي للتبشير إنها محاولة للتقريب بين الأديان في عرضه هذا لعناصر التشابه بين الديانتين الشيعية والكاثوليكية.

هؤلاء الأساتذة من الباحثين المسلمين وغيرهم كانوا وما زالوا الطرق بله المصادر التي اعتمدها المستشرقون والباحثون الأمريكان للكتابة عن الميدان الذي تهتم به السياسة في بلادهم بما له علاقة بالإسلام الشيعي. ففي الإثنين من تموز ٢٠٠٦ مثلاً استضافت المدرسة البحرية، قسم الشؤون الوطنية الأمنية في وزارة الخارجية في واشنطن (D. C) السيد ولي رضا نصر Vali Reza لإلقاء محاضرة عن نهضة الإسلام الشيعي، وكيف تشكل أو تصنع الصراعات في الإسلام المستقبل[1]، وكان مناقش المحاضر الإيراني الأمريكي وولتر رسل ميد Walter Russel Mead، وهي محاضرة إن دلت على شيء فإنما تدل دلالة واضحة على استمرار حاجة الدوائر المهمة في أمريكا إلى معرفة الإسلام الشيعي ودوره السياسي المستقبلي.

---

(١) Vali Reza Hossein, "The Revival of Shia Islam. How couflicts Within Islam Shape the future Monday July 2006

الفصل السابع

إسهام المستشرقين الإسرائيليين حول عقيدة المهدي

لعل هناك من يتساءل عن السبب في تسمية هذا الإسهام بالاستشراق الاسرائيلي بدلاً من تسميته بالاستشراق اليهودي، وهو تساؤل في محله حقاً اذ يصعب وضع حدٍّ فاصل بين التعبيرين. فالمعروف ان المستشرقين اليهود قد أسهموا إسهاماً فاعلاً في الكتابة عن ميادين متعدده في التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية بصورة عامة قبل تنفيذ المشروع السياسي في تأسيس إسرائيل على أرض فلسطين العربية؛ كذلك فإن المستشرقين اليهود من الجيل الأول لم يعرفوا، حسب تصنيف العلماء العرب والأجانب الذين كتبوا عن الاستشراق، بأنهم إسرائيليون إنما عرفوا حسب التوزيع الجغرافي فهذا المستشرق اليهودي إسباني وذاك مجري والآخر ألماني وهكذا بالنسبة إلى بقية المستشرقين وعلى وفق ذلك جعلنا خطاً بين المستشرقين اليهود قبل التأسيس السياسي لإسرائيل وأولئك الذين انتسبوا إلى إسرائيل. فضلاً عن هذين العاملين، هناك من يرى بالفعل أن المستشرقين الإسرائيليين لا يتفقون في آرائهم ومواقفهم من الإسلام والحضارة الإسلامية مع المستشرقين اليهود القدامى أمثال فيل Weil وجولد تسيهر وغيرهم، إن المحدثين يرون بأن آراء جولدتسيهر مثلاً تمتدح التطبيقات الإسلامية العادلة في التسامح مع معتنقي الديانات اليهودية والمسيحية والصابئية، وبأن أحداث

التاريخ الإسلامي، بصورة عامة، لا تدلل على ممارسات سياسية ظالمة بحق أتباع الديانات السماوية الأخرى، عدا بعض الأحداث التي نسبت إلى بعض الحكام العباسيين. كذلك فإن الدولة الإسلامية قد اعتمدت في العديد من الحالات على رجال يهود أو مسيحيين في الإدارة أو السياسة؛ والأكثر أهمية فإن الكثير من أصحاب العلم والقلم والفن والمال هم من اليهود أو المسيحيين أو الصابئة دون ان تفرض عليهم سياسة اعتناق الدين الإسلامي؛ هذه وغيرها أمور قد فُسرت من العلماء الإسرائيليين على أنها وسائل مدح وإطراء للدين الإسلامي، في الوقت الذي تتطلع فيه السياسة الإسرائيلية والعقلية الإسرائيلية العنصرية والدينية إلى أظهار الدين الإسلامي، وسياسة الحكام والسلطات بالتعسف ضد أتباع الديانات اليهودية والمسيحية وأنهم مارسوا عملية اضطهاد ضدهم على مرّ التاريخ الإسلامي.

حقيقة أن المستشرق الألماني (فايل) لم يكتب إسهامات خاصة عن التشيع وعقيدة المهدي على الرغم من دراسته الضخمة عن حياة رسول الله والخلفاء الراشدين، وهي دراسة لم تترجم إلى اللغة الأنجليزية أو العربية على الرغم من قدم فترتها وشموليتها؛ لهذا كان وما زال الاعتماد عليها من الباحثين المسلمين لا يقاس بذلك الاعتماد الذي اعتمده كثرة من المستشرقين الآخرين أمثال (مونتغمري وات) أو (واشنطن آرفنج) في مؤلفاتهما عن السيرة النبوية الشريفة. ولكن الموقف من المستشرق (جولد تسيهر) يختلف تماماً، فإن تفسيراته وآرائه في الإمامة وفي التقية وفي عقيدة الإمام الغائب كانت متداولة بين المستشرقين الألمان وغيرهم وحتى وقتنا

هذا. ففيما يتعلق بموقف جولد تسيهر من التشيع يشير المستشرق إيتان كوهلبرغ[١]، إلى أنه كان باحثا عميقا وقدّم ملاحظات دقيقة وقيّمة عن التشيع ظلت ماثلة إلى حد الآن. وعلى الرغم من كونه غير متخصص في حقل التشيع وعقائد الإمامية، فقد أثنى العلماء على آرائه التي وردت في بحثه (تاريخ أدب الجدل الشيعي والسني)، الذي نشره أولاً في سنة ١٨٧٤، والملاحظات التي ضمّنها بحثه الآخر (مسائل عن التشيع)[٢]، ومواقفه التي درسها في بحثه الثالث (مذهب أو مفهوم التقية في الإسلام)[٣]، الذي نشره في مجلة الـ ZDMG الألمانية المشهورة؛ وكذلك عن موقفه من الإمام الصامت والإمام المتكلم في دراسته العامة عن (مقدمة في الفقه والشريعة الإسلامية)[٤]، جميع هذه الدراسات التي بقيت معتمدة من قبل الباحثين تشير إلى سعة أفقه وعلمه وإن لم يكن متخصصاً فيها. ففي الفصل الخاص بالتشيع في كتابه (مقدمة في الفقه والشريعة) طرح عرضاً مختصراً عن حركة التشيع في التاريخ ركز فيه على ثلاثة مباحث أولها عوامل ظهور التشيع مبيناً وجهة نظره في التأثير غير

---

(١) Kohlberg, E: Belief and Law in Imami Shiism (Collected Studies) Variorum, G. B. Britain pp. 31-44.

(٢) Goldziher. I., VorLesungen uber den islam (1920) Translcted into French (Le dogme et La loi de L'islam by F. Arin (1920), Translated into English (introduction) to Islamic theology and law by Andras and Ruth Hamori (Princeton 1981).

(٣) Idem., "Das prinzip der Takiya im Islam in ZDMG (Volume 60 (1906).

(٤) ibid., p. 201,212,215 (Introduction).

الإسلامي في بداية ظهوره، والثاني اعتباره ظهور التشيع وكأنه رد فعل حضاري لصالح حرية الفكر والثالث أن التشيع حدد نفسه في المصدر الأساس في الإسلام وهو القرآن الكريم، وأن الشيعة قد وقفوا موقفاً سلبياً من سنة الرسول الكريم[1]. والجدير بالملاحظة أن هناك آراءً، ومواقف بحاجة إلى محاججة لاسيما مبحثه الثالث في رفض الشيعة سنة رسول الله، فالمعروف تاريخياً إن الشيعة هم من أكثر الداعين والمؤيدين لأحاديث رسول الله تلك التي وردت عبر سلسلة سندية تبدأ من أئمة أهل البيت الأطهار مثل الإمامين الباقر والصادق وانتهاءً بحلقة الإمام علي ورسول الله.

هناك ملاحظة قيّمة أجمع عليها المستشرقون، تتعلق بالدراسات حول التشيع وعقائد الشيعة الإمامية، وأن البروفسور إيتان كوهلبرغ الإسرائيلي يقف عليها أيضاً، إذ يعقّب على وضعية هذه الدراسات فيذكر بأن الدراسات عن التشيع الإثنى عشري ظلت بطيئة ومحدودة عند المستشرقين، حتى نهاية السبعينيات، فلم يحتل حيزاً مركزياً ومهماً في الدراسات الإسلامية عامة، حتى الثورة الإسلامية في إيران، عندها بدأ الاهتمام - وبشكل ملحوظ - بالدراسات عن التشيع الإمامي الإثنى عشري[2]، وهي ملاحظة نابهة وحقيقية وتنطبق بصورة واضحة على توجه الدراسات في الاستشراق الإسرائيلي.

---

(١) ibid., (Introduction).

(٢) Kohlberg, E. "Western studies of Shia Islam" in Kohlberg: Beliet (op. cit) p. 41.

المستشرق الإسرائيلي مارتن كريمر Martin Kramer من المستشرقين المعروفين في مجال الدراسات الإسلامية إلا أننا نجهل كثيراً عن مدى إسهامه في الدراسة في حقل التشيع. غير أنه حقق كتاباً بعنوان (التشيع: المقاومة أو الإحتجاج والثورة)(١)، وقد أسهم فيه عدد من المستشرقين المعروفين أمثال جوزيف الياش Eliash وإيتان كوهلبرغ وبرنارد لويس وشارون وغيرهم.

ويتألف الكتاب من خمسة أقسام خصّص كل قسم منها لدراسة التشيع في العالم الإسلامي، فالقسم الأول من الكتاب يحمل عنوان (التشيع، الإسلام والغرب) ويضم بحثين أحدهما للبروفسور برنارد لويس عن الشيعة في التاريخ الإسلامي، وهو بحث يدرس الحركة الشيعية في فترة نموها وظهورها، أما البحث الثاني فكتبه البروفسور كوهلبرغ بعنوان (الدراسات الغربية عن الإسلام الشيعي)، وكان عنوان القسم الثاني (إيران: التشيع والثورة) ويضم بحثاً عن أيدلوجية الإمام الخميني في الثورة المسلحة وآخر عن آية الله الطالقاني وثالث عن الإسلام والعدل الاجتماعي في إيران، أما القسم الثالث فقد خصص للتشيع في العراق والخليج ويضم بحثاً عن التشيع والعروبة، والقسم الرابع حول التشيع في سوريا ولبنان، أما الخامس فيركز على التشيع في جنوبي آسيا وأطرافها(*).

والمستشرق مارتن كريمر متخصص في التاريخ السياسي

---

(١) Martin Kramer (ed.): Shiism, Resitence and Ravoltion (Boulder, Colorado, Westview Press 1987 (First Edition) Tel Aviv 1985.

(*) shiism, Resistance and Revoution: part one, Shiism, Islam and the West, part 4: Lebnan and Syria, part 5: South Asia and Frontiers.

للإسلام أي الإسلام السياسي، فإنه في سنة ١٩٩٩ كان يعمل في مركز موشي ديان Moshe Dayan للدراسات الشرق أوسطية والأفريقية وزميل أقدم في جامعة هارفرد Harvard في قسم برنامج دراسات الأمن القومي National security studies، وعمل أيضاً في مركز واشنطن لسياسة الشرق الأوسط ويعرف (مركز شالم Shalem Center في جامعة هرفرد، وأنه تخرج في جامعة تل أبيب سنة ١٩٧٣ وحصل على درجة الدكتوراه من جامعة برنستن Prinncton عام ١٩٨٢. إذن نخلص إلى القول بأن توجهه للدراسات الإسلامية كان توجها سياسيا في هدفه لصالح السياسة الأمريكية، فإنه يعرّف بباحث أمريكي في الشرق الأوسط. وألف عدة كتب تحمل هذا التوصيف منها كتابه (الإسلام السياسي)، طبع عام ١٩٨٥ وكتابه الآخر (اليقظة العربية والصحوة الإسلامية) وكتابه الآخر (الإسلاموية المتنازع أو المختلف عليها) المطبوع عام ١٩٩٦، وكريمر كان رئيس تحرير المجلة الفصلية Middle East Quartely(*).

ابتدأ المستشرق جوزيف الياش J. Eliash نشاطه في هذا الحقل، وهو ميدان الفقه والشريعة عند الشيعة الإثنى عشرية منذ ستينيات القرن العشرين؛ وحقيقة الأمر فإن البروفسور الياش قد نال درجة الدكتوراه من جامعة لندن بأطروحته الموسومة (علي بن أبي طالب في العقيدة الشيعية الإثنى عشرية)(١)، عام ١٩٦٦، وقد قدّم

(*) see Kramer/M. Political Islam. Idem. Arab Awakening and Islamic Revival (1996), idem The Islamism Debate (1997), see Wikipedia Martin Kramer.

(١) Eliash, J, Ali b. Abi Talib in ithna Ashari beliet (Doctorat thesis University of London 1966).

فيها آراءاً بشأن عقيدة المهدي المنتظر كإحدى المعتقدات المهمة عند الإثنى عشرية. إلا أن دراسته عن دور المجتهد عند الشيعة الإثنى عشرية الموسومة (نظرية الفقه عند الإثنى عشرية والولاية السياسية والشرعية) المنشورة في مجلة Studia Islamica عام ١٩٦٩[١]، تعدّ من الدراسات التي اعتمد عليها المستشرقون في أوربا وأمريكا؛ ومما جاء فيها من الأفكار قوله أن الشيعة الإثنى عشرية بعد الغيبة لا يجوّزون تمثيل الولاية والسلطة إلى الفقهاء، وأنهم ينظرون إلى المجتهد بدرجة أكبر من مجرد كونه مكلّف في الأحكام الشرعية وتطبيقاتها، كذلك فإنهم لا يميلون إلى الإعتقاد بأن المجتهد له الصلاحية المطلقة في تمثيل مهام الإمام بعد الغيبة الكبرى. علماً بأن هناك ما يعرف بالمجتهد المطلق الذي ينظر إليه كأنه متحدث بإسم الإمام الغائب، واحتل هؤلاء الفقهاء مكانة تختلف كثيراً عن مكانة الفقهاء والعلماء السنة. الفقهاء (المجتهدون) في الفكر الشيعي هم حفظة الأمر وحفظة العقيدة خلال مدة غياب الإمام، في حين اعتُبر العلماء عند السنة شخصيات تابعة للسلطة[٢]. وقد أدخل البرفسور ستيوارت هذا البحث في كتابه (Shiism) في الجزء الثالث منه، والبروفسور الياش في بحثه هذا يناقش رأي الأستاذ ليونارد بندرز[٣] Lonard Binders الوارد في دراسته

---

(١) Idem., "The ithna Ashari Shii Juristic theory and political Legal Authority" in Studia Islamica V. 29 (1969) Pp. 17-30.

(٢) ibid., p. 26-27.

(٣) Binder, Leonard: "The proofs of Islam, Religion and Politics in iIan" in

المتعلقة بالدين والسياسة في إيران المنشور عام ١٩٦٥ حيث يقول بأن المجتهد عند الشيعة يتمتع بولاية أو سلطة مطلقة كنائب عن الإمام الغائب. وكتب الياش بحثاً في سنة ١٩٦٩ بعنوان (قرآن الشيعة: إعادة نظر في تفسير جولد تسيهر)[١]، ونشره في مجلة أرابيكا، ومما جاء فيه إنتقاده رأي كل من الأساتذة بروكلمان وشتروسمان ووات الذي يفيد أن الفقهاء والعلماء الشيعة قد ظهروا فقط خلال العصر البويهي، وبأن النظرية السياسية عند الشيعة الإثنى عشرية قد تطورت في الفترات الإسلامية المتأخرة. وله بحث آخر تعرض فيه إلى عقيدة الغيبة عند الشيعة نشره عام ١٩٧١ بعنوان (نشوء وتطور عقيدة الشهادة الثلاثية عند الشيعة الإثنى عشرية)[٢]، وإعاد آراءه بخصوص مكانة المجتهد عند الشيعة في بحث نشره عام ١٩٧٩ أي على أعقاب نجاح الثورة الإسلامية في إيران بعنوان (بعض الأفكار الخاطئة المتعلقة بالوضعية الشرعية للعلماء أو الفقهاء الإيرانيين)[٣]، وتطرق فيه إلى عدم صحة الرأي القائل أن سلطة وولاية المجتهد مطلقة إنما محصورة ومقصورة معتمداً على رواية

Arabic and Islamic Studies in Honor of Hamilton Gibb (Leiden E. J. Brill 1965) P. 122-23.

(١) Eliash, J, "The Shiite Quran: A reconsideration of Goldzeiher's inter pretation" in Arabica, Volume 16 (1969) pp. 15-24.

(٢) Idem., (On the Genesis and Development of the Twelver Shii three Tenet Shahada) in Der Islam Volume 47 (1971) pp. 265-72.

(٣) Idem., (Some Misconceptions Regarding the Juridical status of the Iranian Ulama" in IJMES Volume 10/1979.

أوردها الشيخ الكليني تمثل جواب الإمام الصادق[١] عن سؤال وجهه إليه عمر بن حنظلة.

ومما يستحق الذكر أن هناك مستشرقاً إسرائيلياً مهماً آخر عاصر المستشرق جوزيف الياش وهو البروفسور إيتان كوهلبرغ Kohlberg الحائز على عدة جوائز عالمية وذلك لتميز إسهاماته في التاريخ الإسلامي بصورة عامة وتاريخ التشيع الإمامي الإثنى عشري بصورة خاصة مثل جائزة Emet وجائزة روتشيلد Rothschid عام ٢٠٠٨. ونال درجة الدكتوراه من جامعة اكسفورد في بريطانيا سنة ١٩٧١، ووصف بأنه من الباحثين الموثوقين في موضوع التشيع فضلاً عن إسهاماته في التاريخ الإسلامي وتاريخ الأدب والعلوم العربية. وهو يشغل مرتبة أستاذ اللغة والأدب العربي في الجامعة العبرية لأنه تخرج في قسم الدراسات الشرقية في جامعة اكسفورد؛ كذلك فإنه عمل عضواً في مجلة أورشليم (القدس) للدراسات العربية والإسلامية، ويعدّ أحد المستشرقين المشهورين في إسرائيل والعالم، واعتمد عليه الباحثون المسلمون والغربيون على حد سواء أمثال الشيخ رسول جعفريان في كتابه (التشيع في إيران) ولعله من الصحيح القول أن كوهلبرغ قد خصّص جلّ اهتمامه وبحوثه عن التشيع الإثنى عشري سواء كان هذا الإسهام على شكل بحوث في المجلات العالمية أم بصيغة مقالات في دائرة المعارف الإسلامية أمثال بحوثه عن الإمامين السجاد والباقر وترجم الإمام زين العابدين

---

(١) Ibid., p. 14.

إلى اللغة الإنجليزية بهذه الصيغة Ornament of Worshippers وكتب مقالة (الوصي) في دائرة المعارف الإسلامية، وقف فيها على عقيدة الإمامية في الوصي ومهمته في دعم الشريعة التي وضعها آدم والرسل من بعده. ويرى أن هناك أثني عشر وصياً، ووقف على موضوع الوريث والولي. وكتب كوهلبرغ عام ١٩٧٩م بحثاً عن استعمال الشيعة الإمامية لمصطلح الرافضة بأنهم الذين رفضوا الشيطان أو أولئك الذين ثاروا ضد الظلم[١] وكتب أيضاً بحثاً عن السند الشيعي في الأحاديث الواردة عن أئمة أهل البيت بعنوان (إسناد شيعي غير مألوف)[٢]، وفي عام ١٩٨٠ نشر بحثاً يتناول موضوع الإمام المهدي بعنوان (بعض وجهات النظر الشيعية في مسألة سرمدية أو أسبقية[٣] العالم) كذلك ألف بحثاً عن (بعض تفسيرات الشيعة الإمامية للتاريخ الأموي)[٤]. فضلاً عن ذلك فقد نشط البروفسور كوهلبرغ في نهاية الثمانينيات والتسعينيات من القرن العشرين في دراسة أمور تتعلق بالغيبة وبالإمام المهدي منها بحثه الذي تحول إلى

---

(١) Kohlberg, E. "The term Rafida in imami usage" in JAOS (volume XCIX 1979)pp. 77-79.

(٢) Idem., (Ununsal Shia Isnad" in Israel Oriental Studies (1975) Volume 5 Pp. 142-49.

(٣) Idem., (Some Shiite Views of the antediluvian World) -in Studia Islamica Volume 52 (1980) 41-66.

(٤) Idem., (Some Imami shia inter pretations of Umayyad History "in Studies on the first century of the Islamic Society (ed.) G. H Juyboll Carbondale and Edwardsville (1982) pp. 145-53 ,249-57.

كتاب يتضمن عدة بحوث وهو (الإمام والمجتمع في فترة ما قبل الغيبة)[١]، نشره عام ١٩٨٨ في كتاب حققه سيد أمير آرجمند بعنوان (الولاية والثقافة السياسية عند الشيعة)، وقبل هذا البحث المتعلق بالولاية عند الشيعة نشر بحثاً مهماً بعنوان (من الإمامية إلى الإثنى عشرية)[٢]، وفي عام ١٩٩١ نشر كتابه الموسوم (العقيدة والشريعة عند الشيعة الإمامية)[٣]، والكتاب يضم عدة فصول أو بالأحرى عدة بحوث ألفها المستشرق نفسه وأطلق على الكتاب (مجموعة دراسات) وألف بحثاً قيماً عن العلامة رضي الدين ابن طاووس المتوفى سنة ٦٦٤هـ/١٢٦٦، درس فيه بأسلوب تحليلي عميق طرق ومناهج البحث العلمي في القرن الثالث عشر للميلاد. والكتاب يعد مصدراً مهماً لمن يطلب المزيد عن مناهج البحث والاستقصاء العلمي للرواية الشيعية الإثنى عشرية، ورواية غيبة الإمام[٤]. ومن بين المواضيع التي اهتم بها المستشرق كوهلبرغ الجدل الفرقي ضمن المذهب الإمامي الإثنى عشري المتمثل بالجدل بين الاخباريين

---

(١) Idem., (Imam and Community in the pre - Ghayba period) in Said Amir Arjomand (ed.) in Authority and Political Culture in Shiism (1988) pp. 25-53.

(٢) Idem., (From Imamiyya to Itha ahriyya" in BSOAS (Volume 39 (1967) Pp. 521-34.

(٣) Idem., Belief and Law in Imami Shiism (1991).

(٤) Idem., A Medival Muslim Scholar at Work: Ibn Tawus and his library (Brill 1992) series (Islamic Philosophy, Theoligy and Science, Texts ans Studies 12.

والأصوليين، وهي مسألة سوف نتطرق إليها في موضوع الاستشراق والفرق الغالية والمتصوفة، فضلاً عن هذا فقد ألف بحثاً آخر مهم حول مصطلح أو تعبير(الإثنى عشرية) بعنوان (دليل مبكر عن مصطلح الإثنى عشرية ونشره الأستاذان لفت وتيرنر Luft Turner في كتابهما المحقق (التشيع) في الجزء الأول منه[1]، وحقق كتاب نشره في الجامعة العبرية ضمن سلسلة بعنوان (تشكيل العالم الإسلامي القديم) بعنوان (التشيع Shiism) وقد ضم مجموعة قيّمة من الأبحاث مثل بحث محمد أمير معزى وكرو ومادولنك وفيرينا كليم ووداد القاضي وتكر Tucker وجوزيف فان أس Ess وباتريشا كرون Patricia Crone وكوهلبرغ[2].

ومن بين المستشرقين الآخرين الذين درسوا التشيع المستشرق يوري روبين Uri Rubin أستاذ في قسم الدراسات العربية والإسلامية في جامعة تل أبيب، وهو متخصص في الإسلام عموماً، وفي دراسة القرآن الكريم وتفسير القرآن والسيرة النبوية والحديث الشريف. وقد اشترك مع ديفيد فزرشتاين D. Wasserstein في تأليف كتاب عن أهل الذمة وآخرين اليهود، المسيحيين والعالم الإسلامي القديم) نشر ضمن سلسلة الدراسات الشرقية الإسرائيلية عدد ١٧ عام ١٩٩٧.
وروبين يعمل مستشاراً علمياً في لجنة دائرة المعارف القرآنية (ليدن -

---

(١) Idem., (Early attestation on the term ithna) ashariyyà in Paul Luft and Colin Turner (editors) Shiism (Op- Cit) Vol. I Origins and Evolution.

(٢) Idem., Shiism. (Hebrew University of Jerusalem series'The Formation of the classical Islamic World (no. 33).

بريل ٢٠٠١)، وفي مجال التشيع فإنه ألف بحثاً أصبح مصدراً لعدد من المستشرقين عنوانه (أنبياء وأسلاف في الرواية المبكر للشيعة)[١]، المنشور في مجلة دراسات أورشليم (القدس) في العربية والإسلام.

والمقصود بالأسلاف ما يتعلق بأولي الرحم والشرعية، فالإمام علي وريث النبي محمد، وأن عقيدة نور محمد تفيد بأن النبي والأئمة من بعده استمرار للخط الإلهي؛ فوقف على عقيدة المهدي المنتظر ضمن هذا السياق، كذلك وقف على موضوع للمقارنة وهو أهل البيت من الأئمة الأطهار، قبالة بني إسرائيل في قصص الأنبياء، وأورد رؤية قابلة للمناقشة والتفنيد إذ أعتقد بأن لابن سبأ دوراً في ترويج الفكرة عن العلاقة بين رسول الله والإمام علي وهي تشابه العلاقة بين يوشع[٢] Joshua وموسى. واعتمد على هذه الدراسة عدد من الباحثين والمستشرقين أمثال الأستاذة أرزينا للاني Arzina, R. Lalani في كتابها (الفكر الشيعي المبكر) وبول لفت Luft في كتابه (التشيع Shiism).

والمستشرق مائير بار آشر M. Bar - Asher هو الآخر من المهتمين في هذا الحقل فألف عدة أبحاث تركز على الأحاديث الشيعية منها البحث المنشور باللغة الفرنسية بعنوان (حديثان حول

---

(١) وأعيد نشر البحث في مجلة IOS مجلد 5 Uri, Rubin: "Prophets and Progenitors in the early Shia Tradition" in Jerusalem Studies in Arabic and Islam (volume 1) عام 1979 pp. 50-77.

(٢) IBID., P. 53,58,60.

الفرق والبدع في تفسيرين إماميين قديمين للقرآن)[١]، المنشور في مجلة آريبكا Arabica عام ١٩٩٠، والآخر بعنوان (قراءات مختلفة وإضافات للشيعة الإمامية في القرآن) المنشور في مجلة الدراسات الإسرائيلية الشرقية)[٢]، وفي كلا البحثين اعتمد المستشرق على المصادر الشيعية الأساس من التفاسير كتفسير علي بن إبراهيم القمي وتفسير فرات الكوفي وتفسير العياشي وتفسير النعماني فضلاً عن أصول الفقه الأربعة والمؤلفات الإمامية المتأخرة، ووقف على أحاديث الغيبة والآيات القرآنية التي اهتم إلى الإمام المهدي. كذلك لابد من الإشارة إلى المستشرق الإسرائيلي شلهايم R. Sellheim الذي كتب باللغة الألمانية بحثاً حول العلاقة بين نظرية (نور محمد وانتقاله إلى الإمام علي وأولاده، مقارنة ببني إسرائيل وعنوان بحثه (نبي وخليفة وتاريخ)[٣]، نشره في مجلة Oriens عام ١٩٦٥-١٩٦٦.

وكذلك هناك المستشرق يتسحاق نقاش(أو نكاش) Yitzhak Nakash، الأستاذ في جامعة برانديس Brandeis وهو أستاذ تاريخ الشرق الأوسط وقد نال درجة الدكتوراه في ميدان التشيع في العراق في التاريخ الحديث، لهذا فأنه ألف كتاباً عن (الشيعة والمستقبل في

(١) Bar - Asher, Meir: "Deux traditions heterdoxes dans Les anciens commentaries Imamates du Quran" in Arabica, Volume 37 (1990).

(٢) Idem. ," Variant readings and additions of the Imami - Shia to the Quran" in Israel Oriental studies, volume 35 (1993) pp. 86-113.

(٣) Sellheim. R. "Prophet, Chalif and Geschichte" in Oriens (18-19) 1965-66. ,
وله كتاب بعنوان: (محمد)

العراق، دراسة في الشؤون الخارجية)، نشره في جامعة برانديس الأمريكية، كما نشر بحثاً عن الشيعة في كتاب الطبري حول الجهاد وهو ترجمة للنص مع دراسة لمفهوم الجهاد عند الشيعة وفي زمن ظهور المهدي ونشره عام ٢٠٠٧. ثم ألف كتاباً بعنوان (الوصول إلى السلطة، الشيعة في العالم العربي الحديث)[١]، وأسهم في مؤتمر عن إيران والغرب عام ٢٠٠٧ الذي اعتنت بعقده مؤسسة لدراسة الأفكار والمفاهيم الاجتماعية المستقلة؛ وأسهم أيضاً في كتاب بعنوان (الشيعة الآخرون:- من البحر الأبيض المتوسط إلى آسيا الوسطى)، الذي حققه كل من أليسندرو مونسوني وسلفيا نيف وفريان سبحي. وكان بحثه بعنوان (الشعائر والممارسات الاجتماعية كصنّاع للهوية: شعائر المحرم وتبجيل الأولياء بين شيعة العراق)[٢].

---

(١) Yitzhak, Nakash: The Shia in the modern al- Tabari book of Jihad (Edwin Mllen Press 2007, Idem.: The Shia in the Modern Arab World (2007).

(٢) Idem., Reaching for power. The shia in the modern Arab World (2207), (Dissertation) Higle Stakes in Iraǹ in Symposuium on Iran and the West (Foundation for the Study of Indendent Social ideas (2007). Idem. "Rituals and Social practices as identity makers :The Muharram rituals and the cult of the saints among Iraqi Shiite" inDie Welt des Islam Volume 33 Pp. 161-181.

وقفة مع الدراسات الإسرائيلية

لاحظنا أن الاستشراق الإسرائيلي الحديث يقلل من أهمية دراسات المستشرقين اليهود القدامى، غير أن المستشرقين المحدثين يسيرون على المنهج الشكّي نفسه الذي اتسم به منهج جولد تسيهر وغيره. فمثلاً نجد المستشرق كوهلبرغ في بحثه عن الإمام والمجتمع في حقبة ما قبل الغيبة، يثير عدداً من النقاط والتساؤلات الشكّية بشأن كتاب التفسير للإمام الحسن العسكري منطلقاً من مبدأ أن الشيخ الصدوق ابن بابويه هو المصدر الوحيد الذي أتى على ذكر ذلك. كذلك فإنه حينما يتحدث عن دور زرارة بن أعين نراه يركز، كما هو مألوف عند غيره من المستشرقين، على تسمية جده وكونه كان راهباً بيزنطياً، وذلك لأنه يريد الإنتقال إلى فكرة أخرى وهي الفكرة المتعلقة بآراء زرارة الفقهية عند الشيعة تلك التي حاجج فيها الإمام الباقر، فعند المستشرق كوهلبرغ أن موقف زرارة العلمي ربما كان نتيجة لأصوله المسيحية[1]. كذلك يركز عدد من المستشرقين الإسرائيليين على مسألة طالما تكررت عندهم وعند غيرهم بأن الشيعة الإثنى عشرية قد تأثروا بالنسبة إلى عقيدة المهدي المنتظر، وبالنسبة إلى عقائد أخرى بالنصوص اليهودية والمسيحية.

فإنهم باستمرار يؤولون الأمر إلى اقتباسات من السفر الأول

(١) see Kohlberg, (Imam and Community) p. 41.

Genesis، فالبروفسور كوهلبرغ مثلاً يقول إن النعماني في كتابه (الغيبة) المطبوع في طهران عام ١٣١٨هجري ص ١-٢، ٥١-٥٤) قد اعتمد في آرائه حول الأئمة الإثنى عشر، وعن عقيدة الغيبة على كتاب أمثال سليمان Mishle sulaman [(١)]، وكذلك في رأيه الآخر حول التأثير التوراتي على التدوين التاريخي الإسلامي؛ فإنه وظّف ما جاء في بحث المستشرق المعروف روزنثال F. Rosenthal الموسوم بـ (أثر الرواية التوراتية على التدوين التاريخي الإسلامي) المنشور ضمن بحوث كتاب (مؤرخو الشرق الأوسط)[(٢)].

هذه النقاط وغيرها تعدّ أشبه بأفكار واستنتاجات جاهزة يلجأ إليها المستشرقون دوماً سواء كانوا في إسرائيل أم عند غيرهم من المستشرقين الأوربيين، ومما لا شك فيه فإن كوهلبرغ وغيره من المستشرقين قد غالوا في آرائهم وبالغوا في إظهار هذا التأثير أو ذاك على عقيدة المهدي المنتظر إلى حد كبير بهدف التقليل من أصالة الفكر، أي فكر، ولاسيما الفكر الإسلامي وإظهار الإسلام عامة، والعقائد الشيعية خاصة على أنها متأثرة بالعقلية الغربية وبالكتب الدينية القديمة وبالتوراة والإنجيل، وإن كانت الحضارات تتفاعل وتتأثر وتؤثر في بعضها فإنما حال حضارية صحية. حتى وإن أفترضنا جدلاً وجود إشارات عند الشيخ أبي جعفر الطوسي أو الشيخ النعماني فهذا لا يؤشر إلى خضوعهما لمؤثر توراتي فقط،

---

(١) Idem., (From Imamiyya) p. 526.

(٢) F. Rosenthal (The influence of the Bibical Tradition on Muslim Hisoriography) in professor Holt and B. Lewis (eds.) Historians of the Middle East (London 1962) Pp. 35-45.

وربما يؤشر إلى سعة إطلاع هؤلاء العلماء وسعة أفقهم في معرفة التراث الديني في الديانات التوحيدية السماوية، إنها حال تبين بجلاء جهود العلماء في المتابعة والإطلاع على الموروثات الحضارية الأخرى.

ومع ذلك فعلينا الإشارة إلى الاهتمام المتزايد من بعض المستشرقين الإسرائيليين في ميدان التشيع وميدان عقيدة الغيبة والمهدي المنتظر إما بشكل بحوث ودراسات معمقة أو بشكل كتب مفردة أو جامعة، حقيقة أن الثورة الإسلامية في إيران قد صعّدت مثل هذه التوجهات، ولكن الأهم من ذلك موقف الثورة منذ نجاحها من إسرائيل وعلاقتها بفلسطين وإحتلالها الأراضي العربية، فهو حسب اعتقادنا الأساس في العلاقة الجدلية بين السياسية والتدوين التاريخي عن عقائد الشيعة أو عن التشيع عامة، فلا غرابة أن يتجه المستشرقون لدراسة الإمامية الإثنى عشرية على وجه التحديد.

فكانت - بالإضافة الدراسات السابقة - دراسة جان أولاف بلشفيلدت Jan - Olaf Bilchfeldt الموسومة (المهدية المبكرة الدين والسياسة في الفترة التكوينية للإسلام)(١)، المطبوع في ليدن ١٩٨٥، إذ درس هنا المستشرق المهدوية من جانبها التاريخي والعقيدي دون أن يغفل التركيز على الأثر اليهودي في نشأتها. كما وقفت المستشرقة هافا لازاروس يافا في دراستها الموسومة بـ(بعض المظاهر الدينية في الإسلام) على عقيدة المهدي بوصفها مظهراً دينياً

(١) Blichfeldt, Jan - Olat: Early Mahdism Politics and Religon in the Formative Period of Islam (Series Studies Orientalia Lunden Sia-2) 1985.

أساسياً عند الشيعة الإثنى عشرية[١]، ويتسحاق نقاش Yitzhak Nakash في بحثه (محاولة لتتبع أهمية الشعائر والطقوس في عاشوراء) المنشور عام ١٩٩٣[٢]، إذ تجسد هذا الشعائر معاناة المجتمع وهو يتخذ استشهاد الإمام الحسين مصدراً لإنقاذ البشرية في حال ظهور المهدي المنتظر، وذلك من أجل تحقيق العدالة ودحر الظلم والمعاناة. وكرر مثل هذه الأفكار الخاصة بعقيدة المهدي في أطروحته للدكتوراه من جامعة برنستون عام ١٩٩٢ بعنوان (التشيع والهوية الوطنية في العراق من سنة ١٩٠٨-١٩٥٨)[٣]. وهناك دراسة عن فكرة المهدوية في الديانة اليهودية كتبها المستشرق الإسرائيلي جرشوم شوليم Gershom Scholleim المتخصص في ميدان التصوف اليهودي[٤].

---

(١) Hava Lazarus - Yafeh: Some religious Aspects of Islam (Leiden 1981) Pp. 48-57.

(٢) Yitzhak Nakash: "An Attempt to Trace the origin of the rituals of Ashura" in Die Welt des Islam, Volume 33 (1993) pp. 161-181.

(٣) Idem., Shiism and National Identity in Iraq 1908-58 (Ph. D. dissertation, Princeton University 1992).

(٤) Scholem . Gershom; - The Messianic Idea in Judiasm and other essays On Jewish spirituality (1971).

الفصل الثامن

أئمة أهل البيت في دراسات المستشرقين

من التوجهات المهمة في دراسات المستشرقين في بلدان أوربية مختلفة الكتابة عن سير الكثير من أئمة أهل البيت الأطهار، أو عن تحليل مواقفهم السياسية والعقائدية، أو عن علاقاتهم بالأحداث السياسية والدينية التي شهدها التاريخ الإسلامي في قرونه الأولى. والملاحظة العامة التي تجدر التنويه إليها في بداية الأمر أن المستشرقين الذين درسوا الخلافة الإسلامية عامة، أو تاريخ الأحداث السياسية خلال القرن الأول الهجري/الثامن الميلادي، أو تاريخ السيرة النبوية المطّهرة، تحت عنوان (حياة محمد)، أو الذين وقفوا على تاريخ المعارضة السياسية في الإسلام في القرن الأول الهجري؛ لابد من أن يأتوا على ذكر الإمام علي وخلافته أو علاقته بالأمويين والخوارج وتحليل مواقفه السياسية وأسلوب معالجته لتلك الأحداث، وعلاقته بالشخصيات الفاعلة زمن الخلفاء الراشدين الصحابة صحابة رسول الله.

والبعض من المستشرقين نظير:- المستشرق موللر الألماني[١] A. Muller في كتابه عن الإسلام في العصور الوسطى المطبوع في برلين عام ١٨٨٥ والمستشرق فايل G. Weil في كتابه تاريخ الخلفاء

(١) Muller. A: Der Islam in Morgen und Abenland (Berlin 1885-1557). Volume I pp. 308-34.

بثلاثة أجزاء المطبوع في منهايم Mannhein في ١٨٤٦-١٨٦١[١]، وفون كريمر Von Kremer في دراسته المتعلقة بتاريخ الفرق(أو البدع) في الإسلام المطبوع في لايبزك عام ١٨٦٨[٢] ومؤلفات فلها وزن J. Wellhausen عن المعارضة الدينية السياسية في الإسلام[٣]، وهو كتاب قد ترجم إلى اللغة العربية وأول طبعة له في برلين عام ١٩٠١م، ودراسته الأخرى عن الدولة العربية[٤]، التي ترجمت إلى اللغة العربية أيضاً، وقد طبعت أولاً في برلين عام ١٩٠٢، ودراسته الثالثة التي طبعت في برلين عام ١٨٩٩ بعنوان Skizzen u, Vorabeiten [٥]، وجميع هذه الدراسات التي ألفها هذا المستشرق قد اعتمدها الباحثون العرب والاجانب على حد سواء، وكذلك مؤلفات المستشرق المجري جولد تسيهر I. Goldzhier كدراسته عن تاريخ أدب الجدل الشيعي السني المنشورة في عام ١٨٧٤م[٦]، ودراسته حول (مذهب التقية في الإسلام)[٧]، المنشورة في مجلة ZDMG عام ١٩٠٦، وكتابه (العقيدة والشريعة في الإسلام)، الذي

---

(١) Weil, G: Geschichte der Cha;ifen, Mannheim 1846-61.

(٢) Von Kremer, A. Geschichte de herrschenden ideen des Islam (Leipzig 1868).

(٣) Wellhausea, Julius Die Reigioes - Politischen Oppositious partien im alten Islam (Berlin 1901).

(٤) Idem., Arabiche Reich (Berlin 1902) Pp. 25-71

(٥) Idem., Skizzen u. Vorarbeiten, Volume 6 (Berlin 1899) Pp. 113-146.

(٦) Goldzhier, I, Beitrage sur Literatur gezchte der Shia und der Sunnitichen (Acadeimic der Wissenschaften 1874).

(٧) idem., Das prinzip der Takiya in Islam" in ZDMG Volume 9 1900.

ترجم إلى الفرنسية والعربية وطبع أولاً عام ١٩٢٠[١]. كذلك فإن المستشرق المبشر الفرنسي هنري لامانس h,Lammens قد وقف كثيراً على الإمام علي في كتابه (دراسات عن حكم معاوية الأول)[٢]، المنشور في باريس عام ١٩٠٨ معتمداً بالدرجة الأساس على ما أورده البلاذري في أنساب الأشراف الجزئين الخاصين بالإمام علي ومعاوية فضلاً عن موقفه من الإمام في كتابه (فاطمة وبنات محمد)[٣]، وفي بحوثه في دائرة المعارف الإسلامية الطبعة القديمة عن (أذرح) المكان الذي وقع فيه التحكيم في أعقاب معركة صفين، وعن الإمامين الحسن والحسين.

فضلاً عن دراسة المستشرق السويدي سنوك هورجرونجيه Hurgronje الموسومة (المحمدية) المنشورة في أمريكا عام ١٩١٦[٤]، ودراسة نولدكه Noldeke (حول التشيع) المنشورة في مجلة Der Islam عام ١٩٢٣، كذلك الدراسات العامة عن (الخلافة) التي ألفها السير توماس آرنولد T. W. Arnold بعنوان (الخلافة) المطبوع في اكسفورد عام ١٩٢٤ التي ترجمت إلى اللغة العربية. ودراسة السير وليم موير W,Muir بعنوان (الخلافة: ظهورها وتدهورها ثم سقوطها)[٥]، المطبوعة طبعة ثانية عام ١٩٢٤

---

(١) idem., Vorlesungen uder Islam 1920.

(٢) Lammens, H, Etudes sur Le Regne du ca;ife omaiyade Muawia I (paris 1908).

(٣) Idem., Fatima of Les filles de Mahimet (Rome 1912).

(٤) Hurgronje,C. Snouck: Muhammedanism. (Lectures, USA. 1916).

(٥) Muir. Sir William: The Caliphate. Its Rise, Decline, and fall (Secoud Edition 1924 London).

في (لندن) التي ترجمت أيضاً إلى اللغة العربية وغيرها من الدراسات العامة حول التاريخ الإسلامي والخلافة فإنها جميعاً قد تطرقت إلى خلافة الإمام علي ووقفت على رواية شخصيته وحياته وعلاقته بالأحداث السياسية التي شهدها المجتمع الإسلامي. فمنهم من قدّم رأيه كالذي كتبه المستشرق لامانس من تفسيرات معادية للإمام في علاقته مع معاوية، مع العلم بأن هذا المستشرق في بحثه عن (مؤامرة أبي بكر وعمر وأبي عبيدة)[١]، المنشور في مجلة دراسات الكلية الشرقية في جامعة St. Joseph سنت جوزيف في بيروت عام ١٩١٠؛ إذ درس فيه سقيفة بني ساعدة وكيف انتهت مسألة ترشيح وانتخاب الخليفة أبي بكر ومشروع إبعاد أو عزل بني هاشم ولاسيما علي من الخلافة.

كان لامانس في هذا العرض يعتمد رواية البلاذري والطبري. وقد بيّن وجهة نظره في الإمام بقوله إن أحداث بني ساعدة قد برهنت على بطء الإمام وعدم كفايته في اتخاذ القرار السريع الحاسم، وحسب رأيه الذي اعتمد فيه على رواية محمد بن سعد أن النبي لم يكن راغباً في أختيار الإمام خليفة[٢]، وهو رأي قابل للمناقشة والمحاججة ولا يتفق مع الروايات التاريخية الموثقة التي تسلط الضوء وتؤكد بناءاً على سلوك رسول الله وأقواله الواضحة والمباشرة

---

(١) Lammens, H. (Le triumvirat Abou Bakr, Omar et Abou Obaida) in Melanges de La Faculte orientale de L'Universite st Joseph de Beyrouth (Volume 4 1910) Pp. 94-144 see Madelung, W,. The Succession of Muhammad: A study of the early Caliphate (Cambridge University Press 1997 p. 2,3).

(٢) Lammens, (Le triumuriate) P. 99.

ثقته بالإمام علي؛ وكذلك الرواية المتفق عليها في المصادر بشأن بيعة الولاية في غدير خم، جميع ذلك يظهر عدم صحة استنتاج لامانس.

وعلاوة على ما ذكرنا في هذه اللوحة من دراسات المستشرقين العامة، فإن المستشرق الإيطالي المشهور كيتاني Caetani في دراسته الموسومة Annali حوليات الإسلام[١]، المطبوع في ميلانو عام ١٩٠٥-١٩٢٦، ففي الجزئين التاسع والعاشر قد خصص هذا المستشرق الحديث عن خلافة الإمام علي معتمداً على رواية البلاذري وعلى كتاب نصر بن مزاحم المنقري (واقعة صفين) فإنه قد ترجمها حرفياً، والمستشرق كيتاني كسلفه هنري لامانس يميل إلى الرأي نفسه[٢].

كذلك فإن المستشرق الألماني ثور نولدكه ThÁ Noldeke وقف على شخصية الإمام علي وعلى مبادئه في الإسلام، في بحثه حول التشيع الذي نشره في مجلة[٣] Der Islam سنة ١٩٢٣، والمستشرق نولدكه من المشهورين بدراساته عن التاريخ الإسلامي عامة، فضلاً عن دراسته التي سنشير إليها حول الإمام الحسين وكربلاء.

وفي الدراسات الاستشراقية الأخرى التي تطرقت إلى الإمام علي، الدراسة العامة التي ألفها الأب كانون سيل SELL حول

---

(١) Caetani, L. Annali dell' Islam (Milano 1905-1925) Volume x (10) P. 470, Volume 7 p. 15.

(٢) Ibid., Volume 11/1 P. 523, volume P. 123, Madelung Op. Cit. p 3,4.

(٣) Noldeke, Th. (Zur Ausbreitung der Schiitismus" in Der Islam 1923).

الأئمة الاثنى عشر، التي طبعها في مدراس عندما كان يقوم بالأعمال التبشيرية في الهند سنة ١٩٢٣(١٩).

والحال نفسها تنطبق على دراسات أخرى عامة قام بها المستشرقون عن حياة رسول الله كدراسة مارغليوث عن (محمد وظهور الإسلام)والسير وليم موير عن(حياة محمد) التي طبعها سنة ١٩٢٣، والأب بلير عن (أصول الإسلام)، وطبعها في مدراس عام ١٩٢٥ وغير ذلك من دراسات متعددة. وفي الاستشراق الحديث كتب البروفسور الألماني مادولنك كتابا عن رسول الله والخلفاء الراشدين من بعده(٢٠)، إذ خصّص فصلا مسهباً عن خلافة الإمام علي، تناول فيه حياته وصفاته وشأن خلافته والأحداث السياسية التي حدثت خلال مدة خلافته، معتمدا على المراجع التاريخية الأساسية وعلى المصادر الشيعية في ترجمة حياته.

ودراسة الأب كانون سيل المذكورة آنفا أنموذج من الدراسات بشأن أئمة أهل البيت الاثنى عشر، وقد صنفناها ضمن المؤلفات غير المباشرة في تعاملها مع سيرة الإمام علي منذ اعتناقه الإسلام وطيلة المدة التي لازم فيها مدرسة رسول الله مدرسة القرآن والعلم الإلهي مدرسة الأخلاق الإسلامية الحّقة. وقد توجه إلى مثل هذه الدراسات عن أئمة أهل البيت الأطهار مستشرقون آخرون، ففي سنة ١٩٢٦ نشر المستشرق المعروف بإنتاجه شتروسمان[١] كتاباً بعنوان (الشيعة الاثني عشرية) باللغة الألمانية وطبعها في لايبزك. والمفيد قوله ان شتروسمان قد اطّلع على عدد من المؤلفات الشيعية في

---

(١) Dwight M. Donaldson; The Shite Religion (London 1933).

كتابته عن الأئمة الأطهار، ولم يعوّل على الروايات من المصادر السنية؛ فاعتمد على مؤلفات رجال الشيخ الطوسي والكشي والنجاشي وابن شهراشوب ومحمد بن علي الإخباري والمطهر الحلي والبحراني ومحمد باقر المجلسي، ولاسيما حين أخضع للدرس عقيدة التشيع. والمستشرق شتروسمان قد ابتدأ دراسته عن الإمام علي بتفسيراته ورؤيته بالنسبة إلى إدارة الإمام للقضايا السياسية في سقيفة بني ساعدة وخلال خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وهي تفسيرات لا تختلف كثيراً عن رؤية وموقف المستشرق كيتاني المذكورة آنفا.

ويتمثل هذا المنهج في دراسة الأئمة الأطهار بصورة عامة بمعنى الكتابة عن الأئمة جميعهم في دراسة المستشرق البريطاني دونالدسون (الديانة الشيعية)[١] ومع أنها تعدّ من الدراسات الرائدة والمفصلة التي جمع فيها هذا المستشرق بين منهجين الكتابة عن كل إمام من الأئمة على حدة، والكتابة عن الأحداث السياسية المهمة، كالثورة العباسية، وظهور البويهيين ودراسة الأضرحة المقدسة في العراق وإيران، ودراسة التدوين الشيعي المبكر والمتأخر، فإن دونالدسون مثلا قد خصص فصلين عن الإمام علي[٢] أحدهما يتعلق بالإمام الخليفة الراشدي الرابع والآخر عن الإمام كونه أول إمام من أئمة أهل البيت عليهم السلام.

أما في الفصل الثالث المتعلق بالإمام، فأنه خصص للحديث عن ضريح الإمام في النجف الأشرف.

---

(١) Ibid.

(٢) Ibid. ,Pp. 27-40, pp. 41-53,Pp. 54-65.

ويستمر هذا المنهج العام حول موضوع التشيع، متبعا في الدراسات الكثيرة التي ألفها المستشرقون الألمان والبريطانيون والفرنسيون والأمريكان، بما يعبر عنه بـ(التشيع Shiism)، وهو منهج جامع بين دراسة تاريخية وعقيدية وكذلك في الفلسفة الإسلامية الشيعية؛ وهي كما هو واضح لا تخصص قدرا كبيرا من الاهتمام بالسيرة الذاتية للأئمة الأطهار، أو بدورهم في أحداث التاريخ الإسلامي بشكل خاص.

وهناك اتجاه آخرقام به المستشرقون في التوجه نحو دراسة الإمام علي بما له علاقة بالأحداث السياسية التي شهدتها مدة خلافته؛ وأقصد هنا أحداث الجمل وصفين والنهروان (الخوارج). إذ وقف المستشرقون في أمثال هذه الدراسات على الإمام علي الخليفة والخوارج بعد خروجهم عن جيش الإمام على إثر معركة صفين. فالمستشرق الألماني بروناو R. E. Brunnow ألف كتابا طبع في ليدن سنة ١٨٨٤ عن الخوارج في عهد الأمويين، ابتدأ الكتاب بدراسة الإمام علي ومعاوية[١]. كذلك فإن المستشرق الألماني المعروف جوليوس فلهاوزن قد أسهم في هذا المجال بعدد من الدراسات، من بينها، الشيعة والخوارج، وكذلك في كتابه المعارضة السياسة والدينية في الإسلام. فان الجزء الأول منه يتضمن موضوعا بعنوان (الخوارج)[٢]، والمستشرق الألماني ريشر O. Rescher قد ترجم رواية المبرد في الكامل بخصوص الخوارج

(١) Brunnow, R. E. Charidschitn unter den ersten Omayyaded (Lieden 1884).

(٢) J. Wellhausen,. ; Die religions-Politischen Opposittions Parteien im alten Islam I Die chavarig (1901).

في أثناء خلافة الإمام علي ودرس هذه الرواية بعنوان (الخوارج اعتمادا على رواية المبرد)[1]. فضلا عن ذلك فقد أشرنا إلى المستشرق الإيطالي كيتاني، وكيف أنه خصص الجزئين التاسع والعاشر من حولياته لترجمة النصوص التاريخية المتعلقة بمدة خلافة الإمام علي، كذلك ترجم معلومات أخرى تتعلق بالخوارج[2]. في الوقت نفسه فقد أشرنا إلى المستشرق الفرنسي لامانس في كتابه حول خلافة معاوية بن أبي سفيان اذ تحدث عن ظهور الخوارج وعلاقتهم السياسية بالإمام علي[3]. وللمستشرق الإيطالي كبريلي دراسة حول أصول حركة الخوارج نشرها في مجلة Rend. Lin عام ١٩٤١ - ١٩٤٢[4].

أما بخصوص الدراسات الاستشراقية عن العلاقة السياسية بين الإمام علي ومعاوية فقد تميزت المدرسة الاستشراقية الإيطالية والدانمركية بإنتاج عدد من المؤلفات التاريخية المهمة. فألفت المستشرقة الإيطالية فيسيا فاجيليري مجموعة من الدراسات المتعلقة بالإمام علي، وكذلك دراسات أخرى عن الإمام والخوارج منها دراستها حول صراع الإمام مع الخوارج وظهور الخوارج الإباضية، نشرتها عام ١٩٥٢. ولها بحث آخر في هذا الميدان نشرته عام.

---

(١) Recher,O. ;Die Kharidschiten Kapitel aus dem Kamil (Stuttgart 1922).

(٢) Caetani, Annali, Voliume 9 and 10 (1926 Rome).

(٣) Lammens,H. Etudes sur le Regne du calife Omaiyade Moawia (Paris 1908) ;(Adhroh) in Encyclopedia of Islam (Old Edition).

(٤) Gabrieli,F. (Sulle Origini de Movimento Harigitain) in Rendicontc della Reale Academia dei lincei ,classe di scieuze Morali ,Storiche e filologiche (1941) Volume 6 Pp. 110 - 7.

١٩٥٣ . والمستشرقة في هذين البحثين التفصيليين والمسهبين قد خصصت جانبا عن النزاع بين الإمام ومعاوية. فضلاً عن ذلك فإنها كتبت بحثاً عن الرواية التاريخية بخصوص النزاع بين الإمام ومعاوية وقد نشرتها سنة ١٩٥٣(١) . ومن بين هذه الدراسات المهمة القديمة التي درست الصراع بين الإمام علي ومعاوية دراسة ليفي دبلافيدا الإيطالي الموسومة بـ(الخليفة علي اعتمادا على كتاب أنساب الأشراف للبلاذري) نشره في مجلة RSO عام ١٩١٤ . وفي سنة ١٩٣٨ نشر دراسة أخرى عن (الخليفة معاوية الأول اعتمادا على كتاب انساب الاشراف لأحمد بن يحيى البلاذري)(٢)،

وتميزت المدرسة الدانمركية للإستشراق في إنتاجها عدد مهم من الدراسات عن الإمام علي ومعاوية نخص بالذكر دراسات البروفسور بيترسن، من بينها دراسته التي نال بها شهادة الدكتوراه الموسومة بـ(علي ومعاوية، دراسة في نشأة ونمو الكتابة التاريخية الإسلامية حتى نهاية القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي)(٣)،

---

(١) L. Veccia Vaglieri (Conflitto Ali- Muawiyae e la secession Kharigita riesaminati alla luce di fonti ibadite) in AIUON (1952) Pp. 1-94 ; idem (Traduzion di passi riguardanii il conflitto Ali - mouwiya e la successlone Khrigita) in AIVON (1953) P. 1-98; Idem (Kharidjites) in Encyclopidia of Islam (New Edition) Volume (4) Pp. 1074 - 77; Idem (Ali b. Abi Talib) in Encyclopedia of Islam, Volume (1) P. 381 - 386.

(٢) Levi della Vida, g. (IL califfo Ali second il kitab ansab al ashraf di Baladuri) in RSO Volume 6/19/14 (pp. 427 - 507 ; Idem, and O. Pinto ; il Califfo Muawiyah 1 secondo a kitab Ansab aL - Ashraf di Ahmad ibn Yahaya Al balduri (Rome 1938).

(٣) Petersen, E. Ladewig: Ali and Muawiyah. =

ودراسته الأخرى (علي ومعاوية - منذ ظهور الخلافة الأموية)[1] ودراسته الثالثة بعنوان (دراسات في التدوين التاريخي عن النزاع بين علي ومعاوية)، نشرها في مجلة Acta Orientalia عام ١٩٦٣[2] والملاحظة المهمة بالنسبة إلى دراسة المستشرق بيترسن انه يشدد في فهمه المتغيرات السياسية المؤثرة على نشأة وتطور التدوين التاريخي الإسلامي في المدة التي حدّها بحدود ثورة الأعراب من البصرة والكوفة ومصر (الفسطاط)، على الخليفة الثالث، معتبرا إياها الحدث المهم جدا الذي رسم شقا خطيرا في التاريخ، وظلت آثار هذا الشق متمثلة في الوقت الراهن بمسألة الشيعة والسنة. وهو تفسير معروف قد أخذ به الباحثون العرب ايضا، نظير دراسة الدكتور طه حسين في (الفتنة الكبرى). وفي الوقت نفسه شدّد مستشرقون آخرون على أن الأحداث التي شهدتها سقيفة بني ساعدة تعدّ النقطة الفصل في الانقسام والتخاصم في المجتمع الإسلامي سواء أكان ذلك عقيدياً أم سياسياً.

إذن نخلص إلى القول بأن المستشرقين الدانمركيين في تركيز دراساتهم على مسألة النزاع المسلح الذي وقع بين الخليفة الشرعي الإمام علي، وبين من تخلى عن بيعة الإمام أو الذي خرج عنها على أثر قتل الخليفة عثمان، وأعني معركة الجمل وصفين والنهراون،

= وقد قام الباحث عبد الجبار ناجي بترجمته إلى العربية ونشره في قم ٢٠٠٨.

(١) Idem, (Ali and Muawiyah: The rise of the Umayyah Caliphate) in Acta Oriantalia Volume 23 (1959).

(٢) Idem, (Studies on the historiography of the Ali and Muawiyah Conflict) in Acta Orientalia (Volume 27) 1963.

إنما يهدفون بوضوح إلى إبراز ما عانته الأمة الإسلامية من انقسام وتجزئة، بسبب ذلك النزاع المسلح.

ولهذا يمكننا القول بأن جميع هؤلاء إن كانوا مستسرقين ألمان أو دانماركيين أو غيرهم يسعون إلى تحديد حقب التجزئة والانقسام المذهبي بين المسلمين؛ عندئذ تسلط أضواء دراساتهم على هذه المشكلة المذهبية أو تلك لأجل استثمارها في أي اتجاه يسعون إليه. هذا فيما يتعلق بالدراسات الاستشراقية عن الإمام والشؤون السياسية في أثناء خلافته.

وهناك جمع من المستشرقين قد خصّصوا كتاباتهم عن شخصية الإمام علي وإسلامه، وأعماله في التاريخ الإسلامي وكذلك خلافته وما وقع خلالها من أحداث. ويعدّ المستشرق الدانماركي بهل من المستشرقين القدامى إذْ ألف كتابا في عام ١٩٢١ بعنوان (علي والخلافة) يرى فيه أن الإمام طالب بعد سقيفة بني ساعدة بالخلافة، وهو زعم لا تدعمه المرويات التاريخية الأساسية في كتاب الإمامة والسياسة لابن قتيبة أو في تاريخ الرسل والملوك للطبري(١). وكان (بهل Buhl) قد درس موقف الإمام السياسي في معاوية الذي أجّج الأحداث التي قادت في نهاية المطاف إلى معركة صفين في بحثه (صفين) المنشور في دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة القديمة).

وجدير بالذكر أن هذا المستشرق قد ألف كتابا عن حياة رسول الله أثار فيه عدة نقاط مثيرة تستحق المناقشة والمحاجة. وان دراساته سواء كانت تلك التي درست الإمام علي أو المتعلقة بالنبي

(١) Buhl, F. Ali som Praetendent og Kalif (Copenhagen1921).

قد اعتمدها المستشرقون في دراساتهم؛ وكذلك أشار إليها الباحثون المسلمون ايضا. وله دراسة ثالثة مهمة عن أوضاع الشيعة والعلويين في العهد الأموي(١). وفي هذه الدراسة ركز أولا على الجوانب السياسية في علاقة الإمام بمعاوية.

وقدم الاستشراق الدانماركي إسهامات أخرى من أهمها الدراسة التي تكرر الرجوع اليها من قبل المستشرقين عموما في محاولاتهم تأصيل الأفكار الغالية عند الشيعة - بحسب رأيهم - ألا وهي دراسة المستشرق فريدلاندر Friendlander - التي سيتكرر ذكرها لاحقاً - حول عبد الله بن سبأ، مؤسس التشيع كما وصفه هذا المستشرق وكذلك المستشرق البريطاني هودجسون. والأكثر أهمية أن فريدلاندر قد ضمّن عنوان بحثه المفصل بأن عبد الله بن سبأ كانت أصوله يهودية، وقد نشرها في عام ١٩٠٧ - ١٩٠٩(٢)، وهي دراسة بحاجة إلى ترجمة إلى اللغة العربية والفارسية، بهدف مناقشتها والرد عليها ولاسيما في المسائل المهمة، وذلك لأنها صارت مصدرا لمن يريد تشويه الحركة الشيعية في التاريخ؛ أو لمن يهدف إلى تشويه العقيدة في أصولها ومبادئها. وقد تتبع فريد لاندر ما طرح من معلومات بشأن شخصية ابن سبأ قبيل خلافة الإمام علي، ولاسيما في الأحداث التي أدت إلى قتل الخليفة عثمان. المهم ان هذه الدراسة سوف تقف بعض الشيء عند هذا الموضوع

---

(١) Idem., (Alidernes Stilling tel de shiitiske Bevaeeglser under Umajjaderne) in OVSF No,5 (Pp. 355-94 (KgL. Danska Viden Selsk, Forhandling No. 5).

(٢) Israel Friedlander "Abdullah b. Saba, Der Begrunder der Shia und sein judischer Ursprung (Lepzig) 1909;see also ZA Volume 23,25 (1909, 1910).

للتعقيب عليه ومناقشته، ومع ان دراسة فريدلاندر هي عن عبد الله بن سبأ، لا عن الإمام علي، لكن المستشرق، ركّز على موقف الإمام من هذه الشخصية الغالية، المختلقة في تاريخ التشيع.

و لعله من الأرجح أن يكون المستشرق سراسين Sarasin دانمركيا أيضا، أو سويديا، لكنه من مستشرقي الجيل الأول، وقد كتب دراسة نشرها في بازيل عام ١٩٠٧؛ والدراسة فريدة ومهمة بعنوان (علي في التدوين التاريخي السني)[١]، والمثير في هذه الدراسة انها تعكس تطورًا عند بعض المستشرقين، في توضيح أمر جدّيّ يتعلق بموقف المؤلفات التاريخية السنية وحكمها بالنسبة إلى الإمام علي وسيرته.

والمستشرق الراهب البريطاني كانون سيل، له إسهام عن شخصية الإمام علي ومبادئه بعنوان (تبجيل أو تقديس علي)، ونشر البحث في مجلة الأدب المسيحي للهند عام١٩١٠، وهو بحث يمت بصلة إلى الاستشراق القديم. ومع ان سيل قد اعتمد على عدد من المؤلفات الشيعية، فانه ركّز بصورة خاصة على آراء الفرق الغالية في الهند وإيران؛ بما يعني اسباغ صفات الألوهية على شخصية الإمام علي. في الوقت نفسه فان المستشرق قد وقف على ظاهرة مهمة في الفكر الشيعي الاثنى عشري خاصة، وهي مدى الاحترام والإجلال الذي يكنّه الشيعة للإمام علي وآل بيته الأطهار عليهم السلام، وذلك للدور الفاعل الذي أدّاة خدمة للإسلام ومبادئه وقيمه لتأسيس مجتمع عادل وكذلك للأعمال الجسيمة التي قام بها بما يقوي العزيمة بالله

(١) Sarasin W.: Das Bild Alis bei den Historikern der Sunna (Basel 1907).

والإيمان برسوله والدعوة بالعمل الصالح والشجاعة في الدفاع عن الدين الإسلامي ورسوله الكريم.

وللمستشرق سيل دراسة أخرى مهمة إذ كتب بحثا بعنوان (الاثنى عشرية)[١]، وقف فيه أيضا على حياة الإمام علي وأئمة أهل البيت الأطهار. ولأهمية هذا البحث في عمله التبشيري وفي نشر المعرفة بالمذهب الإمامي الاثنى عشري، فقد قام المستشرق بترجمته إلى اللغة الأردية[٢] بغية تسهيل[٣] قراءته من قبل القراء الهنود والباكستانيين، وقد نشر البحث في لاهور ضمن كتاب الجمعية الدينية في البنجاب عام[٤] ١٩٢٥. وفي هذا البحث أيضا رجع سيل إلى المكتبة الشيعية المتوافرة آنذاك. كذلك علينا الإشارة مرة أخرى إلى الأب المبشر دوايت دونالدسون D. Donaldson، المذكور آنفا (الديانة الشيعية)[٥] المطبوع عام ١٩٣٣، فانه قد خصص ثلاثة فصول تتعلق بالإمام علي معتمدا على الكثير من المؤلفات الشيعية التاريخية والفقهية أمثال كتاب (مجمع الفقيه) لزيد بن علي الذي حققه جريفيني عام ١٩١٩، وتم طبعه في ميلانو، وكتاب الكافي للشيخ العلامة الكليني، وكتاب من لا يحضره الفقيه

---

(١) Sell, The Revernt Canon Edward ;(The Cult of Ali) In Madras, Christian literature Society for India (1910).

(٢) Idem. ,(Ithan Ashariyya or The Twelver Shiah Imams'Madras 1923).

(٣) Ibid.

(٤) Idem (Iithna Ashariyya) Lahor Punjab Religion book Society (1925).

(٥) Donaldson, Dwight ; The Shiite Religion: A history of Islam In Persia and Irak (London 1933).

وكمال الدين للعلامة الشيخ الصدوق ابن بابويه القمي، وكتاب تهذيب الأحكام والاستبصار للعلامة الشيخ الطوسي.

وهذه هي الكتب الأربعة الشيعية المعتمدة، واعتمد على مؤلفات العلامة المجلسي نظير بحار الأنوار ومشكاة الأنوار وحلية المتقين وكتاب حث اليقين وكتاب زاد المعاد، وكتاب تحفة الزائرين، وكتاب حياة القلوب، وكتاب تذكرة الأئمة. واعتمد مؤلفات العلامة العاملي وعلي أصغر البروجردي (التحفة الرضوية) وغيرهم من العلماء الشيعة.

والمستشرقون البريطانيون الآخرون من أمثال ادوارد براون في مؤلفه الضخم عن الأدب الفارسي، والمستشرق نيكلسون في تاريخ الأدب العربي، وما كتبه في دائرة المعارف الإسلامية، الطبعة القديمة، عن الإمام علي. والمستشرق الاسكتلندي موير في مؤلفه (حوليات الخلافة الأولى)، وفي كتابه الآخر (حياة محمد). وما قدمه المستشرق (غي لسترنج) من وصف لمدينة النجف الأشرف في كتابه (بلدان الخلافة الشرقية)[1]. فجميع هؤلاء قد أتوا في مؤلفاتهم على ذكر الإمام علي سواء أكان ذلك في الإشارة إلى حياته الأولى مع رسول الله أم إلى انجازاته في الإسلام أم إلى حقبة خلافته.

والملاحظ على دراسات المستشرقين بشأن سيرة الإمام علي قد

---

(١) see Muir, sir w. The caliphate its rise, decline and fall (second Edition London 1924) idem: The life of Mahomet (Edinburgh1923): idem, Annales of the early Caliphate (London1923), Le Strange, G; The lands of the Eastern Caliphate(Cambirge 1905).

وقد ترجم إلى العربية بعنوان (بلدان الخلافة الشرقية).

شهدت تطورا في مواقفهم وأحكامهم، وهذا التطور يرتبط ارتباطا قويا بما كان معروف في أوربا من مصادر إسلامية أصلية أو من مصادر شيعية لم تكن في متناول أيدي المستشرقين من الجيل الأول، سوى مجموعة قليلة من المصادر التاريخية التي تم تحقيقها أو ترجمتها، وكانت رواية محمد بن سعد البصري في الطبقات الكبرى التي هي في حقيقتها طبقات شيخه الواقدي؛ إذ كان الواقدي يميل إلى العباسيين، ودخل في خدمة المأمون العباسي، وتولى قضاء الجانب الغربي من بغداد حتى وفاته، في سنة ٢٠٧هـ ٨٢٢[١].

ووقف منه علماء الحديث وأئمته موقفا سلبيا فطعنه الشافعي وأتهمه بالكذب واتهمه الإمام أحمد بن حنبل بقوله انه كان يقلب الأحاديث الشريفة وأسانيدها إلى غير رواتها تارة وبالكذب تارة أخرى[٢]، ولهذا السبب فإن هؤلاء استنتجوا استنتاجات غير صحيحة وأحيانا حاقدة بشأن الإمام وفسروا روايات ابن سعد وغيره من علماء أهل السنة بشكل يحيد عن الحقيقة. فمثلا يذكر مؤلفا كتاب (الرومان الكاثوليك والمسلمون الشيعة)[٣] أن المستشرقين قد فهموا التشيع تاريخيا على ضوء أدب الفرق السنية، وقد اعتمدوا في هذا الرأي على ما طرحه المستشرق البريطاني مارشال هودجسون

(١) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، ج٣، ص ٤.

(٢) ابن أبي حاتم الرازي، الجرح والتعديل (بيروت، ١٩٥٢) ج٨ ص٢٠، العقيلي، أبو جعفر، ضعفاء العقيلي (تحقيق عبد المعطي أمين قلعجي (دار الكتب العلمية) بيروت، ١٩٨٤) ج ٤ صفحة ١٠٨.

(٣) Jqames A. Bill and John Williams (Roman Catholics and Shii Muslims) Op. Cit. P. 13.

في كتابه (مغامرة الإسلام) المطبوع في شيكاغو عام١٩٧٤[١]، وقد رأى هؤلاء انه على المستشرقين ان يعيدوا النظرفي طروحاتهم التي اعتمدوا فيها على مؤلفات ابن حزم الظاهري، والشهرستاني، والبغدادي، والمقريزي، أولئك الذين نظروا إلى التشيع بمنظار الهرطقة الفرقية[٢].

والمستشرق ابتان كوهلبرغ يعرض في بحثه القيم عن رؤية الغرب للتشيع أمثلة من الدراسات البيزنطية الحاقدة على رسول الله والإمام علي صارت تؤخذ بنظر الاعتبار من عدد من المستشرقين الذين يعتقدون بالأفكار الجاهزة. فالمؤرخ الصليبي وليم الصوري، كان رأيه بالعقيدة الشيعية مبنيا على معلومات خاطئة وبسيطة من خلال عرضه لحقيقة الإسلام؛ لكن (الإسلام السني والفاطمي)، فيزعم أن للشيعة رأي في الإمام علي بانه النبي الحقيقي وقد أولاه الله تعالى الثقة الكاملة في الرسالة السماوية؛ وأن جبرائيل قد توهم في تسليم الرسالة[٣]. هذه الأسطورة والخرافة كانت هي السائدة على الساحة الفكرية في التدوين التاريخ أبان عصر وليم الصوري أي القرن الثاني عشر للميلاد فصاعدا، على اعتبار أن الصوري قد توفي في سنة ١١٨٦، وظلت هذه الأفكار الجاهزة حاضرة في القرنين

(١) M. G. S Hodgson; The Venture of Islam, Volume I (Chicago 1974).

(٢) See Rizvl, M: (Oriantalist and the event of Ghdir khuum) in the Light (a mouthly jornal) 1990.

(٣) See William of tyre: A history of deeds done beyond the seas (Translated by Emily A. Babcock and A. C. Krey (New York 1943) Volume 2 . p. 323 . See Kohlberg E. Belief and law ,Op. Cit. p. 32.

الثالث عشر والرابع عشر للميلاد، فهذا يعقوب الفتري ألّف كتابا عن (أسقفية عكا بين سنة ١٢١٦ - ١٢٢٨) يجازف في الحديث عن الإمام علي على الرغم من فقر معلوماته، ويحتمل انه أخذها من وليم الصوري دون إدراك الخطأ ودون تفهم إذ يكرر الرأي نفسه في الإمام مضيفا إليه إضافات غير صحيحة وحاقدة على أن الإمام عليه السلام قد هاجم شريعة النبي، وان طقوس الشيعة وتبجيلهم للإمام تختلف عن طقوس وشعائر أهل السنة[١]. كذلك نقلا عن دانيال في كتابه (العرب وأوربا في العصور الوسطى)[٢] المطبوع في لندن عام ١٩٧٥، فان المبشر الدومنيكاني ريكولدو دي مونتي كروس قد سافر إلى الشرق الأوسط وزار بغداد والتقى بأحد علماء أهل السنة فدّون معلوماته عن التشيع بقوله إن حقوق الإمام علي قد اغتصبت وإن المغتصب هو النبي (حاشاه الله من هذه الترهات) المهم انه خلط بين رسول الله وبين الخليفة الراشدي الأول، كما أشار إليه دانيال[٣]، والمهم ان كتاب ركولدو قد طبع في عام ١٦٧٣، وأدرجه المؤلف أوغومونيرت دي فيلارد Ugo Monneret de Villard في دراسته المطبوعة في روما عام ١٩٤٨[٤].

استمرت هذه النظرة الحاقدة وغير الصحيحة عن شخصية الإمام

---

(١) Jacques de Vitry; Bishop of Acre 1216 - 1282. idem . ,Libri due, Quorum prior Orientalic sive Hierosolymitane (1597) Chapter 8 P. 33, 34, 35. See Kohlerg ,Op. Cit. P. 33.

(٢) Daniel, J . The Arabs and Medieval Europe (London1975) P. 215.

(٣) Ugo Monneret de Villard: IL Libro peregrinazion nelle partic d Orient di frate ricoldo de Montecroce (Rome 1948) P. 111, Daniel, Op. Cit. P. 319.

(٤) See Kohlberg. Op. cit. p. 33.

علي متمثلة بتفسيرات لامانس وغيره في بداية القرن العشرين. ويرجع السبب الرئيس في هذا الموقف إلى تأثير الرواية السنية الأموية والعباسية، إذ لم يجازف مثل هؤلاء بتعديل مناهجهم البحثية في تنوع المصادر والاعتماد على المؤلفات الشيعية على أقل تقدير، في عدم إتباع الأفكار والتفسيرات الجاهزة لأنها أفكار قد تؤدي بهم إلى نتائج مكررة وخاطئة. فالمستشرق الألماني فرانك مثلا حينما درس دور المجتهد في التشيع اعتمد على رسالة شيعية حصّل عليها خلال التقائه بأحد العلماء الشيعة البارزين في ألمانيا بعد الحرب العالمية الأولى، وقد نشر دراسته في مجلة اسلاميكا[١]. وقدّم فيها معلومات جديدة وغير مكررة. كذلك الحال بالنسبة إلى المستشرق الفرنسي Aubin J. أوبين؛ فانه أدخل المعلومات التي توافرت لديه من خلال علاقاته الشخصية التي بناها مع العلماء الشيعة.

لذلك يعدّ كتابه (التشيع والقومية الفارسية) مهما في عدم إعادته الأفكار الجاهزة، وقد نشر البحث في عام ١٩٠٨[٢]. وهناك مثال آخر لا بد من الاستشهاد به وهو المستشرق البريطاني ادوارد براون المعروف بدراساته عن إيران فانه يشير في كتابه (سنة بين الفرس الإيرانيين) إلى انه استفسر خلال زيارته مدينة قزوين عام ١٨٨٨من أحد شيوخ قم حول أكثر المجاميع المصدرية الشيعية مصداقية، فأشار عليه ذلك العالم الديني بمؤلفات مهمة مثلا (معراج السعادة)

(١) Frank, J (Shiit Mujtahids) in Islamica (Volume 2. 1926) P. 171-192.

(٢) J. Aubin (Le Chi ism et la nalionalite Persane) in RMM, Volume 4 (1908) Pp. 457-490.

للبرقي، وبحار الأنوار لعلامة المجلسي[1]. وهناك أمثلة أخرى من المستشرقين الذين كشفوا عن أفكار وتفسيرات تستحق الثناء والمناقشة؛ لشموليتها وايجابيتها وعدم اتبّاعهم الرؤى والتفسيرات الحاقدة الجاهزة. فالمستشرق لاوست Laust الفرنسي كتب بحثا في سنة ١٩٦٢ عن (مكانة أو دور علي في السيرة الشيعية)[2] ركز فيه على المعلومات التي وفّرتها له المصادر الشيعية عن سيرة الإمام علي، فوصل إلى افكار تختلف كثيرا عن تفسيرات بعض من المستشرقين أمثال متي موسى ومؤرخي العصور الأوربية الوسطى[3].

من جهة أخرى فان متي موسى الأمريكي الجنسية يقدم في كتاب (الشيعة المتطرفون) الذي سبقت الإشارة إليه فصلاً خاصاً عن الإمام علي بعنوان (معجزات تنسب إلى علي) ابتدأه بكلمة ترجمتها :- الغلاة الشيعة قد نسبوا إلى الإمام معجزات وأخاريق لا تنسب إلا إلى مخلوق أو إنسان الهي أو سماوي (والجدير أن تقارن المعلومات مع معلومات وليم الصوري أو غيره من كتّاب الكنيسة لأن فيها تماثل جليّ)، وهو في بعض الأحيان يعتمد على دونالدسون في كتابه (الديانة الشيعية)، ولكنه في هذا الفصل يتابع في ذكره أمور غيبية ينسبها إلى الإمام والى الشيعة منها رواية تتعلق

---

(١) Browne, E. Ayear amongst the Persians.

(٢) Matti, (The Shiite Religion) Op. Cit. Pp. 66-67. Especially p. 74.

(٣) الغلامي، عبد المنعم، بقايا الفرق الباطنية في لواء الموصل (الموصل، مطبعة الاتحاد، ١٩٥٠) ص ٣٥.

بأنه تكلم باللغة السريانية مع السماء، فأمطرت معتمدا على ابن أبي الفتّال النيسابوري؛ والأكثر أهمية قوله في ختام الفصل بأن الغلاة من أجل الدفاع عن معتقداتهم في بعثة علي السماوية، شأنهم شأن الشيعة الآخرين، اتهموا الخليفتين أبي بكر وعمر بأنهما أحرقا عشرة أجزاء من القرآن وذلك لأنها لا تتفق ومعتقداتهما؛ وان الخليفتين قد حذفا محتويات هذه السور بتعمد لأنها تشير إلى علي وأهل بيته وبشرعيته للخلافة بعد الرسول وبشرعية كون آل البيت هم قادة الأمة.

واعتمد على الشيخ محسن فاني في كتاب (دبستان المهذب) الذي ترجم إلى اللغة الانجليزية من قبل أنتوني ترويز Anthony Troyer وديفيد شيا David Shea، وطبع في باريس عام ١٨٤٣. والسورة التي حذفت هي سورة النورين، التي تمتدح أولئك الذين صدقوا بالضوئين محمد وعلي، وأن الله تعالى أرسلهما إلى البشرية. ثم يسترسل هذا المستشرق في قوله، ان سورة النورين تتضمن بوضوح مساواة علي بمحمد كنور إلهي Divine Light ولذلك فانه يتقاسم معه الرسالة السماوية (أي القرآن) وبعد هذا الكلام الذي لا يشير إلى أن متي يعني ما يقول، مباشرة يربط المستشرق متي موسى بين هذه الأقوال وبين ما أورده العلامة الشيخ المفيد في كتابه الإرشاد والمطهر بن طاهر المقدسي في كتابه(البدء والتاريخ). فالأفكار التي طرحها متي لا تختلف اطلاقا عن تلك التي دوّنها كتّاب الحروب الصليبية عن الإسلام عامة وعن رسول الله والإمام علي خاصة وهي تكرار لتلك الترهات التي يراد بها ضرب الإسلام

وضرب التشيع على انه هرطقة وبدعة وغلو. والذي يثير الاستغراب ان متي يعتمد على كتاب حديث من تأليف عبد المنعم الغلامي الموسوم (بقايا الفرق الباطنية في لواء الموصل) المطبوع في الموصل عام١٩٥٠ (ينظر صفحة٣٥) كيف يحدث هذا، وأي منهج بحثي لمستشرق قد طبع كتابه في تسعينيات القرن العشرين؛ انها معلومات مضللة وغير موضوعية تهدف إلى ما يهدف إليه المستشرق من ان للشيعة قرآنا غير الذي بين أيدينا، وهو قول فنّده الأئمة الأطهار والعلماء الشيعة، لكنه يتغافل عن هذه المصادر الأولية في التشيع، ويرجع إلى بحث كلير تسدل الموسوم بـ (إضافات الشيعة إلى القرآن) المنشور عام ١٩١٣ في المجلة التبشيرية المعروفة العالم الإسلامي[1] Moslem World، فالخطأ الفادح في هذا التصور متأثر بآراء عدد من علماء أهل السنة الذي يفيد بأن هناك قرآنا عند الشيعة باسم (قرآن فاطمة). وان هذا المستشرق وغيره ممن عني بهذا الميدان وهو الشيعة والقرآن الكريم من المستشرقين القدامى والمحدثين لاسيما في الاستشراق الاسرائيلي لم يبذلوا أي جهد عملي للكشف عن حقيقة واحدة لا غير بأن المسلمين عامة والشيعة من بينهم لا يملكون إلا القرآن الذي في متناول أيدي كل مسلم سواء في المساجد أم في الحسينيات أم في المراقد المقدسة.

فضلاً عن ذلك فأن المستشرق متي يصّر على ان الشيعة غلاة والعكس صحيح. لم يسع بوصفه أكاديميا إلى البحث عن الحقيقة

---

(١) Clair, Tisdall, ("Shiah Additions to the Koran) in the Muslim World Volume 3 no 3 July 1913 Pp. 227-241.

وهي ان الأئمة الأطهار بدءًا بالإمام علي كانوا على الضد من الغلاة، وكان الائمة الباقر والصادق عليهما السلام يتبرأون من أي شخص من أتباعهم ومناصريهم حالما يكشف هؤلاء التلاميذ أو الأتباع عن آراء غير صحيحة أو غالية، فكانوا يبعدونهم عن مجالسهم ويشّهرون بهم بأنهم ليسوا من أتباع أهل البيت. فكان عليه أن يرجع إلى النصوص التاريخية الأصلية وليس الوثوق بأي كاتب حديث ليبني عليه مباني غير موضوعية وغير صحيحة بعيدة عن أبسط مفاصل المنهج البحثي العلمي.

وفي ختام بحثنا عن الإمام علي عند المستشرقين علينا الإشارة إلى ما قدمته المستشرقة الايطالية فيشا فاجيليري في بحثها الموسوم بـ(علي بن أبي طالب) في دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة الجديدة) وهو بحث قيّم يحتوي على معالجات جديدة وموضوعية، بالنسبة إلى المستشرقين، موازنة بالبحث المنشور في الدائرة نفسها، دائرة المعارف الإسلامية، الطبعة القديمةس، فالمستشرقة وزّعت الموضوع على عنوانات جانبية منها: مآثر الإمام العسكرية، خلافه مع أبي بكر، علاقاته بعمر، المعارضة ضد عثمان، وموقف علي منها، تمرد عائشة وطلحة والزبير، نزاعه مع معاوية، التحكيم، المعارضة ضد التحكيم، مؤتمر أذرح، سنوات الإمام الأخيرة، تفصيلات تتعلق بشخصيته. واعتمدت المستشرقة في هذه الأبواب على المصادر التاريخية الأساسية وعلى نصوص أدبية ونصوص حديثية، وعلى محب الدين الطبري (الرياض الناضرة) وعلى نصر بن مزاحم (واقعة صفين) فضلا عن الدراسات الاستشراقية باللغات

المختلفة، التي تناولت بالبحث الإمام علي[1].

وكذلك فقد ألف المستشرق البريطاني W. A. Rice رايس[2] دراسة مهمة حول الإمام علي في الرواية الشيعية نشره في مجلة العالم الإسلامي عام ١٩١٤، والدراسة تتناول سيرة الإمام علي في مكة والمدينة، والإنجازات التي حققها في المدينة، العسكرية منها والعقيدية، ثم وقف على الأحداث التي تتعلق بالخلافة الإسلامية منذ سقيفة بني ساعدة. أما الدراسة الأخرى فهي التي جعلها المستشرق الإسرائيلي جوزيف الياش أطروحته لنيل درجة الدكتوراه في جامعة لندن سنة ١٩٦٦ بعنوان (علي بن أبي طالب في المذهب أو العقيدة الاثنى عشرية)[3]، وهي دراسة مفصلة جمعت بين سيرة الإمام علي وبين دوره العقيدي، كذلك وقف على الأحداث والتطورات التاريخية التي لها علاقة بالإمام.

والواقع أن دراسات أخرى أنجزها بعض المستشرقين بشأن أئمة آخرين من أهل بيت النبوة، إذ سبق قبل عدد من الصفحات الإشارة إلى دراسة السير لويس بيلي الموسومة بـ(المسرحية الاعجازية لرجلين مقدسين الحسن والحسين) نشرها في جزئين عام ١٨٧٩. كذلك فان للمبشر كانون سيل دراسة قديمة طبعها سنة ١٩٢٣، تتعلق

(١) (Ali b. Abi Talib) In Encyclopedia of Islam (Second Edition) Vol. I. Pp. 383-386.

(٢) Rice, W. A. (Ali in Shia Tradition) in Muslim World ,Vol. 4. (1914) Pp. 27-44.

(٣) J. Eliash; Ali b. Abi talib in Ithan Ashari belief (Doctorat Thesis University of London 1966).

بالأئمة الاثنى عشر وقد درس فيها الإمام الحسن، شخصيته وقربه من رسول الله وأخلاقه وشمائله والأحداث السياسية التي شهدتها مدة خلافته.

كما ان المستشرق المبشر دوايت دونالدسون هو الآخر وقف على سيرة الإمام الحسن في فصل خاص من كتابه (الديانة الشيعية) وهو الفصل السادس الموسوم بـ(الحسن الخليفة الذي تنازل عن الخلافة) غطّى أكثر من عشرة صفحات معتمدا على مسند الإمام أحمد بن حنبل، والعلامة الشيخ الكليني، في كتابه أصول الكافي، وكتاب جنات الخلد للعلامة ملا محمد رضا مدرسي، فضلا عن تاريخ اليعقوبي، وأبي حنيفة الدينوري، والمسعودي، ورجع ايضا إلى صحيح البخاري. كذلك نقل آراء المستشرق المبشر الحاقد هنري لامانس.

والملاحظة التي سبق ذكرها بشأن سيرة الإمام علي في دراسات المستشرقين قائمة في هذا الميدان بمعنى ان المستشرقين الذين تناولوا سيرة المصطفى وتاريخ الخلفاء الراشدين وسيرة الإمام علي قد وقفوا بشكل أو بآخر على شخصية الإمام الحسن، فمنهم من أدلى بملاحظات سلبية وحاقدة معتمدا على الرواية الأموية والعباسية، كالذي عرضه المستشرق مونتغومري وات Watt في بحثه حول (الشيعة في عهد الأمويين)؛ إذ انه كرر أفكار المبشر هنري لامانس عن الإمام الحسن وعن شخصيته وعلاقته بمعاوية فيما يتعلق بالهدنة(١). وفي مقابل ذلك فإن المستشرق الألماني مادولنك قد

---

(١) Watt, Montegomery (Shiism under the Umayyads) in JRAS (1960). P. 39.

عرض موضوع الهدنة بين الإمام ومعاوية عرضا موضوعيا في كتابه (خلفاء محمد)[١].

ولكن من الضروري الوقوف على دراستين أحداهما كتبها مستشرقاً من الجيل القديم ويعدّ من المعادين لسير أئمة أهل البيت، وهو هنري لامانس المتأثر كثيرا بالرواية الأموية، وقبالة هذه الدراسة دراسة المستشرقة الايطالية فيشيا فاجيليري التي راجعت العديد من المؤلفات الشيعية في الرجال والتاريخ فضلا عن مؤلفات التراجم السنيّة. فالمستشرق هنري لامانس كتب بحثا عن الإمام الحسن في دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة القديمة) يرجع تاريخ كتابتها إلى العقد الأول من القرن العشرين، كذلك فإنه وقف على الإمام في كتابه (فاطمة وبنات محمد)[٢] المطبوع في روما عام ١٩١٢. لقد اتخذ هذا المستشرق موقفا عدائيا وحاقدا إزاء أهل البيت في جميع كتاباته، وموقفا إيجابيا مادحا إزاء حكّام بني أمية، معاوية ويزيد[٣]. فإنه في كتابه عن معاوية الأول(ابن أبي سفيان) وقف طويلا على خلافة الإمام الحسن وعلى الهدنة بينه وبين معاوية.

بدأ لامانس بحثه (الحسن بن علي)[٤] في دائرة المعارف

---

(١) Medelung, W. The succession, Op. Cit,P. 311 - 26

(٢) H. Lamans; Fatima et les filles de Mahomet (.Rome ,1912), Pp. 41, 42, 87-95.

(٣) Idem., Etudes sur le regne du Calife Omaiyade Moawia I. P. 140 - 45.

(٤) (Hasan ibn Ali) In Encyclopedia of Islam (Old Edition) by. H. Lamans ,Vol. 7. P. 400-403.

القديمة بفرضه فرضية شكّية في الكثير من الروايات التاريخية والتراجمية التي تظهر الإمام في صغره بأنه كان أثيرا عند جده رسول الله. كما انه اتخذ عند بداية حديثه موقف الضد من الإمام بأنه ميال للشهوات ويفتقر إلى الفعالية والذكاء وانه كان على خلاف مع والده في الكثير من الأمور. وهكذا يستمر في توجيه هجماته الحاقدة على الإمام دون ذكر المصدر الذي اعتمده عدا إشارته إلى ترجمته عن حياة الإمام في الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد البصري. ولم يكتف هذا المستشرق بذكر معلومات تنم عن جهله أو الأوفق تجاهله بالمصادر التاريخية ناهيك القول عن المصادر الشيعية التي ينبغي عليه الرجوع إليها. فانه أيضا شكك في أن الإمام قد سقي سما من إحدى زوجاته وهي بنت الأشعث بن قيس الكندي، ويدافع عن انه قد توفي إثر مرض ذات الرئة، ويعقب على هذا بأنه مرض ناتج عن إفراطه بالملذات حاشاه الله. كذلك فانه يستبعد نهائيا أن يكون معاوية هو المنفذ المباشر لعملية دس السم إلى الإمام فيقول ما نصّه «وقد بذلت محاولة لإلقاء تبعة موته على رأس معاوية، وكان الغرض من هذا الاتهام وصم الأمويين بالعار، وتبرير لقب الشهيد أو سيد الشهداء الذي خلع على ابن فاطمة»[1].

هنري لامانس في عرضه هذا يؤكد جهله في التاريخ السياسي لبني أمية ولسياسة معاوية البعيدة عن الإسلام والقاسية جدا ضد معارضيه، كذلك يؤكد حقده على رسول الله وأهله باتخاذه موقف المدافع والمادح لمعاوية وابنه؛ في حين سماهم رسول الله

(١) Ibid, P. 400, 402-403.

بالطلقاء. فهو قد عمي بصره عن متابعة بسيطة للمصادر التاريخية السنية ولمؤلفات الصحاح والمساند والرجال السنية عن أعمال هؤلاء الطغاة والبغاة ضد أهل البيت، انه مثلاً يردّ على رواية سم الإمام بقوله انه من مرويات الشيعة ومن يسير بهواهم «وقد أعطى هذا الاتهام في الوقت نفسه فرصة للإيقاع بأسرة الأشعث المبغضة من الشيعة لما كان لَها من شأن في الانقلاب الذي حدث يوم صفين، وما كان معاوية بالرجل الذي يقترف إثماً لا مبرر له»[1]، ومع أننا لا نريد الخوض في جدل سقيم مع هذا الرأي المتهافت والضعيف، الذي يعكس بحق آراء لامانس الجاهزة وعدم بذله أي جهد في متابعة الأخبار. انه مستشرق معروف بمواقفه الشكية والمتطرفة إزاء أحاديث رسول الله. حتى ان العديد من المستشرقين من الجيل الأول قد انتقدوا تطرفه في الشك في الحديث الشريف وطعنوا بمواقفه غير العلمية تلك فإنه في قوله هذا الذي لا يعدو أكثر من رأي مبشر يحاول زرع بذور الفتنة. ثم إنه تغافل بشكل مطلق عن جرائم معاوية ضد الاسلام، والقرآن بصورة عامة وضد أهل البيت بصور خاصة. وعليه أن يقرأ جريمة هذا الطاغية ضد الصحابي حجر بن عدي ليأخذه مثالاً واحداً على سياسة هذا الطاغية ضد معارضيه، مع ان لامانس في مقالته عن حجر بن عدي في دائرة المعارف الإسلامية (القديمة والجديدة) استخدم المنهج نفسه، منهج الشك والرفض، في الطعن بالروايات التي تؤكد كون حجر بن عدي

(١) Ibid. P. 403

الكندي من صحابة رسول الله ورفضه الروايات التي تؤكد انه فاتح منطقة مرج العذراء في سوريا؛ ويصفها بأنها - أي الرواية - محض خرافة، لكنه مع ذلك يعترف كيف أن معاوية نفّذ فيه حكم الإعدام، وكان شيخاً كبيراً، في مرج العذراء نفسها[١] في قبالة هذا الموقف السلبي للامانس من الإمام الحسن يجدر ذكر البحث الذي كتبته المستشرقة الإيطالية فاجيلري في دائرة المعارف الإسلامية في طبعتها الجديدة الثانية تحت عنوان (الحسن بن علي بن أبي طالب)[٢] يلاحظ ان لا ما نس بدافع حاقد جعل عنوان بحثه (حسن بن علي)؛ وفاجيليري حدّدت موقع الإمام في نظر الشيعة الإمامية على انه الإمام الثاني. ووزعت ميادين بحثها الذي غطّى الصفحات من ٢٤٠ - ٢٤٣ إلى عدة محاور، فتحدثت عن سنواته الأولى واختيار رسول الله اسمه، وكان الإمام علي أراد أن يسميه حربا، وأنه عاش مع رسول الله سبع سنين، وانه كان في عادته لم يأكل أي شيء من أموال الصدقة، وان رسول الله كان يحبه كثيراً. وقد أوردت المستشرقة روايات عن حب الرسول له، وعن أهل الكساء، وعن دوره في المدينة في طفولته، وعن الدور الذي قام به أثناء محاصرة الثوار للخليفة عثمان، ثم تحدثت عن دوره في حثّ الكوفيين على الإسهام مع الإمام في معركة الجمل، ودققت

---

(١) (Hudjr b. Adi) In Encyclopidia Of Islam (Old Edition and New Edition)by H. lammans,vol. 3. p. 545.

(٢) (AL-Hassan b. Ali b. Abi Talib) in Encyclopidia of Islam (New Edition)Vol. 3. Pp. 240-243.

المستشرقة أيضا في موضوع خلافة الإمام الحسن، وعن خطبه، وتطورات موقفه مع الكوفيين من جهة ومع تدبيرات معاوية العسكرية من جهة أخرى، والهدنة بين الطرفين، هنا أيضا لم تتفق المستشرقة مع لامانس في مواقفه إذ وقفت على شروط الهدنة (وقد أطلقت عليها تعبير الاتفاقية Agreement) ثم تطرقت إلى موضوع مهم وهو (الدوافع التي دفعت الإمام إلى التنازل عن الخلافة) فأولت أهمية إلى الجانب العسكري في ظاهرة ارتداد مواليه وأتباعه من الجيش كما ارتدوا على والده الإمام علي في معركة صفين.

فضلا عن هذا فان الإمام أدرك انه لا يستطيع الاعتماد كليًا على جيشه وأنصاره، كما أنه كان محبا للسلم وكارها للسياسة وراغبا في تجنب سفك دماء المسلمين حسب رأي المستشرقة، ثم وقفت الدراسة على أوضاع الإمام بعد الهدنة، والتخلي عن الخلافة، وعودته إلى المدينة ثم استشهاده. وقد أشار البحث إلى اختلاف التواريخ في ذلك، بين انه استشهد سنة ٤٩ هـ، أو ٥٠هـ، أو ٤٨هـ، أو ٥٨هـ أو ٥٩هـ، لكن المستشرقة شددت على أنه مات من أثر مرض كان يعاني منه طويلا، أو انه قد سمّ، ويذكر البحث أن مصادر كثيرة تؤشر إلى ان إحدى زوجاته (جعدة) هي التي سقته السم، وجاءت على ذكر الرواية بأن معاوية كان هو السبب الأول وراء ذلك لدفعه أموالا طائلة لها، كما أنه وعدها بأن يزوجها لابنه يزيد.

وأشار البحث إلى كون الإمام كان يعرف ذلك لكنه لم يرغب في كشف سره. ثم عرّج البحث على ممانعة السيدة عائشة من د فن الإمام إلى جانب جدّه رسول الله، وكان مروان بن الحكم من أشد

الممانعين في عدم دفنه في ذلك المكان، فلذلك دفن الإمام في البقيع تجنبا من وقوع قتال بسبب موقف مروان والسيدة عائشة. ثم وقف البحث على مواصفات الإمام الخلقية والجسمية فوصفته المستشرقة بأنه كان خطيبا مفوّها، وكان حليما لم يفقد أعصابه، وكان كريما وتقيا وورعا لذلك فانه قد حج كثيرا مشيا على الاقدام. ثم انتقد البحث المصادر المتوافرة إذْ انها لم تقدم أية معلومات أخرى بشأن كفايته الحربية وشجاعته. ووقف البحث على موضوع الإمام الحسن في نظر الشيعة لاسيما بالنسبة إلى الهدنة مع معاوية؛ إذن لعلنا نستطيع القول أن المنهج الذي أتبعته المستشرقة في هذا ا لبحث القيم وكذلك الموضوعية في سرد الكثير من المعلومات فيه قد اختلف اختلافا بيّنا عن المنهج الحاقد والمتطرف الذي كتب فيه لامانس بحثه عن الإمام، ويرجع السبب الرئيس في مسألة إسباغ صفة الموضوعية على بحث فا فاجيليري إلى انه اعتمد على مصادر أساسية كثيرة عدا رواية محمد بن سعد فقد استشهدت المستشرقة بتواريخ أبي حنيفة الدينوري واليعقوبي والبلاذري والطبري وابن حبيب والمسعودي وأبي الفرج الاصفهاني في مقاتل الطالبيين، ومن علماء الرجال ابن الأثير في أسد الغابة وابن عساكر وياقوت الحموي، فضلا عن البياسي وابن العبري وابن أبي الحديد، وابن حجر العسقلاني، وغيرها من المصادر؛ كذلك رجع البحث إلى مؤلفات شيعية كابن شهراشوب وأعيان الشيعة للعلامة العاملي[1] وغيرها.

---

(١) Ibid. P. 242-43

واهتم المستشرقون بدراسة شخصية الإمام الحسين وسيرته وثورته اهتماماً ملحوظا، ولعله من المفيد توزيع هذه الدراسات على عدة محاور واتجاهات. فهناك عدد من الاسهامات التي تطرّق اليها المستشرقون للإمام الحسين ضمن دراسات عامة غير مباشرة بسيرة الإمام نفسه، فقد ضمّن المستشرق الألماني فايل كتابه حول (تاريخ الخلفاء) الذي يقع في ثلاثة أجزاء الحديث عن واقعة الطف خلال حديثه عن يزيد بن معاوية مشيرا إلى كونه حادثاً مأساوياً[1]، والمعروف أن كتابه يعدّ من الكتب القديمة في جيل المستشرقين القدامى. وأسهم المستشرق الألماني الآخر جوليوس فلهاوزن في عدة دراسات عامة ومباشرة تتعلق بالإمام الحسين منها كتابه المذكور آنفا (المعارضة السياسة الدينية في الإسلام)[2]، ويأخذ المستشرق فلهاوزن موقفا في تفسيره لثورة الإمام على أنها تمرد ضد السلطة الأموية بمعنى المعارضة السياسية والدينية بهدف الوصول إلى سدة الخلافة، كذلك الحال في دراسته الأخرى عن (الدولة العربية) المنشور في برلين عام ١٨٨٧. أما بالنسبة إلى المبشر البريطاني كانون سيل فإنه في كتابيه فقد وقف فيهما على سيرة الإمام الحسين، وثورته، أولاً في كتابه (عقيدة الإسلام)[3] المطبوع في لندن سنة ١٨٩٦، وثانياً في كتابه (الأئمة الاثنى عشر) المذكور آنفا، اذ تطرق إلى الإمام بوصفه الإمام الثالث في المذهب الامامي الاثني عشري، وقد اعتمده دونالدسون عند تطرقه إلى سيرة الإمام الحسين وثورته.

---

(١) Weil, G. Geschichte der Califen(Mannheim 1846-61).

(٢) Wellhausen, Julius, Die religioes - politishen, OP. Cit (Berlin1901).

(٣) Canon Sell, Faith of Islam(London 1896).

كذلك درس المستشرق الألماني نولدكه نهضة الإمام الحسين في بحثين مهمين أحدهما حول التشيع، نشره في عام ١٩٢٣، أما الآخر فكان مباشراً عن الإمام؛ وسوف نذكره لاحقاً، والمستشرق المبشر لامانس أيضاً له عدة اسهامات وقف فيها على سيرة الإمام ونهضته أيام يزيد بن معاوية. الدراسة الأولى وقد سبق ذكرها قبلاً عن فاطمة الزهراء بعنوان (فاطمة وبنات محمد) والدراسة الأخرى عن يزيد بن معاوية الموسومة بـ(الخليفة يزيد الأول)[١]، وفي هاتين الدراستين كشف هذا المستشرق عن تفسيراته الحاقدة ضد الأئمة عموما وضد فاطمة الزهراء وضد الإمام الحسين خاصة، واصفا ثورته على يزيد بأنها مغامرة وتمرد. وفي رأيه المخالف لجميع الآراء في ا لمصادر الشيعية والسنية والاستشراقية ان يزيد يعدّ أنموذجا في الأخلاق والقيم، وأنه الخليفة الشرعي الذي خرج عليه الإمام طلباً للسلطة. انه هاهنا ينطبق عليه وصف (خالف تعرف)، وهدفه واضح كمبشر ومحاولته في زرع بذور الانشقاق في العالم الإسلامي.

وتناول المستشرق البريطاني مارغليوث موضوع ثورة الإمام الحسين في كتابه (الأمويون والعباسيون) الذي هو في حقيقته ترجمة لعمل الأستاذ جرجي زيدان (تاريخ الحضارة الإسلامية) المطبوع في سلسلة ذكرى المستشرق Gibb Sir H. جب[٢]. وألف السير برس سايكس، الجنرال، كتابا بعنوان (مجد أو تألق عقيدة شيعة

(١) Lammens, H. Le Califat de Yazid(leipzig1908).

(٢) Margoliouth, D. S. Umayyads and Abbasids(Gibb Memorial series. Volumel. 4.

العالم)[١] تحدّث فيه عن الآثار التي جاءت بها فاجعة كربلاء. ومن بين الدراسات العامة للمستشرقين الذين تطرقوا إلى الإمام الحسين وثورته المستشرق الألماني هونغمان E. Honigman الذي كتب بحثا عن كربلاء في دائرة المعارف الإسلامية أشار فيه إلى استشهاد الإمام والى دفنه في الحائر[٢].

أثارت التعازي (أو التعزيات ومفردها تعزية) في مُحَرَّم بين عموم الشيعة في العالم الإسلامي خاصة والعالم عموما اهتمام المستشرقين أيضاً، فظهر أدب التعزيات في دراساتهم، ويعدّ هذا النوع من الدراسات صنفاً آخر إلى جانب الصنف السابق الذكر من الدراسات حول الإمام الحسين ومما يلاحظ ان أكثر الرحالة الأوربيين الذين زاروا العراق أو إيران أو الهند خصصوا جانبا من رحلاتهم للحديث عن شعائر التعزيات من أمثال دراسة السير جون مالكولم John Malcolm الموسومة بـ(تاريخ بلاد فارس) بجزئين المطبوع في لندن عام ١٨٢٩[٣]، ودراسة غي لسترنج Le Strange (بلدان الخلافة الشرقية)[٤]، وكتاب السير برسي سايكس المذكور آنفا، ودرس المستشرق الألماني شتروسمان Shtrosmann التعزية في بحث له في دائرة المعارف الإسلامية (طبعة قديمة) بعنوان

---

(١) Sykes, Sir Prcy: The Glory of the Faith of Shiah WorldLondon 1910).

(٢) (Karbala) In Encyclopidia of Islam (New Edition) Voloume. 4. Pp637-39. by E. Hon Igman.

(٣) Malcolm,J: history of Persia (2 volumes), London 1829).

(٤) Le Strang, Gay; The Lands of Eastern Caliphte (Cambridge 1905).

(التعزية)[1]، فيقول إن معنى التعزية عند الشيعة النواح على من استشهد من الأئمة، والتعزية أيضا تعني التابوت المصنوع على غرار القبر القائم في كربلاء، ويقام هذا المشهد في الثلث الأول من المحرم ولاسيما اليوم العاشر(باللغة الفارسية روز قتل) اليوم الذي استشهد فيه الإمام وهو يوافق يوم عاشوراء. وفي بحثه يقدم شتروسمان وصفا مفصلا للمشهد التمثيلي للمقتل، وهو يذكر قصة الفداء في التوراة والأنجيل وان جبرائيل قد أخبر الأنبياء الأوائل، وأنه أخبر محمد بالتفصيل لما سيقع في مقتل الحسين في كربلاء. ويشير إلى أنه في أكثر الأحيان يتم الموازنة بين مصير الشهيد، وبين ما اعترف به يعقوب ويوسف بأن الحسين وأولاده قد قاسوا أكثر مما عانوه هم أنفسهم بل أن حواء وراحيل ومريم، قد واسوا أم الحسين فاطمة، وان رسول الله قد خيّره الله تعالى بين موت ابنه إبراهيم وبين الحسين فرضي بموت إبراهيم وأبقى الحسين وذلك من أجل أن يفدى به البشرية[2].

كذلك تجدر الإشارة إلى كتاب السير لويس بيلي[3] (التمثيلية الإعجازية للحسن والحسين) المطبوع في لندن عام ١٨٧٩ وهو من أدب التعزيات إذ يصف العزاء الحسيني. وكما ذكرنا إن كتاب لويس بيللي يقع في جزئين. فضلا عن المعلومات التي قدّمها السير برسي سايكس في كتابه (تألق أو عظمة عقيدة شيعة العالم)، المطبوع في

---

(١) (Taziyya) In Encyclopedia of Islam, by Shtrosmann.

(٢) Ibid, vol. S. P. 314-315.

(٣) Pelly, Sir Lewis; The Miracle. Op. cit

لندن عام١٩١٠، وكذلك فان الدبلوماسي والمستشرق الفرنسي M. De Gobineau جوبينو[١] قد تطّرق إلى التعزيات في آسيا الوسطى بمناسبة استشهاد الحسين في كتابه (الأديان والفلسفات في آسيا الوسطى)، المطبوع في باريس عام ١٨٦٦، وكتاب المستشرق الرحالة الفرنسي موريه Morier الموسوم بـ (الرحلة الثانية في بلاد فارس) المطبوع في باريس عام ١٨١٨[٢] وألفت لاسي J. Lassy كتابا عن (التمثيليات الدينية لمحرم بين الأتراك الأذربيجانيين في قفقاسيا) نشرته في عام ١٩١٦[٣].

كذلك كتب المستشرق الهولندي فان فلوتن بحثا عن(التعزية بمصاب الحسين في طهران) نشره عام ١٨٩٢[٤]. وهناك في نيويورك تصدر مجلة بعنوان مجلة الدراما The Drama Review ونشرت عدة بحوث عن التعزيات في محرم كتبها المستشرق المتخصص في هذا الميدان جيكوفسكي P. Chelkowski وكورم[٥] F. J. Korom.كتب جيكوفسكي بحثا في دائرة المعارف الإسلامية

---

(١) Gobineau, M. de; Les religions. Op. cit.

(٢) Morier,J. Second Voyage en Perse (Paris 1818).

(٣) Lassy, J. The Muharram Mysteries among Azerbijan Turcks of Caucasia (1916).

(٤) Van Vloten, G. (Les drapeany en usage a la fete de Hucien a Teheran) in Internationales arachiv fur Ethnographie le chiisme et la nationalite Persane. Volume. 5. 1892.

(٥) Peter Chelck owski and F. J. Korom Communty Process and the performace of Muhrram observacees in Trinidad) in the Drama Review, New York, Volume. 38 (2) 1994

(طبعة جديدة) بعنوان (Taziya) فوصف فيها فاجعة كربلاء واستشهادالإمام الحسين.

وألف المستشرق الفرنسي فيرولو Ch. Virolleaud كتابا باللغة الفرنسية بعنوان (آلام ومصاب الإمام الحسين) طبعة عام ١٩٢٧، وللمؤلف أيضاً كتاب آخر بعنوان (المسرح الفارسي) طبعه في باريس عام ١٩٥٠[(١)] كذلك فان المستشرق الإيطالي المعروف بوساني A. Bausani كتب بحثا بعنوان (الدراما الشعبية الفارسية) نشره عام ١٩٦٠)[(٢)] نشر مامنون كتابا عن آلام أو مصاب الشيعة في إيران[(٣)]، كذلك كتب المستشرق الألماني مولر Muller H كتابا بعنوان (دراسات حول مصاب الفرس) نشر عام ١٩٦٦[(٤)]. وان المستشرق المعروف كرونباوم Grunnbaum، كتب بحثا بعنوان (العاشر من محرم) نشره عام ١٩٥٨[(٥)]، وللمستشرق غوستاف ثايس Gustav Thaiss بحث نشره في الكتاب الذي حققته الأستاذة نيكي

---

(١) (Taziaya) in Encyolpedia of Islam (New Edition) by. P. chelkowski, idem (ed) Taziyyah Ritual and Dream in Iran (New York 1975), Idem. (Shia Muslims Processional Performances) in the Drama Review, Volume (30) New York 1985, Idem (Populer Shii Mourning rituals) in Alserat. Volume. 12, 1986, pp. 209 - 26.

(٢) Bausani, A (Drammi Popolari indet Persian) in Att del Convegno Internazionalo di Studi Etropici Rome 1960).

(٣) P. Man - noun: Schiitisch- Perische Passions shiiel (Vienna 1967).

(٤) p. Man - noun: Schiitisch- Perische Passionsspiel (Vienna 1967).

(٥) Muller, H, (Student zum Persischen Passions spiel, Freiburg im Briesgau1966.

كيدي (علماء وأولياء ومتصوفة) الذي نشر في بيركلي في أمريكا عام ١٩٧٨ وكان البحث بعنوان (الرمزية الدينية والتغير والتغير الاجتماعي في دراما الحسين)[١] تحدث فيه عن التشبيهات والمسيرات في محرم نظير تشبيه الشمر بن ذي الجوشن قاتل الإمام وشعائر توزيع الماء (السقّاخانة)، ورفع الأعلام، وما ترمز إليه النخلة وغيرها من المواضيع المهمة التي تتعلق بفاجعة استشهاد الإمام الحسين[٢].

ولتوضيح ما يتناوله المستشرقون في هذا الأدب، الذي يجمع بين تاريخ ثورة الحسين ضد الأمويين وبين الشعائر الدينية التي لها عطاءات اجتماعية وعقيدية عند الشيعة اينما وجدوا يذكر جيكوفسكي قائلاً «إن ما يجري كل عاشوراء كأنه حدث قد وقع فعلاً في سنة ٦١هـ/ ٦٨٠م، في ميدان المعركة في كربلاء الحسين[٣]. ويقول إن الفرد يشعر وكأنه في المعركة في الوقت الراهن وفي أي بقعة أو بلاد يعيش فيها، ولاسيما في كل مكان يعاني فيه الشيعة دينيا واجتماعية وسياسيا أو في كل مكان تغيبهم السلطات الجائرة في البلدان العربية والإسلامية والأجنبية. ثم يستهد بما ذكره الياس كانيلتي Elias Canelti الحائز عن جائزة نوبل على كتابه الموسوم

---

(١) Grunebaum, G E. von (the Tenth of Muharram) in Muhammadan Festivals (London 1958). Pp. 85-94.

(٢) Gustav Thaiss (Religious Sympolism and Social Change of the Drama of Hussein) in Nikki R. Keddie (ed.) Scholers, Saints and Sufis Berkely) 1978.
(118) Ibid, P. 169. 170. 171.

(٣) Peter Chelkowiski ," Populer Shii mourning", O. p. ct. p155.

بـ (الجماهير أوالشعوب والسلطة)»[١] المطبوع في نيويورك عام ١٩٧٨، وجاء فيه «إن معاناة الحسين وما تثيره من ذكرى لتلك المعاناة في كربلاء الحسين قد صارت اللب أوالجوهر للعقيدة الشيعية؛ انها عقيدة أو دين في واقعه. دين النوح والبكاء، لا تقارن به في هذا المجال أي عقيدة من العقائد الموجودة، وليس هناك من عقيدة قد شددت أو طبّقت بشدة على مبدأ البكاء والنوح. وفي هذه العقيدة يعدّ البكاء واجباً دينياً سامياً بقدر كبير. وفي الكثير من الأحايين فأنه يعدّ من أكثر الأعمال تقديراً واستحقاقا للثواب والمكافأة والجزاء. وان كانت هذه الشعائر تختلف من مكان إلى آخر شكليّا غير إن ما تعكسه من عواطف جياشة هو أمر مشترك وعام بين جميع الشيعة سواء كانوا في العراق أم في إيران أم في بقية العالم العربي أم في تركيا أم في الهند وباكستان أم في الكاريبي وترينداد[٢]. كذلك حينما يقرأ المرء بحثه الآخر الموسوم (الحزن والحداد في إيران يتحول إلى ثورة)[٣]، يجد كيف أججت شعائر الحداد في العاشر من محرم باستشهاد الحسين عوامل الثورة ضد الظلم والجور في البلدان التي يسيطر عليها الطغاة).

خلاصة لما تقدم فان هذا الصنف من الدراسات الاستشراقية هو

---

(١) Elias Canitty: Crwds and Power (New York 1978).

(٢) Ibid,P. 146. 156.

(٣) P. Chelkowski (Iran Mourning becomes Revolution) In Asia (New York MayùJune. 1980. Pp. 30-45 Linda S. Walbridge: Without Forgotten the Imaḿ Wayne State University Press, Detroit 1997). p. 31, (chapter 3) The Idea behind Imam Husain. p201.

في حقيقته دراسات عن سيرة الإمام الحسين، وواقعة الطف في صيغتها الحيّة والمستمرة دوما عند الشيعة وهي في ازدياد وتوسع سنويا، ولذلك فقد عبّر عن هذه الشعيرة العقائدية المقدسة بتعبير (دراما)، أي سلسلة من الأحداث المفعمة بمشاعر الحزن والجدّية والمعاناة.

وطالما نحن نتحدث عن الدراسات التي أنجزها المستشرقون بشأن التعزية، فهناك بحث قدمه المستشرق ورنر أيند Werner Ende الموسوم بـ(ضرب السياط ث وربما يقصد عادة ضرب الزنجيل - في المحرم والعلماء الشيعة) ونشره في مجلة Der Islam سنة١٩٧٨(*) وكذلك بحث المستشرق الإسرائيلي يتسحاق نقاش Y. Nakash الذي عنوانه (عاشوراء: بعض ملاحظات الشعائر أو الممارسات المطبقة في مختلف المجموعات الشيعية ألبنان وسوريا-). وكتب بحثاً آخر بعنوان (الطقوس والتطبيقات الاجتماعية كصنّاع للهوية: - المحرم وعادة تبجيل الأولياء بين الشيعة العراقيين)(**).

وهناك صنف ثالث من الدراسات الاستشراقية المتعلقة بالإمام الحسين، ذلك الذي درس الجانب المصدري، أي مصادر

(*) W. Ende; "The flagellation of Muharram and the Shiite Alema" in Der Islam (1976).

(**) Y. Nakash; Ashura. some remarks on the ritual practices in different Shiite Communities (Lebanan and Syria). Idem. Rituals and Social practices as identity makers; The Muharram rituals and the cult of the Saints among Iraqi Shiite).

المعلومات عن استشهاد الحسين، ولما كان المصدر الأساس الذي اعتمد عليه المؤرخون المسلمون الشيعة والسنة كالبلاذري واليعقوبي والطبري وابن الأثير وغيرهم، هو كتاب (مقتل الحسين) من تأليف لوط بن يحيى المعروف بأبي مخنف الأزدي الغامدي، رائد الكتابة التاريخية المعروف بالإخباري. ووصفه ابن النديم (يقول العلماء انه بأمر العراق وأخبارها وفتوحها (يزيد على غيره)[1]، وقال عنه ياقوت الحموي «إنه كان راوية إخبارياً صاحب تصانيف في الفتوح وحروب الإسلام[2].

والملاحظ أن هناك عدة مخطوطات للمقتل في مكتبات غوثا وبرلين وليدن. وأول دراسة نقدية لهذا الكتاب قدّمها المستشرق الألماني المشهور فستنفلد F. Wusrenfield، مقدمة لترجمته الكتاب إلى الألمانية التي طبعها في غوتنجن Gottingen عام ١٨٨٣[3]، إن هذا المستشرق أظهر في مقدمته قناعة تامة بأنه من المشكوك فيه ان أبا مخنف هو مؤلف الكتاب، مؤيداً شكه بما احتواه الكتاب من قصص عجيبة ومعجزات غيبية فوق طبيعية عن واقعة كربلاء مثل ان

---

(١) الفهرست، تحقيق يوسف علي طويل (دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٦ ص ١٤٩ - ١٥٠)، وينظر: تاريخ ابن معين (رواية االدوري)، تحقيق أحمد محمد نور سيف، مكة المكرمة، ج٣، ص ٣٦٦؛ ابن أبي حاتم الرازي، الجرح والتعديل، بيروت، ١٩٥٢ ج٧ ص ١٨٢؛ النجاشي، رجال النجاشي، تحقيق السيد موسى الشبيري الزنجاني، طبعة خامسة، قم، ص ٣٢٠.

(٢) ياقوت الحموي، معجم الأدباء (تحقيق مرغليوث، بيروت، ج١٧، ص ٤١.

(٣) Wusten field,F: Der Tod des Husain ben Ali und die Rach (Gottingen 1883).

السماء قد أمطرت دما عند استشهاد الحسين أو - ن الرمال قد تفجرت دما، فضلا عن مظاهر وأحداث رافقت المعركة أو بعدها.

وأعادت بعد فستنفلد المستشرقة الألمانية، أحسبها ابنة المستشرق الألماني المعروف فؤادسزكين، أورسولا سزكين Ursula Sezgin في السبعينات من القرن العشرين اخضاع كتاب أبي مخنف (مقتل الحسين) للدراسة والتحقيق، فأثارت عدة تساؤلات معقبة على استنتاج فستنفلد. ثم توصلت إلى القول بأن الطبري وغيره قد اعتمدوا على الكتاب مصدراً أساساً فضلا عن اعتماد ابن الكلبي عليه. لذلك أقترحت أن المخطوطة التي ترجمها فستنفلد قد تكون محرفة أو أعيد كتابتها من قبل كاتب مجهول آخر[١]، لكن مع هذا يبقى (مقتل الحيسن) لأبي مخنف دون أن نمعن في الشك حول نسبته إليه.

والصنف الرابع من دراسات المستشرقين هو المتعلق بسيرة الإمام، وتعد دراسة المستشرق فستنفلد المذكورة آنفا من أقدم الدراسات الألمانية إذ تم طبعها عام ١٨٨٣، وهي بعنوان (الحسين بن علي ومقتله)[٢]، ومع ان الكتاب في الحقيقة هو ترجمة لكتاب أبي مخنف كما أسلفنا، إلا أن مقدمه الكتاب دراسة عن ثورة الحسين ضد السلطة الأموية. كذلك فان دراسة المستشرق الهولندي فان فلوتن في بحثه المنشور عام ١٨٩٢ بعنوان (مشاعر الحزن حول

---

(١) Sezgin, Ursula: Abu Mikhnaf ein Beitrag Zur Histoiographie der umaiyadischen zeit (Leiden 1971) P. 190, 1991.

(٢) Wustenfield, F. Op. Cit. (Preface).

مصير الحسين في طهران)[1] وهي الدراسة التي أشرنا إليها عند الحديث عن الصنف الثاني من إسهامات المستشرين بشأن الإمام. والمستشرق هنا أيضا خصّص حيزا للحديث عن الإمام وحياته وثورته ضد الظلم. وفي الوقت نفسه لابد من الإشارة إلى دراسة المستشرق دوغلاس كرو الموسومة بـ(موت الحسين بن علي ووجهات النظر الشيعية المبكرة بشأن الإمامة)[2]، وهو بحث تطرق فيه إلى موضوعات متعددة حول عقائد الشيعة كالرجعة والإمامة وعلى الآثار الكبيرة لثورة الحسين في تطوير هذه العقائد واعطائها الفاعلية والحركة عقائدياً واجتماعياً وسياسياً.

كما أنه من الضروري الإشارة إلى دراستين تحملان أفكارا وتفسيرات متباينة عن الإمام وثورته، تمثل الأولى دراسة المبشر المعادي لأهل البيت هنري لامانس، والثانية الدراسة التي نظرت إلى الامام نظرة موضوعية معتمدة على مصادر أساسية وهي من تأليف المستشرقة الإيطالية فيشيا فاجيليري Veccia Vaglieri، والدراستان هما بحثان في دائرة المعارف الإسلامية، الطبعتان الأولى والثانية.

فمما ورد في بحث لامانس الموسوم بـ(الحسين بن علي)[3] قوله إن الروايات التاريخية تصوره كأخيه - ويقصد لامانس الإمام

---

(١) G. Van Vloten (Les drapeany en usage a la fete de Hucien) Op. Cit.

(٢) Douglas Karim Crow: The death of Al-Husain b. Ali and early Shii Views of the Imamte in Paul Luft and Turner (Shism) Volume. I (2008).

(٣) (Husain ibn Ali) in Ensyclopidia of Islam (Old edition) Volumel 7. Pp. 427-429.

الحسن - (غارقاً في فيض من حنان جده لأمه)، وهو يكرر ما سبق قوله عن الإمام الحسن بأنه (مسرف لا يفكر إلا في أطايب الطعام وإكرام الضعيف، وأما الحسين - كما يزعم لامانس - أن الإمام علي يرى فهو مني وأنا منه)[1]، ومصدره في هذه المعلومة الحافظ الهيثمي، صاحب كتاب مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، المتوفى سنة ٧٠٨/ ١٤٠٥، وحين الرجوع إلى هذا الكتاب المتأخر جدا عن الحديث؛ الذي قلما يعتمد المؤرخون على معلوماته، ناهيك عن القول إن الكتاب لا علاقة له بتاريخ عصر الرسالة أو العصر الراشدي، نجد نصّ الرواية في هذا الكتاب كالآتي: - «قال علي: أما حسن فصاحب جفنة، وخوان، وفتى من الفتيان، ولقد التقت حلقتا البطان لم يغن عنكم لفي الحرب حبالة عصفور وأما أنا وحسين فأنا منكم وأنتم منّا)[2]، فالرواية كما يظهر جليا غير موثقة بمعنى ينقصها الإسناد وهو هنا في غاية الأهمية على اعتبار أن الهيثمي متأخر جداً عن تاريخ الحدث أولا ثم انها لا تسعف الاستنتاج الحاقد الذي توصل إليه لامانس، فضلا عن أنها وردت في كتاب عام ومتأخر جداً، ويستمر لامانس فيبدي ملاحظات خبيثة عن الإمام بوصفه متمردا، وانه بعد وفاة أخيه ظل (قابعا) في المدينة. أما عن ثورته واستشهاده فيرى لامانس بأن الإمام (لم يقم بعمل واحد من أعماله البطولة التي أغرم الشيعة بالتغني بها). وهذا رأي يخالف واقع رواية مقتل الإمام الحسين، لأبي مخنف، التي

(١) Ibid, p. 427.

(٢) الهيثمي، الحافظ، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (طبعة مصر ١٣٥٣هـ)، ج ٩، ص ١٩١.

اعتمدها جميع المؤرخين القدامى بدءا باليعقوبي في تاريخه وانتهاءا بابن كثير في البداية والنهاية حول مقتل الإمام، وإنه ما وجد في جسمه المقّطع من آثار السهام والسيوف إذن كيف يفسر هذه الحال وماذا تعني البطولة عند لامانس، إذن كيف يتفق هذا مع قول هذا المبشر الحاقد، وهو يقول ان يزيدا قد عامل العلوية - يعني الأسرى من آل بيت رسول الله - بعد نكبة كربلاء معاملة كريمة وسخية في الوفاء بحاجاتهم وأنفذ حرسا يصاحبهم في سيرهم إلى المدينة)[1]، فمن أين جاء بهذه المعلومات المدسوسة التي ترفع من شأن الطاغية اللهم إلا إذا كانت معلوماته هذه من كتاب أبن تيمية فهو الآخر يدلي بمثل هذه لأنه أيضاً يهدف إلى رفع من شأن يزيد. وهو ما يتفق مع مواقفه - أي لامانس - في كتابيه عن (خلافة معاوية) والآخر (خلافة يزيد) أما في حالة الإسفسار عن مصادره المعتمدة في هذا البحث فهي لا تعدو أكثر من الكتب التي ألفها وأقصد الكتابين السابقين فقط، دون الإشارة إلى أي مصدر تاريخي أو تراجمي[2].

هكذا هو شأن لامانس في نظرته المتعصبة والسلبية واعتماده على منهج التزييف والتزوير في ذكر المرويات التاريخية، وفي عدم رجوعه إلى أمهات المصادر الإسلامية منها والتاريخية والتراجمية لأجل تقديم رواية موضوعية عن أئمة أهل البيت الأطهار. لذلك فان عددا من المستشرقين المعروفين قد انتقدوا آراءه وتفسيراته في هذا الميدان، وفي ميدان اقصائه المطلق لأحاديث رسول الله.

---

(١) Lammens (Al- Husain) E. I. Vollume. 7. Pp. 428.

(٢) (Al Husain B. Ali B. Abi talib) in Ensyclopidia of Islam (New Edition) Volume. 3. Pp. 607-615.

وفي الطرف المقابل نقرأ بحث المستشرقة فاجيليري الموسوم بـ(الحسين بن علي بن أبي طالب)(١) وتبدأ البحث بقولها: «الحسين المشهور بسبب ثورته التي انتهت بمأساة في العاشر من محرم في كربلاء»، ويتوزع البحث في عدة محاور غطّت الصفحات من ٦٠٧ - ٦١٥، فهو بحث مفصل ومستند إلى قائمة طويلة من المصادر. في المحور الأول تناول البحث طفولة الإمام وشبابه؛ وتقف على الأحاديث والروايات المعبّرة عن محبة رسول الله دون أن تشكك بها أو تتردد في موثوقيتها تماماً على عكس ما صنعه لامانس. من أمثال «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة» و«من أحبهما فقد أحبني ومن كرههما فقد كرهني» وتعقّب فاجيليري على هذين الحديثين أنهما صارا مهمين جداً عند الشيعة، مشيرة إلى أن المؤرخ أبن كثير قد جمع هذه الأحاديث والأقوال معتمدا على مسند الإمام أحمد بن حنبل وسنن الترمذي. وفي المحور الثاني تناولت المستشرقة موقف الإمام من معاوية ورفضه البيعة ليزيد، أما في المحور الآخر فتتحدث عن مصادر معلوماتنا عن ثورة الحسين، بدءاً من مقتل أبي مخنف. بعد ذلك تتحول إلى المحور الأساس وهو الثورة ابتداء من مغادرته مكة المكرمة ومسيرته نحو العراق اعتمادا على المصادر التاريخية أيضاً.

وتحدث البحث عن المعركة وعن الأحداث المهمة والرئيسة فيها، وعن ليلة العاشر من محرم، ثم تطرق البحث إلى ما قام به

(١) (AL husai ibn Ali ibn Abi talib) in in Ensyclopidia of Islam (new edition) vol. 3. pp. 607-615.

جنود عمر بن سعد من نهب ملابس الإمام وسيفه، وأمتعته، وعباءته.

ثم تناول البحث محوراً آخر يتعلق بالأحداث بعد المعركة وكيف ترك جسد الإمام مغطى بالجروح والدماء بعد أن داسته حوافر الخيل، وبعدها حمل رأسه إلى الكوفة. وذكرت المستشرقة تباين الروايات في مسألة دفن رأسه إما إلى جانب والده في النجف، أو في الكوفة أو في كربلاء أو في دمشق أو في الرقة أو في القاهرة معتمدة على المصادر المباشرة حول تلك الآراء.

ووقفت المستشرقة على موضوع الأحكام أو الآراء والتفسيرات بشأن الحسين؛ فقالت ان هناك تعاطفا مع الحسين واحتراما وتقديرا كبيرين، وأضافت أن أنصار الأمويين من المؤرخين والمفسرين فقط بمعنى الرواية الأموية، هي التي تصور الحسين بن علي على انه باغ (حاشاه الله)، بعد انعقاد البيعة. ولذلك فقد تغاضوا عن الفعل الشنيع الذي قام به العاتي الأموي. فالحسين قد قتله يزيد غير ان مواقفهم هذه قد انتقدت وعورضت ليس من قبل أولئك الذين يعارضون الأمويين ولكن أيضاً من أولئك المسلمين الذين رفضوا الإعتراف بأن القتلة كانوا قد تصرفوا في عملهم الشنيع هذا انطلاقا من ضمائرهم ومشاعرهم ولذلك، في الوقت نفسه، أخذوا يتبجحون بهدف تحجيم المسؤولية واللوم. وهذا ينطبق على الصحابة والتابعين الذين فضّلوا البقاء محايدين بحجة تجنب فتنة. وهنا فقد أشارت المستشرقة إلى ان ابن خلدون في المقدمة؛ إذ أنه فسّر الموضوع بمثل هذا التفسير (طبعة بولاق ١٢٨٤هـ ص ١٧٧-١٨١) في فصل ولاية العهد

لقد وقفت المستشرقة موقف الناقد لآراء وأحكام كل من فلهاوزن ولامانس، وإن هذا الأخير كان في حكمه متعاطفا مع يزيد بن معاوية الذي يصفه بالرجل الشهم والشجاع، بينما يقف مع الحسين موقفا معاديا، وعقبّت على رأي لامانس انه رأي سطحي لم يعط أهمية إلى خطابات الحسين وكلامه في مناسبات متعددة.

أما عن المصادر التي اعتمدها البحث فهي كثيرة جدا تنوعت ما بين مصادر تاريخية وتراجمية سنية وشيعية أولية؛ إلى مصادر شيعية حديثة، فضلا عن مصادر غربية ألمانية وفرنسية وإيطالية(١).

ومن الدراسات الاستشراقية الأخرى عن سيرة الإمام الحسين دراسة كلامارد، J. Clamard باللغة الفرنسية بعنوان (عبادة أو الإعجاب إلى حد عبادة بالإمام الحسين، دراسة حول ذكرى دراما كربلاء في إيران قبل العهد الصفوي)، والواقع أن هذه هي دراسة المستشرق كلامارد لنيل درجة الدكتوراه من باريس عام ١٩٧٣)(٢).

ركّزت دراسة كالمارد أولا على سيرة الإمام، ثم وقفت على فاجعة كربلاء في العاشر من محرم، وخصصت فصولا عن شعائر الذكرى في يوم الطف عند الشيعة.

ودرست ماري هيغلاند Mary Hegland ذكرى عاشوراء بإطار سياسي في بحثها المنشور ضمن بحوث حققتها الأستاذة نيكي كيدي، في كتاب بعنوان (الدين والسياسة في إيران: التشيع من

---

(١) Ibid,p. 615.

(٢) Calamard. J. Le cult de Imam Husain: Etude sur la commenoraton du drama de Karbala dans l Iran pre -Safavide (Doctorat Theses, Paris 1973).

المسالمة والهدوء إلى الثورة)، وقد كان عنوان بحث المستشرقة هيغلاند بعنوان (صورتان للحسين: صورة يؤمن فيها الراحة، والاطمئنان، وصورة أخرى هي الثورة في قرية إيرانية)(١). ودراسة أخرى حققها المستشرق لندل D. T. Lindell، بعنوان (محرم في حيدر آباد) نشر في عام ١٩٧٤(٢)، ودراسة ديفيد بينولت David Pinault بعنوان (صورة السيد المسيح في الأدب العربي)(٣). وقف فيها الباحث على فاجعة كربلاء، واستشهاد الإمام الحسين والآلام التي يعانيها الشيعة في كل عام عند إحيائهم ذكرى استشهاد الإمام. كذلك نشر المستشرق ورنر أيند Werner Ende بحثاً في مجلة Der Islam بعنوان(الضرب بالسياط أالزنجيلث في المحرم والعلماء الشيعة). كما نشر المستشرق الإسرائيلي يتسحاق نقاش Y. Nakash بحثين عن الشعائر التي يمارسها الشيعة في محرم الأول بعنوان (الشعائر والممارسات الاجتماعية كعوامل لصنع الهوية: - الشعائر في المحرم وتبجيل الأولياء بين الشيعة العراقيين). والآخر بعنوان (عاشوراء، بعض الملاحظات على تطبيقات الشعائر عند مختلف

---

(١) Hegland, Marry (Two Images of Husain: Accomm odation and Revelution in an Iranian Village) In Religion and politecs in Iran: Shiism from Quietism to Revolution (ed. By Nikki Keddie) New Haven Yale University Press 1983) Pp. 218 - 235.

(٢) Lindell, D. T (Muharram in Haiderabad) al - Basheer, The Bulletin of the Christian Institute of Islamic Studies (Hyderabad)Volume 3. no. 1 Jan. March 1974. pP. 14 - 29.

(٣) Pinault, David, (images of Christ in Arabic literature) in Die Welt des Islam. Vol. 27. 1987. pp. 103 - 125.

الجماعات الشيعة ألبنان وسوريا-) المنشور في كتاب:

The Other Shiites from the Mediterranean to Central Asia (Eds. Alessandro and others. New York. Peter LANG 2007)(1).

ونشرت المستشرقة جين كلامارد Jean Calmard، بحثا حول (مسرحية أو تمثيل التعزية حتى عهد ناصر الدين شاه)، المنشور عام ١٩٧٦(٢).

وفي الوقت نفسه علينا ان لا نغفل ما كتبه المستشرقون الذين ألفوا دراساتهم عن (الشيعة الاثنى عشرية) إذْ وقفوا على سيرة الإمام الحسين، واستشهاده ومن بينهم رودلف شتروسمان R. Strothmanns، في دراسته المنشورة عام ١٩٢٦ في ليبزك، بعنوان (الشيعة الإثنى عشرية). فقد درس الأئمة الأطهار فضلا عن فكر وعقيدة التشيع(٣). كما درست يارون لننت Yron Linant de Bellefonds الأئمة الأطهار في البحث الموسوم بـ(الأئمة الإثنى عشر) المنشور عام ١٩٦٨(٤).

أما المستشرق دونالدسون فقد خصص فصلين من كتابه (ديانة الشيعة) عن الإمام الحسين. ففي الفصل السابع المعنون (الحسين الإمام المقتول في معركة)(٥)، درس المستشرق سيرة الإمام زمن

---

(١) (Karbala) in Judaica. vol. 10. J orshalim 1971.

(٢) Calmard.

(٣) Strothmann, R. Die zwolfer schia (leipig 1926).

(٤) Linat de Bellefonds, Yron: (le droit Imamite) in the le shiisme Imamate (colloguq strasbourg, 1968).

(٥) The Shiite Religion, Op. cit. pp. 79 - 87.

والده الإمام علي، وانتقل بعدها إلى حقبة معاوية عندما عزم على تولية ابنه يزيد ومحاولته أخذ البيعة من الإمام. ثم وقف مفصلا على مسألة رفض الإمام البيعة ومسيرته إلى مكة ثم إلى كربلاء، ووقف دونالدسون على أخبار الإمام وهو في مكة وما عرضه كل من عبد الله بن عباس وابن الزبير لإقناعه بعدم مغادرة مكة. ثم وقف مفصلا مسيرة الإمام وفاجعة كربلاء واستشهاده في محرم. كذلك تطرق إلى الآراء المتباينة بشأن دفن رأسه الشريف، وقد اعتمد دونالدسون على المصادر الأساسية كأبي حنيفة الدينوري واليعقوبي، والمسعودي من المؤرخين وكذلك رجع إلى مسند الإمام أحمد بن حنبل، فضلا عن المصادر الأجنبية.

أما الفصل الثامن فقد خصّصه دونالدسون للحديث عن (كربلاء أكثر المراقد المقدسة أهمية) ومما تجدر الإشارة إليه أن دونالدسون زار مدينة كربلاء ووصفها ووصف مرقد الإمام وصفا دقيقا. وزود الفصل بخارطة للمدينة المقدسة كربلاء[١].

وفي ختام حديثنا عن أداء المستشرقين في موضوع استشهاد الإمام الحسين وأبعاد نهضته؛ من المناسب الاستشهاد برأي كل من فيزي A. A. A. Feyzee في بحثه الموسوم بـ(النظريات الشرعية أوالقانونية للشيعة)[٢] المنشور ضمن كتاب (القانون في الشرق الأوسط) الذي حققه البروفسور مجيد خدوري والبروفسور ليسبنسي

---

(١) Ibid, Pp 88-100.

(٢) Feyzee. A. A. A (Shii Legal Theories) in Law in the Middle East (M. Khaduri and H. J Lesbesny eds.) Washington1900, p113.

H. J. Lesbesny المطبوع في واشنطن عام ١٩٠٠، ورأي المستشرق الشهور هودجسون M. Hodgson في بحثه القيم الذي كثيراً ما يعتمد عليه المستشرقون والباحثون المسلمون الموسوم بـ (كيف صار الشيعة فرقة؟)[١]. فالبروفسور فيزي يقول في بحثه «إن استشهاد الحسين قد ختم في الإعلان عن ظهور حركة التشيع رسميا»، وحسب رأي المستشرق هودجسون «كانت نتائج فاجعة كربلاء السريعة والبعيدة الأثر قد أججت مشاعر ثلاثة آلاف من التوابين ودفعتهم إلى قتل أنفسهم تعبيراً منهم عن التوبة والندم بسبب خذلانهم الحسين وعدم نجدتهم له حين لبّى نداءاتهم التي تضمنتها كتبهم»، وقد هيأت في مداها الأبعد الأرضية الخصبة لظهور المختار الثقفي في الإعلان عن حركته. كذلك فإن الفاجعة قد وفرت الشعار المؤثر الذي انتفع منه العباسيون في الإطاحة بالدولة الأموية. وفوق كل ذلك فان اسم الحسين وذكراه وذكرى فاجعة كربلاء قد أضحت جزءا لا يتجزأ من الشعائر والأخلاق الشيعية، وشعاراً مؤثراً في إثارة الحماس الديني وفي إلهاب المشاعر بالثورة ضد كل طغيان.

فاهتمام المستشرقين من مدارس شتى بفاجعة كربلاء هو الدليل الواضح على الأهمية الدينية والعقيدية والتاريخية التي مثّلتها معركة الطف وشهيدها الإمام الحسين ابن علي، وما أعقبها مباشرة من نتائج في غاية الأهمية سواء على مستوى الأطاحة بالطغاة من بني أمية وولاتهم العتاة أمثال زياد بن أبيه وعبيد الله بن زياد والحجاج

---

(١) Hodgson, M. (How did the shia) OP. Cit. p3.

وأمثالهم أم على المستوى السياسي العام في اندلاع الثورات والانتفاضات الشيعية المتكررة ضد الظلم السياسي والاجتماعي أم في الإسراع بانهيار النظام الأموي وسقوطه.

إن اسهام المستشرقين الملحوظ في الكتابة عن الأئمة علي والحسن والحسين عليهم السلام لا يفهم منه انهم لم يهتموا بدراسة سير وأوضاع الأئمة الآخرين. صحيح انها لا يمكن موازنتها عدداً بالدراسات المذكورة آنفا. ولكنها دراسات قيمة أيضاً، فالمستشرق الألماني جيولوس هل J. Hell، مثلا قدّم بحثا مهما عن الشاعر الفرزدق والإمام علي بن الحسين، زين العابدين، نشره في كتاب حققه المستشرق الألماني المعروف G. Weil فايل، عام١٩١٥، درس فيه حياة الإمام وورعه ومواصلته على التعبد، وانصرافه كلياً إلى عبادة الله، وابتعاده عن أمور الدنيا، وتدينه[(١)]، وقدّم المستشرق فايل عرضا للموقف الذي أطلق عليه المسالمة والهدوء والانعزال إزاء الأمويين وسلطانهم الجائر ومن الزبيريين في مكة. مع ان الإمام لم يعط الشرعية لعبد الله ابن الزبير، وأشار المستشرق إلى نهوض محمد بن الحنفية والتفاف الشيعة، شيعة الكوفة حوله، ولاسيما المختار الثقفي حين وجد الشيعة والمختار رفض الإمام زين العابدين التورط بالأمور السياسية، بل عدم الانشغال بتلك الأحداث بعد ما شهد من آلام وأحن على إثر فاجعة كربلاء التي تثير في أعماقه كل مشاعر الحزن والأسى، وبعد أن عانى ما عانى وهو

---

(١) Hell, J (al - Farazdaks loblied auf Ali ibn al Husain (Zain al Abidin) in Feslschrifl Eduard Sachau (ed. G Weil, Berlin1915,) P. 368.

مريض من آلام التعذيب والقيود التي سلطها العتاة الأمويين بعد قتلهم الإمام الحسين وأولاده وأنصاره بتلك الوحشية التي لم تمارس حتى ضد الكفّار وعبدة الأوثان. عندئذ شغلت هذه الأحداث المفجعة ذهن الإمام واستولت على تفكيره ومشاعره. ويستنتج المستشرق هيل، أن الإمام ربما عيّن محمد بن الحنفية حامياً بمعنى (ستراً) ليصون الهوية الشيعية ويحمي الإمام الحقيقي. لهذا فإن أبن الحنفية، وحسب رأي المستشرق، كان أماماً مستودعا بينما ظل الإمام زين العابدين الإمام المستقر. وعلى وفق هذا التفسير فقد أشار المستشرق الألماني شتروسمان إلى ان الكثير من الزيدية أتباع زيد بن علي لم يعترفوا بالإمام زين العابدين وتمسكوا بإمامة زيد[١].

كذلك وقف المستشرق الإيطالي كابيزوني Capezzone على موضوع التفاف الشيعة حول محمد بن الحنفية زمن الإمام زين العابدين مما أدى إلى نشأة حركة الكيسانية، والتأكيد على مسألة أبي خالد الكابولي. وقد نشر الدراسة في مجلة R. S. O عام ١٩٩١[٢]. وتطرق المستشرق فؤاد سزكين إلى الإمام زين العابدين فذكره في تاريخ الأدب العربي[٣].

ولكن دراسات كل من المستشرق الألماني مادولنك والمستشرق الاسرائيلي ايتان كوهلبرغ تعدّان من الدراسات القيمة

---

(١) Strothmann, R. Das staats recht der Zaiditen (Strassburg 1912) P. 107.

(٢) Cappezzone (Abiura dalla Kaysaniyya convesione all Imamiyya: IL caso di Abu Halid al - Kabulil) in RSO. Volume 66 (1992). Pp. 1-13.

(٣) Sezagin. F. GAS. Voume. I. Pp. 526-528.

عن سيرة الامام زين العابدين. فدرس المستشرق مادولنك الموضوع في بحثين مباشرين الأول بعنوان (علي بن الحسين)، نشره في دائرة المعارف الدينية، والآخر في دراسته القيمة عن الإمام القاسم بن إبراهيم والزيدية)، التي نشرها في برلين عام ١٩٦٥[١]. ودرس المستشرق كوهلبرغ في دائرة المعارف الإسلامية (طبعة جديدة) سيرة الإمام في بحث بعنوان (زين العابدين، علي بن الحسين)[٢]، وأطلق عليه تسمية Ornament of the Worshippers. تطرق فيه إلى الموضوع المذكور آنفا المتعلق بالمختار الثقفي وعلاقته بالإمام ومحاولته الحصول على موافقته وشرعيته للثورة إلا أن الإمام رفض ذلك العرض. وأدلى ببعض المعلومات عن مصادر رواية الإمام في المؤلفات السنية فوجد أن الإمام روى عن ابن عباس عن أبيه، وروى عن عمه الإمام الحسن وآخرين. ونقل ما أورده ابن شهاب الزهري عن الإمام. كذلك وقف وقفة مفصلة على الصحيفة السجادية ذاكرا انها حين تم ترجمها إلى اللغة الفارسية قد أضيف إليها خمس عشرة مناجاة، ولاسيما في النسخ الحديثة للصحيفة. وقد تم ترجمة الصحيفة إلى اللغة الإنجليزية بعنوان (الترنيمة المقدسة في الإسلام: الصحيفة السجادية الكاملة) ترجمها W. W. Chittick جتك[٣]، وطبعها في لندن عام ١٩٨٨. واعتمد كوهلبرغ

---

(١) Madelung. W (Des Imam Al - Qasim ibn Ibrahim und die Glou - benslehre der Zaiditeń Berlin 1965), idem (Zayn al - Abiding) in ELR. Volume I. P. 849.

(٢) (Zain al Abiding) in Ensyclopidia of Islam. By Kohlberg.

(٣) Chittick, W. W.: The Psalim of Islam: al - Sahifa al-Sajjadiyyáwith an introduction and annotation (London 1988).

في بحثه على مصادر كثيرة أساسية تاريخية وأدبية وتراجمية.

ويرى كل من المستشرق هودجسون في بحثه المشار إليه آنفا (كيف اصبح الشيعة فرقة؟) والمستشرق مونتغومري وات Watt في بحثه (التشيع في عهدالأمويين) بأن حركة المختار الثقفي قد أحدثت أول شرخ في قضية الإمامة التي هي ضمن الخط الإمامي الإثني عشري بمعنى الخط المتصل بفاطمة الزهراءإلى خط محمد بن الحنفية. وهو شرخ في شرعية التكوين الأساس لحركة التشيع. علما بأن المستشرق هودجسون لم يعط التعليل الشافي حول عدم موافقة الإمام زين العابدين على منح الشرعية لتلك الحركة أي حركة المختار الثقفي، وذلك لأن الإمام كان في شغل شاغل عن الحركة وأنه بسبب استشهاد أبيه واخوته وأنصاره في فاجعة كربلاء التي لم يمر عليها الوقت الكافي؛ ناهيك عن متابعة الأمويين لجميع تحركاته ولاسيما ما يتعلق بثورة المختار. وعلينا أن لا ننسى المرارة التي تركها تصرف أهالي الكوفة من خذلانهم للإمام الحسين بعد إعلانهم عن طريق آلاف الكتب عن تأييدهم المطلق له، ومن هنا فإن هذا التصرف غير الواعي وخذلان أهالي الكوفة لأبيه الإمام الحسين جعله يتردد في تصديقهم ثانية؟، وهو مازال يحيا كل ساعة أجواء معركة الطف الدامية، وكيف انهم - أهالي الكوفة - هم الذين تسببوا في استشهاده بعد مكاتبتهم إياه.

والمستشرق مونتغومري وات يطرح الموضوع بشكل آخر، فيقول «إن الإمام زين العابدين بتأكيده ومطالبته وراثة الإمام الحسين عندئذ يكون قد ساعد على أن يجمع حوله عددا من الموالين والأنصار وإنه بهذا العمل يكون قد وضع أسس الشرعية الدينية

للحركة الشيعية؛ تاركا هذا الأمر المهم لإبنه الإمام محمد الباقر بغية ترسيخ هذه الأسس والعمل على تطويرها، وتطوير مبادىء هذه الشرعية بحسب مفهوم الولاية(١) المتعاقبة.

وضمن هذه المحاور التي تتعلق بالإمامة وترسيخ أسسها زمن الإمام محمد بن علي الباقرتناول المستشرق كوهلبرغ الإمام الباقرفي بحثه في دائرة المعارف الإسلامية بعنوان (محمد بن علي الباقر). وأشار إلى ان الإمام تابع منهج والده الإمام زين العابدين كما أوصاه؛ وحلل موقف الإمام حول عقيدة المهدي باعتماده على رواية محمد بن سعد البصري في الطبقات حول مهدية عمر بن عبد العزيز، كذلك رجع إلى المحاسن والمساوئ للبيهقي حول موضوع اعتماد عبد الملك بن مروان على الإمام الباقر بشأن النقود الذهبية التي توعد امبراطور البيزنطيين عبد الملك أنه سيبدلها بسكة في غير صالح الأمويين وقد وفّر له الإمام الحلّ الذي أنقذه من ورطته، وقول المستشرق أن الإمام يعدّ الأول بين الأئمة في تشكيل وبناء ما صار يعرف بالعقائد الأساسية للمذهب الاثنى عشري، أي بما يتعلق بوضع نظرية لمبدأ النص في الإمامة وفي أصول الفقه الإمامي، ووقف على مكانة الإمام ومصداقيته في رواية الحديث التي روتها المؤلفات السنية، كذلك وقف على فرقة الباقرية(٢).

وهناك مسائل فقهية وقف عليها المستشرقون عند حديثهم عن

---

(١) Hodgson, M. (How did the Shia?) Op. C it. P. 1,3,Watt, M. (Shilsm under The Umayyads) in (Shiism) Volume. I.

(٢) (Muhammad B. Ali al - Bakir) in Encyclopedia of Islam, by Kohlberg. Watt, Shiism. P. 168, 169.

سيرة الإمام الباقر منها التقية، والمتعة، وشرب النبيذ، وتدوين مرويات الحديث الشيعية. فألف المستشرق المجري المعروف جولد تسيهر Goldzeihr بحثا قدما بعنوان (عقيدة التقية عند الإمامية) نشره في مجلة ZDMG عام ١٩٠٦ مشيراً إلى موقف الإمامين محمد الباقر وجعفر الصادق منها، فيقول انه من الصعب التشكيك بأن التقية صارت عند الإمامين جزءا ضروريا من العقيدة. وانها بالتأكيد قد خدمت التشيع كثيراً لأنها الوسيلة النافعة للحفاظ والإبقاء على ديمومة المذهب إبان الظروف السياسية للسلطات الأموية المعادية والمتعسفة. فالإمامان ولاسيما الإمام الصادق قد حدد التقية واعتبرها إحدى عقائد الشيعة[١] المهمة.

أما بالنسبة إلى موقف الامام الباقرمن شرب النبيذ فان المستشرق شاخت Schacht صرّح في كتابه المترجم إلى الانجليزية (أصول الفقه المحمدي) المطبوع عام ١٩٥٠، بأن الإمام قد منع تماما شرب النبيذ أو أي مسكر آخر، وبهذا خالف الفقهاء الكوفيين الذين أباحوا شرب النبيذ؛ وكذلك الحال بالنسبة إلى رأيه في المتعة، وهو الرأي الذي خالف فيه أيضاً فقهاء الشيعة اعتماداً على موقف الإمام علي منها[٢]. أما فيما يتعلق بتدوين أحاديث الشيعة فيقول هودجسون ووات إن الإمام الباقر قد شدد على تدوين ورواية الحديث الصحيح وإنه رفض الكثير من الأحاديث الموضوعة والمزيفة تلك التي رويت من قبل الغلاة. وهكذا صار الإمام رائدا

(١) Holdzeheir, I: Das prinzip de Takiya in Imami (in ZDMG (vol. 60/1906).

(٢) Schacht, The Origins of Muhammadan Jurisprudence (Oxford 1950). p. 262, 263.

في مدرسة تدوين الأحاديث المقبولة والموافقة للمذهب[١].

ودرس المستشرقون سيرة الإمام الصادق ومواقفه العلمية والفقهية، فتناول المستشرق الألماني جوليوس رسكا Ruska، المشهور في دراساته عن العلوم عند العرب، ولاسيما في علم الكيمياء، فألف هذا المستشرق كتابا طبعه في ألمانيا في هايدلبرغ سنة ١٩٢٢ بعنوان (الكيمياء العربية، جعفر الصادق إمام الشيعة)، وقد سلط فيه الضوء على مسألة علمية مهمة شهر بها الإمام الصادق عليه السلام في كتابه الذي ألفه بعنوان (الجفر)، القائم على نظرية كيماوية في تحويل المعادن الخسيسة إلى معادن ثمينة ونفيسة. والواقع أن العلماء الذين ألفوا في العلوم عند العرب سواء كانوا أجانب أم مسلمين وقفوا على هذا الميدان العلمي وعلى أداء الإمام فيه.

كذلك كتب رسكا بحثا نشره في مجلة Der Islam (ISL) بعنوان (جابر بن حيان تلميذ الإمام جعفر الصادق)[٢] وألف المستشرق السويدي المعروف زترستين K. V. Zettersteen في دائرة المعارف الاسلامية (طبعة قديمة) بحثا بعنوان (جعفر الصادق) مشيراً إلى عدم انشغاله بالأمور السياسية، ولكنه عرف بدرايته الواسعة في الحديث الشريف ولاسيما الأحاديث التي ترجع إلى آل البيت الأطهار. كما انه اشتغل بالتنجيم والكيمياء وغيرها من العلوم

---

(١) Hodgson Op. Cit. P. 11, Watt, Op. Cit. P. 169.

(٢) Ruska, Jlius. F.: Arabische Alchemisten 11 Gafar al-Sadiq der Sechte Imam (Heildeberg 1922), idem. (Gaber ibn Hayyan und seine Beziehungen zum Imam Gafar Assadeq) in ISL, Vol. 16 P. 264-266.

الخفية[1]، كذلك درس المستشرق مارشال هودجسون سيرة الإمام الصادق وأعماله العلمية في بحث (جعفر الصادق) في دائرة المعارف الإسلامية (طبعة جديدة) معتمدا فيها على مصادر تاريخية وتراجمية. والمستشرق المذكور وقف على سيرة الإمام ومواقفه من الغلاة في بحثه المشار إليه آنفا (كيف أصبح الشيعة فرقة؟)، ويرى هودجسون ان الإمامين الصادق والرضا قد كشفا عن مواقفهما الحازمة والشديدة إزاء الغلاة وما قاموا به من عملية تزوير ووضع للأحاديث الكاذبة ونسبتها إلى الإئمة؛ وقد كشف الكشي في رجاله أحاديث قد جمعها في العراق عن الإمامين الباقر والصادق كذّبها وبين كيف وقف منها الإمام الرضا موقفا سلبياً. وأشار المستشرق في هذا المجال إلى ما قام به أبو الخطاب وأتباعه من نسبة الكثير من الأحاديث إلى الإمام الصادق وأدخالها في كتبهم[2] على أنها من أقوال الأئمة، كذلك أسهم المستشرق بكلي Ron P. Buckley في كتاب Shiism من تحقيق بول لفت وكولن تيرنر ببحث عنوانه (جعفر الصادق مصدرا للأحاديث الشيعية)[3] تناول فيه بالتفصيل ما قام به الإمام من عمل في ترسيخ أسس الكتابة التاريخية وتدوين أحاديث الشيعة الصحيحة وتنقيتها مما علق بها من تشويه قام بها الغلاة في

---

(١) (Jafar al Sadiq) In Encyclopedia of Islam (Old Edition) Volume 16 P. 264-266 النسخة المترجمة إلى العربية.

(٢) (Djafar al-Sadik) in Encyclopedia of Islam (New Edition)Volume. 2. Pp. 374 - 375.

(٣) Ron P. Buckley (Jafar al - Sadiq as a Sourse of Shii tradition)in Paul Left and Colin Turner (Eds) Shiism (2008) Vol. I.

عملية دسّ وتزوير للأحاديث أو نسبتهم أحاديث مرفوضة وكاذبة إلى الإمامين الباقر والصادق. وتناول المستشرق موسكاتي الإيطالي أهمية الإمام الصادق في الثورة العباسية في بحثه الموسوم بـ(من التاريخ القديم للشيعة)[1].

و هذا المستوى بنفسه من الإهتمام بسير الأئمة الأطهار الذين أشرنا اليهم في هذا الفصل فإن سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء قد استحوذت على دراسات المستشرقين فانها تمثل الحلقة الثالثة في الخط الإمامي بعد رسول الله والإمام علي. وفاطمة الزهراء هي الأخرى قد ظلمها بعض المستشرقين من الجيل الأول أمثال كايتاني Caetani في مقدمة (حوليات الإسلام)، والمبشر الذي مثل الخط المعادي لأهل بيت رسول الله هنري لامانس. في العقد الأول من القرن العشرين. فقد ألف لامانس كتابا عن فاطمة الزهراء في سنة ١٩١٢ بعنوان(فاطمة وبنات محمد)[2]، كذلك تعرض لها في كتابه الذي مجّد فيه معاوية بن أبي سفيان وابنه يزيد؛ وكان في كتابه الأول قد حاقداً بل ماكرا في تقليله من أهمية فاطمة الزهراء وفي علاقتها بأبيها رسول الله، وهو دائما يأخذ بعض الروايات الضعيفة سندا وفحوى فيحمّلها أكثر من طاقتها، كما فعل تماما مع نصّ رواية لمؤلف متأخر جدا هو الهيثمي ليطبقها على الإمامين الحسن والحسين.

وقد انتقدت المستشرقة الإيطالية فاجيليري رؤيته وموقفه من

(١) Moscati, S. (Per Uno stioria dell, Antics Shia) in RSO Volume. 30 (1955). P. 25.

(٢) LAmmens, H, Fatima et les Filles de Mohamet (Rome 1912).

الزهراء واصفة قوله بأنه (ينم عن malice (حقد أو خبث أو مكر). كذلك تقف من رؤية كيتاني موقفاً متطابقاً تقريبا لتفسير ورؤية لامانس. وفي الوقت نفسه فقد وقف المستشرق الألماني C. H. Becker بيكر خلال دراسته سيرة سيد المرسلين[1] محمد وعائلته المنشورة عام ١٩١٣، في مجلة دراسات اسلامية. كذلك الحال بالنسبة إلى دراسة سبرنجر A. Sprenger عن حياة محمد وتعاليمه[2]. والملاحظ ان هذا المستشرق الألماني قد ألف كتابا عن رسول الله بعنوان (حياة محمد). ولكن المستشرق الفرنسي ماسنيون Massignon يعدّ من أكثر المستشرقين أهتماما بالزهراء ومن أكثرهم إيجابية ازائها. فقد ألف عدة اسهامات حول فاطمة الزهراء، وفي أحدها وضع على سبيل الموازنة فاطمة ومريم العذراء، واستشهاد الإمام الحسين وبين عذاب وآلام صلب Crucifixion السيد المسيح[3]. وماسنيون على خلافا لموقف لامانس فقد وضع لها ماسنيون المقام السامي والرفيع Sublime طالما يذكر المقام العالي الذي تحتله مريم العذراء بينا المسيحيين Virgin Mary. إنها تمثل بداية الاسلام العالمي أو الشامل وذلك يرجع إلى همّها وقلقها وعنايتها بالذين تحولوا إلى الاسلام من غير العرب. وهو يقدّم في بحوثه التي سنذكرها الآن تحليلاً نفسياً وتفسيراً علمياً لأصل ما يعرف باسطورة ابنة رسول الله وكونها جسراً سدّت فيه الفراغ الذي

---

(١) Becker, C. H. (Grundsatz lisches zur Leben Muhommad Forschung) in Islam Studen. Volume. I (1913). Pp. 520 - 27.

(٢) Sprenger, A., Das Leben und die Leher Muhammad.

(٣) See Kohlerg. E. (Western Studies) in (Belief and Law, Op. Cit,P. 33-34.

هو كائن بين الاسطورة والحقيقة»، وهذا أمر فشل فيه هنري لامانس لحقده وكرهه لآل البيت ﷺ إن يقوم به. نشر ماسنيون في عام ١٩٣٨ بحثاً بعنوان (الغنوصية في الإسلام الشيعي) وقف فيه على الموازنة بين الزهراء ومريم العذراء، ونشر في عام ١٩٥٥ كتابا حول (المباهلة في المدينة وفاطمة)، وفي عام ١٩٥٦ نشر بحثا آخر بعنوان (مفهوم التقوى والعبادة عند فاطمة في الإسلام)[١].

ومن بين الدراسات الأخرى دراسة المستشرقة الايطالية فيشيا فاجليري إذْ كتبت بحثاً مفصلاً في دائرة المعارف الإسلامية (طبعة جديدة) غطّى الصفحات من (٨٤٢ - ٨٥٠)[٢]. وقد تناول بحثها العديد من المحاور فتحدثت عن فاطمة في التاريخ، وولادتها وطفولتها ورحلتها من مكة إلى المدينة، وخطبتها وزواجها، وبيتها بعد زواجها، وخلافها مع الإمام علي وتدخل رسول الله في الموقف، وأحداث تاريخية كان لفاطمة دور فيها من خلال حياة رسول الله، وفاطمة واحدة من أعضاء آل البيت، وفاطمة خلال مرض ولدها، وفاطمة بعد وفاة والدها، ومطالبة فاطمة بفدك، ومرضها ووفاتها، وملامحها وصفاتها وأخلاقها، وأسطورة فاطمة Legend، وأمورتتعلق بخطبتها، وزواجها من الإمام علي، وجهاز

(١) Massigon, L. (Der gnostische kultus der im schiitischen) in Eronos Jahr bucher 1938, idem. (la Mubahala de Medine et L, hyperdulie de Fatima) Paris 1955, idcm (La notion du voeu et la devotion muslmane a Fatima) in Studi Orientalistici (Rome 1965) Volume. 2/P. 118 119.

(٢) (Fatima) in Ensyclopedia of Islam (New Edition)Volume. 2/P. 842-850 K by L. Vaccia Vagelieri.

عرسها، وحفلة زواجها والهدايا التي جاءت بها الملائكة من السماء، ومعجزات فاطمة، وفاطمة في الجنة، وموضوع علاقة النور بفاطمة، واسم فاطمة، وفاطمة في القرآن، وفاطمة في التعزية، والعزاء الحسيني، وفاطمة في العقيدة الإسماعيلية. إنها كما يرى المتتبع لوحة تاريخية مفصلة مأخوذة من مصادر مختلفة تعكس بما لا يقبل الشك والتردد الأهمية التاريخية لسيدة نساء العالمين.

لذلك فان بحث المستشرقة فاجيليري قد غطّى جميع فقرات سيرة سيدة نساء العالمين معتمدة على قائمة طويلة من المصادر الأساسية مثل ابن حزم، والواقدي، وابن سعد، والبلاذري، وابن حبيب وابن قتيبة وابن عبد ربه، كما اعتمدت في موضوع المباهلة على التفاسير ومؤلفات الإمامية وعلى مؤلفات العلامة المجلسي في بحار الأنوار (علما بأن المرويات الخاصة بالزهراء قد جمعت رسميا من قبل الصفويين ودوّنها العلامة المجلسي تضمنها الجزء العاشر من الباب الأول وحتى الباب السادس) ومن الملاحظات المهمة التي أكدتها المستشرقة فاجيليري ملاحظة تشير إلى عدم ذكر المؤلفات التاريخية ومؤلفات السير كسيرة ابن هشام، وكتب الحديث أية، معلومات مهمة تتعلق بفاطمة الزهراء وهو أمر يثير التساؤلات. كذلك الحال بالنسبة إلى المؤلفات المتأخرة كالاستيعاب لأبن عبد البر وأسد الغابة لابن الأثير والإصابة لابن حجر والسيرة الحلبية فهذه جميعها تتجاهل الحديث عن فاطمة عمدا والله أعلم فيما عدا القليل جدا منها(١).

---

(١) Ibid. P. 842, 849,850.

ودرس متي موسى في كتابه المشار إليه آنفا (الشيعة المتطرفون، الغلاة) في فصل خاص بأن النبي (حبب فاطمة الزهراء للشيعة) وان الدولة الفاطمية في مصر إنّما عبّر مؤسسوها عن تبجيلهم وحبهم في اتخاذ اسم دولتهم باسمها، ويقول المستشرق متي إن بعض الشيعة يشبهون فاطمة بمريم العذراء ويسمونها فاطمة العذراء، مشيراً إلى تفسير النبي لمعنى الباكرة والعذراء. وأستند المستشرق إلى الشيخ العلامة أبن بابويه في كتابه علل الشريعة[١]. والواقع حسبما أشارت إليه المستشرقة فاجيليري أن المستشرق ماسنيون قد شدد على الموازنة بين فاطمة الزهراء ومريم العذراء.

وهناك دراسة أسهم فيها المستشرق تود لوسون Todd Lawson في كتاب (من أكثر علماء الشيعة علمية: مؤسسة مرجع التقليد) الذي حققته المستشرقة لندا وولبردج Linda S. Wallbridge ونشر في مطبعة جامعة اكسفورد عام ٢٠٠١[٢] بعنوان (الولاية أو السلطة الدينية لفاطمة في كتاب قديم كتبه الباب)[٣] والواقع ان هذا البحث يتعلق بفاطمة البهائية إذ يقارن المؤلف هذه السيدة بفاطمة الزهراء. واستثمرت محققة الكتاب الموضوع فتحدثت المستشرقة لندا عن فاطمة الزهراء من صفحة ١٠٢ - ١٠٤ بعنوان (فاطمة التاريخ)

---

(١) Matti, Moosa, The exterimist Shia. Op. Cit Pp. 77-87: Corbin, H. Cyclical time and Ismaili Gnosis (London 1983). P. 183.

(٢) Linda S. Walbridge: The most Learned of shia: The Institution of the Marja Taqlid (Oxford University Press 2001).

(٣) Todd Lawson: Fatima s Religious Authority in the early Work by the BAb ,Pp. 94 - 127.

وتعرضت فيه إلى موقف لامانس المبغض والسلبي ثم اعتمدت على ردّ فيشا فاجيليري عليه في بحثها (فاطمة) وأشارت إلى بحث لويس ماسنيون (ظاهرة العبادة والتقوى عند فاطمة)[1].

وأخيرا قامت المستشرقة الكندية ليندا كلارك بالاشتراك مع البروفسور محمود أيوب بترجمة ما له علاقة بفاطمة الزهراء في كتاب إعلام الورى بأعلام الهدى للعلامة الطبرسي، بعنوان (إشعاعات النور: محمد النبي وفاطمة المشّعة)[2] وطبع في تورنتو عام ١٩٨٦.

---

(١) Ibid, P. 102 - 104.

(٢) Ibid,P. 102 - 104.

الفصل التاسع

الغلو والغلاة في دراسات المستشرقين

لقد دأب المستشرقون بصورة عامة على تكرار فهم - هو خاطئ من وجهة نظر الشيعة الإماميّة الإثني عشرية - بأن الغلو جزء لا يتجزأ من عقيدة التشيع، وإن الغلاة هم شيعة لكنهم متطرفون.

وهناك حقيقة تاريخية لابد من التذكير بها، وهي أن فرق الشيعة خلال مراحل التاريخ الإسلامي قد تعرضت إلى انقسامات وفرق تبعاً لعدة عوامل وأسباب أهمها:

١- الموقف من الإمامة: فالإمامية الإثني عشرية ظلت حية وفاعلة وتمثل الأكثرية.

وقد استمرت عقيدتها في الإمامة واضحة في النص والتعيين. فالشرعية للإمام الذي هو من نسل فاطمة الزهراء بنت رسول الله وعلى هذا الأساس سُمِّيت الفرقة بالإثني عشرية، لأنها تعترف بإثني عشر إماماً من صلب أوخط فاطمة الزهراء إلى الإمام المهدي المنتظر، آخر الأئمة في هذه السلسلة.

عندئذ فإن الفرق التي خرجت عن هذه الفرقة وتفرقت إلى زعامات أخرى كانت نتيجة مباشرة لهذا المفهوم، ومع أن محمد بن الحنفية لم يطالب بالإمامة علانية خلال عهد والده الإمام علي، لكن مواليه وأتباعه، أيام إمامة علي بن الحسين زين العابدين، قد نادوا بإمامته فتحولوا إلى فرقة تدعى بالكيسانية ومنها أيضاً الكربية أو

الكرابية. وإلى هاتين المجموعتين نسبت أفكار لم تكن موجودة في أصل التشيع، مثل أن محمد بن الحنفية إمام ومهدي وأنه لم يمت إنما اختفى في جبل رضوى وسيعود حسب مبدأ الرجعة.

فالشيعة الإمامية لم يقولوا بأن الإمام علي أو الحسن أو الحسين، سوف يرجعوا (من مبدأ الرجعة) مرة أخرى بعد استشهادهم وفقاً لمبدأ الرجعة، عدا الرأي الذي نسب إلى الشخص المشكوك في وجوده عبد الله سبأ، الذي نسبت له مجموعة أقوال تقول بالألوهية والرجعة؛ ومن المحتمل جداً أن تكون آراءً دخيلة على لسانه بهدف الطعن والتشويه ضد الإمام علي، أو ضد حركة التشيع عموماً.

كذلك الحال بشأن الشهيد زيد بن علي فأنه لم يطالب بالإمامة أيضاً وظل معترفاً بالأئمة من نسل فاطمة الزهراء حتى استشهاده عليه السلام. وبعد استشهاده ظهرت مجموعة مؤيدة له رفعت شعاراً معلنة أنه الإمام وأنه المهدي.

٢ - الموقف من الرجعة وألوهية الأئمة، (وغير ذلك من الأفكار) هذه الآراء لم تطرح من قبل أنصار الإمام علي، فضلاً عن أنه عليه السلام لم يعتقد بها ومؤكداً أنها لم تكن موجودة أيضاً زمن الإمام ومن بعده زمن الأئمة حتى - تقريباً - استشهاد الإمام موسى الكاظم. عندما رفع الواقفة هذا الاعتقاد برجعة الإمام.

وكان من المفروض تأييداً لأفكار الغلاة أن يرفع الشعار بالرجعة بعد استشهاد الإمام الحسين، ولكن يبدو أن الرواة الذين اختلقوا شخصية ابن سبأ قد فاتتهم الفرصة في استثمار هذه الفاجعة للقول برجعة الإمام الحسين.

صحيح أن الشخصية التي خلقتها رواية سيف بن عمر قد نادت برجعة الإمام علي وأنه لم يمت وما إلى ذلك من مسائل نسبت إلى عبد الله بن سبأ تلك التي تبرأ منها الإمام علي وحاربها. لكنها تثبتت وأخذت حيّزاً عند فرقة الكيسانية ومن اعتنقها أو ممن كان على خطها أمثال أبو كرب وحمزة بن عمارة البربري وبيان بن سمعان وسعيد النهدي وغيرهم. . فجميع هؤلاء لا تنطبق عليهم صفة التشيع؛ لأنهم ابتعدوا عن العقيدة بانتماءاتهم الفرقية الخاصة.

وتطورت مثل هذه الأفكار والآراء عند رجال آخرين ظهروا إبان فترة الإمامين الباقر والصادق، اللذين قد اتخذا مواقف صارمة وشديدة إزاءهم. وفوق هذا وذاك فإنهما قد أعلنا براءتهما من هؤلاء النفر من الغلاة وطردوهم من الحضور في مجالسهم وأعلنا صراحة أن هؤلاء الغلاة لا علاقة لهم بالعقيدة الشيعية الصحيحة. . ولاسيما بعد أن أعلنوا وغيرهم من الغلاة، عن مواقفهم وآرائهم الغالية في الله تعالى والنبوة والإمامة والجنة والنار، وبعد أن خرجوا عن جوهر الرسالة الإسلامية وتعاليمها.

وإن نظرة فاحصة إلى مؤلفات الرجال والتراجم الشيعية توفر للمتتبع أدلة كثيرة حول تشكيك علماء الرجال الشيعة بالغلو والغلاة، وتصريحاتهم الواضحة التي لا تقبل الشك بأن الغلاة لا يمثلون حركة التشيع الأصيلة.

مع كل هذا فما زال المستشرقون حتى يومنا هذا حينما يتطرقون إلى التشيع يصرّون على أن الفرق التي انشقت عن حركة التشيع الإمامي - تلك التي طورت لنفسها آراءً ومعتقدات لا تمت إلى

التشيع الصحيح بصلة سوى في المظاهر العامة وهي أنما تهدف إلى تضليل مؤيديهم ومناصريهم - هم ضمن الشيعة.

فهذا عبد الله بن سبأ، الشخصية الوهمية المختلقة، يمثل عند المستشرقين رأس التشيع وزعيم الشيعة؛ أو أنه الشخصية التي انطلقت منه حركة التشيع. وهو بحسب رأي المستشرق البريطاني المشهور مارشال هودجسون Hodgson مؤسس فرقة الشيعة The (founder of the Shia)[١].

ويذكر هذا المستشرق أن بن سبأ في الرواية السنية هو الذي أدخل أفكاراً نسبها إلى الإمام، وأشارت إليه هذه الرواية بأنه من أكثر الأجنحة الشيعية غلواً في الإمام علي. بقوله إن الله تعالى قد عيّنه وليّاً أو خليفة للنبي؛ وإن علياً لم يمت وسوف يرجع ليملأ الأرض عدلاً، وإنه الوحي وإن الرعد صوته، وإنه رفع إلى السحاب، وغير ذلك من المعتقدات غير الإسلامية. لكن الرواية السنية تصرّ عليها؛ لأن الأمر يتعلق بالإمام. وهذا النفس يتماشى والخط الذي رسمه ابن حزم.

أما الرواية الشيعية، كما يذكر هذا المستشرق، فتصور ابن سبأ على أنه غالٍ لعنه الإمام جعفر الصادق كما أشار إلى ذلك الكشّي في كتابه (معرفة أخبار الرجال)[٢].

كذلك فإن المستشرق الأمريكي متي موسى يطرح عنواناً لكتابه

---

(١) (Abd Allah b. Saba) in Encyclopedig of Islam (New Edition) Volume I P. 51 (by M. G. S. Hodgson).

(٢) معرفة أخبار الرجال ص ٧٠.

وهو (الشيعة المتطرفون: الفرق الغالية) وهو يقصد بذلك الفرق التي جعلت من الإمام علي بمثابة الإله، والتي أسبغت على الأئمة وعلى العقائد الشيعية آراءً ومعتقدات غايتها الحقيقية الخروج على تعاليم الإسلام وعلى تعاليم الأئمة الصحيحة في عقيدة الإمامة أو في عقيدة النص والتعيين والعصمة والغيبة وغيرها من المطالب الأساسية في عقيدة التشيع.

ولهذا لعلنا لا نبالغ القول بأن الكثير من المستشرقين قد ركّزوا على الفرق الشيعية وعلى فرق الغلاة خاصة تركيزاً يشير إلى أن هناك ثمة أهداف محددة وواضحة في مواقفهم. ولذلك فقد شاع في دراسات بعضهم استعمال مصطلحات متطرفة بشأن الشيعة حتى أنهم توجهوا بسبب ذلك المفهوم غير الصحيح إلى اختيار عنوانات لدراساتهم تتضمن تعبيرات تنم عن مواقفهم الحاقدة أو غير الموضوعية مثل (الهرطقة) إشارة إلى التشيع. وهذا التعبير يمكن ترجمته إلى البدعة أو البدع أو التأليه أو الأثر اليهودي والمسيحي في هذا المعتقد أو ذاك، مع العلم أن باستطاعتهم الوصول عن طريق المؤلفات الشيعية فحسب إلى قراءة أو تفحص لردود فعل الأئمة ضد هذه المعتقدات. وأن سيرهم وحياتهم الشخصية لا تختلف عن باقي المخلوقات إلا اللهم في الجوانب العلمية والدينية، فالأئمة أولياء الله تحلّوا بالحكمة والعصمة عن ارتكاب الكبائر، كبائر الذنوب والآثام والمعاصي. وبعكس هذا كيف لنا تفسير الموقف الذي أبداه الإمام علي بن الحسين (زين العابدين) من مروان بن الحكم تلك الشخصية التي أعلنت عداءها ومناوءتها

وحقدها على بيت أهل النبوة وهو الذي كان دوماً يثير الطغاة الأمويين ضد الأئمة منذ خلافة عثمان بن عفان. فعندما أحسّ مروان بالخطر المحدق به بسبب الثورة العارمة التي أثارها أهل مدينة رسول الله على الأمويين وأتباعهم أولئك الذين هتكوا أعراض أهالي المدينة وانتهكوا حرماتهم وسبوا نساءهم ودمروا بيوتهم واحرقوها واعتدوا على الرجال والنساء والأطفال بصورة مخزية مخجلة بعيدة كل البعد عن قيم العرب وعاداتهم التي كانوا يدّعون بها. فتوجه مروان أولاً إلى عبد الله بن عمر الشخصية الدينية المعروفة في المدينة طالباً منه المساعدة في اللجوء إليه وبالأخص المحافظة على أمن عائلته - أي عائلة مروان - من تهديد خطر الثورة التي هدفت إلى طرد رجالات الأمويين من المدينة. فكان موقف عبد الله بن عمر سلبياً، إذ رفض طلب مروان ربما بسبب خشيته من الثوار أو ربما بسبب كراهيته لمروان والأمويين. وعندما ضاقت بمروان الأرض توجه إلى الإمام زين العابدين، وحالما بادره بطلبه في حماية أسرته، كما يذكر ابن قتيبة الدينوري[1]، وهو من مؤرخي أهل السنة، ولم يحمل أي حب ومودة إلى آل البيت، رحّب الإمام بطلبه، وضم أهل مروان إلى عائلته فنجوا جميعاً من الثورة.

فالإمام لم ينطلق في تصرفه هذا من عناصر غالية وبأنه إله أو

---

(١) ينظر، الإمامة والسياسة (تحقيق علي شيري، طبعة أولى، مطبعة شريعة، ١٣٨٦ شمس، جزء ١ ص ٢٣٠ - ٢٣١)؛ والنسخة الحديثة التي أشرف على تحقيقها الدكتور عبد الجبار ناجي ومكتبة مجلس الشورى الإسلامي في إيران (طهران ١٤٣٠ قمري؛ السفر الأول ص ١ - ١٠.

نبي أو ما شابه ذلك إنما تصرف هذا التصرف النبيل، لأنه أحد الأولياء الذين تمتعوا بمواصفات النبل والشرف، والغيرة والورع والتدين، والتقوى.

كذلك لم يقف المستشرقون على رواية سيف بن عمر بشأن عبد الله بن سبأ، ولم يدرسوها ويحللوها وفيما إذا كانت صحيحة أو غير صحيحة أو فيما إذا كانت رواية مشكوك في راويتها على وفق المنهج الذي اعتادوا عليه في البحث والتحليل. فالرواية التي ذكرها كل من الطبري في تاريخه، وابن الأثير في كتابه (الكامل في التاريخ). تعدّ الرواية الأولى والتأسيسية - إن شاء لنا التعبير بذلك - في الحديث عن بداية حركته الغالية. فالباحث الموضوعي والقارئ اللبيب لرواية ظهور السبئية، سوف لن يعثر على أي خيط واضح في ارتباط أو صلة لهذا التعبير (السبئية) وعلاقتهم بالإمام علي. آخذين بنظر الاعتبار حرفية التعبير الذي نعتقد بأنه تعبير خطأ في أصله؛ فإما أن يكون خطأ واقع بفعل النسخ أو في التسمية أو في صحة وجوده في أثناء أحداث ثورة القبائل على الخليفة الثالث، كما ذكرنا آنفا في التحقيق من أصل الرواية. والعدالة والموضوعية يقتضيان أن يتحرى المستشرق - أي مستشرق أو غير مستشرق - وأن يتقصى واقع ذلك المضمون تاريخياً، دون الانسياق وراء نتائج مستندة إلى معلومات حاقدة أساساً أصدرها مؤلفو الفرق الإسلامية أمثال ابن حزم الظاهري أو البغدادي[1] أو غيرهم أو دون أن ينجرّ وراء استنتاج جاهز.

---

(١) See Friedhander, I. (The Heterodoxies of the Shiites in the presentation of Ibn Hazm" in JAOS Volume (28) 1907 Pp. 1-80 (Volume 29) P. 1-183.

فرواية سيف بن عمر عند الطبري قد اختلقت شخصية الغرض منها إداء دور محدود هادف أو أدوار مزدوجة ومركبة بتأثير من السلطة السياسية؛ وقد أعطي لعبد الله بن سبأ اليهودي دوراً يؤديه وهو:

١ - تأليهه للإمام علي بل حتى تفضيله على النبي.

٢ - إنه أحد أنصار الإمام ومحبيه بل حتى أنه ممن قدّم فروض العبادة والطاعة للباري عزّ وجلّ.

٣ - كان يقوم بأعمال نشيطة وجولات (مكوكية) بين الأمصار الإسلامية، غرضها الأساس إثارة الفتن والقلاقل والتوترات في المجتمع الإسلامي. فكان يقوم بكل هذه الأنشطة نيابة عن الإمام وباسمه بوصفه ممثلاً للإمام وناطقاً رسمياً لأفكاره ومعتقداته كما تفصح عنه الرواية، إلى درجة أظهرت به الإمام وكأن موقفه إزاء ما ساد مدينة رسول الله من توتر واضطراب بين الأعراب من جهة، والخليفة من جهة ثانية، كان موقفاً مؤيداً لتلك الأحوال المضطربة والمتوترة التي أدت إلى مقتل الخليفة، إن لم يُفهم منها كما فهمها معاوية ولامانس، بأنه كان له يد في قتله؛ولكن لماذا يقوم الإمام بمثل هكذا عمل؟ سؤال ليس له من جواب عند من روى الرواية.

٤ - أظهرت الرواية أن الإمام كان يعمل حسب مشيئة ابن سبأ هذا؛ مع أنه كان يهدف إلى شق حركة التشيع وكان يهدف إلى إدخال معتقدات يهودية أو نصرانية أو مجوسية في المعتقدات الشيعية أو في الإسلام، أو أنه عمل على إدخال معتقدات غريبة في الإسلام وعلى عقيدة الإمام وأخلاقه وشمائله وفلسفته في الحياة.

ومن هكذا أفكار فقد انطلق المستشرقون ومن بينهم البروفسور مارشال هودجسون Hodgson إلى أن يعّرف عبد الله بن سبأ على أنه مؤسس التشيع The founder of the Shia [١] معتمداً على الرواية الأموية والعباسية السنيّة التي جعلت ابن سبأ على أنه الشخصية التي غذّت الأفكار الغالية جداً، وأنه مؤسس الجناح Wing المتطرف من الشيعة. فصوّر هودجسون الإمام بالنسبة إلى رسول الله، وكأنه يشابه حال يوشع Joshua من النبي موسى بما يتعلق الأمر بمبدأ الوصية والنص والإمامة. والأكثر أهمية أن مثل هذه الأفكار ظلت مستمرة ومتابعة في آراء المستشرقين منذ فترة العصور الأوربية الوسطى كما أسلفنا إليه في كتابات وليم الصوري وغيره وحتى وقتنا الراهن؛ كل ذلك قد حدث بتأثير من موقف ابن حزم الظاهري الحاقد.

هذه مجرد أمثلة مؤثرة في إبراز المنطلقات والأهداف عند عدد من المستشرقين في هذا الميدان أو ذاك بناءاً على قراءات غير موضوعية للرواية التاريخية وبالأخص رواية سيف بن عمر وأمثاله.

إن العلّة الأساسية في إصدار مفاهيم خاطئة، أو في الوصول إلى تفسيرات واستنتاجات سريعة يرجع أولاً وقبل كل شيء إلى اعتماد المستشرقين على المعلومات الجاهزة التي سبق أن توصل إليها ودوّنها مستشرقون وكتاب آخرون. حقيقة أن المستشرق الدانمركي إسرائيل فريدلاندر Fried lander في دراسته المفصلة والمهمة عن عبد الله بن سبأ، يعدّ من المشككين بوجود مثل هذه الشخصية، وأنه قد وقف مفصلاً على مسيرة هذه الشخصية؛ لكنه

---

(١) Abd Allah b. Sabá Op. Cit. by M. G. S. Hodgson.

من الذين دعوا إلى يهودية أصله، وممن أدخل أفكاراً ومعتقدات يهودية في المذهب. فظلت دراسته محل عناية واهتمام عند جميع المستشرقين منذ ظهورها عام ١٩٠٧م.

وإن هذا المستشرق قد ألف بحثاً مفصلاً آخر هو ترجمته لكتاب ابن حزم الظاهري[١] أو بالأحرى روايته عن التشيع وهي الرواية المحرّفة التي أدت بهذا المستشرق إلى أن يصف التشيع بأنه بدعة ضد الإسلام، تماماً كما فهمها معاوية بن أبي سفيان وغيره من العتاة الأمويين والعباسيين، بعد استحواذهم قسراً على السلطة الشرعية.

لا مبالغة في القول إن المدرسة البريطانية والفرنسية والألمانية للاستشراق، تعدّ من المدارس التي أسهمت في انتاجاتها وفي شهرة عدد من مستشرقيها في الكتابة عن ميدان تفرق الشيعة إلى مذاهب وطوائف وفرق.

ولعل من المثير إن التركيز في هذا الشأن كان متوجهاً إلى الفرق التي خرجت عن الخط الإمامي الإثني عشري أو الفرق الغالية في إيران على وجه الخصوص.

وهكذا فإن الاستشراق البريطاني منذ الربع الأخير من القرن التاسع عشر أولى اهتماماً متميزاً في الكتابة عن هذا الميدان. مع ملاحظة أمر مهم وهو أن بريطانيا العظمى كانت من الدول الأوربية الرئيسة التي وجّهت أنظارها واهتماماتها للسيطرة على إيران والهند

---

(١) كتاب (الفصل في الملل والاهواء والنحل) القاهرة ١٣١٧.

Fried lander, The Heterodoxies,Op. Cit. Idem., Abdullah b. Saba, Der Begrunder der Shia und sein Judischer ufsprung (Leipzig 1909).

منافسة منها لأطماع روسيا القيصرية في هذه المنطقة عموماً، التي كانت تعرف عند الأباطرة الروس بمنطقة المياه الدافئة.

فكانت فرقتا البابية والبهائية اللتان خرجتا وارتدتا عن المذهب الإمامي من أوائل الموضوعات التي توجهت إليها أقلام المستشرقين البريطانيين. فالبابية نسبت إلى مؤسسها سيد علي محمد الشيرازي (حضرة الأعلى) المتوفى سنة ١٨٥٠م. وفي عقيدة البهائية إن الشيرازي هو البشير ببهاء الله، أو عبد البهاء المتوفى في حيفا في إسرائيل عام ١٩٥٧[١].

أهدف من هذا إلى القول بأن أعمال المستشرقين البريطانيين كانت معاصرة تقريباً لظهور هذه الفرق الغالية التي انشقت عن المذهب الإمامي، مما يشير إلى اهتمام البريطانيين في هذا المجال الديني منذ فترة مبكرة جداً.

فالمستشرق المعروف أدوارد براون Browne قد ألف كتاباً في سنة ١٨٩١ عن البابية (يلاحظ أن الباب قد توفي في سنة ١٨٥٠ أي أنه بعد مرور أربعة عقود فقط سعى براون إلى دراسة هذه الفرقة) وكان كتابه بعنوان (قصة رحال قد كتبت لتوضيح حادثة أو واقعة الباب) وطبعت الدراسة في مطبعة جامعة كمبردج[٢].

وبعد حوالي العقدين من الزمان أقدم المستشرق براون نفسه

---

(١) See (Bab) in Encyclopedia of Islam (New Edition) Volume I p. 833-35, by A. Bausani,. Idem. (Baha Allah) in Encyclopedia of Islam Volume I Pp. 915-918, by, A Bausani.

(٢) Browne, E. G. A traveller's narrative Written to illustrate the Episode of the Bab (Cambridge 1819).

على تأليف وطبع كتاب آخر في عام ١٩١٨ بعنوان (مصادر المعلومات بشأن دراسة الديانة البابية)(١)، وتم طبعها في لندن. والدراستان يستشهد بهما من قبل المتخصصين في هاتين الفرقتين البابية والبهائية أمثال المستشرق الإيطالي بوساني A. Bausani المعروف بمؤلفاته عن الأديان في إيران(٢). والمستشرق براون قد وقف على هاتين الحركتين في مؤلفه الواسع الانتشار (تاريخ الأدب الفارسي)(٣)، الذي يقع في أربعة أجزاء ابتدأ بطبعه من سنة ١٩٠٨ حتى ١٩٢٤. وهو كتاب يحتوي على معلومات قيّمة عن الموضوع الأساس وهو التاريخ الأدبي؛ فضلاً عن معلومات ركّز براون فيها على الفرق التي انشقت وخرجت عن الخط الإمامي الإثني عشري، وقد ترجمت الأجزاء الأربعة إلى اللغة الفارسية.

كذلك الحال بالنسبة إلى المستشرق كليمنت هيوارت CL- Huart الذي ألف كتاباً عن تاريخ الأدب العربي(٤) يقع بأربعة أجزاء ضمّنه معلومات عن الفرق التي انشقت عن التشيع الإمامي وقد طبعه في لندن عام ١٩٠٣.

وألف هيوارت كتاباً باللغة الفرنسية بعنوان (الديانة البابية) وطبعه في باريس عام ١٨٩٩(٥).

---

(١) idem., Materials for the Study of the Babi Religion (London 1918).

(٢) See (Bab), (Baha Allah) and (Bahais) in Encyclopedia of Islam (New Edition).

(٣) Browne, A Literary History of Persia, 4 volumes (London 1908-1924).

(٤) CL. HUART, A History of Arabic Literature (London 1903).

(٥) idem., La Religion de Bab (Paris 1899.

وله بحث آخر عن الشيخية[١] وهي الفرقة التي تزعّمها السيد كاظم رشتي المتوفى في نهاية سنة ١٨٤٣ . والرشتي هو الذي التقى به ألباب في مدينة كربلاء.

وألف المستشرق ايسيلمونت J. E. Esselmont كتاباً طبع في لندن عام ١٩٢٣ ، بعنوان (بهاء الله والحدث أو الفترة التاريخية الجديدة)[٢].

وعلينا عدم إغفال ما كتبه المستشرق دونالدسون Donaldson في كتابه المشار إليه مراراً (الديانة الشيعية) حول هذه الفرقة، إذ خصّص فصلاً في هذا الكتاب وهو الفصل الأخير بعنوان (ظهور الفرق المنسوبة في الأزمنة الحديثة)، إذ تناول فيه البابية والبهائية ومعتقداتهما ، وجعل جميع هذه الفرق التي تحدّث عنها في الفصل - كما فعل المستشرق براون قبله - ضمن حركة التشيع[٣]. وتحدث دونالدسون عن البابية والبهائية ومعتقداتهما ، معتمداً على أعمال المستشرق بروان والمستشرق ريمي Remey . فقد ألف المستشرق ريمي هذا كتاباً بعنوان (سلسلة من أثني عشر مقالة هي مقدمة لدراسة التعاليم البهائية) طبعها في لندن عام ١٩٢٨[٤]، أي قبل ثلاث سنوات من طبع دونالدسون كتابه (الديانة الشيعية) وكان ذلك في سنة ١٩٣٣ .

---

(١) (Shaikhis) in Encyclopedia of Islam (Old Edition) by, Cl. Huart).

(٢) Donaldson. ,Op. Cit. ,Pp. 357-369.

(٣) Donaldson., OP. CIT., PP. 357-369.

(٤) Remey, J, A Series of Twelve articles in lroduction to the study of the Bahai Teachings (London 1928).

وتناول المستشرق ريمي تعاليم البهائية فيما يتعلق بتوريث عبد البهاء خط الذين يتولون حراسة أو حماية حركتهم. ووقف على هذه الوصية بالنسبة إلى أعقاب البهاء من عائلته. ويستنتج ريمي أن أصول هؤلاء، البابية والبهائية، شيعية ولاسيما في توقعاتهم بعودة الإمام الثاني عشر المهدي المنتظر[١].

ومن المستشرقين الفرنسيين الذين أولوا هذا الموضوع أهمية المستشرق نيكولاس A. I. M. Nicolas المشهور بكتابه عن الشيخية، لكنه هنا قد ألف كتاباً طبع في باريس عام ١٩٠٥ بعنوان (السيد علي محمد الباب)[٢]. وحقق وترجم كتاب السيد علي محمد (البيان) الفارسي اللغة وطبعه في باريس بأربعة مجلدات من سنة ١٩١١-١٩١٤. كذلك ترجم (البيان) العربي وطبعه في باريس عام ١٩٠٥ بعنوان (كتاب بابي مقدس)[٣].

كذلك درس عدد من المستشرقين الإيطاليين البابية، ومن أهمهم المستشرق بوساني A. Bausani المعروف بكتابه (الديانة الفارسية من زرادشت إلى بهاء الله) وتطرق فيه إلى الفرق التي خرجت عن الخط الإمامي الإثني عشري. وأسهم بوساني بثلاثة بحوث عن (الباب) و(بهاء الله) و(البهائية)[٤] في دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة الجديد. ونشر بحثاً في مجلة الشرق الجديد Oriente Moderno عام

---

(١) Ibid., P. 135.

(٢) Nicolas, A. L. M. Seyyid Ali Mohammed du le Bab (Paris 1905).

(٣) idem., Le Beyan Persane (Tran. Par A. L. M. Nicolas (Paris 1911-1914), idem (Le Livre Sacre du Babyisme Trans. By Nicolas, Paris 1905).

(٤) See Encyclopedia of Islam (New Edition)- Op. Cit.

١٩٥٠ ناقش فيه البروفسور نبيل زرندي N. Zarandi [١]، حول نهاية الباب وحول كتابه (تاريخي نبيل) المطبوع في نيويورك عام ١٩٥٢.

وفي ألمانيا كتب المستشرق جوكيت R. Jocket كتاباً طبعه عام ١٩٥١ حول الديانة البهائية[٢].

واستمر الاستشراق البريطاني يولي اهتماماً بالبابية والبهائية، واعتبارها من فرق الشيعة الغلاة؛ فكتب دينس ماكوين MacEoin دراسة لنيل درجة الدكتوراه من جامعة كمبردج بعنوان (من الشيخية إلى البهائية، دراسة في تجديد الشخصية (الكرزما) في الإسلام الشيعي)[٣]، نالها في عام ١٩٧٩. وأسهم دينس ماكوين أيضاً في كتاب (التشيع Shiism) الذي حققه بول لفت وتيرنر، ببحث يتعلق بأطروحته بعنوان (الأرثودوكسية (المعتقد القديم) والهيترودوكسية (البدعة أو الهرطقة) في تشيع القرن التاسع عشر: حالتان للدراسة الشيخية والبهائية)[٤].

ودرس المستشرق تود لاوسون Todd Lawson ضمن بحوث كتاب (من أكثر العلماء علمية عند الشيعة: مؤسسة مرجع التقليد)، الذي حققته المستشرقة لندا ولبردج Linda s. Walbridge عام

---

(١) Idem., "IL Martiro del Bab seconde La narrazione di Nabil Zarandi" in Oeiente Moderno (1970) Pp. 199-207, idem., Persia rilegiosa da Zaratusta Bahaullah (Milan 1959).

(٢) Jocket, R.: Die Glauben slehren der Bahai Religion (Darmstadt 1951).

(٣) MacEoin, D. From shaykhism to Bahism: A study in charismatic Renewal in Shia Islam (Ph. D thesis, Cambridge University 1979.

(٤) Idem., "Orthodoxy and Hetero doxy in 19th Century Shia: The cases of shaykhism and Babism" in Shiisḿ Edited by Paul Luft and Turner.

٢٠٠١، البابية ببحث عنوانه (سلطة أو - ولاية- فاطمة الدينية في أول عمل أو كتاب ألفه للباب)[١]، وهو بحث عن الحركة البابية في القرن التاسع عشر يتعلق بالطاهرة البهائية، وعن بعض التعاليم البهائية.

وعلينا أن لا نغفل الإشارة إلى أن الدبلوماسي الفرنسي جوزيف آرثر كومت دي جوبينو De Gobineau الذي خدم الدبلوماسية الفرنسية في طهران عدة مرات منذ عام ١٨٥٢ حتى عام ١٨٦٣ كان مهتماً بالدراسات الدينية والفلسفية فألف كتاباً بعنوان (الأديان والفلسفات في آسيا الوسطى)[٢]، المطبوع طبعة ثالثة في باريس عام ١٩٠٠، فإنه تطرق إلى البابية التي كانت حينئذ في بداية ظهورها، إذ أن علي محمد الشيرازي قد أعلن عن مبادئه في أربعينيات القرن التاسع عشر.

وكتب بيتر سمث Peter Smith كتاباً عن الديانة البابية نشره عام ١٩٨٧. ومن الجانب الآخر فقد لاحظنا أن المستشرق البريطاني المتخصص في ميدان البهائية دينس ماكوين MacEoin قد ربط في أطروحته بين الشيخية والبهائية. مع أن الشيخية ترجع بداية ظهورها إلى القرن التاسع عشر في إيران والعراق وتنسب إلى زعيمها الشيخ أحمد الأحسائي، وأن الباب قد التقى بالسيد كاظم رشتي في

---

(١) Todd Lawson: "Fatima's Religious Authority in the early Work by the Bab. "In Linda S. Wallbridge (ed.). The most Learned of the Shia The institution of the Marja Taqlid (Oxford Universiry Press (2001) Pp. 94-127.

(٢) Gobineau, J. A. Les religions et les philosophies dans L'Asie Central (Paris 1900).

كربلاء. لكن هذه الفرقة بعد انشقاقها عن الخط الإثني عشري قد وضعت بمعزل عن البابية والبهائية.

ويعدّ ماكوين المستشرق البريطاني الذي سبقت الإشارة إليه المتخصص أيضاً في الكتابة عن الشيخية، إذ ألف بالإضافة إلى رسالته الجامعية للدكتوراه ثلاثة بحوث عن الموضوع نشرها في دائرة المعارف الدينية، الأول منها بعنوان (الشيخ أحمد بن زين الدين)، والثاني بعنوان (البلاسري)، والثالث بعنوان (الشيخية وعلم الكونيات)، وأسهم أيضاً في دائرة المعارف الإسلامية في بحث (الشيخية)[١].

لقد أدينت الشيخية من قبل المستشرقين الذين درسوها، وذلك لاعتبارهم إياها هرطقة وبدعة، مع أنها قد ابتدأت بتأثير من العالم الشيعي ملا صدر الشيرازي، ومدرسة أصفهان الشيعية، وبمرور الزمن بلورت أفكاراً غالية بعيدة عن الخط الإثني عشري. وكانت الفرقة تسمى أيضا بتسمية أخرى هي الكشفية.. ومن العلماء الذين كتبوا عن الشيخية رفاتي V. Rafati وأحسبه عالم مسلم من إيران، إذ درس الفكر الشيخي والتعاليم الشيخية في رسالة دكتوراه عام ١٩٧٩، بعنوان (تطور الفكر الشيخي في الإسلام الشيعي) قدّمها إلى وكالة الإعلام الأمريكية USLA.

وللمستشرق الفرنسي المعروف كوربن H. Corbin إسهام في هذا الميدان، فقد وقف على البهائية والشيخية وغيرها من

---

(١) MacEoin., D (Shaikh Ahmad b. Zayn al - Din) in ELR. Idem article (Ahsai), idem (Balasari) in EL R, idem., (Cosmology in Shaikhism) in ELR, idem., (Shaikhis) in Encyclopedia of Islam.

الموضوعات الفلسفية والصوفية في كتابه المشهور (الإسلام الإيراني)[١]. فضلاً عن ذلك فقد كتب كتاباً طبعه في باريس عام ١٩٥٠ باللغة الفرنسية، ثم ترجم إلى الانجليزية بعنوان (الجسد الروحاني والتراب أو عالم الحياة الفانية السماوي، من إيران المزدية (المزدكية) إلى إيران الشيعية)، وطبعت ترجمته في برنستون عام ١٩٧٧، وضمّ الكتاب تراجم عدد من زعماء وأعلام الشيخية[٢]. وله محاضرات ألقيت على طلبة الدراسات العليا في قسم علم الأديان وطبعت بين سنتي ١٩٦٠-١٩٦١ بعنوان (مدرسة الشيخية في الثيولوجي أو (اللاهوت) الشيعي)[٣].

والاستشراق الإيطالي له إسهام أيضاً في حقل الشيخية إذ ألف المستشرق سكاراسيا G. Scaracia المعروف بدراساته المتعددة بحثاً نشره عام ١٩٦٣ بعنوان (كرمان عام ١٩٠٥ الحرب ضد بلاسري)[٤]. كما أنه كتب بحثاً آخر عن (أوضاع الشيخية في بلاد فارس) نشره عام ١٩٥٨ في مجلة الدراسات التاريخية الدينية.

إذن فالدراسات الاستشراقية البريطانية والفرنسية والإيطالية عن

---

(١) Corbin, H., En Islam iraniem (Paris 1971).

(٢) Idem., Terre celeste et corps de resurrection de L'iran Mazdeen a L'iran Shiite (Paris 1950), idem.,.

(٣) Idem., "L'ecole Shaykhia et Theologie Shiite" in Annuaire de L'Ecole Partique des Hautes Etudes, Section des Sciences Religieuses (1960-1961).

(٤) Scaracia, G. "Kerman 1905. La Guerra tra erhi Balasari" in AIVON (N. S. 13 (1963) PP. 195-238, idem "Stato e dottrine attuali selta scitta degli Shaikhi in Persia" in Studi a Matereiali di Storia della Religioni (Volume 29)1958) Pp. 215-241.

البابية التي ولدت في رحم الشيخية والبهائية، نراها قد شددت على الاختلافات الأساسية في (الأصول) والفروع بينها من جهة وبينها وبين الإمامية الإثني عشرية من جهة أخرى.

والجدير بالذكر أن ماكوين MacEoin بيَّن أنه قد اعتمد في معلوماته المصدرية والفكرية على عدد من العلماء الإيرانيين الذين يحتمل أنهم كانوا ينتمون إلى هذه الفرقة. فقد ألف هؤلاء كتباً مهمة عن الشيخية والبابية فضلاً عن موضوعات أخرى تتعلق بالتشيع، مثل البروفسور موجان مومن Momen الذي نشر بحثاً في مجلة الدراسات البهائية تحت عنوان (أعمال الشيخ احمد الاحسائي: فهرست) ونشره عام ١٩٩٢. وكذلك كتب البروفسور عباس آمانات كتاباً بعنوان (البعث والعودة أو والتجديد: نجاح أو صنع الحركة البابية في إيران عام ١٨٤٤-١٨٥٠) ونشره ضمن بحوث كتاب يقع في ستة فصول.

وفضلاً عن الدراسات التي ذكرناها آنفا فإن الاستشراق الأمريكي في التسعينيات قدّم مشاركات متميزة أدّتها المستشرقة جوان كول Joan Cole، المعروفة بغزارة الإنتاج إذ كتبت عدداِ من الأبحاث القيّمة عن الشيخ أحمد الأحسائي وفرقة الشيخية والبهائية مثل بحثها الموسوم بـ(الإنفرادية والصراط الروحاني عند الشيخ أحمد الاحسائي) وهو بحث نشر ضمن البحوث الشيخية والبابية والبهائية عام ١٩٩٧)، وكتبت بحثاً آخر بعنوان (تمسك بالرجل: بهاء الله في حياة المسيح) نشرته في مجلة الأكاديمية الدينية الأمريكية عام ١٩٩٧؛ ولها بحث بعنوان(أنني كل الأنبياء: الشعر الثنائي في نص بهائي) نشرته في مجلة (الشعر اليوم) عام ١٩٩٣؛ وكتبت بحثاً

بعنوان (العالم هو نص: عالم كونيات الشيخ أحمد الأحسائي) ونشرته في مجلة Studia Islamica في سنة ١٩٩٤، وبحوث أخرى. إن هذه القائمة من الأبحاث المتعلقة بالجوانب الفلسفية والروحانية الشيخية والبهائية، تدلل على أن المستشرقة كول كان في متناول يدها بعض المؤلفات الخاصة بهذه الفرقة، فضلاً عن اهتمامها بالجانب الفكري للشيخ الأحسائي.

والواقع أن الباحثين الإيرانيين قد ألفوا كتباً مهمة عن الشيخية والبابية؛ فضلاً عن موضوعات أخرى تتعلق بالتشيع مثل الأستاذ موجان مومن Momen الذي نشر بحثاً في مجلة الدراسات البهائية بعنوان (أعمال الشيخ أحمد الأحسائي فهرست) نشر عام ١٩٩٢(١)، كذلك كتب الأستاذ عباس أمانات كتاباً عن (البعث والعودة أو التجديد): صنع أو نجاح الحركة البابية في إيران عام ١٨٤٤-١٨٥٠) ونشر ضمن كتاب يقع في ستة فصول)(٢) وقد مرّ بنا ذلك.

ومن الفرق الأخرى التي خرجت عن الخط الإمامي الإثني عشري، وحظيت باهتمام كبير من المستشرقين هي الإسماعيلية. والفرقة منسوبة إلى إسماعيل الابن الأكبر للإمام جعفر الصادق، الذي توفي زمن والده. آنذاك اعتقد جمع من الشيعة أن إسماعيل لم يمت وسيعود وأنه الإمام السابع، فسميت الفرقة السبعية أو الإسماعيلية معلنة انفصالها عن الخط الإمامي الإثني عشري.

---

(١) Momen, M. (The works of Shaykh Ahmad al- Ahsaia bibliography) in Bahai Studies.

(٢) Abbas Amanat: Resurrection and renewal: The making of the Babi movement in Iran 1844-1850 (Ithaca Od Lunden 1989 (Chs. 1-6).

فتوجهت أقلام المستشرقين البريطانيين والروس بالدرجة الأولى لدراسة هذه الفرقة، وهناك أيضاً دراسات ألمانية وفرنسية.

ويعدّ المستشرق المجري جولدتسيهر I. Goldizher من بين المستشرقين القدامى الذين تطرقوا إلى جوهر[(١)] المبدأ الإسماعيلي في الإمام الظاهر والإمام المستور وفي جوهر النطقاء (مفردها الناطق) السبعة، وهم من الأنبياء نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد وإسماعيل ومحمد بن إسماعيل. وقد ملأ الإسماعيلية الفترات الطويلة بين هؤلاء الأنبياء السبعة بسلسلة من النطقاء السبعة بين نوح وإبراهيم وبين موسى وعيسى وهكذا. كذلك تطرق إلى معتقد (نور محمد) عند الإسماعيلية.

كما أن المستشرق دونالدسون وقف في الثلاثينيات من القرن العشرين في كتابه (الديانة الشيعية) على الإسماعيلية وقفة قصيرة في الفصل الثالث والثلاثين المعنون (ظهور الفرق المنسوبة في الأزمنة الحديثة)[(٢)]، ومع إن الإسماعيلية لا تدخل ضمن فكرة الأزمنة الحديثة أو التاريخ الحديث؛ لأن ظهورها يرجع إلى القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي، لكن دونالدسون هدف من عنوانه إلى أن يكون مقدمة لدراسة البابية والشيخية والبهائية في تاريخ إيران الحديث، القرن التاسع عشر للميلاد.

ودراسة المستشرق البريطاني برنارد لويس Lewis عن أصول

---

(١) Goldziher, I. Vorlesungen uber den Islam (2nd Edition 1925) French translation (Le dogme et La Loi de L'Islam by F. Arin 1920).

(٢) Donaldson, D. Op. Cit. Pp. 357-369.

الإسماعيلية من أوائل الدراسات عن هذا الميدان، إذ أنها كانت في الأصل أطروحة للدكتوراه، ثم طبعت في كمبردج عام ١٩٤٠[١]. وقد درس لويس في هذا الكتاب تاريخ الإسماعيلية وعقيدتهم في الفترة التاريخية الأولى عند ظهورهم. وتابع برنارد لويس دراسة الإسماعيلية في فترات لاحقة فأصدر كتاباً بعنوان (الحشاشين) طبعه في لندن عام ١٩٦٧. ولهذا المستشرق دراسة عن (الإسماعيلية والحشاشين) نشرت في كتاب تاريخ الحروب الصليبية الذي حققه سيتون K. M. Setton وطبع في فيلادلفيا عام ١٩٠٠هـ.

ودرس المستشرق البريطاني شتيرن K. M. STERN الإسماعيلية في عهد المعز الخليفة الفاطمي؛ ونشر البحث في مجلة مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية في جامعة لندن سنة ١٩٥٥[٢].

وأسهم المستشرق البريطاني مارشال هودجسون بعدة دراسات حول الموضوع منها كتابه المشهور (الحشاشين) ونشره في عام ١٩٥٥، وكتب بحثاً عن (الدولة الإسماعيلية) ضمن سلسلة بحوث كمبردج لإيران المجلد الخامس الصادر عام ١٩٦٨[٣].

---

(١) B. Lewis, The origins of Ismailism (Cambridge 1940).
وقد ترجم إلى العربية بعنوان (أصول الإسماعيلية) وكذلك ترجم كتابه الآخر إلى العربية تحت عنوان الحشاشين.

(٢) Stern, S. M. (Heterodox Ismailism in the time of al - Muizz" in BSOAS, Volume 17 (1955) Pp. 10-30.

(٣) Hodgson, M,G. S. The order of Assassins (The Hague 1955), idem., (The Ismaili State) in the Cambridge History of Iran (Volume 5 Cambridge 1968) Pp. 422-482.

والمستشرق الروسي فلادمير ايفانوف W. Ivanow متخصص بتاريخ الإسماعيلية وتحقيق نصوص أدبهم وتراثهم الفلسفي، فنشر عدة دراسات عن هذا الميدان مثل كتابه الموسوم (الرواية الإسماعيلية المتعلقة بظهور الفاطميين) طبعه في لندن عام ١٩٤٢، وله أيضاً كتاب آخر بعنوان بـ(دراسات حول الإسماعيلية الفارسية المبكرة) وقد طبعه في بومباي عام ١٩٥٥. كذلك أصدر كتاباً عن (المؤسس المزعوم Alleged للإسماعيلية) وطبعه في بومباي عام ١٩٤٦ وكتب حول المؤلفات الإسماعيلية المنشورة وغير المنشورة، بمعنى مسح مصدري وتحليلي لمكتبة المصادر الإسماعيلية وطبعه في طهران عام ١٩٦٣. كما أنه كتب بحثاً في مجلة REI بعنوان (ملاحظات حول كتاب أم الكتاب) نشره عام ١٩٣٢[١].

والمستشرق الفرنسي هنري كوربن Corbin المعروف بغزارة إنتاجه، له إسهامات أيضاً بخصوص الإسماعيلية منها دراسته التي نشرها ضمن بحوث كتاب (الإنسان والتحول) وهي بعنوان (عيد الظهور السماوي والولادة الروحانية في الغنوصية الإسماعيلية)[٢]. وله بحث أسهم به في مؤتمر عن تاريخ علم الأخلاق عام ١٩٥٦،

(١) Ivanow, W. Ismaili tradition concerning the rise of the Fatimids (London 1942, idem., Studies in early Persian Ismailism (Bomday 1946), idem., The alleged founder of Ismailism (Bombay 1964), idem., A guide to Ismaili Literature (London 1933), idem., Ismaili Literature: A bibliography Survey (Tehran 1963), idem., (Note sur umm al- Kitab) in REI (1932).

(٢) Corbin, H. (Divine Epiphany and Spiritual Birth in Ismailian Gnosis) in Man and Transfor mation (Edited by Jo seph Cambell New York 1964) Volume (5) Pp. 69-160.

ثم نشر في روما عام ١٩٥٧، وهو بحث مقارن بين (الغنوصية القديمة والغنوصية الإسماعيلية)، وكذلك كتب دراسة بعنوان (تاريخ الفلسفة الإسماعيلية) نشرها في باريس ١٩٦٤[١].

أما في ألمانيا فقد شهر المستشرق هاينز هالم Heinz Halm بتخصصه أيضاً في الدراسات عن الإسماعيليين والفاطميين فدراسته الموسومة (الكوزمولوجي - علم الكون - عند الإسماعيلية) المطبوعة في فيسبادن عام ١٩٧٨، ثم دراسته عن (دولة المهدي عند الفاطميين) التي ترجمت إلى الإنجليزية بعنوان (إمبراطورية المهدي) المطبوع في ميونيخ عام ١٩٩١[٢]. كذلك فإنه درس وحقق كتاباً بعنوان (كتاب شيعي للمفضل يتعلق بظهور أو أصل النصيرية)[٣].

والمستشرق البريطاني المعاصر بول وولكر Walker قد نشر كتاباً طبعه مركز الدراسات الإسماعيلية بعنوان (أبو يعقوب السجستاني الداعية والمفكر الإسماعيلي)، طبع في عام ١٩٩٦.

---

(١) (Edited by Jo seph Cambell (New York 1964) Volume (5) pp. 69-160.
Idem., (De la Gnosis antique a La Gnosis Ismelienne" in Convegno di Scienze Morali Storiche e Filologiche, 1956, Rome 1957 pp. 105-146.

(٢) Halm, H. Kosmologie und Heilslehre der Fruhen Ismailiya (Wiesbaden 1978), idem das Reich des Mahdi, Der Aufstieg der Fatimiden (Munich 1991) idem, The Empire of the Mahdi, the Rise of the Fatimids (Leiden 1996).
Idem., (De la Gnosis antique a La Gnosis Ismelienne" in Convegno di Scienze Morali Storiche e Filologiche, 1956, Rome 1957 pp. 105-146.

(٣) Idem., (De la Gnosis antique a La Gnosis Ismelienne" in Convegno di Scienze Morali Storiche e Filologiche, 1956, Rome 1957 pp. 105-146.

كذلك فقد ترجم المستشرق بنس S. Pines كتاب (دليل الحائرين The Guide of the Perplexed) لموسى الميموني المتوفى سنة ١٢٠٤م وأخضعه للدراسة مهتماً بما له علاقة بتأثير الفلسفة اليهودية التقليدية ولاسيما (جودا بن صمويل هليفي Judah Halevi) على الفكر الإسماعيلي في مسألة الصفوة (الناطقون السبعة)، وكذلك في مسألة مدى اعتماد الإسماعيليين على العقل في التمييز بين المخلوقات(١).

كان العنوان الذي اختاره المستشرق دونالدسون للإعراب عن وجهة نظره في الفرق أو الحركات أو المذاهب المذكورة آنفا التي خرجت عن خط التشيع الإمامي الإثني عشري معبّراً بالفعل فهي فرق منسوبة إلى التشيع ولكنها لا تمثله. والبروفسور رودنسون أبان عن هذه الحقيقة بقوله في مقدمة الفصل الخاص عن هذا الموضوع ما يأتي:

«إن عقيدة الإمام الغائب الذي كانت في البداية قد أكدت عليها الزمر التي انشقت عن التشيع ضمن الشيعة في الفترة المبكرة؛ ولكنها قد طورته فيما بعد وأخذت تدعو إليه بصورة واسعة إحدى هذه الفرق وهي فرقة الإسماعيلية»(٢). والمستشرق دونالدسون محق في

(١) Pines, S. The Guide of the Perplexed (Chicago 1963, idem., "Shiite Terms and Conceptions in Judah Halevi Kuzari" in Jerusalem Studies in Arabic and Islam Volume 2) Pp. 165-219. Arthur. Hyman;- "Jewish Philosophy in the Islamic World" in the History of Islamic Philosophy.
Idem., (De la Gnosis antique a La Gnosis Ismelienne" in Convegno di Scienze Morali Storiche e Filologiche, 1956, Rome 1957 pp. 105-146.

(٢) The Shiite Religion op. cit. p. 357. =

استنتاجه العام بما ذهب إليه، على أنه لا علاقة لها بالتشيع الأصلي.

ومع ذلك نرى المستشرقين يكررون القول بأنها فرق شيعية؛ فالبروفسور برنارد لويس يعقب على ذلك في دراسته أن الغرب قد عرف الشيعة من خلال معرفته بالفاطميين والحشاشين. ولهذا وقع علماء الغرب قبل أن يتعرفوا على المؤلفات الشيعية الحقيقية في أخطاء وسوء فهم في أغلب الأحايين ولاسيما بالنسبة إلى تفسيراتهم واستنتاجاتهم، إذ إن جميع المعلومات التي كانت متوافرة عن الإثني عشرية هي إما منحازة أو محرّفة، كما يذكر المستشرق إيتان كوهلبرغ(١).

وعلى وفق هذا الفهم الذي يحتاج إلى إعادة تفكير وإعادة نظر بشكل جذري؛ علينا أن ندرك توجه المستشرق متي موسى في تعميم تحديده الظاهر في عنوان كتابه (الشيعة الغلاة: الفرق الغالية) على حركة التشيع بصورة عامة فالكتاب (الشيعة المتطرفون) وليس الفرق المتطرفة مثلاً؛ إن المستشرق بهذا العنوان لم يكن منصفاً؛ لأنه يوحي بصراحة وكأن التشيع، المذهب والعقيدة والأكثر مباشرة وأهمية الأئمة جميع ذلك هو المسؤول عن تطرف زعماء الغلاة وأمثال هؤلاء الذين في أكثر الأحيان ذهب البعض منهم إلى درجة الكفر أو الاقتراب من المجوسية أو الدهرية. عندئذ لا ينبغي قبول

= Idem., (De la Gnosis antique a La Gnosis Ismelienne" in Convegno di Scienze Morali Storiche e Filologiche, 1956, Rome 1957 pp. 105-146.

(١) See Kohlberg, E. (Western studies of Shia Islam) in Belief and Law in Imami Shiism,P. 31.

ذلك، إن كان هذا المستشرق أو ذاك يريد أن توصف دراسته بالإنصاف والموضوعية. في الوقت الذي يتحدث هو فيه عن فرق وعقائد لا تمت بصلة إلى التشيع الإمامي الإثني عشري ويصفهم بأنهم شيعة، أو بأن الأئمة كانوا متساهلين بل ومتسامحين معهم ومع آرائهم.

فعلى سبيل المثال مما يذكر متى موسى في كتابه من أفكار، تعكس هذا الخلط بين الفرق الغالية التي انشقت وخرجت عن التشيع بما رآه الأئمة كالإمام عليوالأئمة من بعده في قوله: «الشيعة اليوم ينقسمون إلى الكثير من الفرق التي تعتنق عقائد مختلفة، العقائد التي تختلف تماماً عن الإسلام وبقية المسلمين، لذلك فإنهم يعدّون هراطقة»[1]، (ويقصد هنا - مع الأسف - الشيعة عموماً دون استثناء)، إن متي في هذا القول يبتعد عن المصداقية أو لنكن أكثر صراحة إنه يعكس توجهاً تبشيرياً واضحاً. فالشيعة عنده هم أصحاب بدع. وهو رأي مماثل إن لم يكن يفوق في تطرفه وعدم موضوعيته ما قاله ابن حزم الظاهري في كتابه (الفصل) ولكن بمظهر استشراقي. والأهم من كل هذا إن أوهام متي موسى هذه تنتمي إلى سنة ١٩٨٧ وأقصد بهذا، الزمن الذي أصبحت فيه المكتبة الشيعية متطورة وغنية في المؤلفات المطبوعة والمتوافرة في المكتبات.

ثم يستمر متي في فرضياته وتعميماته فيقول على الصفحة ذاتها «والواقع أن بعض الكتّاب الغربيين يعتبرون هؤلاء الشيعة، نتيجة

---

(١) See Matt Moosa: The Extremist Shiite,P. lx (Preface).

للمعتقدات المسيحية الأصل، بأنهم مسيحيون»[١]؟

ومن بين أقواله البعيدة عن الحقيقة التاريخية وغير الصحيحة قوله «يقطن الشيعة منطقة واسعة، غير أنهم يعرفون بتسميات متعددة لكنهم يتشاطرون عقائد دينية مشتركة»[٢]. وهنا أيضاً ينهج إلى الدسّ والكذب إذ يظهر من هذا القول بأن هؤلاء الشيعة بعيدون عن الإسلام ويؤمنون بعقائد متنوعة لكنهم يتشاطرون عقائد مشتركة، لهذا يصل إلى نتيجة مفادها أنهم مسيحيون؟؟. ولذلك نراه يخلط تارة ويعمم فرضيات تارة أخرى فيقول إن الأمر الأساس من هذه العقائد المشتركة إن علياً هو الله[٣] وبهذه النتيجة الواهية يكون المستشرق قد اقترن بعبد الله بن سبأ.

إن هذه - كما مرّ - أفكار وردت عند المؤرخين الصليبيين في العصور الأوربية الوسطى، أمثال وليم الصوري ويعقوب الفيتري والمبشر الدومنيكي ريكولدو دي مونتيكراس وغيرهم، ولا تعكس فهماً صحيحاً للتشيع.

وعلى وفق مثل هذه المفاهيم والرؤى التي عبّر عنها المستشرق متي موسى درس المستشرقون فرق العلي الآهية (أهل الحق Deifiers of Ali) ويسمون بالشبك والباجوان Bajwan والسارليّة Sarliyya والكاكائية والإبراهيمية والطاختاجية Takhtajis والشبنية Cepnis والنصيرية والخطابية والبيانية والكيسانية والسمعانية وغيرها

---

(١) Ibid., p. lx (Preface).

(٢) Ibid.,.

(٣) Ibid.,.

من الفرق التي ظهرت عبر تاريخ تطور الحركة الشيعية[١].

وألف المستشرق السويدي بهل Fr - Buhl بحثاً في سنة ١٩١٠ عن العلويين والفرق الشيعية زمن الأمويين[٢]. كذلك ألف المستشرق صديقي Sadighi كتاباً عن الحركات الدينية في إيران[٣]، وكتب المستشرق ماسنيون بحثاً في عام ١٩٣٨ عن (الشيعة الغلاة في بغداد حتى القرن الثالث للهجرة)[٤]. وألف إيفانوف في عام ١٩٣٩بحثاً عن (الحركات الشيعية المبكرة)[٥].

وألف المستشرق الإيطالي موسكاتي Moscati بحثاً عن التاريخ الشيعي المبكر[٦]، وتطرق فيه إلى الكيسانية وغيرها من الفرق الغالية. كما درس المستشرق فريدلاندر في بحث مفصل حركات البدع الشيعية اعتماداً على كتاب ابن حزم (الفصل)[٧].

---

(١) Ibid., Chapters, 37,38, Tucker. W. "Abu Mansur al-Ijili and the Mansuriyya :-A study in Medieval Terrorism" in Der Islam (Volume LIV (1971) Pp. 66-76.

(٢) BuhL, Fr, Alidernes stilling til de Shiitiske Bevaeselsk (Forhandng 1910 no 5).

(٣) Sadighi: Les movements religieux iranien (Paris 1938).

(٤) Massignion, L. (Recherches sur Les chiites extremisles a Bagdad a La fin di troiseme siécle" in ZDMG (Volume XCII) 1938) P. 378.

(٥) Moscati. (Per una Storia dell Antica Sia" in RSO (Volume 30/1955) Pp. 251-267.

(٦) Ivanow, W" Early Shiite Movements" in JBBRAS Journal of the Bombay Branch of the Royal Asiatic society (1939).

(٧) Friedlander, I., "The heterodoxies of the Shiites" in JAOS (Volume 29 (1908).

إذن لابد من إعادة ما سبق طرحه من أن الخلط والخطأ السائدين في فهم العديد من المستشرقين من المدارس الاستشراقية كافة إنما يكمن في أن الغلو يعادل التشيع إن لم يكن التشيع نفسه، وأن الغلاة هم الشيعة عامة بضمنهم الإثني عشرية. فالمستشرق الألماني شتروسمان الذي ألف عدداً من الإسهامات عن التشيع، يذكر في بحث له عن الفرق الإسلامية نشره عام ١٩٣٨ بأن (الغلاة نسبة إلى الشيعة الإثني عشرية (الأرثودوكس) وقد وصفوا بذلك لشدة غلوهم في حبهم الأئمة الإثنى عشر[١].

والمستشرق يضع تحديداً غير صحيح يعدّه علامة مميزة للغلو (أي بحسب رأيه الشيعة الإثني عشرية فيقول (والعلامة الفارقة للغلاة عند المؤلفين الأوائل هو سبهم وشتمهم لكل من أبي بكر وعمر، لأنهما اغتصبا حق علي)[٢].

كذلك عرض المستشرق المجري المشهور جولد تسيهر Goldziher في بحث له قديم، حول العناصر الإفلاطونية المحدثة والغنوصية في الحديث النبوي[٣]، كون الغلاة يعتقدون بأن الإمام علي كان له حق النبوة بالدرجة الثانية بعد النبي محمد، وأن الإثنين (أي النبي والإمام) يتمتعان بالنور الإلهي، بل هما يعدّان الإله نفسه، والإمام علي الإله الأصغر على الأرض، وعن طريق

---

(١) Strothman, R. (History of Islamic heresiography" in Islamic Culture, 1938, Pp. 50-60.

(٢) Ibid., p. 51.

(٣) Goldziher, I. "Neuplatonische und Gnostische Elements im Hadit" in Zeitschrift fur Assyriologie, 22 (1909) pp. 5-20.

الحلول، فقد حلّت الروح الإلهية فيه. والأكثر علاقة مع هدف جولد تسيهر قوله أن زعماء الغلاة المتأخرين كانوا إما موالي أو ممن لهم خلفيات مسيحية ويهودية وغنوصية أو زرادشتية[1].

المهم أن مثل هذه الآراء والتفسيرات - مع الأسف الشديد - لم تواجه إلا بالقليل من الدراسات وردود الفعل الموضوعية والعلمية من قبل العلماء والباحثين الشيعة، في مناقشتهم لتصحيح مثل هذا الخطأ في الفهم والخلط بين آراء أهل السنة في التشيع، وبين الرأي الشيعي الصحيح، المستند إلى المؤلفات الشيعية المعتمدة. ومن غير الواضح عن السبب أو الأسباب الحقيقية التي تدفعهم نحو الاعتماد على المصادر المبغضة للتشيع أو التي لا تنهج منهجاً متسامحاً مع الآخر المختلف عن مذهبهم أو فلسفتهم أو رأيهم أو فقههم.

وفي إيران الإسلامية عمد عدد من العلماء إلى الإدلاء بآرائهم إزاء هذه التفسيرات غير الموضوعية، فالعلامة علي ربّاني كلبيكاني كتب كتاباً بعنوان (فرق ومذاهب كلامي) عرض فيه آراء المستشرقين من أمثال فلهاوزن وفريدلاندر وبرنارد لويس بشأن حقيقة عبد الله بن سبأ وفرقة السبئية التي يراها عدد من المستشرقين بأنها أصل التشيع؛ وردّ على هذه الآراء باستنتاج أن هذه الشخصية مصنوعة ولا حقيقة لوجودها[2]. كذلك ردّ العلامة الشيخ رسول جعفريان في كتابه (تشيع در إيران) مواقف وآراء فلهاوزن وبروكلمان وهوليستر في

---

(١) bid., p. 7.

(٢) فرق ومذاهب كلامي، قم، أول ١٣٧٧ شمس (مقدمة).

كتابه (التشيع في الهند)[١]، وبرنارد لويس وغيرهم. وفي كتاب (تاريخ فرق إسلامي، فرقهاي نخستين، مكتب اعتزال مكتب كلامي اهل سنت، خوارج) تأليف الدكتور حسين صابري ويقع في جزئين[٢]. ففي الجزء الثاني المعنون (فرق شيعي وفرقهاي منسوب به شيعه) ناقش الباحث آراء الكثير من المستشرقين من بينهم شتروسمان وهودجسون وماسنيون وآخرين.

وانتقد أيضاً كل من السيد رضا المؤدب والسيد محمد موسى مقدم في بحث لهما في مجلة (قرآن بزوهي خاورشناسان: قرآن ومستشرقان) رأي المستشرق السويدي زيترسين Zettersteen الذي قدّم ترجمة في دائرة المعارف الإسلامية (طبعة قديمة) عن ابن تيمية، مبيناً الأخطاء التي وقع فيها، وردّ على انتقاصه من مكانة الإمام الحسن. وردّ أيضاً على موقف المستشرق المبشر لامانس[٣] من الأئمة، وهناك ردود ومواقف أخرى لا يسع المجال لسردها جميعاً.

كذلك وقف البروفسور جفري في كتابه (أصول التطور المبكر للإسلام الشيعي) على مناقشة موضوع الرافضة(الروافض) المصطلح الذي تكرر في مؤلفات أهل السنة بصيغة ذم للشيعة؛ لأنهم رفضوا

---

(١) رسول جعفريان (تشيع در إيران) وقد ترجم إلى العربية بعنوان (التشيع في Y يران) إذ وردت تلك المواقف في عدة صفحات من كتابه..

(٢) دكتور حسين صابري: تاريخ فرق إسلامي، تهران ١٣٨٣ شمس الجزء الأول (فرق شيعي وفرق هاي منسوب به شيعة).

(٣) مجلة قرآن بزوهي خاور شناسان (قرآن ومستشرقان) بهار - وتابستان ١٣٨٧ شمس (١٤٢٩ هجري).

خلافة الشيخين. وقد تتبع أصوله، مصححا ما ساد في كتابات أهل السنة والمستشرقين من خطأ وسوء فهم.

ومع أهمية هذه الدراسات والردود التي كتبت باللغة الفارسية إلا أن الحاجة ماسة جداً إلى ردود علمية تكتب بلغات أوربية من أجل التأثير إيجابياً في العقلية الغربية. نقول هذا لأن الغرب (وأقصد بذلك المستشرقين) قد وجّهوا اهتماماً متزايداً ومركّزاً نحو دراسة الفرق الإسلامية عامة والتشيع بخاصة.

ومن بين أكثر المسائل أهمية بالنسبة للمستشرقين التوزيع الجغرافي والديموغرافي لخارطة الفرق والمذاهب الإسلامية في إيران هادفين من ورائها توضيح وضعية الشيعة السكانية.. فقد درس عدد من االمستشرقين المعروفين بكثرة أبحاثهم وأهميتها مثل المستشرق الألماني المشهور بارتولد شبولر B. Spuler بتخصصه عن إيران في الأزمنة القديمة والإسلامية، والمستشرق الإيطالي G. Scarcia المشهور بتخصصه عن الفرق الغالية في إيران والمستشرق الذائع الصيت ماينورسكي Minorsky والمستشرق الألماني غرمليج Gramlich. R.والمستشرق موليه Mole. M. المتخصص في فرقة الكبروية الصوفية وكيف أثرت في التشيع ودخلت في آرائه وآراء أهل السنة في القرن التاسع الميلادي.. فجميع هؤلاء العلماء قدّم مسحاً جغرافياً لتحديد مناطق انتشار الفرق الغالية وغيرها من الفرق السنية وكذلك الشيعية في إيران في التاريخ الإسلامي. إذ مثل ذلك شبولر في كتابه المعروف (إيران في العهد الإسلامي)؛ وكتب سكارسيا بحثاً عن توزيع الفرقة الشيخية في إيران، أما ماينورسكي فقد كتب بحثاً في مجلة (BSOAS) سنة

١٩٥٤ حول الفرق في إيران خلال الفترة الإسلامية؛ وكتب المستشرق غرمليج بحثاً (الدروشة الشيعية في بلاد فارس) ومع أنه خصص البحث عن موضوع انتعاش التصوف، لكنه قام بتوزيع خارطة فرق الذهبية والأغتشاشية والنعمة الآهية والقنبادية نسبة إلى قناباد بلدة في خراسان، كما تحدث عن القادرية والنقشبندية بين الأكراد السنة في كوردستان؛ وفوق هذا فإن المستشرق الإيطالي بوساني A. Bausani قد أسهم بعدة بحوث عن (الديانة في بلاد فارس خلال العصر السلجوقي) والبحث الآخر عن(الديانة في العصر المغولي). وقدمت هذه الأبحاث الهامة معلومات ممتازة عن توزيع الفرق الغالية في إيران.

فالبروفسور شبولر ذكر أن مذهب الحنفية قد انتشر في شرقي إيران بين الطبقات البسيطة في شرقي إيران بينما انتشر المذهب الشافعي في كرمان وطبرستان وبلاد ما وراء النهر. وانتشر المذهب الظاهري على نطاق محدود في المناطق الغربية.

أما المذهب الثوري نسبة إلى سفيان الثوري فقد انتشر في عموم إيران. وأما المعتزلة فقد تسربت أفكارها في هذه المنطقة الواسعة، ودخلت إيران أيام المأمون العباسي.

أما المذهب الماتريدي فقد دخل إيران خلال سنوات حكم السلاجقة منذ حوالي منتصف القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر للميلاد.

ويقول شبولر وسكارسيا إن المدن الرئيسة في إيران كانت في العادة تضم أقليات مذهبية مختلفة، لكنها عاشت عبر هذا العصر في حال منافسة وتصارع (ويقصد العصبية المذهبية). وقد أدى هذا

التركيب الاجتماعي المذهبي إلى حدوث توترات وفتن محلية على امتداد التاريخ. ثم ذكر أن الكرامية التي انتشرت بين أصحاب المهن والحرف، كان لها تأثير غير قليل على الغزنويين والغوريين.

أما التصوف في إيران فقد ظهر في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري؛ لوجود الشيخ أبي يزيد البسطامي. وهناك مذهب الملامتية في نيسابور.

وأما التشيع فيقول شبولر إنه ظل يمثل أقلية مذهبية حتى مجيء الصفويين إلى السلطة في إيران؛ ولم يكن الشيعة جماعة مشتركة واحدة، إنما تتألف من جماعات وفرق متفرقة.

وفيما يتعلق بالغلاة فإنهم - بحسب رأيه - لم يتأصلوا في إيران، لكنهم وفدوا إليها من جنوبي العراق من الكوفة بالدرجة الأولى، كذلك من البصرة منذ نهاية القرن الثالث الهجري.

كان أكثرية الشيعة في إيران مسالمين بالنسبة إلى مواقفهم من القيادة السياسية، وقد تبنوا الفرع الحسيني الذي يميل إلى الاعتقاد بموقف وتفسير متميز بهم وبخاصة رأيهم في الإمامة يكاد لا يختلف عن موقف أهل السنة.

ويرى المستشرق بأن تسمية الرافضة هي تلك التي تطلق على هذه المجموعة من الشيعة المسالمين والمتسامحين، وينتشر أمثال هؤلاء في الجبال، أو ما يسمى جغرافياً بالعراق العجمي والمقصود به إقليم الجبال.

ويذكر المستشرقان شبولر وسكارسيا، أن العرب هم الذين نشروا التشيع في منطقة قم بوصفها منطقة حدودية، وتحولت إلى

معقل لهم. وهناك شيعة متفرقون في مناطق أخرى من إيران؛ ومن الملاحظ ظهور عدد من المستشرقين المهتمين بالكتابة عن مدينة قم المقدسة، أصولها التاريخية وأصول سكانها العربية، وأحوالها الاجتماعية والدينية والاقتصادية والعلمية بعد هجرة الكثير من علماء الدين الشيعة لها من العراق ولبنان. كذلك توجد أقليات شيعية في خراسان ونيسابور وهرات وطوس لكنها مهمة؛ وكانوا يتمركزون في محلات خاصة بهم.

ومع أن العلاقات بين الشيعة والسنة في هذه المناطق كانت سلمية ومتسامحة، إلا أن ثمة عصبيات وتوترات قد وقعت فيما بينهم من وقت لآخر. كذلك هناك عدد كبير من الشيعة في خوزستان، كما يوجد هناك زيدية في فارس(١).

ويعلق بوساني في كتابه (أديان بلاد فارس) إن فرقاً أمثال الجناحية وغيرها ممن كانت تعتقد بعقيدة الرجعة والغيبة لم تكن متأصلة في إيران، إنما هي نتيجة من نتائج الثقافة الدينية في العراق التي وفدت إلى هذه المنطقة والمناطق الأخرى من إيران عبر فترات التاريخ الإسلامي.

وأسهم المستشرق المعروف مانيورسكي Minorsky في هذا الميدان أيضاً فتناول توزيع الفرق الغالية في إيران أيام الصفويين مثل القزلباش، وأهل الحق (العلي الآهية) الذين انتقلوا من منطقة شهرزور في غربي إيران، وفرقة المشعشة (أوالمشعشون) الذين

---

(١) See Spuler, B. Iran in fruhislamischer zeit (Wiesbaden) 1952, Pp. 133-224, idem. (Der VerLauf der Islam isierung Persiens" in Der Islam Volume 29 / 1950) P. 63-76.

استقطبوا أنصارهم من القبائل العربية في الأهواز (هور الحويزة) وجنوبي العراق.

كذلك الصوفية الكبروية والصوفية النعمة الآهية نسبة إلى نعمة الله الولي[١].

هذه الدراسات الاستشراقية المهمة جداً وغيرها بشأن توزيع الأديان والمذاهب في إيران خلال الفترة الإسلامية والحديثة خاصة أبان العصر الصفوي تشير إلى أهمية الموضوع بالنسبة إلى العالم الغربي (أي المستشرق) من جهة وإلى ضرورة دراستها وتقويمها تقويماً موضوعياً من جهة ثانية كذلك هي عامل مهم تدعونا إلى الاندفاع في الكتابة عن هذه الميادين، بغية تعديل أو تصحيح بعض المعتقدات والتفسيرات عند عدد من الكتّاب والعلماء العرب والمسلمين حول نظرتهم المتطرفة وغير الموضوعية عن الأصل التاريخي للتشيع في إيران.

لقد سبق القول إن الاستشراق البريطاني قد أدى دوراً مهماً في الكتابة عن الفرق الغالية، وأحسب أن هناك خطأ قد استمر وجوده عند المستشرقين من الجيل القديم. وبقي تأثيره فاعلاً ومستمراً عند عدد من مستشرقي الجيل الحديث من البريطانيين تمثيلاً بخط المستشرق بروان وباتجاه المستشرق شتيرن ثم استمر عند المستشرق وات وبعدها تمثل عند البروفسور هودجسون ثم برنارد لويس؛ هذه الاستمرارية بالتأكيد لم تكن مرسومة من قبلهم؛ ولكنها قد تكون من

---

(١) Minorsky, v. (Iran Islamico) in Civilita Oriental (Rome 1956) Pp. 460-513, idem., (Iran Religions) in BSOAS (1954) Volume (16).

باب التقليد العلمي في كل مدرسة من المدارس الاستشراقية بمعنى التواصل في الاهتمامات.

والملاحظ أن هذا الخط من الاهتمام بالفرق الغالية بقي فعالاً بعد البروفسور برنارد لويس، إذ انتج الاستشراق البريطاني مستشرقاً هو وليم تكر William Tucker الذي أولى اهتماماً ملحوظاً إلى فرق الغلاة الذين ظهروا أيام الأئمة زين العابدين والباقر والصادق عليهم السلام.

فألف (تكر) بحثاً عن (بيان بن سمعان والبيانية: متطرفون شيعة في العراق في زمن الأمويين)، ثم نشر بحثاً آخر بعنوان (متمردون وغنوصيون: المغيرة بن سعيد العجلي والمغيرية) وأردف ذلك ببحث آخر حول (أبو منصور العجلي والمنصورية: دراسة في الإرهاب في العصر الوسيط) وله بحث رابع حول (الجناحية وعبد الله بن معاوية)(*).

وهناك ميدان آخر ركّز عليه المستشرقون ويقع ضمن نطاق دراساتهم عن الفرق الشيعية وعن فرق الغلاة ذلك هو الائتلاف والاختلاف بين الأصوليين والإخباريين. ونلحظ هنا دور

(*) See Tucker,. W" Bayan b. Saman and the Bayaniyya: Shiite Extremists of Umayyad Iraq" in The Muslim World (Volume LXV, 4) 1975) PP. 24-53, idem., (Rebels and Gnostics: al - Mugira ibn Said and the Mugiriyya) in Arabica (Volume 22/1 (1975) Pp. 33-47, idem., (Abu Mansur al Ijli and the Mansuriyya: A study in Medieval Terrorism" in Der Islam (Volume LIV, I (1977) Pp. 66-76 idem., (Abd Allah ibn Muawina and the Janahiyya" in Der Islam (1978).

المستشرقين في البحث عن نقاط تؤدي بهم إلى الاستنتاج بأن هناك اختلافات أو تصارعات بين المجموعتين.

ويعدّ المستشرق والدبلوماسي الفرنسي جوبينو Gobineau من أوائل الغربيين الذين وقفوا على الخلافات والجدل الذي دار بين الاتجاهات الرئيسة عند الشيعة وبين علماء إيران على وجه الخصوص بما عرف الانقسام الشيعي بين الإخباريين وبين المجتهدين (الأصوليين) في كتابه (الأديان والفلسفات في أواسط آسيا)(١).

وفضلاً عن دراسة جوبينو السابقة عن الخلاف بين الإخباريين والأصوليين فإن عدداً من المستشرقين في مدارس مختلفة قد درسوا هذا الموضوع مركزين على مسألة الخلاف بين المجموعتين الشيعيتين. والاختلاف كما هو معروف بين الأصوليين الذين اعتمدوا على المصدرين الإسلاميين الأساسيين القرآن الكريم والحديث حديث الأئمة ولكنهم تركوا مساحة واسعة للعقل والاجتهاد. وأكدوا على شرائط المجتهد بأن يكون سيداً في علم الكلام والنحو والتصريف ولغة العرب والمنطق وأصول الفقه الأربعة؛ أما الإخباريون فإنهم يشددون على القرآن الكريم والسنة والإجماع ودلائل العقل. والأصوليون يقسمون المجتمع على مجتهدين ومقلدين.

ولعل من الصحيح القول إن المدرستين البريطانية والإسرائيلية يعدّان من أكثر المدارس الاستشراقية اهتماماً في دراسة هذا

(١) Gobineau, Op. Cit.

الموضوع، آخذين بنظر الاعتبار مسألة جديرة بالملاحظة وهي أن مستشرقين بريطانيين مثل جويس ويلي Joyce Wiley وأندرو نيومان Andrew Newman وكالدر نورمان Norman ومائير لتفاك Meir Litvak (وهو مستشرق إسرائيلي يعمل في مركز موشي ديّان للدراسات) هم أما قد نالوا على درجاتهم العلمية من جامعات بريطانية أمثال لتفاك أو في الأصل بريطانيين لكنهم انتقلوا إلى الولايات المتحدة الأمريكية للعمل في جامعاتها أو مؤسساتها العلمية أو السياسية.

وبداية علينا أن نذكر إسهام المستشرق الإيطالي الذي ذكر آنفا جيان روبرتو سكارسيا G. Scarcia لأنه يرجع إلى جيل الخمسينيات، إذ قدّم دراسة مهمة عن (مقدمات أو أوليات الجدال والخلاف بين االإخباريين والأصوليين في المذهب الإمامي في بلاد فارس)[1]، ونشر الدراسة سنة ١٩٥٨، كذلك فإنه أسهم بدراسة نشرها قبل عام من الدراسة المذكورة وتتناول موضوع (إشكالية الولاية أو السلطة العليا عند الشيعة الإمامية) وقف فيها على مسألة الخلاف بين مدرستي الإخباريين والأصوليين[2]. وتناول فيها موقف كل جانب من المدرستين من الولاية والمرجعية وشرائط المجتهد.

وهناك دراسة قام بها المستشرق برونشفيك R. Brunschvig وهو

(١) Scardia, Gianroberto: "Intorni alle contro versie tra Akhbarie usuli presso gli Imamiti di Persia" in Rivista degli Studi Orientali, Volume 33 (1958) Pp. 211-250.

(٢) Brunschvig, R: "Les Usul of al - Faqih Imamites a Leur stade Ancien x et xl siecles" in Le Shiisme Imamite (ed. Fahd, T.) Paris 1970,Pp. 201-212.

ربما من إحدى الدول الاشتراكية بعنوان (أصول الفقه الإمامي)، كتبها باللغة الفرنسية مساهمة منه في المؤتمر الذي عقد في سنة ١٩٦٨ وطبعت أبحاثه في باريس عام ١٩٧٠ بعنوان (التشيع الإمامي) حققه الأستاذ فهد T. Fahd. ومع أن المستشرق يركز على تاريخية أصول الفقه الإمامي، لكنه تعرض أيضاً إلى الاختلاف الفقهي والكلامي بين المدرستين.

ويناقش برونشفيك مسألة مدى الموثوقية بأصول الفقه الشيعية الأربعة مصّرحاً بأنه ليس هناك من سبب في أن يضعّف المرء موثوقيتها أو أنها تمثل نهاية القرن الرابع الهجري، كما استنتج المستشرق الألماني شاخت Schacht في كتابه (أصول الفقه المحمدي)؛ كذلك فليس هناك من سبب في الشك بأن الفقه الإمامي قد تغير تغيراً جذرياً وأساسياً بعد حقبة تلك الأصول المبكرة، كما هو الحال في موقف الشريف المرتضى خلال النصف الأول من القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر للميلاد[١].

وألف المستشرق البريطاني كالدر نورمان Calder Norman عدة دراسات، وقف فيها على ميدان أصول الفقه الإمامي، والشرائط التي يجب توافرها عند المجتهد، فنشر عام ١٩٧٩ بحثاً في المجلة البريطانية لدراسات الشرق الأوسط بعنوان (الولاية أو السلطة القضائية في الفقه الشيعي الإمامي)[٢]، درس فيه موضوعاً مهماً

---

(١) Brunschvig, R: "Les Usul of al - Faqih Imamites a Leur stade Ancien x et xl siecles" in Le Shiisme Imamite (ed. Fahd, T.) Paris 1970,Pp. 201-212.

(٢) Calder, Norman: "Judicial Authority in Imam Shii Jurisprudence" in B. British Society for Middle Eastern Studies (Volume 6/11/1979) Pp. 104-108.

يتعلق بنظرية المجتهد والقضاء عند الإمامية الإثني عشرية.

ثم نشر بحثاً في عام ١٩٨١ في مجلة الدراسات الشرقية والأفريقية بعنوان (بنية أو مباني الولاية في الفقه الشيعي الإمامي من القرن العاشر الميلادي حتى القرن السادس عشر)[١]، وقف فيه أيضاً على موضوع مهم جداً عند الأصوليين في خلافهم مع الإخباريين ذلك هو ما يتعلق بولاية الفقيه. والجدير بالملاحظة أن عنوان بحث المستشرق نورمان هو عنوان رسالته الجامعية التي نال فيها درجة الدكتوراه من جامعة لندن عام ١٩٨٠، ودراسته هذه قد ركّزت على التطور التاريخي للمذهب الإثني عشري وعلى الشرائط الدينية للفقيه (الفقهاء) في المذهب. وكذلك عالج فيها الكثير من الأمور المتعلقة بسلطات الفقيه المجتهد ومن بينها الزكاة والخمس والجهاد وصلاة الجمعة.

والأكثر أهمية أن الدراسة تفحصت تاريخية الفقه الشيعي، والاختلاف بين العقليين (الأصوليين) والتقليديين (الإخباريين). ولهذا المستشرق إسهامات مهمة أخرى إذ نشر بحثاً في مجلة SI ١٩٨٩ بعنوان (شك أو حال غير مؤكدة وامتياز بشأن ظهور نظرية إمامية شيعية في الاجتهاد)[٢]، وألف بحثاً آخر نشره في المجلة

---

(١) Idem., "The structure of Authority in Imami Shii Jurisprudence from the Tenth to the Sixteenth Century A. D. "IN BSOAS (Volume 44/111) 1981,Pp. 468-480.

(٢) Idem., "Doubt and prerogative: The emergence of an Imami Shii Theory of Ijtihad "in Studia Islamica (Volume 70 (1989) Pp. 57-77.

نفسها بعنوان (اختلاف وإجماع في رسالة الشافعية)[1]، وقد وقف على الجدل بين الأصوليين والإخباريين أيضاً.

في الوقت نفسه فإن المستشرق البريطاني الآخر أندريو نيومان Andrew Newman هو الآخر قد أسهم في الميدان المذكور في رسالته الجامعية التي نال فيها درجة الدكتوراه من جامعة كاليفورنيا في الولايات المتحدة عام ١٩٨٤ التي تم طبعها في لوس أنجلس عام ١٩٨٦ بعنوان مباشر هو (نشوء وتطور مدارس العقليين (الأصوليين) والتقليديين وأهميتها السياسية في تاريخ التشيع الإمامي من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي إلى القرن العاشر الهجري/ السادس عشر للميلاد)[2]. والدراسة مهمة جداً في إلقاء الضوء التفصيلي على تاريخ الفقه الشيعي وأصول الفقه الأربعة، وعلى الاختلافات الجوهرية بين التيارين العقلي الأصولي والتقليدي الإخباري، وعلى مواقف كل تيار من قضية الاجتهاد والمجتهد وشرائط الاجتهاد وكذلك من المصادر الأساسية في فقه كل منهما.

ولهذا المستشرق دراسات أخرى قيّمة ومهمة في هذا الحقل، منها دراسته المؤلفة من قسمين الأول بعنوان (طبيعة الخلاف بين الإخباري والأصولي في العراق في الفترة التاريخية المتأخرة من العهد الصفوي) عبد الله السماهجي في كتابه (منية الممارسين)،

---

(١) Idem., (Ikhtilaf and Ijma in Sshafi Risala" in Studia Islamica (Volume 58/ 1983) Pp. 55-81.

(٢) Andrew Newman: The development and political significance of the Rationalist (usuli- and Tradit ionalist Akhbari in Imami Shii history from the Third/Ninth to Tenth Sixteenth Century Ph. D. dissertatioh.

والجزء الثاني من الدارسة إعادة تقييم الصراع، ونشر الدراسة في عام ١٩٩٢ في مجلة مدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية في لندن(١).

أما الدراسة الأخرى فهي بعنوان (الأمر الأسطوري في الهجرة الكليريكية (هجرة علماء الدين) إلى إيران الصفوية: --المعارضة الشيعية العربية ضد علي الكركي والتشيع الصفوي وقد نشرت الدراسة عام ١٩٩٣(٢).

ومما يلاحظ أن البروفسور نيومان قد ألف كتاباً مهماً عن المدرستين الأصولية والإخبارية عام ١٩٨٦ بعنوان (جذور المدرستين الأصولية والإخبارية عند التشيع الإثني عشري)(٣)، تناول فيه تاريخ النظريتين واختلافهما بالنسبة إلى مصادر مرجعيتهما، ومواقف كل منهما من الفقيه والقضاء والزكاة والخمس وغير ذلك من مسائل، كانا قد اختلفا في مواقفهما، ووجهة نظر كل منهما.

واستمر المستشرق أندريو نيومان على نشاطه فاعلاً ومنتجاً؛ فكتب كتاباً طبع سنة ٢٠٠٠ في مطبعة كرزون Curzon بعنوان (الفترة

---

(١) Idem., (The nature of the Akhbari/ usuli dispute in Late safawid Iraq / Part I Abdallah al - Samahiji) (Munyat al - Mumarisin) Part: The conflict reassed in BSOAS (volume 55 (1992) Pp. 22-51, 250-261.

(٢) Idem., (The myth of the clerical migration to Safawid Iran: Arab Shiite opposition to Ali al - Karaki and Safawid Shiism) in WI (Die Welt des Islams) Volume 33 (1993) Pp. 66-112.

(٣) Idem., Roots of the usuli and Akhbari Schools in Twelver Shiism (1986).

التكوينية لأحاديث التشيع الإثني عشري كحال بين قم وبغداد)[١]، وتعرض في الكتاب إلى مصادر أهل السنة في التشريع، القرآن الكريم والسنة النبوية والإجماع والقياس، وموقف الشيعة من ذلك وهو موقف - حسب ما أورد - يتماثل بين الجانبين بخصوص القرآن الكريم والحديث الشريف وبالأخص أحاديث الأئمة ثم العقل. والملاحظ أن نيومان قد اعتمد في هذا الكتاب على البروفسور مدرّسي طباطبائي في دراسته (الأصولية العقلية والتقليدية الإخبارية في الفقه الشيعي): - مسح أو نظرة عامة تمهيدية[٢] وقد نشرها في مجلة Studia Islamica عام ١٩٨٤.

ومن الدراسات الاستشراقية البريطانية المهمة دراسة المستشرق ويلي Joice N. Wiley، وكان عام ١٩٩٢ أستاذاً زائراً في قسم الدراسات الدولية والحكومية في جامعة ساوث كارولينا في أمريكا. إذ ألف كتاباً درس فيه الأصولية والإخبارية وعناصر الاختلاف بينهما وعنوان كتابه (الحركة الإسلامية للتشيع العراقي)[٣]، طبعه في لندن عام ١٩٩٢. وتكمن أهمية الكتاب في الجداول الإحصائية للشيعة في العراق منذ عام ١٩٤٧، والتوزيع الجغرافي لمراكز

---

(١) Idem., Formative period of Twelver Shiism Hadith as Discourse between QUM AND Baghdad (Curzon Press 2000).

(٢) Modarrassi Tabatabai (Rationalism and Traditionalism in Shii Jurisprudence: A Preliminary Survey" in SI Volume 59 (1984).

(٣) Joyce N. Wiley: The Islamic Movement of Iraqi Shiism (London 1992) Pages 9,10,121.

تجمعهم وانتشارهم. والمستشرق في الوقت نفسه قد حدد الاختلافات بين التيارين الأصولي والإخباري فيقول:

إن حركة الإخباريين داخل المذهب الشيعي تمحورت حول رفضها مصادر الولاية في الإجماع والعقل. ولكن الإخباريين يعترفون بالقرآن الكريم والأحاديث (الأخبار) فقط. في حين قبل الأصوليون بأصول الفقه الأربعة للولاية فضلاً عن دعمهم لنظرية كون المجتهدين هم المؤهلون في الشريعة وكذلك في استعمالهم العقل.

ويستنتج بعد ذلك إن انتصار الأصوليين في القرن الثامن عشر على الإخباريين قد جعل الأمر ممكنناً بالنسبة للشيعة أن يكونوا مؤهلين للتطور والتغيير بما له علاقة بتغير الحاجات والضروريات(١) في المجتمع.

وللمستشرقة جوان كول Juan Cole المعروفة بدراساتها المتعددة إسهام في الكتاب الذي حققه بول وتيرنر بعنوان (التشيع Shiism) في الجزء الأول منه بعنوان (رجال الدين Clerics الشيعة في العراق وإيران من ١٧٢٢-١٧٨٠م: إعادة نظر في الخلاف الإخباري - الأصولي)(٢).

ولها دراسة أخرى نشرتها ضمن بحوث كتاب حققته المستشرقة

---

(١) Ibid., p. 121.

(٢) Juan Cole., (Shii Clerics in Iraq and Iran 1722-1780: The Akhbari - Usuli conflict: reconsidered" in Shiism Ed. By Paul and Colin Turner Routledge, London and New York, 2008) Volume I (12).

نيكي كيدي N. Keddie المتخصصة بدراساتها عن إيران وعنوانه (الدين والسياسة في إيران) المطبوع عام ١٩٨٣. وعنوان الدراسة (الفقه الإمامي ودور العلماء كمرتضى الأنصاري ومضاهاته النموذج الأعلى أو الأمثل)(١).

كذلك أسهمت المستشرقة جوان كول في دائرة معارف التشيع المطبوعة في طهران عام ١٩٨٨ بدراسة تحت عنوان (الاجتهاد)(٢). وتطرقت المستشرقة في كلا البحثين إلى الجدال والخلاف الدائر بين المدرستين حول الولاية والمجتهد.

وقام المستشرق البريطاني كوبر Copper بتحقيق وترجمة مؤلف العلامة الحلّي بشأن الإمامة والاجتهاد وحول موقف المقدس الأردبيلي من التقليد، ووقف أيضاً على هذه المسألة الهامة في الخلاف بين الأصوليين والإخباريين(٣).

وتخصص المستشرق الأمريكي ديفن ستيوارت D. J. Stewart في موضوع يتعلق بردود الفعل الشيعي الإثني عشري بالنسبة إلى الشريعة الإسلامية على النظام الشرعي السني(٤). ودراسته هي

---

(١) J. R. Cole: "Imami Jurisprudence and the role of Ulema Mortaza Ansari on emulating the supreme exemplar" in N. Keddie (Religion and Politics in Iran (New York 1983) Pp. 33-46.

(٢) Idem., (Idjitihad) in Dairat al - Maarifi Tashayyu, ed. By A. Sadr et Alil, Tehran 1988, Volume I Pp. 473-482.

(٣) Cooper, L. (ed. and Translator): "Allama al - Hilli on the Taqlid" in Arjomand (ed.) Au thority and Political in Shiism,Pp. 240-49, 263-266.

(٤) Stewart, Devin j.: Islamic Legal Orthodoxy Twelver Shiite Responses to the Sunni Legal system (University of Urah Press 1998).

الرسالة الجامعية التي نال فيها درجة الدكتوراه من جامعة بنسلفانيا Pennsylvania عام ١٩٩١ وهي كانت أصلاً بعنوان مختلف قليلاً هو (الفقه الإثني عشري وصراعه مع الإجماع السني(٩٢)). وقد اعتمد المستشرق في المباني التاريخية حول التكوين الأصلي أو التاريخي للفقه الشيعي على عدد من المؤلفات التي قام بها بعض الأساتذة من إيران أمثال كتاب البروفسور حسين مدرسي (الوحدة والتماسك في الفترة التكوينية للإسلام الشيعي)[1]. وبحوث البروفسور سعيد أمير أرجمند مثل (أزمة الإمامة ومؤسسة الغيبة في التشيع الإثني عشري) وبحثه الآخر (غيبة الإمام وبدايات لاهوت (فقه) theology الغيبة)[2].

وقد ناقش المستشرق بالتفصيل شرائط المجتهد عند الأصوليين واختلاف نظريتهم عن التقليديين (الإخباريين)، ووقف على وجهة نظر مدرسة بغداد للتشيع في القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادي، ووجهة نظر علماء مدينة قم.

ثم درس مواقف علماء الشيعة أمثال البرقي والصفّار في بصائر الدرجات والكليني في الكافي، وردود فعل علماء قم إزاء العقليين في بغداد. كذلك عالج في دارسة مقارنة بين آراء الصفّار والكليني

---

(١) Hossien Modarressi, Consolidation in the Formative period of the Shiite Islam (Princeton, Darwin Press 1993).

(٢) Said Amir Arjomond, (The Crisis of the Imamate and the institution of Occultation in Telver shiism" in I JMES (Volume 28/1996) P. 491-515, idem., (Imam Absconditus and the beginnings of a Theology of Occultation) in JAOS (Volume 117 (1997) Pp. 1-12.

حول الإمام والإمامة. فهي إذن دراسة مقارنة وقف في عدة مناسبات فيها على الخلاف بين الأصوليين والإخباريين.

وفي عام ١٩٩٣ أسهم المستشرق ستيورات ببحث في ندوة عن (الإسلام الشيعي: عقيدة تجربة وعقيدة خبرة في الرؤية العالمية) في جامعة تمبل Temole وجامعة بنلسفانيا. وكان بحثه بعنوان (هرمية القضاء الإسلامي ومنصب مرجع التقليد)، إذ وقف فيه كثيراً على الجدل والخلاف الأصولي - الإخباري مركّزاً على ردود فعل العلامة الاسترابادي على آراء العلامة الحلي[(١)].

المهم بالنسبة إلى كتاب ستيوارت وأعماله الأخرى هو عرضه أفكار عدد من العلماء المسلمين ممن يعمل في الجامعات الأمريكية أمثال البروفسور عبد العزيز ساجدينا المعروف بدراساته عن الإمام والغيبة، والبروفسور أحمد كاظمي موسوي في كتابه (الولاية أو السلطة الدينية في الإسلام الشيعي)، والبروفسور آرجمند (ظل الله)، والبروفسور حميد عليكر في كتابه (الدين والدولة في إيران) وغيرهم ممن درس قضايا مهمة جداً بشأن الغيبة والإمامة والمجتهد بما له علاقة في الخلاف بين المدرستين.

والمستشرق الألماني مادولنك W. Madelung له عدة مساهمات في هذا المجال، فألف بحثاً قيّماً عن (الولاية في التشيع الإثني عشري في فترة غياب الإمام)[(٢)]. نشره في عام ١٩٨٠ ودرس فيه

(١) Stewart, D. J. (ISLAMIC Juridical Hierarchies and the office of Marji al - Taqlid) Paper from Shii Islam: Faith Experience and Worldview Temple University, University of Pensy lvania 1993.

(٢) Eliash. J. (The lthna ashri Jurist theory and Political and Legal Authority" in Studia lslamica Volume 29 (1969) Pp. 17-30.

الجذور التاريخية للاختلاف الدائر بين الأصوليين والإخباريين بما له علاقة بشرائط المجتهد والواجبات الملقاة على عاتقه في أمور الفقه والزكاة والصلاة خلال فترة غياب الإمام الثاني عشر.

وقد ألف هذا المستشرق في عام ١٩٨٠ بحثاً حول تعريفه وترجمته لرسالة الشريف المرتضى عن شرعية العمل للسلطة، وتعدُّ فقرة من فقرات الخلاف بين المدرستين أيضاً. لذلك فإنه درس هذا مع بقية الخلافات التي شخّصها العلماء الشيعة.

وأخيراً فإن الاستشراق الإسرائيلي الذي اهتم بشكل ملحوظ في ميدان التشيع منذ ستينيات القرن العشرين، قد أسهم عدد من مستشرقيه في الكتابة عن الجدل بين الأصوليين والإخباريين. فكتب المستشرق جوزيف الياش Joseph Eliash بحثاً نشره عام ١٩٦٩ بعنوان (نظرية القضاء الإثني عشري والولاية أو السلطة الشرعية والسياسية)، وتناول فيه عدة مسائل منها تطور النظرية السياسية عند الشيعة وكونها إحدى نقاط الخلاف بين المدرستين منتقداً آراء كل من شتروسمان وبروكلمان ومونتغمري وات بخصوص دور العلماء الشيعة.

وألف المستشرق الإسرائيلي ايتان كوهلبرغ المشهور بغزارة إنتاجه عن التشيع الإمامي عدداً من الأبحاث، فأسهم في دائرة المعارف الإسلامية (طبعة جديدة) ببحث عن الإخباريين

- وله بحث آخر في هذا الميدان نشره عام ١٩٧٩ وهو:

Some Misconceptions Regarding the Juridical Status of the Iranian (in IJMES Volume 10 (1979).

(Akhbariyya) وكتب بحثاً قيماً بعنوان (الفكر الإخباري في القرنين السابع والثامن عشر للميلاد) نشره في كتاب حققه ليفتزيون N. Levtzion وفول J. Voll عام ١٩٨٧[١].

كذلك أسهم المستشرق الإسرائيلي الذي - المذكور آنفا - مائير لتفاك عن موضوع الأصوليين والإخباريين بدراسة عنوانها (العلماء الشيعة في العراق في القرن التاسع عشر) نشرها في مجلة BSOAS عام ٢٠٠٠[٢]. والملاحظ أن الأستاذ لتفاك Litvak قد حصل على شهادة الدكتوراه من جامعة لندن في رسالة عنوانها (العلماء في العراق في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر علماء النجف وكربلاء)، لهذا فقد وقف على مسائل جوهرية من الاختلاف بين علماء المدرستين في مواضيع شرائط المجتهد والأخماس والمرجعية والفقهاء. وكذلك درس التعليم في النجف وكربلاء في بحث أسهم فيه في الكتاب الذي حققه بول لفت وتيرنر(التشيع Shiism). وقد طبع المستشرق لتفاك أطروحته في مطبعة جامعة كمبردج عام ١٩٩٨، فالبحث المذكور آنفا يعدّ امتداداً للأفكار الواردة في رسالته الجامعية هذه.

وأسهم لتفاك أيضاً في كتاب (التشيع Shiism) ببحث عن

---

(١) (Akhbariyya) in Encyclopedia of Islam (Supplement) by Kohlberg, idem., (Aspects of Akhbari thought in the seventeenth and eighteenth century (Syracuse 1987) in N. Levtion and J. Voll (eds.) Eighteenth century renewal and reform Islam.

(٢) Meir Litvak: Shii Scholars of the Nineteenth Century Iraq, idem. (Shii Scholars of 19th Iraq) in BSOAS, Volume 63 (2000), Ulama al - Najaf and Kerbala.

المدرسة والتعليم في النجف وكربلاء في القرن التاسع عشر[1]، وقف فيه على الخلاف بين المدرستين الأصولية والإخبارية.

وللمستشرقة شارون M. Sharon بحث بشأن إشكالية شرعية الحكومة (السلطة) في الإسلام، نشرته عام ١٩٨٠ وقفت فيه على النظرية الأصولية في الموقف من الإمام والسلطة[2].

إن الدراسات السابقة تؤكد صحة الاستنتاج بأن المستشرقين قد اهتموا اهتماماً كبيراً بدراسة الفرق الشيعية وفرق الغلاة الذين لم يعودوا شيعة إثني عشرية، بعد خروجهم عن الخط الإمامي، وبعد أن تداولوا وأشاعوا آراءً وأفكاراً بعيدة عن آراء الأئمة في مسائل مهمة تتعلق بالعقيدة الشيعية والعقيدة الإسلامية.

ولهذا فقد وقف الأئمة بصراحة وجدّية ضدهم وأبعدوهم عن مجالسهم. إلا أن الدراسات التي سبق ذكرها تبين بجلاء أن المستشرقين يصّرون على تكرار الآراء القديمة التي فرضها مستشرقون قدامى، تفيد بأن هذه الفرق الغالية شيعية.

كذلك ينبغي ملاحظة مسألة أخرى مهمة في مدى هذا الاهتمام المتزايد في دراسة الغلاة والغلو، إنهم دون شك يهدفون إلى تضخيم فكرة الانقسام والتنازع بين صفوف فرقة الشيعة؛ والأكثر من ذلك أهمية أنهم يهدفون إلى ترسيخ عدد من المفاهيم الغالية، لتتحرك وتعمل على التشويه والتشكيك في وحدانية الله تعالى، وفي أن النبي

---

(١) idem., (Madrasa and Learning in the 19th century Najaf and Karbala" in (Shiism) Edited by Paul and Turner Volume I (Article 14).

(٢) Sharon, M. (Notes on the Question of Legitimacy of Government in Islam) Israel Oriental Studies, Volume 10 (1980) Pp. 116-123.

محمد هو آخر الأنبياء وفي النبوة والإمامة، وهي مسائل جوهرية تظهر قوة عقيدة التشيع، ومبادئها الإسلامية.

ودعماً لهذا الاستنتاج فالباحث وجد أيضاً تركيزاً ملفتاً للنظر من قبل المستشرقين القدامى منهم والمحدثين في دراسة الاختلافات والنزاعات بين السنة والشيعة عبر التاريخ الإسلامي. ولما كان موضوع البحث لا يتعلق كثيراً في هذا الجانب لذلك أرجأنا التطرق إليه هنا، وسوف نخصص له في المستقبل بحثاً عن هذا الموضوع.

كذلك وجد الباحث أن الكثير من المستشرقين الألمان والفرنسيين قد أخضعوا العلاقة بين التشيع والتصوف في إيران بشكل خاص للدراسات والبحث والتحقيق. وكما هو معروف أن التصوف أيام الصفويين قد واجه متاعب كثيرة، ولذلك حدثت توترات بين الشيعة والمتصوفة، فضلاً عن محاولات للتقارب والتحاور بين الطرفين، وهو موضوع خارج أيضاً عن إطار الدراسة الحالية، لكننا بعون من الله تعالى سنقف عليه لاحقاً.

من جهة ثانية وجد الباحث أنه في أعقاب الثورة الإسلامية في إيران بقيادة الإمام الخميني توجهت أقلام المستشرقين للكتابة عن مواضيع دقيقة جداً في دراسة العلاقة بين النجف الأشرف وقم المقدسة أو بين بغداد وقم أو بين النجف وكربلاء.

والواقع أن هناك دراسات قيّمة من قبل المستشرقين عن مدينة قم دينياً واجتماعياً وجغرافياً تؤكد فكرة أنهم يحاولون التركيز على المؤسسة الدينية في قم أي الحوزة العلمية لمقارنتها بالحوزة العلمية في النجف، وهو موضوع آخر نرجئ الحديث عنه الآن وسوف نخصص له بحثاً في المستقبل بعون الله تعالى وهو بحث جاهز للطبع ملحقاً لبحث التشيع والتصوف في إيران والعراق.

الخاتمـــــة

تقدم في الصفحات السابقة مسحاً مصدرياً لاهتمامات وتوجهات مدارس استشراقية مختلفة للكتابة في موضوعات هامة حول التشيع والعقيدة الشيعية وحول أئمة أهل البيت؛ وقد سلّطت الدراسة الضوء على نقاط ومسائل لها أهميتها من بينها:

١ - الواضح أن هناك اهتمامات ومساهمات ما هي إلا نتيجة من نتائج حب الاستطلاع العلمي عند المستشرقين نحو دراسة الإسلام الشيعي؛ كذلك إنه يشكل انعكاساً لتطور مناهج البحث العلمي في أوربا لا في موضوع التشيع والحركات الشيعية في التاريخ فحسب، بل في تدوين التاريخ عموماً.

ولعل ذلك واقع في الانتاجات العلمية لمدرسة الاستشراق الدانمركي والإيطالي. فالاستشراق الدانمركي ركّز في دراساته على مسألة تاريخية تتعلق بأهم حدث شهدته الأمة الإسلامية والتاريخ الإسلامي بعد وفاة رسول الله ألا وهو ما يعرف بالفتنة الكبرى بحسب رأي بعض الباحثين وبالثورة على الخليفة الراشدي الثالث ومقتله حسب رأي البعض الآخر من الباحثين.

والحدث واقعياً مثّل مرحلة أو نقطة تحول من عصر الرسالة التي ركّز فيها رسول الله على بناء مجتمع جديد قائم على أسس مركزية؛ وعلى أن المسلمين وغيرهم أمة واحدة تدين بالإسلام من غير فوارق

قبلية أو عشائرية أو قومية أو عائلية، وبين مرحلة مثّلت بشكل خاص فترة ما بعد السقيفة (سقيفة بني ساعدة) حينما غلبت فيها الاتجاهات العائلية والعشائرية والمادية على حساب المبادئ الإسلامية أولاً وعلى حساب تطبيقات وممارسات الرسول ثانيا. فانبثقت من جرّاء هذا التحول نتائج كثيرة، وبالغة الأهمية تبلورت في واحدة منها ثورة الأعراب من الأمصار الأساسية الثلاثة أو ثورة أولئك الذين رأوا بأن الإسلام بدأ يواجه خطراً مباشراً وردّة واضحة باتجاه القديم من العادات والتقاليد والأحلاف الجاهلية وعندئذ بدا الانشقاق في المجتمع الإسلامي واضحاً متمثلاً بين تيارين إسلامي يمثله أولئك الذين غضبوا كثيراً على عودة مرتقبة للقبيلة التي سبق لها وأن استأثرت طيلة التاريخ الذي سبق ظهور الإسلام بجميع مقومات الاستعباد والظلم للطبقات المسحوقة من المجتمع المكي وغير المكي، وهي قبيلة قريش عامة وأنصار أبي سفيان خاصة في أن تمارس الفعل الواحدي نفسه في السيطرة والسيادة وإلى تقلد مرة أخرى مقاليد أمور المجتمع الإسلامي من جهة أخرى وهو التيار الذي ظل محافظاً على الإرث القويم الذي تركه رسول الله، وبين تيار عائلي عشائري إلى حد ما تمثله هذه الثلة القليلة من الذين دخلوا الإسلام رغماً على أنوفهم المتغطرسة الفئة التي أصطلح عليها رسول الله بعد فتحه مكة مصطلحاً مباشراً (الطلقاء).

ولما كانت هذه المرحلة مهمة بما له علاقة بوحدة الإسلام والمجتمع الإسلامي فإنها وفرت للباحثين عامة وللمستشرقين على وجه الخصوص جاذبية في البحث عن الأسباب التي أدت إلى ذلك الحدث الكبير، والى نتائجه البالغة الخطورة، وعلى مدى تأثير ذلك

الحدث على التدوين التاريخي الإسلامي في القرن الأول الهجري، قرن التأسيس الديني والاجتماعي والسياسي الأصيل.

وبدلاً من أن يكون عنوان الموضوع النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم، وهو العنوان الذي اختاره المقريزي صار مركّزاً على عنصرين أساسيين الإمام علي الخليفة الشرعي الذي سبق وأن أبعد عن الخلافة والذي تم انتخابه من قبل الجموع في المدينة، وبين معاوية بن أبي سفيان رمزاً لبني أمية. وإلى هذه القاعدة استندت وتركزت دراسات مدرسة الاستشراق الدانمركية والإيطالية بمعنى أنها ركّزت على عنصر أضحى جليّا في عناوين دراساتهم بتعبير Conflict. Confillito (النزاع والتخاصم).

وإن هدف هذه البحوث والكتابات إبراز أهمية التحول السياسي، والنزاع بين التيارين الديني والدنيوي العشائري في ما حدث من سلسلة خطيرة من الأحداث التي أفرزت نتائج خطيرة، أدت بدورها إلى حدوث تطورات سريعة ومتلاحقة ظل المجتمع الإسلامي يعاني منها وظلت الدول الإسلامية المتعاقبة إبان الدولة الأموية والعباسية تتصارع معها من أجل الإبقاء والمحافظة على سلطتها غير الشرعية طيلة القرون الثلاثة الهجرية الأولى.

يعني هذا التوجه في دراسات المستشرقين في أسلوبه منهاجًا بحثياً استشراقياً، معتمداً على تحليل الروايات التاريخية وتفكيكها من حيث إسنادها ومحتواها. وهو في الواقع لا يعكس دافعاً تبشيرياً أو استعمارياً إنما يمثل تطبيقاً عملياً لمعايير منهج بحث جديد وأنه قد يتضمن موضوعاً مثيراً في الوقوف على عناصر الفرقة والتنازع في المجتمع الإسلامي.

٢ - حقيقة أن المستشرقين ضمن هذا الاتجاه وغيره قد خضعوا بل وتأثروا بالرواية التاريخية الشائعة والسائدة تلك التي وضعتها وصنعتها السلطات الجائرة الأموية والعباسية بدفعها وتشجيعها مادياً واجتماعياً وادارياً لرواة يعدّون روّاداً في رواية السيرة النبوية وأحداث القرن الأول للهجرة لأن يزيفوا أو يحرّفوا أو يكيفوا والأكثر أهمية أن يغيبوا دور الإمام علي التاريخي ومواقفه، وأن يقللوا من أهمية التشيع في هذا القرن المهم، الذي عرّفه عدد من المستشرقين بأنه يمثل المرحلة التكوينية للإسلام الشيعي.

ومن بين هؤلاء المستشرقين الذين خضعوا لتأثير الإعلان الأموي والعباسي كيتاني الإيطالي وجولدتسيهر الألماني وكبريبلي الإيطالي وهنري لامانس المبشر الكاثوليكي. أما هنري لامانس فقد اتخذ موقفاً متطرفاً في الشك بالأحاديث النبوية الشريفة برمتها، على الرغم من أنه في حالات غير قليلة اعتمد الحديث الشريف لدعم مواقفه الشكّية. فعرض لامانس في كتابه (معاوية) وكتابه الآخر (يزيد بن معاوية) موقفاً إيجابياً إزائهما متأثراً برواية البلاذري ضداً بالإمام علي والإمام الحسين عليه السلام.

فصرّح لامانس بمواقفه المعادية للإمام علي وللتشيع في كتابيه المذكورين آنفا، وفي دراسته عن فاطمة الزهراء الموسومة (فاطمة وبنات محمد).

أما المستشرق فرانشيسكو كبريبلي فهو على الرغم من موضوعيته في البحث موازنة مع المستشرقين الآخرين في دراسته عن السيرة النبوية المطّهرة في كتابه (محمد والفتوحات الإسلامية) لكنه وقع أيضاً تحت تأثير الإعلام الأموي ورواية معاوية التي أعلنها في

أوامره لجميع عماله وولاته في الدولة الإسلامية تلك التي تعبر بإبعاد وإقصاء رواية الإمام علي والشيعة واضطهاد أنصار آل البيت، وحرق منازلهم، وقطع أرزاقهم. تلك الرواية فضلاً عن الرواية العثمانية التي كرّس لها المدائني والبلاذري كتباً أو أجزاءاً من أنساب الأشراف.

فالمستشرق كبريبلي يرى أن للإمام علي يدا ودوراً في أحداث الفتنة وكذلك في مقتل الخليفة عثمان بهدف الوصول إلى سدة الحكم. وهذه هي رواية معاوية نفسها في محاججته مع الإمام علي قبل تمرده وفي أثناء تمرده وإعلانه عن موقفه المعادي للخليفة الشرعي، والواقع أن المستشرق كبريبلي قد أغفل الرواية الأموية التي تذهب إلى القول بأن الخليفة المقتول نفسه قد أشار إلى الرواية صراحة حينما تأخرت مساعدة معاوية العسكرية - وكان تأخرها مقصوداً من قبل معاوية نفسه لئلا يورط نفسه مباشرة - أشار إلى أن معاوية قد تأخر في إرسال الجيش للمساعدة انتظاراً لمقتله، ومن ثم إعلان دعوته للخلافة بوصفه وليّ الخليفة، هكذا كان الخليفة يفهم الموقف الحقيقي لمعاوية، غير أن البروفسور كبريبلي مع كل ذلك يعتقد بالرواية المؤيدة لمعاوية.

فضلاً عن ذلك فإن كبريبلي قد ابتعد عن الحقيقة عندما اعتمد في تفسيره نظرية الإمامة عند الشيعة على مصادر سنيّة فقط وعلى رأي ابن خلدون، متغافلاً عن المصادر الشيعية، وعن تفسير الأئمة لمفهوم الإمام ومهامه وسلطاته. عندئذ فقد تبنى مواقف غير موضوعية من التشيع نتيجة لوقوعه تحت تأثير الإعلام الأموي المعادي.

٣ - وهناك موضوع آخر توجهت إليه دراسات المستشرقين وبصورة خاصة المدرسة الألمانية والبريطانية والفرنسية للأستشراق، فقد حقق بعض العلماء عدداً من الرسائل والكتب الشيعية التي كتبها شيوخ وفقهاء الطائفة مثل العلامة ابن بابويه والشيخ الطوسي والعلامة الحلي ويعدّ تحقيقهم لهذه المؤلفات في تلك الفترة من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين خطوة علمية بالغة الأهمية وفرت المعلومات الأصيلة عن عقيدة المهدي المنتظر.

هذا التوجه نحو التحقيق والتعليق والنشر ربما كان يراد منه عدة جوانب: -

أ - البحث في أهم عقيدة عند الشيعة الإمامية لمعرفة أصولها ومنابعها التاريخية والعقيدية، وهي عقيدة المهدي المنتظر؛ وأقصد بما له علاقة بميدان تاريخي وعقيدي صار مؤثراً على ظهور هذا المعتقد عند الفرق السنيّة، ثم ظهر سياسياً زمن الأمويين بنظرية السفياني، وعند العباسيين باتخاذهم أسماءً لخلفائهم، كالمنصور، والمهدي، والهادي، والقائم، والناصر لدين الله وما إلى ذلك. وعند الفاطميين في مصر، والأمويين في الأندلس، وكذلك في العصر الحديث في شمال أفريقيا والسودان وحتى عند الخوارج الإباضية في عمان وشمال أفريقيا، وعند الزيدية في اليمن... الخ.

ب - أيضاً فإن عقيدة المهدي المنتظر قد فهمها المستشرقون على انها امتداد لعقيدة Messenaic المسيحية ومتأثرة بها؛ وبأن المسيح سيعود ثانية في آخر الزمان.

ج - الغالبية من المستشرقين الألمان والبريطانيين يقفون ويشددون دائماً على التأصيل الفيلولوجي والتاريخي لما قبل

الإسلام، وذلك بهدف التأكيد على التأثير اليهودي والمسيحي في عقيدة المهدي المنتظر والرجعة.

أقول بتواضع إن علينا واجباً أساسياً بضرورة الاهتمام والعناية بهذه الدراسات وترجمتها وتحقيقها وعرضها للمناقشة والمحاججة والردّ عليها والتنبيه على العناصر القوية والعلمية فيها، وبعكسها تشخيص عناصر الضعف والتحريف والتشويه إن وجدت لأن ذلك يعدّ مهماً في الجدل والمناقشة مع المستشرقين.

د - في الوقت نفسه فإنه من الواضح جداً وجود اهتمامات عديدة في متابعة ودراسة العقيدة الشيعية وبيئتها، في أبحاث مثل:-- الإسلام الإيراني، وشيعة الهند، وشيعة شمال الهند وتأثيراتها وشيعة العراق. وهو اتجاه بحسبما نعتقد يقصد به البحث في هذه المسألة الخطيرة محاولة منهم إبراز طوبوغرافية توزيع الأمة الإسلامية وتقسيمها تقسيماً مذهبياً.

هـ - والملاحظة الرئيسة الأخرى التي تخرج بها الدراسة هذه هي التوجه الاستشراقي ومنذ مطلع القرن العشرين نحو دارسة ظاهرة الغلو في الفكر الشيعي والكتابة عن أخبار الغلاة والفرق الغالية مركزة على أن هذه الأفكار المتطرفة قد انطلقت من التشيع عموماً وانشقت عن الفرقة الأم الرئيسة للشيعة الإثني عشرية.

لقد كان المستشرقون وبالأخص البريطانيون منهم، يهدفون إلى توجيه الأنظار إلى التطرف في العقائد الشيعية وبحسب ما أشار إليه المستشرق (تكر) البريطاني في Tucker في بحثين من أبحاثه إلى مسألة الإرهاب التي يركز عليها المستشرقون الأمريكان قبيل أحداث ١١ أيلول وما بعد ذلك وحتى الوقت الحاضر، فأحد أبحاثه قد

اختار له عنواناً هو (أبو منصور العجلي والمنصورية: دراسة في إرهاب العصور الوسطى) وبحثه الآخر (الشيعة المتطرفون في العراق الأموي).

كذلك فإن المستشرق البريطاني هودجسون، والمستشرق البريطاني الأمريكي برنارد لويس قد ألفا كتباً تحمل منظور الإرهاب والقتل وهو (The Assassins القتلة)، وذلك بهدف إلصاق مفهوم الإرهاب بالشيعة. وهذه النزعة في تعميق مسألة الغلو عند الشيعة قد سبقهم بها مؤلفو الفرق الإسلامية من أهل السنة، أمثال ابن حزم الظاهري المذهب.

فالمستشرقون الذين ألفوا كثيراً عن الغلو والغلاة شددوا على المعتقدات الغالية في ألوهية الإمام علي وفي مسألة تناسخ الأرواح والحلول، وكذلك ركزوا على انقسامات الفرقة الإمامية إلى أربع عشرة فرقة وما إلى ذلك من مسائل يحتاجها الغرب في رسم الخرائط الدينية ألسياسية للعالم الإسلامي.

و - نصل من جميع هذه النتائج إلى نتيجة أخيرة وهي الأهمية القصوى في أن يبدأ مفكرونا وباحثونا والأكاديميون وعلماء الدين بالعناية والاهتمام في دراسة هذه المؤلفات والإسهامات الأخرى الجادة بالنسبة إلى التشيع والحركات الشيعية في التاريخ، وفيما يخص الدراسات الخاصة بالمهدوية والإمام صاحب الزمان وأئمة أهل البيت؛ وذلك من أجل متابعة أفكارها ومحاججتها وتصحيح ما ينبغي تصحيحه من تفسيرات وآراء مستندين إلى المؤلفات الشيعية والأصلية، ومعتمدين على أحاديث الأئمة كأحاديث الإمام علي، والإمام الصادق، وعلي بن موسى الرضا، ولا سيما بالنسبة إلى

مواقفهم من الغلاة كالخطابية والبيانية والمنصورية والكيسانية. ومن بعد هذا مواصلة علماء الدين في إبداء آراء حازمة وصريحة بشأن الفرق الغالية الحديثة مثل البابية والشيخية والبهائية وغيرها للرد على المستشرقين رداً علمياً وفقهياً وتاريخياً.

ونعتقد أن علينا التواصل مع المستشرقين عن طريق عقد المؤتمرات والندوات المشتركة والعمل على دعوة المستشرقين والباحثين العرب والمسلمين ممن يدعم التفسيرات الاستشراقية، بهدف تنوير العقلية الغربية والإسلامية على حد سواء عن صفاء العقيدة الشيعية ونقائها، من أي هرطقة أو بدعة، وعن مواقف الأئمة من التطورات التاريخية، وعن عمق الأصول التاريخية للتشيع في المجتمع الإسلامي. واتخاذ مواقف صريحة إزاء الغلو والفرق الغالية والإرهاب والقتل المتعمد وهو أمر نحتاج إليه في الوقت الحاضر على وجه التحديد بغية تبديد المزاعم الأمريكية والصهيونية بافتراضهم المعادلة الخاطئة وهي أن الإسلام يعادل الإرهاب.

الفهرس